الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر باتنة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم العلوم الإسلامية

نيابة العمادة لما بعد التدرج

والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

السنن الإلهية وتفسير القرآن الكريم في العصر الحديث

بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية تخصص كتاب وسنة

إعداد الطالب:

عمر حيدوسي

إشراف الدكتور:

عبد الحميد بوكعباش

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د. منصور كافي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر باتنة	رئيسا
د. عبد الحميد بوكعباش	أستاذ محاضر	جامعة جيجل	مشرفا ومقررا
أ.د.حسن كاتب	أستاذ التعليم العالي	جامعة قسنطينة	عضوا مناقشا
أ.د. سامي الكناني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	عضوا مناقشا
د. عامر العرابي	أستاذ محاضر	جامعة الحاج لخضر باتنة	عضوا مناقشا
أ.د. عبد الكريم حامدي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر باتنة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

1432-1433هـ / 2011-2012م

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر باتنة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية
قسم العلوم الإسلامية
نيابة العمادة لما بعد التدرج
والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

السنن الإلهية وتفسير القرآن الكريم في العصر الحديث

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية تخصص كتاب وسنة

إعداد الطالب:
عمر حيدوسي

إشراف الدكتور:
عبد الحميد بوكعباش

السنة الجامعية:
1432-1433هـ / 2011-2012م

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بسم الله الرّحمن الرحيم

{ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق

وأحسن تفسيرا}

{قد خلت من قبلكم سنن

فسيروا في الأرض فانظروا ..}

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إهداء

هذه الرسالة ثمرة جهود سنوات من المكابدة مع البحث العلمي

لذلك كان لزاما علي أن أهديها إلى أقرب الناس إلى قلبي:

روح والدتي الغالية التي توفيت وهي تدعو لي بأن أبلغ أعلى المقامات والدرجات العلمية والعملية.

الأرواح الطاهرة: أخوي رافع وتوفيق الذين كانا لي نعم السند في مساري الدراسي إلى أن توفاهما الله.

والدي وعائلتي الكبيرة، وكافة أصدقاء الدرب في الدراسة والعمل.

^ ^ ^

وأهديها إهداء خاصا جدا

إلى أسرتي الرائعة التي ضحت بالكثير من وقتها وحقوقها في سبيل أن ترى هذه الرسالة النور: زوجتي الغالية أم طه

وزهراتي الثلاث: تقوى–إسراء–هاجر وبرعمي اليافع طه سراج الدين.

عمر حيدوسي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شكر

الشكر لله أولا و آخرا .. لكن لا يشكر الله من لم يشكر الناس .. وعليه أشكر جزيل الشكر كل من ساعد على إنجاز هذا البحث، وساهم في نضجه وخروجه على ما هو عليه الآن مضمونا وإخراجا. كما اخص بالشكر في هذا المقام:

- الأستاذ المشرف الدكتور عبد الحميد بوكعباش الذي تكبد عناء الإشراف على هذا البحث وتوجيهه بما بملاحظاته وأفكاره.
- الأستاذ الدكتور السيد رزق الحجر الذي وافق على الإشراف الخارجي على هذا البحث بجامعة القاهرة خلال فترة التربص، وأسهم بتوجيهاته وملاحظاته.
- لجنة المناقشة الموقرة التي تفضلت بالاطلاع عل هذا البحث وتهذيبه وتصحيح ما ورد فيه من نقائص.
- طاقم مكتبة كلية دار العلوم وكلية الحقوق بجامعة القاهرة، دون أن أنسى طاقم مكتبة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية، على كل ما قدموه ويقدمونه من خدمات للباحثين وطلبة العلم.
- كما أحرص على تقديم شكر خاص لأسرة معهد الدراسات المعرفية بالقاهرة، ممثل المعهد العالمي للفكر الإسلامي بجمهورية مصر العربية، على الخدمات والتسهيلات الجليلة،والأجواء البحثية والأخوية التي قدموها لنا خلال التربص.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله –صلى الله عليه وسلم-، ثم أما بعد؛

فإنّ صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان وإنسان تقتضي فيما تقتضيه أن يبقى النص القرآني مهيمنا على الحياة البشرية، مواكبا لمستجدات العصر وحاجاته المتجددة، ومستفيدا من الآفاق الجديدة التي يفتحها الكشف العلمي في الوحي والكون والإنسان.

وتلك عادة علم التفسير الذي أجاب عن إشكالات الأمة والبشرية في كل عصر من عصورها، مع تفاوت في الأشكال والإجابات؛ فمن تفسير النص بالنص إلى التفسير بالأثر ثم بالرأي والاجتهاد في مختلف التخصصات والمجالات اللغوية والعقدية والفقهية والاتجاهات الثقافية والسياسية والاجتماعية...

والمتأمل في مناهج المفسرين يلحظ مواكبة النص للعصر بجلاء، ويلحظ كذلك حجم الاستفادة المتبادلة بين التفسير ومستجدات المعارف والعلوم الحديثة..

والسنن الإلهية في الكون والحياة –محل اهتمام هذه الدراسة- أحد أهم تلك المعارف التي أسس لها القرآن وإنتاج المفسرين وتأسس عليها...

أقصد أن هناك علاقة تأثر وتأثير متبادلة بين التفسير والسنن:

إلى أي مدى ساهم القرآن الكريم في الكشف عن السنن والدعوة لذلك؟

وكيف صاغ القرآن السنن الإلهية؟ وكيف عرض سياقاتها؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وماذا قدم المفسرون المعاصرون من إسهامات في مجال كشف السنن بالقرآن وفي تطوير التفسير بالسنن؟

وبالرجوع للقرآن الكريم نجد المادة السننية بارزة بقوة، من خلال التصريح بلفظ السنة أو ما يقاربه من مصطلحات ومفاهيم دالة على السنن، مع رصيد هام من القصص والأمثال والأحكام المطعمة والمذيلة بحقائق سننية تصريحا أو تلميحا.

هذا ما يدل على أن المادة القرآنية والتفسيرية تختزن في طياتها منهجا سننيا يحتاج لكشف واستيعاب عبر عمليات بحث علمي رصين، يعتبر هذا البحث واحدا منها، كمحاولة ولو محدودة في ذلك السياق.

وقد حددت العصر الحديث لأن الحس السنني لم يكن ناميا بالشكل العلمي المنهجي الكافي للظهور كمؤثر في تطور العملية التفسيرية.

ومبدأ هذا العصر التفسيري الحديث هو جهود الإمام محمد عبده وما تلاه من جهود واجتهادات في مصر وغيرها؛

من ذلك التفسير السنني الفريد المختزن في تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا وارث منهج محمد عبده ومجسّد ومتمم جهوده التفسيرية.

من ذلك أيضا اللمحاتالسننية القيّمة في تفسير الظلال للشهيد سيد قطب.

دون أن ننسى اللفتات والفلتات المبدعة للشيخ الشعراوي بعقلانيته السننية.

ثم هنالك المحاولة الموضوعية للشيخ محمد الغزالي التي أسست للطرح النني المقعّد والمركز في التناول التفسيري.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إضافة لتلك الجهود المشرقية، لا يمكن الحديث عن السنن دون التعريج على الجهود التفسيرية المغاربية، كتفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور الجامع بين متانة اللغة وعمق التأصيل وإبداع التقعيد الاجتماعي، وهي خصائص سننية بلا شك.

وإذا أضفنا إليه تلميذه العلامة الجزائري عبد الحميد بن باديس في تفسيره الفريد: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، الذي يعد بحق أنموذجا سننيا في التفسير جمع بين الأصالة والبساطة والواقعية والإبداع في طرح تفسري علمي عملي نادر.

كما يجدر بنا في هذا المقام ألا ننسى الإسهامات النوعية للمدرسة الشيعية –رغم التحفظ العقدي والفقهي عليها-، إلا أنها قدمت لنا تفاسير معاصرة زاخرة بالوعي السنني –محل اهتمام هذا البحث بالأساس-.

ونذكر منها تفسير الميزان للطباطبائي، وتفسير من وحي القرآن للسيد محمد حسين فضل الله.

وإضافة لكل هذه الجهود التفسيرية، هناك كمّ عام –على قلته- من الدراسات الإسلامية والقرآنية والمحاولات الجزئية في التفسير تنظيرا وتطبيقا، تحوي روحا سننية جديرة بالاهتمام، من ذلك أعمال ودراسات كل من المفكرين الجزائريين السننيين: الأستاذ مالك بن نبي وتلميذه الأستاذ الطيب برغوث، والشيخ جودت سعيد، والدكتور عماد الدين خليل.

هذا إضافة لكبار المنظرين في موضوع السنن الإلهية، من أمثال السيد محمد باقر الصدر والدكتور عبد الكريم زيدان، ومن سار على منهجهما من المعاصرين..

في ضوء كل ذلك تطورت فكرة هذا البحث وترسمت معالمه، وجاء بعنوانه الحالي:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن خلال هذا العنوان تتضح القضايا المحورية التي يطرحها هذا البحث، والتي يمكن تلخيصها في شكل تساؤلات محورية:

1. كيف تطور مفهوم التفسير؟ وكيف تناول المفسرون قضاياه وأدواته؟ وما هي أبرز مناهجه واتجاهاته قديما وحديثا؟
2. ما المقصود بالسنن الإلهية؟ وما أبرز خصائصها وأنواعها وتقسيماتها؟
3. كيف تطور الاهتمام التفسيري بالسنن الإلهية من عصر التدوين إلى أن بلغ العصر الحديث؟

   وكيف تناول المفسرون القدامى والمحدثون مسألة السنن الإلهية؟
4. كيف صاغ القرآن الكريم سنن الله عز وجل في كونه ووحيه؟ وكيف عرضها وحدد مجالاتها؟
5. ما هي السياقات القرآنية التي تجلت السنن من خلالها؟

   وكيف عبرت تلك السياقات عن عناية القرآن بالسنن؟
6. إلى أي مدى ساهم تفسير القرآن الكريم في الكشف عن السنن الإلهية؟
7. ماذا قدم المفسرون المعاصرون في مجال السنن الإلهية؟

هذه التساؤلات الهامة شكلت الاهتمامات المحورية التي سبح هذا الجهد البحثي في فضائها، وحاول التنقيب عن بعض دقائقها وتفاصيلها.

ولذلك يمكن اعتبار الإجابة عن تلكم التساؤلات أهدافا ينشدها ها البحث.

فضلا عن الإسهام بجهد علمي –ولو كان متواضعا- في بيان هيمنة النص القرآني على الواقع الإنساني، وإثبات قدرته على مواكبته، عبر الإجابة عن إشكالات الحياة والأحياء.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإضافة لتلك الأهداف، ساهمت أسباب متعددة لدفعي لاختيار هذا الموضوع وخوض غماره، وعلى رأس تلك الأسباب:

§ اهتمامي بموضوع السنن الإلهية مطالعة وبحثا وتتبعا في القرآن الكريم.

§ مواصلة تجربتي البحثية السابقة في الماجستير حول السنن الإلهية مجسدة في نموذج تطبيقي موضوعي هو التدافع وسننه في القرآن الكريم.[1]

§ رغبتي العلمية والروحية في التعامل مع القرآن الكريم كمسلم قرآني أولا، وكجامعي مثقف ثانيا، وكباحث في التفسير والدراسات القرآنية ثالثا.

§ محاولة إضافة لبنة جديدة جادة في مجال الدراسات الإسلامية عامة والقرآنية خاصة والسننية على الخصوص، مهما كانت متواضعة قاصرة، فهذا حال كل جهد بشري.

ولتحقيق تلك الأهداف والأسباب، كان لا بد علي من الرجوع لجملة دراسات سابقة أحسبها مفصلية في بناء وتأسيس وتأصيل موضوع كهذا؛

- على رأسها التفاسير القديمة وبالخصوص تفسير الطبري والرازي والزمخشري وابن كثير والشوكاني...
- وإلى جانب القدامى، تفاسير المحدثين بدء بمدرسة المنار وشيخيها محمد عبده ومحمد رشيد رضا، مرورا بمحمد الطاهر بن عاشور وعبد الحميد بن باديس وسيد قطب وسعيد حوّى ومحمد الغزالي ومحمد متولي الشعراوي ومحمد حسين الطباطبائي ومحمد حسين فضل الله...

---

[1]- كنت قد أعددت رسالة الماجستير في التفسير الموضوعي بعنوان: التدافع وسننه في القرآن الكريم، تحت إشراف الأستاذ الدكتور أحمد رحماني، نوقشت بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية في جويلية 2002م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- وإلى جانب التفاسير، والدراسات القرآنية والتفسيرية والموضوعية، النظرية منها والتطبيقية التي أفدت منها كثيرا في تصور الموضوع وإثراء مادة البحث.
- وطبعا، تأسست مادة البحث من الدراسات السننية، التي تتحدث عن السنن الإلهية نظريا وتطبيقيا، إجمالا وتفصيلا.
- كما أشير هنا لأهمية المعاجم القرآنية في تيسير إنجاز مثل هذه الموضوعات، والتي تعدّ "فتوحا" منهجية تختزل الجهد والوقت وتوجه التصور وتثريه، وأخص بالذكر منها هنا المعجم المفهرس لمحمد فؤاد عبد الباقي.
- إضافة لحشد من الدراسات الإسلامية والغربية كتبا ومقالات ومادة إلكترونية، وقد وجدت في بعض المقالات ما لم أجده في بطون الكتب، بغض النظر عن تقييم الجهود وزاوية النظر إليها.

من خلال ذلك الكم الزاخر من الدراسات العلمية، تما جسم هذا البحث، متبعا خطوات منهجية ضرورية؛

- الاستقصاء والاستقراء للمادة القرآنية واللغوية والتفسيرية والعلمية المتعلقة بالموضوع.
- تحليل وتركيب المادة المستقرأة لاستنباط أفكار الموضوع وتشكل هيكل البحث ومادته.
- كل ذلك في ظل المنهج التفسيري الموضوعي التجميعي، خصوصا في تأسيس التصور المفاهيمي للثنائية المحورية للبحث (التفسير-السنن).

وتطبيقا لتلك الأدوات المنهجية، فقد حرصت –قدر المستطاع- على اعتماد تقنيات بحثية موحدة في سائر البحث:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- فقد فرّعت أجزاء البحث على الترتيب إلى فصول ومباحث ومطالب وفروع، وداخل كل فرع أرقم العناصر بـــ: أولا / ثانيا / ... وتحتها 1 / 2 / ... ثم قد أستخدم رموزا أو مطّات أو أترك المتن كما هو في أول السطر.
- نقلت الآيات مشكولة على رواية حفص، من البرنامج الإلكتروني: المكتبة الشاملة الإصدار الثالث 3.46 تجنبا للخطأ في كتاب الله، كما ميّزتها خطّا وحجما عن بقية المتن.
- كما ميّزت الأحاديث بتظليل طفيف، ووثقت لها بتخريج منهجي مختصر من أمهات كتب الصحاح والسنن، مستفيدا من برنامج المكتبة الشاملة.
- وثقت لجميع المعلومات المنقولة بادئا باسم المؤلف ثم عنوان الكتاب أو المقال، مع ذكر المعلومات الكاملة في أول موضع يذكر فيه المرجع: الناشر، الدولة، الطبعة، السنة، الصفحة.
- دعمت البحث بجداول ومخططات تساعد على عرض وتلخيص بعض أفكار البحث.
- ذيّلت البحث بجملة فهارس فنية، تيسيرا للرجوع إلى مواضع الآيات والأحاديث والجداول والموضوعات، كما ضمنتها فهرسا ألفبائيا للمصادر والمراجع المعتمدة في البحث.
- عدلت عن وضع فهارس للأعلام والأماكن والمصطلحات...، لقناعتي بعدم جدوى وفائدة مثل هذه الفهارس، مقارنة بحجم الجهد المبذول فيها، وتجنبا للتطويل وتضخيم حجم الرسالة.
- كما تركت ترجمة الأعلام، لنفس الأسباب السابقة، ولسبب آخر، هو وفرتها اليوم مقارنة بالعهود السابقة، ورقيا وإلكترونيا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكأيّ بحث علمي، صادفتني جملة صعوبات أدّت مهمتين متباينتين: فقد كانت هذه الصعوبات حافزا وعامل تحدّ وشحذ للفعالية أحيانا، كما كانت عاملا معيقا مقلقا أحيانا أخر.

ولعل أحد أهم الصعوبات تطاول مدة البحث وتفرق أجزائه ومواضع ومظانّ إنجازه؛

فقد توسطت مدة البحث فترة تربص علمي طويل المدى بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة بجمهورية مصر العربية، والتي أفدت منها كثيرا في تعميق أفكار البحث وتسريع وتيرة إنجازه.

لكن ذلك تسبب في اضطراب، خاصة فيما يتعلق بتغير طبعات المراجع ووفرتها، وتغير الأجواء والظروف الاجتماعية والوسط العلمي والإشرافي.

هذا دون الحديث عن صعوبة البحث وعمق أغواره وتعقّد بعض أجزائه، ومحدودية المادة المطبوعة في مظانه، بحكم أن موضوع السنن الإلهية لا يزال –رغم ما كتب فيه_ مجالا معرفيا بكرا يحتاج لإنتاج وإنضاج أكثر. إضافة للانشغالات اليومية مهنيا واجتماعيا.

ورغم تلك الصعوبات، وباتّباع تلك الخطوات والتقنيات المنهجية، تطورت وتبلورت خطة البحث، وتقلّبت ضيقا واتساعا، بحسب ما يمليه البحث العلمي في الموضوع، واستقرّت ختاما على ثلاث فصول، مع مقدمة وخاتمة؛

الفصل الأول: تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث مفهومه مناهجه اتجاهاته. وقد جاءت مباحث هذا الفصل موزعة على ثلاث مباحث بحسب المفاصل الثلاث الجلية في العنوان

وهي مفهوم التفسير في مبحث أول، إضافة لأدوات التفسير.

ثم مناهج التفسير في مبحث ثان، مخصص للتفاسير القديمة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما تفاسير المحدثين فانتقلت بالتفسير من لغة المناهج إلى لغة الاتجاهات، وذلك ما جاء في المبحث الثالث.

هذا عن الفصل الأول، أما الفصل الثاني فقد خصصته للسنن الإلهية مفهوما وخصائص وأنواع، في ثلاث مباحث أيضا؛

المبحث الأول تناول مفهوم السنن الإلهية لغة واصطلاحا.

أما المبحث الثاني، فقد فصلت فيه خصائص السنن الإلهية بأبعادها الأربع: الربانية والقانونية والمنهجية والثقافية.

وختمت هذا الفصل بأنواع السنن الإلهية، بعدة اعتبارات منهجية، مع اعتماد تقسيم قرآني جامع لتلك التقسيمات.

وتوّج البحث في الفصلين السابقين بفصل ثالث يجمع بين شقي الموضوع: التفسير والسنن، موسوما بالسنن الإلهية بين السياق القرآني والتناول التفسيري. وذلك ما فصّلته مباحث الفصل؛ المتدرجة في بناء ثلاثي ينطلق من التناول والدلالة، إلى الصياغة والمجال، فالسياق القرآني بأنواعه ونماذجه النظرية والتطبيقية. وهذا ما عبّرت مضامين المباحث الثلاث لهذا الفصل؛

فقد خصّصت المبحث الأول للتناول التفسيري للسنن الإلهية،

فيما عرضت الصياغة القرآنية للسنن في مبحث ثان، لأبسط السياقات القرآنية السننية الثلاث في مبحث أخير، متوّجا تلك السياقات بأنموذج نظري وتطبيقي للسياق الثالث، وهو السياق التاريخي، الذي اخترت منه السياق القصصي كنموذج نظري، وقصة آدم –عليه السلام- كنموذج تطبيقي لسياق سنني قصصي قرآني تاريخي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي الأخير، أود أن أذكر بمقولة العماد الأصفهاني التي ذكرها القنوجي وتناقلها المؤلفون والباحثون، لا كمبرر ومشجب أعلق عليه أخطائي، لكن كحقيقة واعتراف بالتقصير والقصور البشري.

جاء في أبجد العلوم: " **وذلك أني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غيّر هذا لكان أحسن ولو زيد لكان يستحسن ولو قدّم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".**[1]

وختاما، لا يسعني إلا أن أحمد الله تعالى على توفيقه في إنجاز هذا العمل، راجيا منه سبحانه التوفيق والقبول والسداد، وغفران كل قصور وتقصير. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والله أسأل أن يجعل هذا الجهد خالصا لوجهه الكريم، إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

1- تنسب هذه المقولة للعماد خطأ، لكنها في الحقيقة جزء من رسالة كتبها البيساني معتذرا للعماد. جاء في أبجد العلوم: "وقد كتب أستاذ العلماء البلغاء القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني إلى العماد الأصفهاني معتذرا عن كلام استدركه عليه إنه قد وقع لي شيء وما أدري أوقع لك أم لا وها أنا أخبرك به وذلك أني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا..." وذكر المقولة السابقة.

ينظر: أبو الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي (ت1307هـ)، أبجد العلوم، دار ابن حزم، ط1، 1423 هـ- 2002 م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الأول:

تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث

مفهومه – مناهجه - اتجاهاته

المبحث الأول: تفسير القرآن الكريم مفهومه وأدواته

المطلب الأول: مفهوم التفسير

المطلب الثاني: أدوات التفسير

المبحث الثاني: مناهج التفسير قبل العصر الحديث

المطلب الأول: ضبط المفاهيم

المطلب الثاني: استعراض وتصنيف

المبحث الثالث: اتجاهات التفسير في العصر الحديث

المطلب الأول: التفسير والعصر الحديث

المطلب الثاني: من المناهج إلى الاتجاهات

المطلب الثالث: عرض وتصنيف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

توطئـــة:

إن الحديث عن علاقة السنن الإلهية بالتفسير في العصر الحديث، تأثرا وتأثيرا، يمر بالضرورة عـــبر مـــراجعة مفاهيمـــية لجملة من المعاني والاصطلاحات في منظومتنا العلمية والمعرفية عموما، والتفسيرية خصوصا، وعلى رأس كل ذلك التفسير ذاته؛ مفهوما وممارسة.

ولـــست أنكر صعوبة الأمر وخطره، فهو محتاج –طبعا- لخبرات وقدرات معرفية ومنهجية وتجارب وسياحات قرآنية لا أدعي امتلاك كلها، ولكنه جهد المقل في أول الطريق.

لكـــني مقتـــنع تمـــام الاقتناع أن الشك المنهجي ــ بلغة الغزالي[1] ــ والنقد الذاتي وروح المـــراجعة الدائبة المستمرة ضرورة ملحة، ليس في التفسير فحسب، بل في مختلف العلوم والمعارف الشرعية، بل والإنسانية والكونية كلها.

هذا إذا أردنا أن يبقى عطاء المعرفة الإسلامية متواصلا متجددا لا مجرد ارتداد تاريخي يكرر جهود السابقين –على جلتها-.

مـــن هـــذه المنطلقات، حاولت في هذا المبحث تجديد النظر في مفهوم التفسير لغويا وقرآنيا واصطلاحيا، محاولا تتبع الجهود التفسيرية الدراسية والتطبيقية.

وقـــد رصد التاريخ عدة محاولات قديما وحديثا لتجديد الدرس التفسيري، على تفاوت في الجهـــد والجرأة والنتاج، بدء بمشاريع تطبيقية كتفاسير الطبري والزمخشري والرازي، ثم بإسهامات نظرية لأمثال الغزالي والشاطبي، مرورا بمحاولات تأسيسية لعلم التفسير من الزركشي إلى السيوطي

---

1 - يقول الغزالي: من لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال.
أبو حامد الغزالي الطوسي، ميزان العمل، ضبطه وقدم له سليمان سليم البواب، منشورات دار الحكمة دمشق سورية، ط 1986م/ 1407هـــ، ص 152، 153 ، وهي آخر فقرة في الكتاب.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والـــزرقاني، وصـــولا إلى العصر الحديث الذي دشنه الإمام محمد عبده ومدرسة المنار في المشرق ومدرسة الزيتونة في المغرب وأعلامها: ابن عاشور وابن باديس... دون إغفال الاجتهادات المعتبرة لـــبعض رواد المدرسة الشيعية كالطباطبائي وباقر الصدر وحسين فضل الله... مع محاولات سنية أخرى عديدة: محمد الغزالي، الشعراوي، طنطاوي جوهري، سيد قطب، عائشة عبد الرحمن[1]...

مع الإشارة إلى أن كل ما كتب في علم التفسير وأصوله وقواعده ومناهجه واتجاهاته، كلها جهود يمكن توظيفها في التأسيس لهذا العلم وتجديده.

ومن منطق التجديد هذا، اخترت تسمية الفرع الثاني من هذا المبحث بـــ**"أدوات التفسير"** لأحاول جمع شتات ما تكلم عنه الدارسون في التفسير وعلوم القرآن تحت مسميات عدة[2]...

فـــزاوية النظر في هذا المقام لتلكم العلوم والمعارف، على أنها أداة يحتاجها المفسر ويستعملها في عمليته التفاعلية الحوارية الاستنطاقية[3] للنص القرآني الكريم.

أما عن المبحثين الثاني والثالث من هذا الفصل، فقد يبدو –من الوهلة الأولى- بعض التداخل بينهما، فقد لا يفرّق بين المناهج والاتجاهات، لكني قصدت التفريق بينهما لغرض التقسيم التاريخي أساسا؛ فالمشاريع التفسيرية السابقة لمحمد عبده –وهو نقطة الفصل بين العصرين القديم والحديث- آثرت تسميتها "مناهج تفسيرية" بكل ما تشمله من مناهج لغوية وأثرية وعقدية وفقهية...

أمـــا المـــشاريع الحديـــثة بدء بمدرسة المنار فارتأيت تقسيمها على أساس "اتجاهات"، لأنه -وحسب تقييمي الذاتي- لم تبق المشكلة في الممارسة التفسيرية عند المحدثين في المنهج والأسلوب

---

1 - القائمة لا تزال طويلة طبعا، إنما ركزت على الأسماء البارزة فقط –على الأقل في حدود تصوري واطلاعي-.

2 - راجع ذلك بالتفصيل في الفرع الثاني من هذا المبحث ، ص 38 وما بعدها.

3 - يوظف بعض الباحثين هذه المصطلحات لتعريف التفسير، راجع ذلك في موضعه، ص 17 وما تلاها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المـــستخدم في عـــرض وتـــناول المادة التفسيرية فحسب، بل انتقل إلى مستوى منهجي أعلى من الـــتعامل: وهو إلى أين يتجه بنا التفسير؟ وكيف نوظفه لمناقشة ومعالجة مشكلات العصر؟ وكيف نتعامل مع مستجداته وقضاياه؟...

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الأول: التفسير مفهومه وأدواته

المطلب الأول: مفهوم التفسير

مـــن كثرة ما اعتاد الدارسون خصوصا، والناس عموما، على تداول مصطلح التفسير، حتى صار عندهم أعرف من أن يعرّف، حتى قيل إن التفسير من العلوم التي لا يتكلف لها حدّ[1].

لكـــن التحلـــيل اللغوي والاصطلاحي لهذا اللفظ سيكشف لنا –إن شاء الله- عن محدودية المفاهـــيم المـــتداولة لكلمـــة "التفـــسير" وحاجتها للمراجعة والتجديد، مستعينين بتحليل لغوي واصطلاحي للفظ "تفسير" مع استحضار الاستعمال القرآني للكلمة.

الفرع الأول: التحليل اللغوي:

لن أقتصر هنا على الدلالة المعجمية المتناقلة في كتب التفسير وعلوم القرآن قديما وحديثا، بل ســأحاول أن أؤصّــل لذلك صوتيا وحرفيا إلى جانب الدلالة المعجمية، والحقيقة أنني لم أجد في حـــدود اطلاعـــي المحدود على من حاول القيام بذلك، عدا محاولة جادة وجيدة للأستاذة سعاد كوريم في مقال نشر بمجلة إسلامية المعرفة[2].

1 - محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة ، القاهرة – مصر، ط4، 1409هـ/1989م، 15/1. وقد تنوقل هذا القول بعد الذهبي منسوبا إليه. ومن اللافت هنا كثرة الأقوال المنسوبة لمجاهيل في قضايا دقيقة ومتفردة كهاته، وكنقل تعاريف لا يعرف صاحبها. وقد لاحظت أن بعض المؤلفين، القدامى خاصة، يؤلف تعريفه الشخصي ثم ينسبه لمجهول، ربما تورعا وتواضعا؟! انظر مثلا صنيع جلال الدين السيوطي في الإتقان في علوم القرآن، 180/2.

2- سعاد كوريم، تفسير القرآن بالقرآن، دراسة في المفهوم والمنهج، مجلة إسلامية المعرفة، س13، ع9، صيف1428هـ/2007م، ص79- 132. وأصل المقال بحث مقدم لمؤتمر مناهج تفسير القرآن الكريم وشرح الحديث الشريف الذي نظمته كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بماليزيا في تموز يوليو 2006 م. والأستاذة سعاد كوريم باحثة في الدراسات القرآنية جامعة مولاي إسماعيل مكناس المغرب.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولا: الدلالة الصوتية

كلمة تفسير من مادة ف س ر. والدراسة الصوتية لهذه الحروف الثلاثة في ذاتها وحال التقائها تكشف ما يلي:

1- هذه الحروف يسيرة المنطق لأنها سهلة على اللسان لوقوعها من الطرف العلوي للجهاز الصوتي[1].

2- حرف السين يوحي بالسعة والشمول[2].

3- لا يدخل السين على بناء إلا حسنه ثم السين لينة، وسط بين صلابة الصاد وخفوت الزاي [3].

4- تحمل الراء معنى التكرار مع التردد المقوي للمعنى، لكن الفاء تخفف هذه المعاني وتضعفها، ولا يخفف من حدتها إلا صياغة الكلمة على وزن تفعيل [4].

هذه الإيحاءات الصوتية تسري في كل مشتقات (فسر) ومنها التفسير:

1- فالتفسير يحمل معنى التيسير والسهولة، وهي مهمة المفسر الذي يقرب معاني المفسَّر ويبسطها للمتلقين[5].

2- كما يتسم التفسير بالسعة والشمول نظرا لمحاولته الإحاطة بمعاني المفسر.

---

1 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين ،تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، ط 1980، 1/ 52- 54.

2 -أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، ط 1986، 2/ 86.

3 - الفراهيدي، العين، 1/ 53.

4 - ابن جني، الخصائص، 2/ 164-166.

5 - سعاد كوريم، تفسير القرآن بالقرآن، ص 81.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3- كما أن دلالة التحسين التي حملتها السين للفظ حاضرة في ضرورة حسن منهج التفسير وحسن عرضه ليحقق الانسجام ويلقى القبول[1].

4- ودلالـــة التكرار واضحة في لفظ التفسير المصاغ على وزن تفعيل المفيد لتكرر التوضيح وتجـــدده، فالتفسير عملية متجددة متكررة، وقد أغرقت الأستاذة سعاد في محاولة استحضار كل الـــدلالات الـــصوتية للفـــظ التفـــسير، فـــتحدثت عن الوهن والضعف الحاصل بسبب الفاء، فـــتقول"ويتـــرجم ذلك دلاليا إلى أن الحكم بالضعف والرد، مصير كل تفسير ينسب معنى ما إلى المفـــسَّر دون أن يكون مشفوعا بما يقويه. وكما أن الصياغة هي التي جعلت لفظ التفسير يرتفع نـــوعا مـــا عن معنيي الضعف والوهن، فإن العمل التفسيري لا يتقوى، إلا بأن يصاغ وفق نسق منهجي منظم، يوصل للكشف عن المراد". [2]

ملاحظة :

أثـــبتّ هذا المبحث الصوتي لأهميته في تأسيس المعنى وعضد الدلالات المعجمية والصرفية، ولإهمالـــه في كل الدراسات التي اطلعت عليها، ولكونه أيضا مدخلا جديدا لتجديد عملية عرض المفاهيم وتأسيسها وتحليلها لغويا، حتى ينتبه الباحثون في التفسير وغيره أن أبواب التجديد مفتوحة واســـعة تـــبدأ من المفهوم نفسه، وحتى نتخلص من أسر مقولة " ما ترك الأول للآخر" إلى رحابة مقولة " كم ترك الأول للآخر".

ثانيا: <u>الدلالة المعجمية</u>

---

1 - سعاد كوريم، تفسير القرآن بالقرآن، ص 81، 82.

2 - نفسه: ص 82.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بتتبع المعاجم اللغوية والقرآنية نجد أن مادة (فسر) تدور حول الوضوح والبيان وكشف المغطى، وكتب غريب القرآن لم تخرج عن معنى الكشف [1].

هذه المعاني تشمل كل ما حوى الفاء والسين والراء أيا كان الترتيب وهذا من باب الاشتقاق الأكبر[2]. فالفسر هو الإبانة وكشف المغطى [3]. وفسر الشيء فسرا أبانه... والفسر كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل[4].

ومن هذا يتبين – كما يقول الذهبي- " أن التفسير يستعمل لغة في الكشف الحسي وفي الكشف عن المعاني المعقولة واستعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول" [5].

" فالمعنى اللغوي لتفسير القرآن هو توضيح معانيه وبيانها والكشف عن المراد منها [6].

ويعمق د/مساعد مسلم المعنى اللغوي أكثر، إذ يخلص من الشرح المعجمي إلى أن كلمة التفسير عملية عقلية تحتاج لإعمال العقل والتفكير وهي " كشف ما أبهم في نص من النصوص وإرشاد القارئ أو السامع إلى ما عناه صاحب النص من نصه [7].

ثم يواصل ويستخلص قائلا " ... فالتفسير بناء على ذلك عملية، القصد منها الإضافة إلى النص الأول من جهة ثم إعطاء هذا النص معنى جديد من جهة أخرى"[1].

---

1 - مساعد مسلم عبد الله آل جعفر، أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط 1،1405هـ/1984م، ص 46.

2 - سعاد كوريم، تفسير القرآن بالقرآن، ص 82.

3 - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط 1986، 2/ 110.

4 - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، لسان العرب،دار صادر-بيروت-لبنان، ط1، 1968، 6/ 361.

5 - محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، 15/1.

6 - أحمد عمر أبو حجر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان،دار قتيبة، بيروت-دمشق،ط1، 1991/1411، ص 16.

7 - مساعد مسلم، أثر التطور الفكري في التفسير، ص46 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وواضح ابتعاد المعنى – على صحته وصلاحيته- عن التحليل اللغوي المبني على الكشف والبيان، خلافا لما استخلصته الأستاذة كوريم، إذ وظفت الدلالة المعجمية لبناء معنى لغوي لكلمة تفسير قبل صياغتها صرفيا فقالت: "... ويكون التفسير بمعنى كشف المراد من اللفظ المشكل عن طريق إيضاحه وتبيينه"(2).

ثالثا: الدلالة الصرفية

وهي آخر محطات تفكيك المعنى على المستوى الإفرادي، وتمكن من تسييج المساحة التي يحيل عليها التفسير داخل المجال المعجمي المشترك، فالقالب الصرفي يصوغ شخصية اللفظة ويكسبها استقلالية عن بقية الألفاظ التي تمت بصلة اشتقاقية إلى نفس الأصل(3).

فكلمة تفسير على وزن تفعيل وصيغة تفعيل تفيد المبالغة والتكرار (4).

فورود كلمة على وزن جديد يفترض إضافة معان ودلالات جديدة تخصص المعنى العام للمادة اللغوية (فعل).

والغريب أن هذا لم يستثمر في توظيف المفسرين والدارسين خلال بحثهم اللغوي، فنجدهم يكتفون بالقول أن الفسر معناه الكشف والتفسير مثله.

وهذا تضييق لسعة لغوية وصرفية تمتاز بها اللغة العربية(5).

---

1 - أحمد السيد خليل، نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن، الوكالة الشرقية للثقافة، الإسكندرية، مصر، ط1، 1373 هـ/1954م. وانظر: مساعد مسلم، أثر التطور الفكري في التفسير، ص47 .

2 - سعاد كوريم، تفسير القرآن بالقرآن، ص 83.

3 - نفسه (انظر الهامش 15).

4 - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في علم العربية،دار الجيل، بيروت، د.ت، 155/2.

5 - أبو القاسم الزمخشري، المفصل في علم العربية، 155/2.، أشار الزمخشري إلى معنى التكشيف دون استثمار.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولقد أشار الشيخ البشير الإبراهيمي ولو من طرف خفي لهذا حيث حاول تقديم تعريف للتفسير في مقدمته لتفسير ابن باديس، إذ قال " تفسير القرآن تفهيم لمعانيه وأحكامه وحكمه وآدابه ومواعظه. والتفهم تابع للفهم؛ فمن حسن فهمه أحسن تفهيمه، ومن لم يحسن فهمه لم يحسن تفهيمه،وإن كتب فيه المجلدات وأملى فيه ألوف المجالس " [1].

فقد قصد التفهيم وهو من التفعيل لا مجرد الفهم المقابل لمعنى الكشف والإيضاح والبيان...

فالتفسير إذن تفعيل من الفسر أي التفسير=الفسر + التفعيل.

وهذا يستلزم: "التفسير = الوضوح والبيان + المبالغة والتكرار والتكثير.

فالتفسير مبالغة في الفسر، أي استفراغ للوسع، طلبا للإيضاح والبيان... والتفسير أيضا تكرار للفسر، أي أنه عمل قائم على العود المستمر. كما أن التفسير تكثير للفسر، وفي ذلك تنصيص على ضرورة تنويع مداخل الإيضاح والبيان"[2].

ثم تلخص الباحثة دراستها الصرفية خاصة، واللغوية عامة، فتقول: "وبناء على كل ما سبق نقول، إن التفسير عمل بياني بشري يقرب معاني المفسَّر إلى المتلقين، باعتماد متواليات منهجية، توصل إلى كشف المراد، وتكسبه قوة ومسؤولية، تمكنان من ترسيخ نتائجه والإقناع بها"[3].

ومن مجمل هذه الوقفة اللغوية صوتيا ومعجميا وصرفيا مع مصطلح التفسير نخلص إلى ما يلي:

1- توظيف الدلالات الصوتية والصرفية إلى جانب المعجمية أضفى دلالات وإيحاءات جديدة جعلتنا أكثر تحكما في بناء المعنى اللغوي .

---

1 - عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط2، 1424هـ/ 2003م، المقدمة بقلم محمد البشير الإبراهيمي، ص 17.

2 - سعاد كوريم، تفسير القرآن بالقرآن، ص 84.

3 - سعاد كوريم، تفسير القرآن بالقرآن، ص 85.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2- تحـــول التفـــسير من مجرد شرح وفهم إلى عملية عقلية وسلوك عملي متحرك، ذاك ما نلمسه في تعريف الابراهيمي في مقدمة المجالس.

3- خطـــر الـــنقل الرتيب غير المتساءل أمام التعاريف اللغوية جعلها غير ذات جدوى ولا فائدة في البحث العلمي، وهذا الجهد -على ضآلته- محاولة في تجاوز ذلك.

4- دوران معنى التفسير حول الكشف والوضوح والبيان والشرح والفهم، وبالتالي يكون التفسير عملية تكشيف وتفهيم وتوضيح وتبيين وتشريح، باستحضار كل المعاني السابقة لمادة فسر ولصيغة التفعيل منها دون تناسي الإيحاءات الصوتية المحمّلة للمعنى.

5- تخصيص الدرس اللغوي للتفسير على الجانب الحسي أكثر من المعقول، وهذا ناتج ربما عـــن تصور مسبق يترك المساحة الأخرى لمصطلح التأويل الذي اعتاد المؤلفون الحديث عنه ضمن مفهوم التفسير، وقد أرجأته هنا لاعتباري له أداة للتفسير لا قسيما له.

6- بعـــد هذه الجولة اللغوية تبين أن التفسير ليس عملية شرح لغوي بسيط يدركها كل أحد كما ظن البعض، بل هي جهد واجتهاد علمي يحتاج للعمق والتخصص.

7- تفـــرد الشيخ البشير الابراهيمي بتعريف التفسير بمعنى التفهيم، والمعنى يمكن نسبه إلى الشيخ ابن باديس على اعتبار أنه فهم مشترك بين الرجلين.

8- تجـــدر الإشارة إلى الأستاذ المودودي الذي أظنه الوحيد الذي وظف مصطلح التفهيم لعنونة تفسيره. فقد سماه " تفهيم القرآن" (1).

---

1 - أبو الأعلى المودودي، تفهيم القرآن ، تعريب أحمد إدريس، دار القلم –الكويت، القاهرة ، ط2، 1424هـــ،2003. وقد أعد الطالب أليف الدين ترابي بن عالم الدين القرشي، رسالة ماجستير في الكتاب والسنة بعنوان " الأستاذ أبو الأعلى المودودي ومنهجه في تفسير القرآن الكريم"، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية 1403هـــ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفرع الثاني: التفسير اصطلاحا

قبل تفصيل القول في تعريف التفسير اصطلاحا، لا بد من الإشارة إلى أمور:

1-لا اعتبار لما نقله الذهبي من أن التفسير لا يعد علما من العلوم[1].

و لم ينسب القول لأحد، وهذا شاهد على تضعيفه ورده، وقد تنوقل هذا القول عن الذهبي[2].

وقد أثبت السير التاريخي للتأليف في التفسير كعلم وكممارسة وفي علوم القرآن عموما وأصول التفسير خصوصا، أقول، أثبت أن التفسير علم من العلوم القائمة على أصول وقواعد منضبطة تتكشف مع الزمن عبر النمو العلمي للمنهج التفسيري.

وهذا ما قرره الإمام ابن عاشور حين قال مدافعا عن "علمية" التفسير بأن " ... مباحثه لكونها تؤدي إلى استنباط علوم كثيرة وقواعد كلية نزّلت منزلة القواعد الكلية لأنها مبدأ لها ومنشأ، تنزيلا للشيء منزلة ما هو شديد الشبه به بقاعدة ما قارب الشيء يعطى حكمه، ولا شك أن ما تستخرج منه القواعد الكلية والعلوم أجدر بأن يعد علما من عَدّ فروعه علما، وهم قد عدوا تدوين الشعر علما لما في حفظه من استخراج نكت بلاغية وقواعد لغوية" [3].

رغم أن الشيخ ابن عاشور يرى أن عد التفسير علما فيه تسامح [4] لاعتقاده أن العلم مسائل معلومات ومطلوبات خبرية قابلة للبرهنة والتفسير غير ذلك.

---

1 - محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، 15/1.

2 - انظر مثلا عمر أبو حجر، التفسير العلمي، ص16.

3 - محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر-تونس-، ط1984، 12/1.

4 - نفسه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحـــق أن هذا الطرح يحاكم التفسير كعلم من العلوم الإنسانية إلى نتائج العلوم التجريبية، وفي هـــذا تناســـي لخصوصيات الظواهر والمعارف الإنسانية .لكن ورغم تحفظه ينسب الشيخ ابن عاشور صفة العلمية للتفسير في مواضع كثيرة من مقدمة تفسيره.(1)

2- رغـــم تعدد التعاريف وتباين ألفاظها، إلا أن مؤديات معظمها واحدة(2) فقد اختلفت اصطلاحاتهم .بموجب الزاوية التي نظروا منها إلى العلم، ولكنهم جميعا يدورون حول نقطة

---

1 - نفسه، 12/1 وما بعدها.

2 - انظر مثلا الذهبي 16/1، أحمد عمر أبو حجر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص17، أبو اليقظان عطية الجبوري، دراسات في التفسير ورجاله، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ/1986م، ص 16، محمد فاروق النبهان، مقدمة في الدراسات القرآنية، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1415هـ/1995م، ص 5. و لم أرد أن أعمم لأن بعض المعرفين أبدعوا فعلا و لم يكونوا مجرد نقلة لتعاريف الغير.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واحدة[1] ومسمى واحد[2] لا يكاد يبتعد عن المعاني اللغوية كالكشف والبيان والتوضيح.[3]

3- مـــن خـــلال استعراض محاولات تعريف التفسير، نتبين قلة اهتمام الكثيرين بالتعريف كمـــدخل مفتاحـــي لتأسيس العلم والنظر فيه، وهذا قصور منهجي يمكن استصحابه على مختلف العلوم الإسلامية، رغم أن هوية العلم وحقيقته لا تتشكل إلا بضبط التعريف وكونه جامعا مانعا، وهو ما لا نلحظه في كثير من التعريفات حتى لا أقول معظمها.

4- من المستغرب منهجيا نقل تعريفات منسوبة لمجاهيل، كقولهم: قال بعضهم، وقال بعض، وعـــرفه آخرون ... فهذا سلوك غير علمي، فإما أن ينسب القول لصاحبه أو يستغنى عنه أو يتبناه الـــناقل، فالسيوطي مثلا يورد تعريفا تناقلته الكتب بعده دون أن يبين صاحبه، وسياقه يوحي أنه تعريفه هو لأنه لا أثر له قبله، ولذلك نسبته إليه.

5- ذلـــك مـــا أدى بـــبعض الدارسين إلى نسبة تعاريف لغير أصحابها، كما وقع لتعريف الكافيجي (ت 879هـ) والذي نقله عنه الزرقاني(ت 1122هـــ) دون إسناد، ثم نقله عن الزرقاني الدكتور أبو سلامة وصار يعرف به وينسب إليه أو على الأقل ينقل عنه.

6-يرى الدكتور زياد خليل أنه رغم كل التعاريف التي عرف بها التفسير إلا أن الهدف منه يبقى مبهما[4].

---

1 - د.مساعد مسلم، أثر التطور الفكري في التفسير، ص 47.

2 - د.عدنان زرزور، الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، ط1971، ص222.

3 - د.مساعد مسلم، أثر التطور الفكري في التفسير، ص 46.

4 - د. زياد خليل محمد الدغامين، تفسير القرآن إشكالية المفهوم والمنهج، مجلة المسلم المعاصر، س21، ع81، ربيع الثاني جمادى الثانية 1417هــ/أغسطس-أكتوبر 1996م، ص 55.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذا كلام قد يصدق على بعض التعاريف لكنه مبالغ فيه، فأكثر تعاريف القدامى انطلقت من وصف العملية التفسيرية وأدواتها، وفي هذا بيان للغرض، أما المحدثون فبعضهم اتجه بتعريفه للهدف من العملية التفسيرية[1].

7- يصرح أبو حيان الأندلسي أنه صاحب أقدم تعريف للتفسير[2]. والحق أن نظرة تاريخية مستقصية جعلتني أجد ست تعريفات على الأقل للتفسير قبل أبي حيان (ت 754 هـ)، وهي تعاريف الثعلبي والجشمي والبغوي وابن جزي وابن تيمية والأصبهاني.

ولعل أبا حيان لم يطلع على هذه التعريفات، أو أنه قصد أنها لم تكن تعريفات دقيقة بل مجرد صياغة للمعنى اللغوي، فإن كان هذا قصده فهو فعلا أول من عرف التفسير تعريفا اصطلاحيا منضبطا، بل لم يستطع الدارسون لعلوم القرآن وعلم التفسير تجاوز تعريفه ونحت ما هو أفضل منه، عدا بعض المحاولات، كتعريف الزركشي والكافيجي والفناري، هذا قديما، أما حديثا فكثرت الاجتهادات بدءا بالقنوجي (ت 1307هـ).

---

1 - راجع مثلا تعريف محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار المعرفة-بيروت-لبنان، 1414هـ/1993م، 21/1.

2 - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1422هـ/2001م، 26/1.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولا: قراءة تطورية

بعد نظرة تاريخية في تعريف التفسير عبر التاريخ تبين لي أنه مر بخمس مراحل تطورية:

المرحلة الأولى: قبل أبي حيان (ت 754هـ)

وقد اطلعت على ست تعريفات كما سبق وأن أشرت. وقبل إيرادها أقول إجمالا أنها لا تكاد تتعدى صياغة المعنى اللغوي مع ذكر مفصل أو مختصر لعلوم القرآن الخادمة لعلم التفسير.

تعريف أبو طالب الثعلبي : وهو أقدم من نسب له تعريف على ما وجدت.والتفسير عند الثعلبي بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازا.[1]

تعريف الحاكم الجشمي (ت 494 هـ): التفسير عنده علم بمعاني القرآن وناسخه ومنسوخه ومجمله ومبينه ومتشابهه ومحكمه[2].

تعريف البغوي(ت 516هـ): التفسير هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها[3].

تعريف ابن جزي (ت 597 هـ): التفسير إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التجلي[4].

تعريف ابن تيمية (ت 728هـ): التفسير عنده كشف معاني القرآن وبيان المراد منه سواء أكانت معاني لغوية أو شرعية[5].

تعريف الأصفهاني(ت 749 هـ): اعلم أن التفسير كشف معاني القرآن وبيان المراد منه.[6]

---

1 - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ط1972، 173/2.
2 - د.عدنان زرزور، الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن، ص 223.
3 - الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة ، ط4، 1417هـ/1997م، 46/1.
4 - ابن جزي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، 6/1.
5 - تقي الدين ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: محمود محمد محمود نصار، مكتبة التراث، القاهرة، ص9.
6 - هو أبو الثناء شمس الدين الأصفهاني، صاحب تفسير اللطائف القرآنية. ينظر:ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص9.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمـــتأمل في هذه التعاريف يجد كما سبق القول حضور المعنى اللغوي بقوة، كما هو واضح في تعـــريف الثعلبي وابن تيمية، مع التركيز على العلوم القرآنية واللغوية الخادمة للتفسير كما يشير الجشمي والبغوي، مع مسحة صوفية فلسفية جلية في تعريف ابن جزي.

المرحلة الثانية:من أبي حيان إلى القنوجي

وتمـــتاز هـــذه المرحلة بظهور أمهات التعريفات التي لا تزال متداولة إلى اليوم كتعريف أبي حـــيان، الزركـــشي والكافيجي والفناري وطاش كبرى زاده، وعدا هؤلاء فقد اكتفى المصنفون طوال ستة قرون بنقل تعاريفهم وتبنيها، مع استمرار النحت اللغوي ووصف العلوم الخادمة، وهذه أمهات التعاريف ونماذج لما صيغ منها.

أبـــو حيان الأندلسي (ت 754هــ) يعرف التفسير فيقول: " علم يبحث عن كيفية النطق بألفـــاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك"[(1)].

وواضـــح من هذا التعريف محاولة ضبط الحدود المشكلة لعلم التفسير – كما كان يفهم في ذلك العصر بالطبع-.

ويحلـــل أبـــو حيان تعريفه ليبين مشمولات علم التفسير عنده وهي –على الترتيب-: علم القراءات، علم اللغة، علم التصريف، علم الإعراب، علم البيان، علم البديع، الحقيقة والمجاز، النسخ

---

1 - أبو حيان الاندلسي، البحر المحيط، 13/1.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأســـباب الترول، القصص[1]. وهكذا فقد لخص أبو حيان أدوات التفسير في تعريفه، وقد نقل وتبنى هذا التعريف كثير ممن كتب في التفسير بعد أبي حيان إلى اليوم[2].

ويعرف الزركشي التفسير فيقول " علم يفهم به كتاب الله المترل على نبيه محمد _ صلى الله عليه وسلم _ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه" [3].

ويتميز هذا التعريف بدقة ألفاظه وقلتها، ودلالتها على العملية التفسيرية في شكلها الإجمالي، مـــع شيء من التداخل بين الفهم وبيان المعاني، وكأنه يقصد بالفهم شرح الألفاظ سيرا على نهج التفـــسير التحليلي، وإلا فإن الفهم أوسع من بيان المعاني فهو يشملها ويشمل استخراج الأحكام والحكم.

وقد لقي هذا التعريف القبول – كتعريف أبي حيان – بل لا يكاد يذكر أبو حيان إلا وتلاه الزركشي، ثم يرجح أحدهما، أو يركب التعريفان[4].

---

1 - أبو حيان الاندلسي، البحر المحيط، 14/1.

2 - انظر مثلا شهاب الدين الآلوسي، روح المعاني، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، د.ت، 4/1. جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، 173/2. عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن،مطبعة عيسى البابي الحلبي،دمشق ط3 ، 3/2. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، 16/1. محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي: علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ/2004م، ص 212. أحمد عمر أبو حجر، التفسير العلمي، ص 17 .

3 - بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376 هـ/1957م،13/1.

4 - انظر مثلا جلال الدين السيوطي، التحبير في علم التفسير، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 2001، ص36. محمد حسين الذهبي،التفسير والمفسرون، 15/1. محمد محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء، السعودية، ط 3، 1407هـ/1987م، ص40. أحمد عمر أبو حجر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص 17.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعريف الكافيجي(ت 879هـ):

التفسير عنده " كشف معاني القرآن وبيان المراد منه، وهو علم يبحث فيه عن أحوال كلام الله المجيد من حيث أنه يدل على المراد بقدر الطاقة البشرية[1].

والمدقق في تعريفيه يجد الأول خلاصة المعاني اللغوية للتفسير، أما الثاني فهو تعريفه الاصطلاحي.

وعلى كل، فرغم عدم انضباط التعريف وألفاظه (أحوال، يدل على المراد) لكنه يصرح بكون التفسير علما يقوم على البحث ويربطه بالطاقة البشرية مشيرا للاجتهاد وبذل الوسع في بيان المراد من كلام الله، وهو ما اعتبره الدارسون قيدا مهما[2].

وقد تنوقل هذا التعريف واختاره الدارسون، لكن منسوبا مرة للزرقاني، ومرة للشيخ محمود أبو سلامة[3]، وقد نقله الذهبي عن أبي سلامة دون تصريح باسمه، ثم ركب منه تعريفه المختار[4].

أما الفناري (ت 827هـ) : فقد نقل القنوجي تعريفه وأعجب به، وهو في الحقيقة محاولة لإعادة ضبط تعريف الكافيجي.

يقول الفناري:" الأولى أن يقال :علم التفسير معرفة أحوال كلام الله سبحانه وتعالى من حيث القرآنية، ومن حيث دلالته على ما يعلم أو يظن أنه مراد الله تعالى بقدر الطاقة الإنسانية [5].

فقد أضاف على تعريف الكافيجي جزئيتان (من حيث القرآنية) و (ما يعلم أو يظن).

1 - محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، ص 213.
2 - محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، 16/1.
3 - محمود أبو سلامة، منهج الفرقان،مطبعة شبرا، القاهرة، مصر، ط 1938، 6/2.
4 - الذهبي، التفسير والمفسرون 16/1، 17.
5 - صديق بن حسن القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر، 12/1.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمـــا القصد من الجزئية الثانية فهو واضح ومعلوم، فهو يشير إلى ظنية الجهد التفسيري وعدم إمكان الجزم أن هذا هو مراد الله من كلامه.

لكـــن يبقـــى قصده غامضا من عبارة (القرآنية) ولعله يقصد مدى مطابقة الفهم المستنبط لعموم النظم القرآني ومقاصده ودلالاته، وهو ما يوحي باستحضار النصوص المبينة للمعنى في إطار ما يعرف بتفسير القرآن بالقرآن.

والغـــريب أن تعـــريف الفناري غير متداول إلا نادرا، فقد نقله د.مساعد مسلم عن الشيخ قاسم القيسي[1].

أما آخر وقفة مع تعاريف هذه المرحلة : فمع طاش كبرى زاده الذي ذكره د.حسن عاصي في دراسة له حول فلسفة ابن سينا، إذ يقول : " التفسير علم باحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية[2].

لكن الباحث يعود فيختار تعريف أبي حيان[3].

و لم يلـــق هذا التعريف حظه من التداول، حتى جاء القنوجي (ت 1307هـــ) فعدل تعديلا بسيطا في صياغته وتبناه ونسب إليه فيما بعد[4].

وعـــدا أولـــئك، فبقية المعرفين عالة عليهم، فمنهم من اكتفى بالوصف اللغوي للفظ كابن جزي (ت 785هـــ)[1]، ومثله الجرجاني والفيروز آبادي.

---

1 - انظر أثر التطور الفكري في التفسير، د.مساعد مسلم، ص 48، نقلا عن قاسم القيسي، تاريخ التفسير، ص 18.

2 - حسن عاصي، التفسير القرآني واللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1403هـــ/1983م، ص 13.

3 - نفسه، ص 14.

4 - صديق القنوجي، فتح البيان، 1/ 12.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومـــنهم مـــن اكتفـــى باختيار تعريف أبي حيان كما فعل السيوطي والآلوسي. أو تعريف الكافيجي كما فعل الزرقاني أو طاش كبرى زاده كما فعل القنوجي[2].

المرحلة الثالثة:من رشيد رضا (ت 1354هـــ) إلى الذهبي (ت 1399)

والحقيقة أن كل التعريفات التي اطلعت عليها في هذه المرحلة كانت محاولات جيدة ومبدعة لتعـــريف التفسير تجاوزت أسر النحت اللغوي والوصفي، وتجاوزت القوالب الجاهزة لتعريف أبي حيان ومن تلاه.

وأقـــصد هـــنا تعاريـــف رشيد رضا، الإبراهيمي/ابن باديس، الطباطبائي، ابن عاشور، أبو سلامة، محمد باقر الصدر.

أما الذهبي فهو في الحقيقة بدء لمرحلة تراجع منهجي في التعريف، فقد جمع تعاريف السابقين لرشـــيد رضا واكتفى بتعاريف أبي حيان والزركشي والسيوطي وأبي سلامة، وتجاهل كلية جهود المجددين، ربما لأنه لا يعتبرها تعاريف بالمعنى العلمي.

---

1 - يقول ابن جزيء، ومعنى التفسير شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه ، انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التتريل، تحقيق:محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1،1/10.

2 - يراجع ذلك في: جلال الدين السيوطي، التحبير في علم التفسير، ص36. شهاب الدين الآلوسي، روح المعاني، 1/ 4. عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، 2/ 3 . صديق القنوجي، فتح البيان، 1/ 12.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذه وقفة سريعة مع تعاريف هذه المرحلة:

يركــز رشيد رضا على هدف التفسير فيقول: " والتفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من حــيث هــو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه، وما وراء هذا من المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله" (1).

فالتفسير عنده عمل هدائي(2) يرشد الناس لسعادتهم الدنيوية والأخروية.

أما تعريف البشير الإبراهيمي في مقدمة تفسير ابن باديس (والذي يمكن نسبته للاثنين معا) فيطــرح التفــسير على أنه عملية مزدوجة تشمل الفهم والتفهيم، وهذا فتح جديد في التعريف لم يسبقا في التصريح به.

يقــول البشير الإبراهيمي :"تفسير القرآن تفهيم لمعانيه وأحكامه وحكمه وآدابه ومواعظه، والــتفهم تابع للفهم، فمن حسن فهمه أحسن تفهيمه، ومن لم يحسن فهمه لم يحسن تفهيمه، وإن كتب فيه المجلدات وأملى فيه ألوف المجالس".(3)

أمــا الــشيخ ابن عاشور فيقول في مقدمة تفسيره :" والتفسير في الاصطلاح نقول هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع"(4).

والتعريف مبسط مجمل يجعل التفسير شقان بيان المعاني ثم الأحكام المستفادة.

---

1 - رشيد رضا، تفسير المنار، 1/ 21.

2 - استخدم د.محمد إبراهيم شريف مصطلح الاتجاه الهدائي، وقدم له بمدخل مهم حول فكرة الهداية وموقعها عند المفسرين، انظر محمد إبراهيم: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، دار التراث، القاهرة، مصر، ط1، 1402هــ/1982 م، ص 309.

3 - الإبراهيمي، مقدمة تفسير ابن باديس، ص 17.

4 - ابن عاشور، التحرير والتنوير،11/1.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإذا انتقلنا إلى المدرسة الشيعية نجد علمين بارزين في التفسير يقدمان تعريفيهما لعلم التفسير.

فالطباطبائي في الميزان يقول:" وهو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها "[1].

فرغم التشابه بينه وبين تعريف ابن عاشور إلا أن الطباطبائي فصل -نوعا ما- ما يستفاد من الآيات وعبر عنه بالمقاصد والمداليل أي ما تقصد إليه الآيات وما تدل عليه.

أما السيد محمد باقر الصدر، فيتجاوز بساطة هذين التعريفين، ويحاول أن يعمق النظر في العملية التفسيرية، على أنها حوار مع القرآن واستنطاق له، لا مجرد استجابة سلبية [2]. يقول باقر الصدر :"التفسير محاولة غير متحيزة لاستنطاق القرآن نفسه، وتطبيق الرأي على القرآن لا القرآن على الرأي "[3].

ويعتبر التفسير الذي يكتفي بشرح المفردات ليس تفسيرا بل استبدالا للمفردات، وأن مثل هذا العمل لا يمكن أن يقوم بدور اجتهادي مبدع[4].

وبتأمل تعريف الصدر، نلحظ جدة وتميزا في الطرح، فيبرز بشرية الجهد في عبارة (محاولة غير متحيزة) ويبين الأسلوب الأمثل وهو استنطاق القرآن، وذلك محتاج طبعا لأدوات معرفية ومنهجية. ويحذر من خطر توظيف القرآن لتقرير رأي أو الانتصار له. فالصحيح تطبيق الرأي على

---

1 - السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط5، 1403هـ/1983م، 4/1.

2 - محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، د.م. ص 21.

3 - نفسه، ص 8.

4 - نفسه، ص 14.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القـــرآن بعرضه على النصوص وترك الكلمة الأخيرة لها والاحتكام إليه وإن خالف الهوى والرأي والواقع.

وعـــدا هؤلاء لا نكاد نجد جهدا تفسيريا بارزا، باستثناء جهد الشيخ الذهبي في جمع بعض الـــتعاريف وتـــركيب تعريف منها، إلا أنه لا يبتعد عن التعريف الذي نقله عن أبي سلامة، هذا الأخير الذي نقله عن الزرقاني، الذي نقله بدوره عن الكافيجي.

المرحلة الرابعة: بعد الذهبي (ت 1399هــ) إلى اليوم.

بعـــد أن حوصل الذهبي الجهود التفسيرية بتفصيل جيد في كتابه، عاد المعرفون للنقل، فما تجـــاوزوا محاولة إعادة الصياغة اللغوية للتعاريف أو محاولة التركيب بينها و لم أطلع على محاولات حقيقية لتطوير الطرح إلا في أربع محاولات أفردها بمرحلة خاصة.

وقبل الإشارة إليها هذه نماذج للتعاريف بعد الذهبي:

فالذهبي نفسه بعد ذكر تعاريف أبي حيان والزركشي وأبي سلامة والسيوطي يقول:" وهذه الـــتعاريف الأربعـــة تـــتفق كلها على أن علم التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية" [1].

وغـــير بعـــيد عنه تعريف د.عفت الشرقاوي : "يقصد بتفسير القرآن الكريم شرح نصوصه وبـــيان ما فيها من المعاني قدر الطاقة البشرية وذلك في حدود القواعد والأصول اللغوية والشرعية التي نص عليها علماء المسلمين[2].

---

1 - الذهبي، التفسير والمفسرون، 17/1.
2 - عفت الشرقاوي، قضايا إنسانية في أعمال المفسرين، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص 11.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما أحمد السيد خليل فيعمم متحدثا عن تفسير النصوص المقدسة ويقول أن التفسير" عملية القصد منها الإضافة إلى النص الأول من جهة، ثم إعطاء هذا النص معنى جديدا من جهة أخرى"[1]. فهو يعتبر النص المفسّر إضافة للمفسَّر، هذه الإضافة تعطي معنى جديدا.

واكتفى الباحثون في الغالب باستعراض التعاريف السابقة والتعليق عليها أحيانا، واختيار أحدها[2]، أو تركها مركومة في أول الدراسة دون كبير استثمار أو توظيف [3].

كما عرض البعض تعاريفهم في شكل نثري شارح دون ضبط كما تعودنا في تعاريف السابقين، رغم أنهم يقدمون إضافات مهمة، لكن يبدو زهدهم في ضبط التعريف واضحا[4].

المرحلة الخامسة: المحاولات التجديدية في تعريف التفسير بعد الذهبي،

قد رصدت هنا محاولات الأساتذة : سلوادي، عبد الحميد بوكعباش، سعاد كوريم، الأسعد بن علي.

كما تجدر الإشارة إلى توظيف لمفهوم التفسير من منظور اجتماعي ذكرته د.علا مصطفى أنور، ذلك أن التفسير هو جعل ما هو غامض مفهوما[5]، وأنه تعقيل الوقائع أي جعلها مدركة من جانب عقل يسعى للفهم[6].

---

1 - أحمد السيد خليل، التفسير في الكتب المقدسة، ص 10.
2 - محمد صفاء حقي، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، ص 211.
3 - انظر مثلا مساعد مسلم، أثر التطور الفكري في التفسير، ص 48. أحمد عمر أبو حجر، التفسير العلمي، ص 16.
4 - يراجع مثلا: محمد نبيل غنايم، دراسات في التفسير، دار الهداية، ط2، 1413هـ/1992م، ص10. محمد فاروق النبهان، مقدمة في الدراسات القرآنية، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط1412هـ/1992م، ص94. السيد أحمد عبد الغفار، التفسير والنص، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر، ط2002م، ص 19.
5 -علا مصطفى أنور، التفسير في العلوم الاجتماعية ، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط1408هـ/1988م، ص 67.
6 - نفسه، ص 70.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمميز في هذه المحاولات نظرها للتفسير على أنه عملية اجتهادية تفاعلية مع النص ومرتبطة بالواقــع مؤثرة فيه، فالدكتور سلوادي يرى أن التفسير كل نشاط ثقافي يعتمد في تأسيس موقفه الفكري على فهم معين للنص القرآني"[1].

والحقــيقة أنه نسب التعريف لمجهول (بعض الباحثين المحدثين) و لم يتبنه، لكن سياق إيراده يوضح أنه اختاره.

أما الدكتور عبد الحميد بوكعباش – وهو المشرف على هذه الدراسة- فقد ربط بين التفسير والمعــرفة في رســالته للدكتوراه، فقال: "التفسير جهد فكري بشري حول النص القرآني... وهو جهــد متواصــل لا ينقطع مع النص... بل هو من وجهة نظر تزامنية المحصول الفكري الناتج عن اســتخدام الثقافة والمعرفة في مستوياهما المحددة من التاريخ في فهم النص وتأويله. فالناتج عن جمع النص بالمعرفة هو التفسير بمختلف أشكاله ومناهجه المعروفة[2].

ثم يعــيد صــياغة تعريفه في مقام آخر: " التفسير هو ناتج استخدام المعرفة في فهم النص وتأويله"[3].

وجلي وجه التجديد في تأسيس النظر للتفسير على أنه نتاج مزاوجة بين النص والمعرفة. وهو ما أشار إليه الزرقاني من قبل أن التفسير وليد علوم القرآن واللغة[4]، وهذا سقف المعرفة في مراحل سابقة.

---

1 - حسن عبد الرحمن سلوادي، عبد الحميد بن باديس مفسرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1988م،ص62،61.

2 - عبد الحميد بوكعباش، التفسير والمعرفة الحديثة، رسالة دكتوراه، نوقشت سنة 2003م، كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، ص 1.

3 - عبد الحميد بوكعباش، التفسير والمعرفة الحديثة، ص 3.

4 - عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، 51/2.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمـــا الأستاذة سعاد كوريم فتعتبر التفسير اقتراحا لمعادلة أحد طرفيها النص المفسَّر والطرف الثاني هو المقولة المفسّرة، وأن هدف التفسير إدراك قصد الله من كلامه وإيصاله للمخاطبين[1].

ثم تقـــول بعـــد صفحات: " إن التفسير عمل بياني بشري يقرب معاني المفسَّر إلى المتلقين، باعتماد متواليات منهجية توصل إلى كشف المراد وتكسبه قوة ومسؤولية تمكنان من ترسيخ نتائجه والإقناع بها[2].

ومـــن خـــلال مـــا جـــاء في المقال نلحظ استحضار الباحثة لمعنى التفهيم الذي أشار إليه الإبراهيمـــي في مقدمـــة المجالس عبر بيانها أن التفسير يشمل إدراك القصد ثم إيصاله للمخاطبين وإشارتها إلى أن التفسير معادلة ذات طرفين ومعرفة الطرف الثاني مفتاح فهم العمل التفسيري؛ فإذا كانـــت المعادلة (النص، النص) فالتفسير نقلي أثري، وإذا كانت (النص، اللغة) فهو شرح وبيان لفظي، وإذا كانت (النص، الفكر) جاء التفسير فكريا فلسفيا وهكذا ...

وعبرت الأستاذة كوريم عن توظيف أدوات التفسير باعتماد متواليات منهجية وهذا ما يزيد في فهم عملية التفسير ومنهجيته.

بقي الآن رأي الشيخ الأسعد بن علي(وهو من أحدث ما قرأت في الموضوع).

يقـــول بعد نقاش معمق : "التفسير عملية استنطاق للآيات ومحاولة للكشف عن دلالتها في مستوياتها وأبعادها المتنوعة"[3].

---

1 - سعاد كوريم، تفسير القرآن بالقرآن، ص 79.
2 - نفسه، ص 85.
3 - الأسعد بن علي، نسبية المعرفة الدينية والمنهج التكاملي في تفسير القرآن، مجلة البصائر، ع42، س19، صيف 1429 هـــ/2008م، ص 45.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحقيقة أن تعريف الأسعد بن علي منضبط فيه مسحة التجديد، ويبدو مستفيدا من تعريف باقر الصدر، وقد اكتفى في الشق الثاني من تعريفه ببيان أن دلالات النصوص التي يكشفها التفسير لها أبعاد ومستويات متنوعة.

وهكذا نلحظ تطور مفهوم التفسير من مجرد بيان لغوي إلى جهد علمي يوظف علوما دينية ولغوية[1] إلى نشاط إنساني تواصلي هادف عبر تفاعل منهجي مع النص والواقع، تلتها ردة معرفية غذتها روح النقل عن السلف والاستسلام لاجتهاداتهم، ثم بريق أمل في طرح علمي اجتهادي مؤسس لرؤية تجديدية لعلم التفسير.

التعريف المختار:

ومن خلال هذه القراءة التطورية، يمكن أن نؤسس لتعريف اصطلاحي للتفسير بعد حصر ونظم محدداته المعرفية فيما يلي:

- التفسير علم وبحث ودراسة، فهو اجتهاد بشري قدر المستطاع وبقدر الطاقة.
- التفسير عملية فيها تفاعل مع النص واستنطاق له.
- التفسير محاولة فهم وتفهيم لمعاني القرآن ودلالاته.
- التفسير عملية استيعاب لنتاج السابقين ومحاولة لتجاوزه ليتحقق الإبداع والإضافة والتجديد.
- التفسير يهدف لتنزيل أحكام القرآن على واقع الناس.

---

1 - الزرقاني، مناهل العرفان، 51/2.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- التفسير يستخدم جملة علوم لغوية ودينية وغيرها نسميها هنا بأدوات التفسير وهي نوعان؛ معارف قبلية ينقلها المفسر ويبني عليها، وقابليات لدى المفسر(1).

- استحضار أهداف التفسير محدد مهم لضبط التعريف، فالتفسير يهدف أولا وأخيرا لإرضاء الله عز وجل ونيل جنته، ثم هو أداء لواجب وأمانة ومسؤولية متى توفرت الأهلية للمفسر، وهو جهد علمي يساهم في تحكيم القرآن وتطبيق الشريعة، وبذلك يتحقق تأطير الواقع بالنص وتسعد البشرية.

ومن خلال هذه المحددات، وتلكم التعريفات، أصوغ للتفسير تعريفا اصطلاحيا كالتالي:

" التفسير عملية علمية اجتهادية تفاعلية مع النص القرآني لفهمه وتفهيمه وتنزيله على الواقع الإنساني عبر استحضار قابليات ذاتية واستيعاب وتجاوز قبليات معرفية وتوظيف وسائط منهجية أداء للواجب وتحكيما للقرآن وتأطيرا للواقع وسعيا لمرضاة الله وجنّته".

- فقولنا " عملية " يفرق بين التفسير والمادة التفسيرية، التي هي نتاج ومحصول العملية التفسيرية.
- وعبارة "علمية" استحضار لكون التفسير علما له منهجه وأدواته ونتائجه، لا أنه مجرد شرح لغوي.
- ولفظة " اجتهادية" تختصر العبارة التي تناقلها المعرفون " بقدر الطاقة البشرية" فالتفسير اجتهاد بشري نسبي.

---

1 - انظر تفصيل أدوات التفسير في المبحث الموالي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- وعـــبارة " تفاعلية مع النص القرآني" تشير إلى كون التفسير حوارا مع النص واستنطاقا له وعيشا في ظلاله.
- لفظة " لفهمه" تلخص ما قالته التعاريف من كشف وبيان للمعاني والدلالات.
- " وتفهيمه" إضافة الإبراهيمي التي أشار إليها بعض المحدثين.
- " وتنزيلـــه على الواقع الإنساني" لبيان أن هدف التفسير تحويل الأحكام المستفادة منه إلى واقع معيش.
- ثم لخصت في العبارة الموالية أدوات التفسير حسب التصنيف الذي اخترته، والذي سأعرض له في مبحث لاحق.
- ثم خـــتمت التعريف بالمقاصد الكبرى للتفسير، أداء الواجب الكفائي المترتب على الأمة، والمـــتعين في حق المفسرين المؤهلين، ثم تحكيم القرآن وتطبيق الشرع لتأطير الواقع الإنساني بالإسلام، وقبل وبعد كل ذلك السعي لمرضاة الله عز وجل والفوز بجنّته في الآخرة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانيا: التفسير في الاستعمال القرآني

التناول التفسيري لآية الفرقان

رغم أن لفظة " تفسير" وردت في القرآن الكريم مرة واحدة، في قوله تعالى :

﴿ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ﴾[1].

إلا أن المفسرين لم يخصصوا لها مساحة معتبرة في تفاسيرهم، لبيان حقيقة التفسير وقضاياه كعلم يمارسونه هم أنفسهم! بل يكتفون غالبا بشرح اللفظ لغة وفي سياق الآية على عادتهم في تفسير النصوص، فكلمة التفسير في الآية، لا تكاد تبتعد عن معناها اللغوي الكشف والبيان.

ولا تكاد تجد معنى جديدا يضفيه جو النص وسياقه، إلا معنى التفصيل المنقول عن ابن عباس ومجاهد والضحاك، عبر وسيط طبعا، هو الإمام الطبري.[2] أو ما نقله سعيد بن جبير عن ابن عباس-رضي الله عنه-، وأثبته ابن كثير في تفسيره، " أبين وأوضح وأفصح من مقالتهم"[3].

أما الرازي فيذكر أن التفسير البيان والظهور وهو الكشف عما يدل عليه الكلام[4].

هذه عينة فقط مما قيل في تفسير " أحسن تفسيرا"، أما عموم معنى السياق فيكاد يجمع المفسرون على أن المعنى: لا يأتيك الكافرون بالحق بشبهة أو اعتراض أو سؤال يخلطون فيه الحق

---

1 - سورة الفرقان: 33.

2 -أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1، 1420هـ/2000م، 266،267/19 وانظر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1، 1427هـ/2006م، 408/15.

3 - الحافظ عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة، جيزة، مصر، ط 1، 1421هـ/2000م، 304/10.

4 - فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر الرازي، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 1401 هـ/1981م، 79/24.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالــباطل إلا جئــناك بجوابه وهو القرآن الحق الذي يقطع ذريعتهم ويبطل شبهتهم بأحسن بيان وتفصيل[1].

مفاتيح الفهم القرآني للتفسير:

لذا ومن خلال تأمل الآية ونظمها، ومن خلال ما مر من مادة تفسيرية، وباستحضار مفهوم التفــسير ومــا يتعلق به يمكن استنطاق الآية لتكشف لنا عن مفاتيح قرآنية مهمة في تحديد مفهوم التفسير ومتعلقاته.

1- التفسير جهد بشري مسدد بالوحي خلافا لأمثال المشركين وشبهاتهم الباطلة المشوبة.

فالآيــة حــوت ثلاثة ألفاظ متقابلة (المثل- الحق- التفسير)، وترتيبها بهذه الصورة في نظم الآيــة مهم، إذ جاء الحق وسطا بين العقل المسدّد بالوحي[2] الباحث عن "أحسن التفسير" والعقل الشارد عن الوحي الجاري وراء الأمثال والشبهات.

---

1 - يراجع في ذلك مثلا الطبري، جامع البيان، 267/19. ابن كثير، تفسير القرآن، 304/10. الرازي، مفاتيح الغيب، 79/24. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، ط1415هــ/1994م، 73/4. البغوي، معالم التنزيل، 83/6.

2 - يستخدم د.طه عبد الرحمن ثلاثة العقل المجرد/العقل المسدد/العقل المؤيد في دراسته القيمة: العمل الديني وتجديد العقل، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 1997م، ص17، 58، 121.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2- الفاعـــل في "يأتـــونك" و "جئناك" يبرز جانبا ثانيا يدعم ما سبق، فمصدر الأمثال هو العقل البشري المجرد، أما مصدر التفسير فهو الله وكتابه الحق وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم- ولذا فالتفسير لا يستقيم ولا يأخذ مشروعيته إلا إذا حافظ على مصدريته الإلهية والنبوية عبر النصوص المفسرة والموجهة للفهم[1].

3- المقابلـــة بين " يأتونك" و " جئناك" وربطها في أسلوب القصر(لا...إلا...) يحمل دلالة مهمـــة وهـــي استمرار عطاء النص القرآني كلما استدعي لتفسيره ردا على ما يرد في كل عصر ومصر من أمثال وشبهات واعتراضات تستجد باحثة عن موقف قرآني منها.

وفي هـــذا دحـــض لرأي من يظن أن التفسير قد توقف مجال الاجتهاد فيه، وأنه ليس لنا إلا اتباع السلف فيما قالوا، ولا نملك إلا أن نختار أحد أقوالهم ولا نخرج عن مجموعها[2].

4- ويعضد هذا فهم المقصود بضمير الخطاب (الكاف) في ضوء القواعد التفسيرية الجليلة، فـــ"العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص سببه" والخطاب للرسول-صلى الله عليه وسلم- خطاب لأمته.

فالحق وأحسن التفسير هنا ليس قاصرين – كما هو واضح- على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعهده وصحبه، بل هو عام في أمة محمد إلى قيام الساعة.

فمـــا ابـــتدع المد الشركي شبهة ومثلا إلا وجاء الرد الإلهي عبر نصوص القرآن وتفسيرها المعاصر المزامن لتلك الشبهات.

---

1 - لذلك عبرت الآية بالمثل للدلالة على أن العقل الذي لا يستند للحق والوحي إنما يستند إلى التمثيل، أي القياس على سابق، وهكذا كان حال المشركين الذين كانوا يستوردون الشبهات من عند أهل الكتاب ويذيعونها عن القرآن.

2 - من الغريب أن يتبنى مثل هذا القول بعض المعاصرين مثل د.صبحي صالح في كتابه مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط27، 2007م، ص 290.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5- وحتى قبل تعميم الضمير، فاختصاصه بالنبي (صلى الله عليه وسلم) يحمل دلالات مهمة تتعلق بالعملية التفسيرية، فإن أي جهد تفسيري في أي عصر لا بد وأن يعود لعصر التنزيل، فلا غنى له عن سنة رسول (صلى الله عليه وسلم) وأسباب نزول الآيات – محل التفسير- وحوادث عصر النبوة المتعلقة بالموضوع (موضوع الآية)، وكذا تفسير النبي لها-إن وجد-، مع الاستعانة والاستفادة من فهوم الصحابة واجتهاداتهم فاختصاص الضمير بالنبي يضبط المرجعية النبوية للتفسير، كما يبين دور السنة المفسرة كأداة مهمة في التفسير .

6- لفظة "الحق" جاءت معرفة، دلالة على أن النص القرآني مطلق بل الوحي كله قرآنا وسنة – فكلاهما من عند الله- .

وهذا يدل على أن عطاءه التفسيري لا ينتهي مدده، كما سبق البيان، ويدل أيضا على أن التفسير البشري مهما ارتقت درجته ومرتبته يبقى نسبيا، يحتمل الصواب والخطأ، ومن الخطأ الجسيم أن ننقل القداسة من النص الإلهي المطلق " الحق" إلى الجهد البشري " أحسن التفسير"، هذا إذا كان قد استحق وصف الحسن أصلا، وحتى لو كان أحسن تفسير وصله العقل البشري يبقى بشريا غير مقدس.

وعكس هذا ما وقع في تاريخنا للأسف، فقد قدس النص وقدست معه فهوم السلف للنص، وتحول التفسير إلى مجرد ترديد وتركيب وترجيح لأقوال السلف [1].

---

1 - الأسعد بن علي، نسبية المعرفة الدينية، ص32،33. عبد الحميد بوكعباش، التفسير والمعرفة الحديثة، ص2.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

7- خلافــا لكلمـــة الحق، فقد جاءت كلمة "مثل" غير معرفة بـــ (الـــ) دلالة على وهنها ونكارتهـــا وعـــدم ارتكازها على ما يعرفها ويعضدها، فهي بالتالي أمثال شركية غير منهجية ولا ينظمها ناظم، إلا ناظم رفض الحق ومعاداته وإثارة الشبه حوله.

8- بيـــنما جـــاءت كلمة تفسير مضافة إلى الحسن في أعلى صوره (صيغة أفعل التفضيل: أحسن) وفي هذا دلالة على قبوله ومشروعيته إذا حافظ على ارتباطه بالنص " الحق" الذي عطف عليه في نظم الآية.

9- أما وصف " أحسن" في حد ذاته، فيحمل دلالات عدة؛ فالواجب على المفسر أن يجتهد ويـــبذل وسعه ليفسر النص بأحسن تفسير يمكن أن يصله عقله وجهده. ثم إن التفسيرات الواردة للنص منها الحسن والأحسن، وما دامت توصف بالحسن فتحتمل القبح أيضا، فقد يكون التفسير مرفوضـــا مردودا على صاحبه غير مناسب لمعنى النص ومقامه. وعلى كل فالمفسر ملزم بأن يختار تفـــسيرا ويعتبره الأصح وينسبه للنص، وهذا أحد أوجه التفريق بين التفسير والتأويل المذكورة في كـــتب التفسير وأصوله، فالتفسير القطع بالمراد الإلهي خلافا للتأويل [(1)]. ثم يحمل وصف الحسن معنى هاما ، وهو ضرورة عرض المادة التفسيرية في أحسن صورة لغويا وعقليا وشكليا...

وفي هذا إ شارة إلى حسن اختيار المنهج المعتمد في التفسير.

سياق آية التفسير: وختاما، لا بد من وقفة سريعة مع سياق الآية.

---

1 - قاله الماتريدي، وتناقلته كتب التفسير. ينظر ابن تيمية : مقدمة في أصول التفسير، ص4.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- فالآية بداية تدل على واقعية العمل التفسيري، فكلما احتاج الواقع إجابات وحلول قرآنية لمشكلاته وقضاياه، تتحرك الجهود التفسيرية لتفسر النص وتسد حاجات الواقع، كما جاء القرآن نفسه وتترل حسب الوقائع منجما طوال ثلاث وعشرين سنة.

- ثم إن المتدبر لسورة الفرقان تتجلى له أسباب ضلال المشركين وحيادهم عن سبيل الهداية مما دفعهم لضرب الأمثال لمخالفة القرآن ومحاربة أهله، ولخصت السورة ذلك في الإعراض عن الحق [1] واتباع الهوى وتأليهه[2] مع نسيان الذكر[3] وهجران القرآن[4]. ولذلك غدت جهودهم هباء منثورا[5]. وهذا حال المشركين في كل زمان مع كل نبي، وهو ما ركزت عليه الآيات بعد آية التفسير[6]. كما بينت الآيات سوء جزاء المشركين مقابلا بجزاء المؤمنين [7].كما فصلت الآيات بعض أمثال المشركين الكاذبة[8].

- ومن هنا تتبدى لنا بعض المحاذير التي يجب على المفسر اتقاؤها، فالمتعامل مع النص القرآني يجب أن يقبل الحق متجردا بقلبه وعقله مستعدا لهداه، ملازما للذكر قولا وعملا.

- كما عليه أن يستحضر تجارب الأنبياء عموما والنبي محمد – صلى الله عليه وسلم- خصوصا ليستثمرها في عمله التفسيري. ثم عليه أن يحتسب بعمله رضا الله وجزاءه الأخروي.

---

1 - الآية 3 من سورة الفرقان.
2 - الآية 43 من سورة الفرقان.
3 - الآية 18 من الفرقان.
4 - الآية 30 من الفرقان.
5 - الآية 23، الفرقان.
6 - الآيات 31،من 34إلى 39- الفرقان.
7 - الآيات 10-17.الفرقان.
8 - الآيات 4، 5، 7، 8، 21.الفرقان. ويراجع السياق التفسيري للسورة في التفاسير المركزة على نظم السورة، ينظر مثلا: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، ط1404هـ/1984م، 381/13.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- أما النماذج التي ذكرها القرآن فتختزن منهجه في الجدال وردّ الدعاوى ونقضها من أسسها[1].

استخلاص:

مـــن خـــلال هذه الوقفة مع الآية الكريمة تتجمع لنا مجموعة من الدلالات الموجهة لمفهوم التفـــسير في القرآن الكريم، تفيد أن التفسير جهد بشري نسبي مسدد بالوحي الإلهي المطلق، وهو اجـــتهاد مـــستمر يحتاج لقلب خاشع وعقل خاضع ونفس متقية متجردة عن الهوى، هذا الجهد والاجـــتهاد يستحضر الواقع ويستفيد من التاريخ ويوظف كل الأدوات المتاحة لحسن فهم النص وتفهيمه للناس وإنذارهم به.

وباستحضار التعريف الاصطلاحي المختار[2]، نجد تطابقا شبه كلي بين المعاني المستفادة من النص وسياقه القرآني من جهة، وتعريفات المفسرين من جهة ثانية مع ملاحظة أن تعاريف ركزت أكثر على أدوات التفسير، بينما ركز النص القرآني على الشرائط الروحية والمعنوية الموجهة للعملية التفسيرية والضامنة لنجاحها.

أي بعبارة أخرى أكّد القرآن على الجانب المعنوي (الأخلاقي) فيما أكدت التعاريف على الجانب العلمي الأكاديمي، وبمزاوجة الاثنين يتحقق البعد العملي للتفسير.

المطلب الثاني: أدوات التفسير

لماذا الحديث عن الأدوات ؟

---

1 - ينظر مثلا عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط 1، 1402هـــ/1982م.

2 - راجع ص 29 من هذه الرسالة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حـــوت الكـــتب المتحدثة عن علوم القرآن وعلم التفسير وأصوله وقواعده مباحث عديدة، والمتـــصفح لـــتلك المـــباحث يجد أهمها ومحورها الذي تتقاطع في التركيز عليه كل التصانيف هو الحديث عن العلوم التي يحتاج إليها المفسر – على اختلاف في التعبير عنها- لذلك ارتأيت تخصيص مـــساحة لهـــا بعد التعريف، لذلك الاهتمام ولأسباب أخرى؛ لعل أهمها أن الحديث عن أدوات التفـــسير، حديث عن تعريف التفسير ذاته، فقد عرف التفسير بأدواته عهودا طويلة، و لم يستطع المعـــرفون تفـــادي ظهور العلوم الخادمة للتفسير في تعاريفهم لعلم التفسير، لانشغالهم بـــ: "بماذا نفسر؟" عن بقية التساؤلات "ماذا نفسر؟" و "لماذا نفسر؟" و "كيف نفسر؟" هذا من جهة.

ثم إن الـــتطور التاريخي لعلم التفسير يكاد يتلخص في نوعية الأدوات المستخدمة في التفسير ومـــداها ومحـــورية إحـــداها، فالتفسير بدأ مستخدما النقل ثم وظف اللغة، ثم انفتح باب التأويل وإعمال العقل والفكر السائد -وحتى البائد أحيانا- ومنهم من وظف العلوم الشرعية والكونية...

فإن تحديد الأدوات المستخدمة يوضح منهج التفسير وتوجه صاحبه، بل إن نظرة لنماذج من أي تفـــسير تكـــشف عـــن تخصص صاحبه واهتمامه وميوله، أي بعبارة أخرى أداته المحورية في التفسير. (1)

كما أن العلوم الخادمة للتفسير والتي اصطلحت عليها هنا بأدوات التفسير تنوعت فيها أقوال الدارســـين ضيقا واتساعا، من مضيق لها في حدود اللغة والأثر إلى موسع مدخل لمختلف العلوم في التفسير.

---

1 - يقول الزركشي في البرهان 13/1: وقد أكثر الناس فيه (أي التفسير) من الموضوعات، ما بين مختصر ومبسوط، وكلهم يقتصر على الفن الذي يغلب عليه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هـــذا والحـــديث عن أدوات التفسير سيخدم البحث من جهة أنه سيبين موقع السنن الإلهية كأداة في تفسير القرآن الكريم.

المصطلحات الدالة:

استخدم الدارسون للتفسير وعلومه عدة تعابير للدلالة على أدوات التفسير؛

فقالوا: العلوم التي يحتاج إليها التفسير [1].

وعبر بعضهم بـــ: العلوم التي يجب أن يلم بها المفسر [2].

وعبر عنها الشاطبي بالعلوم المضافة إلى القرآن [3].

وعبر عنها الإبراهيمي بـــ "ما يتوقف عليه فهم القرآن" [4].

ووزعها الكثيرين على جملة مباحث متعلقة بالتفسير: مباديه، دليله، استمداده، شروطه[5].

ونجد جل المؤلفين يكررون الحديث عن أدوات التفسير تحت مسميات عدة، وهذا من قلة الضبط المنهجي لمباحث هذا العلم. مما قد يعطي فكرة عن مدى "علمية" الطرح التفسيري.

أما مصطلح الأداة فيوظفه كثير من المعاصرين بدلا عن تلك العبارات المطولة و المتداخلة[1]، وتجدر الإشارة هنا إلى مصطلح " الآلة" الذي يوظفه ابن أبي الدنيا[2].

---

1 - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 13/1،6،3. السيوطي جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، 180/2. عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، 51/2 .

2 - محمود نصار في تقديمه لمقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص 19.

3 - أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تعليق: محمد حسنين مخلوف، دار الفكر، د.م. 221/3-226. جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1378هـ/ 1957م، 142/1.

4 - البشير الإبراهيمي في مقدمته لمجالس التذكير لابن باديس، ص17 .

5 - الزركشي، البرهان في علوم القرآن،14/2. القنوجي، فتح البيان، 1/ 12. ابن عاشور ، التحرير والتنوير، 18/1 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمـــا الدكتور الأبياري فيحاول التفريق بين ما هو أداة وما هو وسيلة، فهو يعتبر العقل أداة المفسر واللغة وسيلته، ورغم عدم شرحه لمبرر هذا التفريق، إلا أنه يبدو أنه يعتبر العقل أداة منتجة للمعرفة التفسيرية لذلك استحقت اسم الأداة، أما اللغة فهي مجرد وعاء تعبيري بياني يصف ويعبر ولا ينتج، فهي أداة "من الدرجة الثانية" لذلك اختار لها اسم " الوسيلة".

الأهمية:

وبغض النظر عن التسميات والاصطلاحات والتصنيفات، فإن ما يتفق عليه الكل، هو أهمية هذه الأدوات وحاجة المفسر إليها فتحصيلها شرط لازم لتأهيل المفسر للتفسير.

وهـــذا ما يحسم كثيرا من الأغلاط المتعلقة بالتفسير؛ من ذلك الظن أن التفسير عملية شرح لغوي مبسط يدركها كل عارف بلغة العرب في عمومها(3).

وهذا وهم عظيم يقلل من "علمية" التفسير وكونه تخصصا شرعيا عالي القدر خطير الشأن لا يرق إليه إلا العلماء العاملون المؤهلون الممتلكون لناصية تلكم العلوم الخادمة للتفسير المساعدة على تحقيق الأهداف السامية للعملية التفسيرية.

يقـــول البيضاوي: " لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها، وفي الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها". (4)

---

1 - محمد فاروق النبهان، مقدمة في الدراسات القرآنية، ص 104. ابراهيم الأبياري(جمع وتصنيف): الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، 1405هـ/1984م، 21/9. سعاد كوريم، تفسير القرآن بالقرآن، ص119 . عبد الحميد بوكعباش ، التفسير والمعرفة الحديثة، ص38.

2 - إبراهيم الأبياري، الموسوعة القرآنية، ص21. قال ابن أبي الدنيا: فهذه العلوم (علوم القرآن) التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسرا إلا بتحصيلها، فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأي المنهي عنه.

3 - الأسعد بن علي، نسبية المعرفة الدينية، ص43.

4 - محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 26/1.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويقول الدكتور النبهان: "... ليست مهمة المفسر قاصرة على شرح المفردات وبيان دلالاتها فهـــذا عمل يسير لا يحقق غاية مرجوة، ولا يتطلب موهبة كبيرة، وتمتد مهمة المفسر لكي يطرح الآفاق المحتملة المستفادة من الآية، بحيث يكون ما استنبطه المفسر وما وصل إليه بعد جهد منسجما مع الهدي القرآني. مراعيا غاية القرآن في استقامة أمر البشر..." [1].

بل إن مهمة المفسر تبدأ بعد امتلاك الأدوات لا قبلها.

يواصـــل د. النبهان فيقول في هذا السياق :"... وبعد ذلك (أي بعد امتلاك الأدوات) تبدأ مهمة المفسر الشاقة في استكشاف الإرادة القرآنية، وفي استلهام الحكم المرادة المستهدفة، وفي إقرار التوجهات السلوكية في مجال الأمر والنهي، التي تنسجم مع التوجهات القرآنية العامة المستفادة من القرآن كله..." [2].

1 - د. فاروق النبهان، مقدمة في الدراسة القرآنية، ص 96.
2 - د. فاروق النبهان، مقدمة في الدراسة القرآنية، ص 97.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الغاية والوسيلة:

إن استخدام مصطلح " أدوات التفسير" ليس مجرد إعادة صياغة لفظية، ورفض لإنتاج السابق ولو عبر تغيير العنوان، لكنه تعبير عملي يحدد موقعا جديدا للعلم في علاقته بعلم آخر. فعلوم القرآن وعلوم اللغة مثلا – وهي أكثر الأدوات تداولا في طروحات المفسرين- غايات في حد ذاتها عند بحثها والتخصص فيها، لكن عند الحديث عن التفسير تصير أدوات ووسائل لغاية أخرى هي تفسير النص القرآني.

فإن عبرنا عنها بالعلوم الخادمة أو المضافة أو غير ذلك يبقى الوصف مثيرا للبس، حتى إذا أراد المصنف التفصيل في كل "أداة" كان عليه أن يركز على كيفية استخدامها في التفسير وشكل التوسل بها إليه، لا كما هو الشأن في بعض المدونات التفسيرية حيث يشار للعلم الخادم للتفسير ثم يفصل فيه كما يفصل في بابه المستقل، أي تفتح نافذة للحديث عن كل علم داخل علم آخر. وفي هذا تطويل وتناسي للغاية المرجوة وإن وردت شوشت عليها بقية التفاصيل، فلا تكاد نفرق بين كتاب في أصول التفسير وآخر في علوم القرآن[1].

مشكلات وحلول :

ثم إن طرح مصطلح الأدوات قد يسهم في حسم بعض المشكلات العالقة في التراث التفسيري، كقضية النقل والعقل، وقضية التفسير والتأويل، وقضية التفسير بالرأي المذموم.

1 - يلحظ ذلك بجلاء من يتصفح البرهان للزركشي والإتقان للسيوطي ومناهل العرفان للزرقاني وكثير ممن نحا نحوهم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالتفسير قسمان : "تفسير ما لا يدرك إلا بالنقل كأسباب النزول، وتأويل وهو ما يمكن إدراكه بالقواعد العربية فهو مما يتعلق بالدراية [1].

فقد وظف القنوجي أدوات التفسير للتفريق بين ما هو نقلي وعقلي أو روائي ودرائي، فأسباب النزول أنموذج لأداة نقلية كالأحاديث والآثار والناسخ والمنسوخ وجل العلوم القرآنية.

أما اللغة وقواعدها فاعتبرها أداة عقلية، كأول خطوة للإضافة على ما قيل حول نص الآية، ثم تأتي بعد ذلك بقية الأدوات العقلية الدرائية الاجتهادية من إعمال للعقل والتدبر والتأويل...

لكن هذا التقسيم لا يستحضر التجربة التاريخية للتفسير، بل يعبر عن مراحل تفسيرية تمتلك كل منها أدواتها المناسبة: مرحلة تجميع المادة النقلية المتوارثة على هامش الآية محل التفسير واستحضار ما يناسبها من أدوات وعلوم قرآنية، هذه مرحلة النقل والرواية، ثم تأتي مرحلة تفسيرية ثانية ملازمة لها بانية عليها، وهي مرحلة الاجتهاد والإضافة والتجاوز بعد الاستيعاب، ولها أدواتها اللغوية والعقلية، وتخضع لظروف العصر، وقدرات المفسر العقلية والروحية، ففي العملية التفسيرية " لا ينطلق الباحث المفسر من فراغ، بل هو يتحرك في سياق الاستنطاق بما هو عقل يحمل تصورات ويتبنى أفكارا أو رؤى ومناهج محددة، ومما هو روح يختزن أحاسيس ومشاعر وميول وحالة روحانية معنوية"[2].

---

1 - القنوجي، فتح البيان، 1/ 12.

2 - الأسعد بن علي، نسبية المعرفة الدينية، مجلة البصائر، ص 41.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهكذا لا يخرج الجهد التفسيري عن أحد اثنين نقل أو عقل، وهذا حال كل علم كما يقول شـــيخ الإسلام : "والعلم إما نقل مصدق عن معصوم، وإما قول عليه دليل معلوم، وما سوى هذا فإما زيف مردود، وإما موقوف لا يعلم أنه بهرج ولا منقود"[1].

هـــذا مرحليا، أما تاريخيا فإن التقسيم التقليدي نقل وعقل، تقسيم لا يعبر بدقة عما حدث، فالمفـــسرون الأوائل قبل الطبري كانوا مجتهدين يوظفون النقل والعقل معا، أما من بعدهم فاكتفى أغلـــبهم – والاستثناءات محدودة- بنقل اجتهادات أولئك ورصها أمام النصوص بنسبة أو بدون نـــسبة، وقد صدق فيهم وصف الدكتور بوكعباش حين قسم التفاسير إلى نوعين: تفاسير بالعقل وتفاسير بنقل العقل، أو تفاسير اجتهادية وتفاسير مدونة تنقل لنا عقل المائة الثانية[2].

ومـــن خلال حسم قضية النقل والعقل، يتم طرح مسألة التفسير والتأويل التي أسالت الحبر التفـــسيري طويلا[3]، و لم تفلح التفريقات المتناقلة إلا في ملء صفحات كتب علوم القرآن وأصول التفسير ومقدمات التفاسير. لكن باستحضار منطق " الأداة " و " العملية " قد يحسم الإشكال، أو يتضاءل حجمه على الأقل[4].

---

1 - ابن تيمية تقي الدين، مقدمة في أصول التفسير، ص 43.

2 - عبد الحميد بوكعباش، التفسير والمعرفة الحديثة، ص 1، 2 وما بعدهما.

3 - يمكن مراجعة مختلف الأقوال في التفسير والتأويل في: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص8-11. السيوطي،الإتقان، 173/2. الذهبي، التفسير والمفسرون، 12/1-18. القنوجي، فتح البيان، 12/1. فاروق النبهان، مقدمة في الدراسات القرآنية، ص99-106... والقضية مطروحة في كل كتب التفسير وعلوم القرآن.

4 - يعترف الباحثون لمسألة التفسير والتأويل بصعوبة البت فيها، انظر مثلا فاروق النبهان، مقدمة في الدراسات القرآنية، ص 99 إذ يقول: "وبالرغم من كل محاولات إبراز أوجه التباين والاختلاف بين التفسير والتأويل، فإن من الصعب وضع ضوابط دقيقة لكل من التفسير والتأويل بل إن بعض العلماء ذهب إلى أنه لا فرق بين التفسير والتأويل وأنهما يأتيان بمعنى واحد.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحتى لا نغرق في التفاصيل فقد لخص الدكتور النبهان تلك التفريقات فيما سماه "خصائص التفسير والتأويل"[1].

فالتفسير أكثر استعماله في الألفاظ والمفردات، مهمته بيان وضع اللفظ، غايته كشف المعاني وبيان المراد، وهو متعلق بالرواية يعتبر فيه الاتباع والسماع، بينما التأويل موطنه في المعاني والجمل، مهمته الترجيح دون قطع، غايته تفسير الباطن والإخبار عن حقيقة المراد، وهو متعلق بالدراية[2].

ثم يخلص من هذا إلى أن "التأويل مرحلة متقدمة في التفسير ولا يستغنى عنه" [3].

فالتفسير – على هذا الطرح- تفسيران، تفسير نقلي روائي وهو ما يطلق عليه لفظ "التفسير"، وتفسير عقلي درائي يطلق عليه لفظ "التأويل".

فـــ"التفسير " كشف عن طريق الرواية عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- والصحابة بمعرفة الأحاديث وأسباب الترول ووقائع عصر التتريل، أما التأويل فهو ترجيح لأحد المعاني المحتملة، فهذا يدرك بالعقل ومعرفة اللغة، ويحتاج لحس مرهف وذوق سليم[4].

أما الدكتور السيد أحمد عبد الغفار فيرى أن التفسير والتأويل وسيلتان لكشف المعنى القرآني الظاهر والباطن على الترتيب، يقول : " وللوصول إلى معنى النص والكشف عن مكنوناته علينا أن

---

1 - فاروق النبهان: مقدمة في الدراسات القرآنية، ص 102.
2 - نفسه، ص 102، 103.
3 - نفسه، ص 103. يشير د. النبهان في الصفحة 99 إلى ما معناه أن التأويل لا يخضع للمعايير التفسيرية المحكمة، وهذا يناقض ما قاله هو نفسه في ص 106- 108 من أن التأويل له ضوابط تضمن له الارتباط بالنص وإلا انتفت شرعيته. فكيف نوفق بين النصين؟
4 - أبو اليقظان عطية الجبوري، دراسات في التفسير ورجاله، ص 21.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نتعرض للتفسير والتأويل معا، وهما وسيلتا كشف للمعنى القرآني، ومن الألفاظ القرآنية ما يكشف التفسير عن معناها الظاهر والواضح، ومن الألفاظ ما يبحث التأويل عن دلالتها الداخلية"[1].

وواضح تباين الطرحين، من كون التفسير والتأويل مرحلتان وعمليتان، إلى أداتين ووسيلتين، كما أن كلا الطرحين يطرح خلطا "اصطلاحيا" بين "التفسير" كعملية و"التفسير" كمرحلة أو أداة لـــ"التفسير".

ولـــذلك أفـــضل أن يبقى اسم التفسير خاصا بالعلم ككل بمرحلتيه مرحلة الرواية والنقل، ومـــرحلة الدرايـــة والاجـــتهاد، أمـــا " التأويل" فهو أداة يحتاجها المفسر في المرحلة الثانية على الخصوص، وقد يحتاجها حتى في المرحلة الأولى، فإن النقل لا يعني رص النصوص ونقلها حرفيا، بل تحتاج لنظر وإعمال فكر ومراجعة وتقييم واستثمار.

يبقـــى الإشكال الثالث وهو التفسير بالرأي وتفاوت الطرح بين ذام له مطلقا استنادا لبعض النصوص، كحديث "من تكلّم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ"[2]، وقول الصديق –رضي الله عنه- "أيّ سماء تظلّني، وأيّ أرض تقلّني إذا قلت في كتاب الله برأيي"[3].

وبـــين مفرق بين الرأي المحمود والمذموم، وهما في الحقيقة رأي واحد، فما ذم في النصوص الـــسابقة ليس مطلق الاجتهاد وإبداء الرأي وإلا لما كان للتفسير بعد السلف معنى وجدوى، لكن منع القول بالرأي المخالف للشرع غير المستند للنصوص والقواعد. أما خلاف ذلك فهو مطلوب

---

1 - السيد أحمد عبد الغفار، التفسير والنص، ص 7.

2 - الحديث أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي عن ابن عباس –رضي الله عنه- وقال أبو عيسى: غريب من حديث ابن جندب. وفي معناه حديث حسن أخرجه الترمذي برقم 3205 عن ابن جبير عن ابن عباس بلفظ: "من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار". وانظر الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 2/161-162.

3 - اشتهر ذكر قول الصديق بعد الحديث السابق، انظر الزركشي، البرهان، 2/161-162.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بـــل ضـــرورة ليستمر العطاء التفسيري المصدق لكون القرآن لا تفنى عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد[1]، فهو قرآن كريم لا يبخل على من أحسن الطلب، ثم كيف يرفض التفسير بالرأي ونصوص كـــثيرة تحض على إعمال العقل وفهم الوحي وبيانه وتعقله وتدبر آياته، ولا يمكن أن يكون ذلك كله بالنقل وحده.

إن استحضار لغة " الأدوات" يعطينا تخريجا عمليا في التفريق بين ما هو رأي محمود وما هو رأي مذمـــوم، فمـــن أحـــسن استخدام أدوات التفسير استحضارا وتوظيفا فذلك تفسير بالرأي المحمود، وخلافه المذموم وهذا ما صرح به القنوجي كنوع من أنواع الرأي المذموم: " التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير" [2].

بـــل إن ابـــن أبي الدنيا كان أكثر وضوحا ودقة حين قال: "... فهذه العلوم (يقصد علوم القـــرآن) الـــتي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسرا إلا بتحصيلها، فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأي المنهي عنه"[3].

---

1 - هذه العبارة جزء من حديث شريف رواه الدارمي في فضائل القرآن حديث 3395 عن الإمام علي –كرم الله وجهه-. وأول لفظ الحديث: قيل يا رسول الله، إن أمتك ستفتن من بعدك، فسأل رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم- أو سئل ما المخرج منها؟ قال: الكتاب العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه... وآخره لا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عبره، ولا تفنى عجائبه...

2 - القنوجي: فتح البيان، 18/1.

3 - إبراهيم الأبياري: الموسوعة القرآنية، 21/9.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استعراض ونظر:

لـــذا، وما دامت أدوات التفسير بهذه الأهمية والإيجابية في حل بعض المشكلات التفسيرية، وجـــب إعـــادة النظـــر فـــيها مـــن حيث الحصر والتخصيص، ومن حيث التصنيف والتقسيم والاصطلاح. وذلك يستدعي استعراضا سريعا لهذه الأدوات عند أهم من تعرض للحديث عنها.

فإذا بدأنا **بأبي حيان الأندلسي**، فقد أشار لأدوات التفسير في ثلاث مواضع أثناء التعريف، وما يحتاجه المفسر، وحين ذكر أدواته هو في تفسيره، وفي كل مرة يضيف أو ينقص أداة.

وبغض النظر عن الإشكال التصوري حول عدم التطابق التام بين ما ينظر له وبين ما يمارسه، فإنـــه يحـــصر أدوات التفـــسير – من مجموع ما سبق – في: علوم اللغة والنحو والبيان والبديع والقـــراءات، والأحاديـــث المبينة للمجمل والمبهم، والدلالات اللغوية المذكورة عند علماء أصول الفقـــه وعلم الكلام [1]، مع تحفظ يبدو من كلامه على هذا الأخير، وإن كان في تعريفه لا يشير إلى الـــثلاث الأخيرة (الحديث، الأصول، الكلام) ويذكر بدلا عنها الناسخ والمنسوخ، وأسباب الترول، والقصص مع تفصيل علوم لغوية أخرى –إضافة للسابقة- كالتصريف والإعراب والحقيقة والمجاز[2].

أمـــا عـــند وصفه لتجربته الذاتية فقد ذكر أدوات هامة، لم يتضمنها تعريفه ومبحثه الخاص بالعلـــوم الـــتي يحـــتاجها المفسر، وهي إنتاج المفسرين السابقين، القوة المفكرة، الإعجاز القرآني، الأساليب العربية من نظم وشعر ونثر وخطب[3].

---

1 - أبو حيان الاندلسي، البحر المحيط، 6/1.
2 - أبو حيان الاندلسي ، البحر المحيط ، 13/1، 14.
3 - أبو حيان الاندلسي ، البحر المحيط، 1/ 3.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقـــد فصلت المواضع الثلاث التي ذكر ضمنها أدوات التفسير، لأن الناقلين عنه ركزوا فقط على ما تضمنه تعريفه من أدوات.

ومـــن الأندلس دائما، جاءت الإضافة الثانية الهامة **للإمام الشاطبي** الذي قسم العلوم التي يحتاجها المفسر إلى أربعة أقسام[1].

1- قـــسم هو كالأداة لفهم القرآن ويشمل العربية والقراءات والناسخ والمنسوخ وقواعد أصول الفقه.

2- قـــسم مأخوذ من جملته من حيث هو كلام، ويشير به إلى النظم القرآني ومقاصده وإعجازه وهدايته العامة.

3- قـــسم مأخوذ من عادة الله تعالى في إنزاله وخطاب الخلق به، ويشير فيه إلى أساليب القرآن ومنهجه وسنن الله فيه .

4- قـــسم هـــو المقـــصود الأول بالذكر، ويقصد به أمهات العلوم الشرعية : التوحيد والعبادة وأحوال الآخرة.

وقـــد صـــرح الشاطبي أنه استفاد من حصر الغزالي للعلوم، لكنه أبدع في تقسيمه أكثر من الغزالي الذي ركز فيما يحتاجه المفسر على غزارة العلم وصفاء القلب وتوفر دواعي التدبر والتجرد في الطلب[2].

---

1 - الشاطبي، الموافقات، 3/ 221، 226.

2 - د. زياد خليل محمد الدغامين ، نظرية الإمام الغزالي في التعامل مع القرآن قراءة وفهما وتفسيرا،مجلة المسلم المعاصر، س 20، ع 80، محرم 1417هـــ / مايو 1996م، ص107، 108.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نعود إلى الشاطبي الذي يلحق " العلوم- الأدوات" في قسم أول يشمل العلوم العربية وعلوم القــرآن وقواعد الأصول وقد لخص علوم العربية تحت مسمى واحد خلافا لأبي حيان، لكن من جاء بعدهما عاد لتقسيم أبي حيان وتفصيله. كما أن الشاطبي دقق في الأداة الأصولية فقال "قواعد أصــول الفقــه" لتشمل الدلالات ومقاصد الشريعة أي كل القواعد الأصولية اللغوية والشرعية، وكيف لا يدقق وهو في صميم تخصصه واهتماماته وهو مجدد علم أصول الفقه ومقاصد الشريعة.

أما القسمان الثاني والثالث فيمكن تجميعها تحت أصل واحد هو نظم القرآن وأساليبه وسننه.

والقسم الرابع خصصه للعلوم الشرعية عقيدة وشريعة، ولا أدري لماذا خصص أحوال الآخرة بالذكــر. وكأنــه يشير إلى وقعها في نفس المفسر ليستحضر الأجواء الروحية والنفسية ويتهيأ بها للتفسير، وليظهر أثرها فيمن يتعامل مع تفسيره.

لكن ومع كل هذا، لم يشر الشاطبي للحديث والتاريخ وبقية علوم القرآن كأدوات للتفسير، كما أنه توقف ليرفض إدخال بعض العلوم في التفسير، وقد ذكر توظيف الرازي لعلم الهيئة، وابن رشد لعلم الفلسفة[(1)].

وعلى كل فقد قدم الشاطبي تقسيما جديرا بالاهتمام لكنه لم يحظ بالقبول والانتشار خلافا لسابقه الذي نقل عنه الزركشي والسيوطي والقنوجي والزرقاني تباعا وغيرهم.

فقــد لخــص الزركشي ما فرقه أبو حيان، وحصر أدوات التفسير في ثمانية (اللغة، النحو، التصريف، البيان، أصول الفقه، القراءات، أسباب النزول، الناسخ والمنسوخ) [(2)].

وقد حذف الزركشي ما يتعلق بالمجاز وعلم الكلام والقصص، كما لم يذكر الحديث.

---

1 - الشاطبي ، الموافقات، 226/3.

2 - الزركشي، البرهان، 148/2.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقــد حــذا السيوطي حذوه لكنه فرق بين نوعين من أدوات التفسير، علوم يستمد منها التفــسير، وعلــوم يحتاجها المفسر، فاستمداده من اللغة والنحو والتصريف والبيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج المفسر لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ[1].

لكــنه يعيد حصر العلوم التي يحتاج المفسر إليها في موضع آخر[2]، ويعدد خمسة عشر علما، وهو الحصر الذي اشتهر في كتب علوم القرآن والتفسير فيما بعد.

وقــد ذكر فيه سبعا من علوم العربية (اللغة والنحو والتصريف، والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع) وثلاثا من علوم القرآن (القراءات، أسباب النزول، الناسخ والمنسوخ) والأحاديث المبينة لتفسير المبهم والمجمل، ثم ذكر ثلاث علوم شرعية (الفقه[3]، أصول الفقه، أصول الدين) وختمها بإضافة مهمة هي علم الموهبة، وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علم [4].

هذا الحصر نقله بحرفيته القنوجي و لم يغير سوى العنوان : شرائط المفسر [5].

أمــا الــزرقاني فقد نقل عن السيوطي أيضا لكنه حذف بعض العلوم: الاشتقاق- البلاغة- المجاز- القراءات، وقد نقل بعده تقسيم رشيد رضا دون تعليق أو ترجيح[6].

وخلاصــة آراء القدامى ، أن أدوات التفسير عندهم تتلخص في : علوم العربية مع توسع واضح فيها، وعلوم القرآن مع تركيز على القراءات وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ، والحديث ثم بقــية العلــوم الشرعية، وقد ركزوا على أصول الفقه وأصول الدين على خلاف، وتبقى أهم

---

1 - السيوطي، الإتقان، 174/2.
2 - نفسه، 2/ 180.
3 - من الغريب أن السيوطي توقف عند كل علم وشرحه إلا علم الفقه، فقد اكتفى بذكره فقط.
4 - السيوطي، الإتقان، 2/ 180.
5 - القنوجي، فتح البيان، 1/ 17.
6 - الزرقاني، مناهل العرفان: 51/2.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إضـــافة هي علم الموهبة الذي ذكره السيوطي، كل هذا –طبعا- إذا استثنينا الغزالي والشاطبي ، فالغزالي ركز على بعض الاستعدادات الذاتية للمفسر، بينما صنف الشاطبي العلوم تصنيفه الرباعي المذكـــور الذي حوى علوم العربية وعلوم القرآن وأصول الفقه كأدوات للفهم، والعلوم الشرعية كقسم رابع. وما يتعلق بنظم القرآن وهدايته وسننه وأساليبه كقسمين آخرين.

أمـــا المحدثون، فقد ركزوا على أدوات أخرى غير اللغة وعلوم القرآن، كما ركزوا على ما يدخل تحت اصطلاح السيوطي " علم الموهبة".

لقد تجاوز المحدثون الحديث عن اللغة وعلوم القرآن كأدوات للتفسير، وركزوا وفصلوا أكثر بقية الأدوات الضامرة في الطرح التقليدي، بل وأعادوا صياغة مسميات الأدوات السابقة، ومنهم من اقتصر على ما قاله القدامى كما فعل ابن عاشور حين لخص العلوم التي يستمد منها التفسير في ستة : علم العربية، علم الآثار، أخبار العرب، أصول الفقه، علم الكلام، علم القراءات[1].

ونلحظ تركه ذكر علوم القرآن والحديث المبين والفقه والموهبة، لأنه حاول التدقيق والتفريق بـــين مـــا يـــستمد منه العلم وما يحتاج إليه، وإلا لو توسعنا في المفهوم لأدخلنا في التفسير العلوم كلها[2].

كمـــا أنـــه يرفض إدخال المرويات التفسيرية عن النبي-صلى الله عليه وسلم - والصحابة لاعتبارها تفاسير لا علوما يستمد منها التفسير[3].

1 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، 1/ 18.
2 - نفسه، 1/ 26.
3 - نفسه، 1/18.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكــن أهم ما طرحه ابن عاشور هو ضبطه لمفهوم الأدوات، يقول في المقدمة الثانية لتفسير التحريــر والتنوير: "استمداد علم التفسير يراد به توقفه على معلومات سابق وجودها على وجود ذلــك العلم عند تدوينه لتكون عونا لهم على إتقان تدوين ذلك العلم، وسمي ذلك في الاصطلاح بالاســتمداد عــن تشبيه احتياج العلم لتلك المعلومات بطلب المدد، والمدد العون والغوث فقرنوا الفعل بحرفي الطلب وهما السين والتاء، وليس كل ما يذكر في العلم معدودا من مدده، بل مدده ما يتوقف عليه تقومه، فأما ما يورد في العلم من مسائل علوم أخرى، عند الإفاضة في البيان مثل كثير مــن إفاضــات فخــر الدين الرازي في مفاتيح الغيب فلا يعد مددا للعلم، ولا ينحصر ذلك ولا ينضبط، بل هو متفاوت على حسب مقادير توسع المفسرين ومستطرداتهم"[1].

فالأدوات -حسب الشيخ بن عاشور- معلومات سابقة (قد تكون علوما أو معارف داخلة تحــت علــوم)، وهذه الأسبقية إن قصد بها وجودها قبل بدء التفسير تاريخيا فهذا يقصي معظم الأدوات بمــا فــيها اللغــة وعلــوم القرآن خاصة ما تأخر التدوين فيه من أبوابها، والأوفق لمعنى "الأدوات" أن يقــصد بالأســبقية وجودها كمعارف قبلية لدى المفسر قبل ممارسة التفسير. وهو المعنى الذي سأعتمده هنا.

وبغض النظر عن دقة التعريف وجمعه ومنعه، فإن مجرد الالتفات من الشيخ إلى التعريف قبل التفصيل سلوك علمي جدير بالإشادة، لأنه يؤسس للمنهج " العلمي" في التفسير والدرس الشرعي عموما ، وقد أوردت في الكلام ما يخرج عن التعريف، لكونه يبرر حذفه لبعض العلوم من أدوات التفسير كما سبق القول.

---

1 - نفسه ، 18/1.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمـــا الأســـتاذ رشيد رضا فيوزع الأدوات على عنوانين: وسائل فهم القرآن[1]، وما لا يتم التفسير إلا به[2].

فوســـائل فهـــم القـــرآن حـــسب السيد رشيد رضا : فنون العربية، اصطلاحات الأصول وقواعده، قواعد النحو والمعاني، معرفة الكون وسنن الله فيه، والروايات المأثورة عن النبي-صلى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعين[3].

أمـــا مـــا لا يتم التفسير إلا به: فهم حقائق الألفاظ المفردة، الأساليب العربية، علم أحوال البشر، العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن، العلم بسيرة النبي وأصحابه[4].

وجلي حجم الإضافة التجديدية في طرح صاحب المنار بإشارته لمعرفة الكون وأحوال البشر والـــسنن الإلهية والهداية القرآنية، ويبدو في طرحه مستفيدا من الشاطبي، فهذه الأدوات هي إعادة صـــياغة لما لخصه صاحب الموافقات في القسمين الثالث والرابع [5]. مع ملاحظة أنه لم يشر لعلوم القرآن وبقية العلوم الشرعية عدا أصول الفقه والسيرة.

ولعل أدق طرح لأدوات التفسير ما لخصه الإمام الإبراهيمي في مقدمته لتفسير ابن باديس، حيث قال أن فهم القرآن وتفسيره " يتوقف بعد القريحة الصافية والذهن النير على التعمق في أسرار البيان العربي، والتفقه لروح السنة المحمدية المبينة لمقاصد القرآن، الشارحة لأغراضه بالقول والعمل،

---

1 - رشيد رضا، المنار، 1/7.
2 - نفسه، 1/ 21.
3 - نفسه، 1/ 7.
4 - رشيد رضا، المنار، 1/ 21.
5 - راجع تقسيم الشاطبي، ص 49.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والاطلاع الواسع على فهوم علماء القرون الثلاثة الفاضلة. ثم على التأمل في سنن الله في الكائنات، ودراسة ما تنتجه العلوم الاختبارية من كشف لتلك السنن وعجائبها[1].

لقـــد أبـــدع الشيخ البشير في استثمار ما قاله السابقون وتوظيف إضافات الشاطبي ورشيد رضـــا، في قالـــب علمي دقيق ولغوي أنيق. كما استحضر ما ركز عليه السيوطي (علم الموهبة والغزالي (صفاء القلب والتدبر والتجرد) معبرا بالقريحة الصافية والذهن النير، ومبتدءا به كأساس لحسن توظيف واستثمار بقية الأدوات. ثم ذكر اللغة والحديث وإنتاج السابقين مؤكدا على كون اجتهاداتهم فهوما للنص، وخاتما بذكر السنن التي هي خلاصة مطالعة التاريخ واستحضاره بما فيه سير الأنبياء وسيرة نبينا –صلّى الله عليه وسلّم- وأصحابه – رضي الله عنهم . ليضيف أداة مهمة أغفلـــها السابقون، بل وشنع بعضهم على من وظفها.[2] وأقصد نتائج العلوم الاختبارية الكاشفة للسنن الإلهية في مجالها.

مـــن المهم أن يستفيد مفسر القرآن الكريم من المعارف والعلوم اللغوية والشرعية، لكن من الإجحاف أن يقصي المعرفة الإنسانية وإضافتها الموضوعية دون انبهار ولا تحيز. هذا وتبقى بعض الإشارات لأدوات معظمها يتعلق بالقابليات الذاتية للمفسر أو الواقع المعيش.

فباقـــر الـــصدر يشير لحاجة المفسر لخلفية معرفية وفلسفية مع استحضار الواقع لاستنطاق النص.[3] والنبهان يؤكد على أهمية توظيف المفسر لتجربته الذاتية مع سعة الأفق ونقاء الفهم.[4]

ويحتاج المفسر إلى حس مرهف وذوق سليم كما يقول الجبوري.[1]

---

1 - البشير الإبراهيمي، مقدمة مجالس التذكير، ص 17.

2 - راجع مثلا تعليق الشاطبي على الرازي وابن رشد في الموافقات، 221/3.

3 - باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص 19، 21.

4 - فاروق النبهان، مقدمة في الدراسات القرآنية، ص 97، 105.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويحتاج لكثير من التدبر وحساسية التأمل والنظر الاجتهادي.[2]

أمـــا د.بوكعـــباش فيركـــز على المعرفة والواقع والخبرات الإنسانية المتوفرة كأدوات مهمة للتفسير.[3]

أمـــا الأسعد بن علي فيشير لاستنطاق النص كأداة للفهم، مع استحضار التصورات السابقة للمفسر واستعداده الروحي المعنوي مع قابليات فكرية ومعرفية[4] .

ونختم بإبراهيم الأبياري الذي يؤكد على ضرورة خلو المفسر من جملة المعاصي والآثام التي تشكل حجـــبا وموانـــع لفهم الوحي ، يقول: " إعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب دنيا أو هو مصر على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق، ويعتمد على قول مفسر آخر ليس عنده علم أو راجع إلى معقوله وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض"[5].

التصنيف المعتمد:

والآن، وعلى ضوء ما استعرضته من آراء القدامى والمحدثين حول أدوات التفسير، سأحاول تركيب التقسيم الذي أراه محوصلا لكل ذلك، وذلك في ضوء ما يلي:

---

1 - عطية الجبوري، دراسات في التفسير ورجاله، ص 21.
2 - نفسه، ص 5، 31، 34.
3 - د. عبد الحميد بوكعباش، التفسير والمعرفة الحديثة، ص 1، 7.
4 - الأسعد بن علي، نسبية المعرفة الدينية، ص 41، 42.
5 - إبراهيم الأبياري، الموسوعة القرآنية، ص 21.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1- أدوات التفسير – في تصوري- يجب أن تنطلق من مصطلح "الأداة" لا مجرد صفة العلم التي تضعف العلاقة بينها وبين العملية التفسيرية، فبدل أن أقول علوم اللغة أفضل تعبير "الأدوات اللغوية" مثلا.

2- صنفت أدوات التفسير إلى ثلاث أنواع :

أ) صنف يمثل العلوم والمعارف المحتاج إليها في التفسير، واخترت لها مصطلح "القبليات المعرفية"، أي المعارف السابقة للتفسير الواجب تحصيلها قبل البدء في العملية التفسيرية.

وقد أشار إلى هذا المعنى الشيخ ابن عاشور بوضوح في تعريفه لأدوات التفسير [1] . كما استخدمته الأستاذة سعاد كوريم في مقال لها بمجلة إسلامية المعرفة [2] .

ب) وصنف ثان يشمل علم الموهبة وما لحقه من معاني تتعلق بذات المفسر واستعداداته العقلية والنفسية وهي المرتبطة بالتأويل والنظر الاجتهادي، وقد اصطلحت عليها بـ "القابليات الذاتية"، وقد أشار لهذا المصطلح الأسعد بن علي، رغم أنه يخصص القابليات لما هو فكري عقلي معرفي، أما الروحيات فيسميها الاستعددات المعنوية. [3] .

ج) بقي صنف ثالث يشمل "الوسائط المنهجية" المستخدمة في التفسير، وقد أفردته بصنف لأنه يكاد يدخل في الصنفين من وجهين، فمناهج التفسير المستقرة يمكن عدها قبليات معرفية، أما ما لم يتشكل منها و لم يصرح به السابقون، فتكشف عنه استعدادات المفسر وقدراته العقلية والروحية أي " القبليات الذاتية".

---

1 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، 1/ 18 .

2 - سعاد كوريم، تفسير القرآن بالقرآن، ص 100.

3 - الأسعد بن علي، نسبية المعرفة الدينية، ص 42.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3- حاولت في تصنيفي هذا، عدم إقصاء أية إضافة للقدامى والمحدثين مع توضيح هام، وهو أنني لا أقصد أن يكون المفسر ملما بكل العلوم وإلا لم يتمكن أحد من تفسير كتاب الله، ولكنه مطالب بتحصيل الحد الكافي من التحكم في العلم – لا أدناه ولا أقصاه- بالقدر الذي يحتاجه في التفسير عموما، وفي كل مقطع تفسيري بعينه، والأكيد أنه ستغلب عليه ميولاته وتخصصاته المعرفية، وستظهر بجلاء في عمله التفسيري.

4- ما أعرضه هنا أعتبره تجميعا وإعادة تصنيف وتبويب لأدوات التفسير، لا جهدا نهائيا، بحكم صعوبة ذلك خاصة فيما يتعلق بالقابليات الذاتية والوسائط المنهجية، فأما الجانب المعرفي فقد تكفل الزمن بتشكيله وتيسير التحكم في تصنيفه.

5- بقي صنف أخير لم أذكره، وهو ما يتعلق بما يجب أن يحتاط ويحذر منه المفسر من معاصي وآثام، وقد وظفت اصطلاح علماء الأصول والمقاصد في تصنيف المصالح الشرعية إلى ما يحفظ الكليات الخمس من جانب الوجود ومن جانب العدم.

فلذا – وبلغة الأصول والمقاصد- الأصناف الثلاث السابقة تعد أدوات للتفسير من جانب الوجود، أي توجد التفسير وممارسته، أما المحاذير والحجب هي أدوات للتفسير من جانب العدم، أي أن السلامة منها ضامن لاستمرار العطاء التفسيري بتوفيق إلهي وتحفز ذاتي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في ضوء هذه المداخل التأسيسية أصنف –وبالله التوفيق- الأدوات التفسيرية كالتالي:

أولا- من جانب الوجود

1- القبليات المعرفية (الأدوات المعرفية):

وتشمل المعارف والعلوم الضرورية لتفسير نصوص القرآن على تفاوت بين حجم الحاجة إليها:

أ) **المعارف التفسيرية:** وتتضمن التراث التفسيري أي إنتاج السابقين وتفسيراتهم، كما تتضمن علوم التفسير وأصوله التي لا تكاد تخرج عن علوم القرآن، بل هي نفسها عند بعضهم[1].

ب) **المعـــارف الـــشرعية:** وأقصد بقية المعارف عدا علوم التفسير من علوم العقيدة والشريعة والأخــــلاق، أصـــولها وفروعها. وقد اكتفى السابقون منها بالتوحيد وأصول الفقه.ولكني أراها -جميعا- خادمة للعملية التفسيرية ما دامت كلها متضمنة في الخطاب القرآني.

ج) **المعـــارف التاريخية** : وقد آثرت هذا التعميم ليضم شتات المعارف الراصدة لتاريخ عصر التتريل والنبوة (السيرة) وتاريخ السلف والخلف، وحتى تاريخ البشرية في حدود ما يحتاجه التفسير، وفي حدود الدقة والضبط، خاصة فيما يتعلق بتاريخ الأمم الأخرى وتصنيفات أهلها.

د) **المعـــارف الكونية:** وقد بدأت "مرفوضة" في شكل علم الهيئة عند الرازي، وبعض قضايا الكـــلام والإعجـــاز، ثم صارت أداة هامة –عند المعاصرين- لكونها كاشفة عن السنن الإلهية عبر نتائج العلوم الاختبارية [2].

هـــ) **المعارف الإنسانية:** وأقصد بها مختلف العلوم الإنسانية كعلم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد...، وقد صارت ذات أهمية معرفية جمة لا غنى للتفسير عنها في عصرنا الحديث، لا من

---

1 - أحمد عبد الغفار، التفسير والنص، ص 19.

2 - راجع رشيد رضا، المنار،7/1، 21، الإبراهيمي، مقدمة المجالس، ص 17.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

باب الانبهار والتبعية للغرب كما يظن البعض، ولكن من باب المنهجية العلمية في التفسير والعلوم الـــشرعية، وإذا لم نصل بعد إلى تشكيل معارفنا الأصيلة الذاتية، فلا مناص من الإفادة من الخبرات الإنـــسانية في هذا المجال مع تحفظات تصورية طبعا في إطار مبدأ : تهذيب الموجود إلى حين إيجاد المفقود.

مجمـــوع هذه المعارف كان حاضرا – بنسب متفاوتة- في الجهود التفسيرية عبر التاريخ ولو دون تصريح ووضوح، لكنه كان دوما مفتاحا مهما لنجاح التفسير في سد حاجة العصر وتصديق هيمنة الوحي على الواقع وصلاحية الشريعة للتطبيق في كل زمان ومكان وإنسان.

2- الوسائط المنهجية (الأدوات المنهجية)

ورغم اعترافي بعدم التشكل التام لها في تصوري، إلا أنها تشمل مبدئيا:

أ- معـــرفة مناهج التفسير والمفسرين المسطرة في الدراسات القرآنية والمتداولة كالمنهج الأثري والعقلي والفقهي... [1] .

ب- استخراج المناهج المستبطنة في الأعمال التفسيرية وإن لم يصرح بها أصحابها.

ج- استحـــضار تلـــك المــــناهج الصريحة والمستبطنة خلال العملية التفسيرية وحسن توظيفها واستثمارها لتحقيق أغراض التفسير عبرها.

د- الإفادة المتكاملة من تلك المناهج حسب سياق التفسير وموضوع المقطع أو السورة .

هـــ- احترام نسق منهجي موحد في التفسير، وحسن استحضاره وتوظيفه واستثماره.

---

1 - انظر تفصيل المناهج في المبحث الموالي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و- امـــتلاك القدر الكافي من الشجاعة "المنهجية" والمعرفية لتبني نتائج النظر المنهجي في حدود طاقة النص ومشروعية النتاج وصلاحيته، والخروج من أسر النقل المجرد لإنتاج السابقين.

ولن أفيض هنا في الحديث عن المناهج لأني سأعود إليها في مبحث خاص.

3- القابليات الذاتية (الأدوات الذاتية).

وهـــي مـــا اختصره السيوطي في إسم "علم الموهبة" وعبر عنه المعاصرون بالنظر الاجتهادي والتأمل، والعلم اللدني والإلهام الرباني[1] وتعود معانيه إلى مصطلح " التأويل".

وجمعـــا بين المعاني، يمكن تسميتها بـــ " المواهب التأويلية"، وهي ما امتلكه ترجمان القرآني عبد الله بن عباس – رضي الله عنه- كثمرة سننية لاجتهاده الذاتي وسعيه لتملك أدوات التفسير، وببركة دعاء النبي –صلّى الله عليه وسلّم- له:**"اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل".**[2] وهو من قال عنه سيدنا عمر- رضي الله عنه- " ذاكم فتى الكهول، إن له لسانا سؤولا وقلبا عقولا"[3].

وفي حـــدود فهمـــي التقابلي للنصين، فقد رزق الله ابن عباس موهبة التأويل لما حرك قلبه العقـــول لينظر ويجتهد كل ذلك بعد أن وظف لسانه السؤول عما يحتاجه ومعارف شرعية وغير شـــرعية (كـــسؤاله لأهل الكتاب)، وهذا سر نبوغه وليس مجرد التفسير (التقليدي المتداول في الكـــتب دون تفـــصيل غالبا، عبر قولهم أنه بلغ ما بلغ ببركة دعاء النبي –صلّى الله عليه وسلّم-

---

1 - عفت الشرقاوي، قضايا إنسانية في أعمال المفسرين، ص 42.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ " اللهم فقهه في الدين"، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، ح 143. أما زيادة و"علمه التأويل" فأخرجها الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ح 6280. وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. وانظر مسند أحمد، مسند أهل البيت، مسند ابن عباس وصحيح بن حبان، كتاب إخباره عن مناقب الصحابة، ذكر دعاء النبي لابن عباس ح 7055، ومصنف ابن أبي شيبة، كتاب الفضائل.

3 - ذكر هذا الأثر عن سيدنا عمر بن الخطاب الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح الصحيح كتاب التفسير، ح 4686. عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال المهاجرون لعمر ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس، فقال ذلك ... وذكره الحاكم في المستدرك بنفس اللفظ، كتاب معرفة الصحابة، ذكر فضائل الأمة بعد الصحابة والتابعين ح 6298.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولست أنكر ذلك، فلا أعظم من دعاء النبي –صلّى الله عليه وسلّم- ، لكن ابن عباس حقق الدعاء وصدقه بسلوكه في حياته، ولم يقف مكتوف اليدين ينتظر الإلهام النازل من السماء !! ومثله فعل تلميذه الأبرز " مجاهد بن جبر" فاستمرت عبره بركة الدعاء النبوي وكان أستاذ المفسرين من بعده.

عودة للأدوات "المواهب التأويلية"، فقد صنفتها إلى خمس:

أ- المواهب العقلية: التي يمتلكها المفسر من قدرة على التدبر والتأمل والإقناع وإقامة الحجة والبرهان على ما يفسر به النص، وهو ما سماه أبو حيان بـ " القوة المفكرة"[1] .

ب- المواهب النفسية: وتشمل مجمل الطاقات والقدرات الروحية المعنوية التي تمنح المفسر الحساسية والشفافية والذوق السليم الناجم عن صدق وقوة واستمرارية التجرد لله والاتصال به وقد أشار إليها الغزالي وكثير من المعاصرين كما سبق في استعراض أقوالهم.

ج- المواهب القرآنية: وأقصد به مدى عكوف المفسر على قراءة كتاب الله وعيشه في ظلاله لاستحضار معانيه والوقوف على وجه هدايته عبر التعود على التفاعل مع نظمه وأساليبه .

د- المواهب الواقعية: وأعني بها قدرات المفسر على ملاحظة ما يدور حوله في الواقع وتفاعله معه، لتوظيفه في استقراء الواقع الاجتماعي والطبيعي واستلهام ما ينتظمه من سنن إلهية، عبر تجارب المفسر الذاتية، مع استحضار التجارب التاريخية القريبة والبعيدة، لا كمعارف فحسب بل كموجهات لحسن استقراء الواقع واستنطاقه بين يدي النص المفسر.

---

1 - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 6/1.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولعل هذا ما قصده باقر الصدر لما صور العملية التفسيرية كعملية استنطاق وحوار مع النص بوساطة الواقع.

هــــ- **خلفية المفسر:** كلما أحاط المفسر بالمعارف السابقة والمعاصرة، وكلما عايش واقعه أكثر كلما تشكلت له خلفية أوسع أفقا وأنفع أثرا في صناعة شخصيته التفسيرية؛ التي تعطي تفسيره مسحة خاصة تجعله وليد العصر وعلاجه لا مجرد ارتداد تاريخي تكراري لجهود الغير.

وعموما، فإن عالم " المواهب التأويلية" تحكمه قوانين وسنن غير متكشفة لنا بالشكل الدقيق الكافي لتفصيلها، ومن هنا يظهر الفارق المعرفي والمنهجي والتأثيري بين التفاسير والمفسرين.

ثانيا: أدوات التفسير من جانب العدم

كل ما سلف كفيل - إذا استحضر بحقه ومستحقه- بأن يمكن المفسر من "صناعة " التفسير، لكن التركيب الإلهي العجيب للنفس البشرية يفرض استحضار أبعاد أخرى أشد خفاء من المواهب التأويلية سالفة الذكر أقصد تلك الحصانة والمناعة التي يوفق الله -عز وجل- المفسر من خلالها للاستمرار على ذلك العطاء والدوام عليه، وعدم قطع سيله الاجتهادي بشواغل العبادة ومفسدات الأرواح ومكدرات النفوس والعقول، وكلها نابعة - من منظور تربوي تزكوي- من المعاصي صغائرها وكبائرها ولممها. وما لها من أثر عكسي يعدم القدرة على التفسير أصلا أو على الإبداع فيه والإضافة على نتاج السابقين. وهو المطلوب والمحتاج إليه.

وما أدل قول الشافعي على هذا، عبر شكواه المعرفية وتخريجها التربوي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي   فأرشدني إلى ترك المعاصي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال بــأن العلـــــم نـــــور ونور الله لا يهدى لعاصي[1].

فالتفسير نور من الله يقذفه في القلب التقي النقي المتجرد من كل معصية المتشبث بالفضائل، التائب المنيب المستغفر سليم القصد، يقول الزركشي " كتاب الله بحره عميق وفهمه دقيق لا يصل إلى فهمـــه إلا مـــن تبحـــر في العلوم، وعامل الله بتقواه، في السر والعلانية، وأجله عند مواقف الشبهات واللطائف والحقائق لا يفهمها إلا من ألقى السمع وهو شهيد..." [2] .

1 - محمد بن إدريس الشافعي ديوان الشافعي، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 3، 1426 هــ/2005م. قافية الصاد، ص70، والبيتان من بحر الوافر.

2 - الزركشي، البرهان، 2/ 153.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثاني: مناهج التفسير قبل العصر الحديث

مقدمـــــة:

إن الحـــديث عـــن مناهج التفسير حديث عن أدوات التفسير في الحقيقة، ولكن من منظور تاريخـــي، فمناهج التفسير هي تلكم التشكلات التاريخية لطرائق وتقنيات معينة في توظيف أدوات مخصوصة بكيفيات ما في تفسير القرآن الكريم كله أو بعضه.

فالتفسير – كأي علم- بدأ معارف متراكمة، ثم صار مع الزمن ينطلق من فكر مؤسس على منهج[1].

وإذا كـــان المفسِّر غالبا لا يصرح بمنهجه لكنه يكاد لا يخرج عنه في معظم مواضع تفسيره، وقـــد تصدى العلماء والباحثون لمناهج المفسرين إجمالا وتفصيلا ونظروا لها منذ بدأت الكتابة في علـــم التفسير وأصوله، وقد عرف د.العك أصول التفسير على أنها مناهجه، يقول: " وهكذا يتبين الفارق بين التفسير وأصوله، هو أن الأصول هي المناهج التي تحد وتبين الطريق الذي يلتزمه المفسر في تفسير الآيات الكريمة، وأما التفسير فهو إيضاحها مع التقيد بهذه المناهج"[2].

والحـــق أن هذا قصر غير مبرر لأصول التفسير التي تشمل إضافة إلى المناهج أدوات التفسير وقـــواعده وضـــوابطه ومباحثه الأخرى التي فصل فيها القدامى والمحدثون، ولو أن هذا العلم لم يتشكل معه تشكلا هيكليا واضحا موحدا لدى المصنفين.

---

1 - عفت الشرقاوي، قضايا إنسانية في أعمال المفسرين، ص 12.

2 - خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ/ 1986م، ص 30.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نعود للمقصود، ولا أريد في هذا المقام أن أكتفي بمجرد السرد التاريخي – على أهميته- لكن حاولت الجمع بين قراءة مفاهيمية سريعة ممزوجة بتتبع تاريخي يوضح المفاهيم المعروضة.

علـــى أني أؤكد على أن منهج القدامى كان منهجا تطبيقيا عمليا[1] خلاف المحدثين الذين تـــصدى بعضهم لاستكشاف المناهج المستنبطة في أعمال السلف، لكن التراكم الزمني نسبها لهم أصالة حتى صاروا بما يحاكمون إليها ويحاسبون على مخالفتها وكأنهم صرحوا بها أو ألزموا أنفسهم بها، وقد وقع ذلك في مختلف العلوم الإسلامية خاصة في علم الحديث [2].

ضبط المفاهيم :

وقبل الاستعراض التفصيلي، لا بد من ضبط المقصود بالمنهج وتفريقه عن "الاتجاه".

و لم اطلـــع –بداية- على من اهتم بالتفريق بين المنهج والاتجاه، عدا الدكتور محمد إبراهيم شريف والدكتور فهد الرومي؛

فالدكـــتور شريف في دراسته القيمة: " اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر" يـــرى أن الاتجـــاه التفـــسيري "مجموعة الآراء والأفكار والنظرات والمباحث التي تشيع في عمل فكري-كالتفسير- بصورة أوضح من غيرها، وتكون غالبة على ما سواها، ويحكمها إطار نظري أو فكرة كلية تعكس بصدق مصدر الثقافة التي تأثر بها صاحب التفسير ولونت تفسيره بلونها ".[3]

1 - عفت الشرقاوي، قضايا إنسانية، ص 12.

2 - راجع مثلا الإشارة المهمة لمحاكمة المحدثين النقاد إلى المناهج المستنبطة من عملهم في مؤلفات الدكتور المليباري. ينظر مثلا: حمزة بن عبد الله المليباري: الموازنة بين المتقدمين والمتأخرين في تصحيح الأحاديث وتعليلها، ط 2، 1422هـ/2001م، ص234.

3 - محمد إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في العصر الحديث، ص63.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمـــا المـــنهج فهو تلك النزعات والتيارات والروافد التي ينصبغ بها التفسير، والتي قد يحملها الاتجـــاه الـــواحد[1]؛ فهو "الوسيلة المحققة لغاية الاتجاه التفسيري والوعاء الذي يحتوي أفكار هذا الاتجاه التفسيري أو ذاك"[2].

ويقـــر د.شـــريف بـــصعوبة التفريق بين المصطلحين" فلقد تلتبس فكرة المنهج والطريقة في التفسير – على خصوصيتها بصاحبها- كثيرا بفكرة الاتجاه التفسيري على عموميتها، وما زلنا نقرأ لمتخصصين في هذا الميدان القرآني – ونسمع أيضا - من يخلط بين مدلولي المصطلحين فيطلق لفظ هذا على مدلول ذاك أو يطلقهما معا على مفهوم بعينه"[3].

وأنـــا أتفـــق كليا مع الدكتور شريف فيما قال، وأثّمن تأكيده على أن التفسير عمل فكري يحتاج خلفية تصورية، لكنه ذكر طائفة من المصطلحات المتقاربة: منهج، تيار، نزعة، رافد، صبغة، لون،... ربما لقصد التوضيح والشرح، كما أنه أكد على أن المنهج وسيلة أي أداة تفسيرية. لكنه لم يوضـــح العلاقـــة بـــين المـــنهج والطريقة، ويبدو من خلال قراءة كتابه أنه يعتبر الطريقة تلك الأســـاليب والأشـــكال والقـــوالب الفنـــية التي تعرف بها المادة التفسيرية، كالطريقة الموضوعية والتقليدية[4].

---

1 - محمد إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في العصر الحديث، ص64.
2 - نفسه، ص68.
3 - نفسه، ص67.
4 - نفسه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمـــا الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي في دراسته المطولة اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر[1]، فيذكر بداية أنه لم يطلع على تقسيم[2].

يقول د/فهد :"والحقيقة أن تلكم الكلمات الثلاث (منهج، اتجاه، طريقة) لم أجد لها - فيما قرأت- ذكرا عند أصحاب الدراسات القرآنية الأوائل، وحتى أصحابها في العصر الحديث لا تكاد تجد اتفاقا على معنى واحد لكل منها، ولهذا ترى كثيرا منهم يعبر بهذه الكلمة مرة وبالأخرى مرة عن مدلول واحد، وترى آخرين منهم يذكرون تعريفا لكل مصطلح منها ويذكر غيرهم غيره"[3].

ثم بـــين معـــنى كل منها، فالاتجاه عنده هو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلـــونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون، أما المنهج فهو السبيل التي تؤدي إلى هذا الهدف المرسوم، وأما الطريقة فهي الأسلوب الذي يطرقه المفسر عند سلوكه للمنهج المؤدي إلى الهدف أو الاتجاه[4].

ثم وضح ذلك بمثالين؛ أول مادي وثاني علمي[5].

ويكـــاد يكون نفس تقسيم الدكتور شريف، مع اختلاف تسمية الطريقة والأسلوب، ومع ملاحظة عمق طرح الدكتور شريف مقابل بساطة طرح الدكتور فهد الرومي.

لكـــن الملاحـــظ أن الدكتور الرومي لم يلتزم بالمصطلحات التي قررها في تقسيمه وتفصيله لمناهج التفسير واتجاهاته؛ فهو بداية يقسّم الاتجاهات التفسيرية إلى خمسة، أحدها منهج!.

---

1 - فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، وأصل الكتاب رسالة دكتوراه نوقشت بكلية أصول الدين، جامعة محمد بن سعود، إشراف د.محمد مصطفى مسلم محمد.

2 - رغم أنه رجع للدكتور شريف في رسالته، لكنه لم يشر لتقسيمه.

3 - فهد الرومي، اتجاهات التفسير، 22/1.

4 - نفسه.

5 - نفسه، 22/1، 23

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم يضيف اتجاهين على تقسيم الدكتور شريف، كلاهما لا يصدق عليه اسم الاتجاه، فالاتجاه العقائدي -الذي صنفه إلى مناهج السنة والشيعة والإباضية والصوفية – تصنيف مذهبي لا علمي، ويتداخل كثيرا مع بقية المناهج، فكون المفسر سنيا أوشيعيا أو صوفيا لا يعنينا من الناحية المنهجية بل لا ينطبق عليه المفهوم أصلا. وهذا حكم معياري معين في ضبط التعامل مع التفسير، ثم قد يكون التفسير على سنيته أو تشيعه، علميا أو اجتماعيا أو أدبيا... وكذا تصنيفه للاتجاهات المنحرفة حكم معياري أيضا، فالانحراف ليس توجها ولا منهجا ليصفه بذلك.

أما اللون اللامنهجي فتقسيم جيد يصلح مقابلا للاتجاهات المنهجية الأخرى. وكان الأولى لو احتفظ بالتقسيم الثلاثي (علمي، اجتماعي، أدبي) وداخل كل اتجاه مناهج، وداخل المنهج الواحد تفاسير عدة يمكن تصنيفها آنذاك إلى تفسير مسلم سني أو شيعي أو صوفي...، أو تفسير إلحادي وداخل التفاسير الإسلامية هناك تفاسير متخصصة أو قاصرة، ثم يختم بالألوان اللامنهجية.

وعلى كلّ يبقى جهد الدكتور فهد الرومي اجتهادا معتبرا في مجال لم يضبط مفاهيمه ومنهجه بعد. وما هذا العنصر إلا محاولة جديدة للإضافة تسعى لتكون اجتهادا مضيفا لا مجرد جهد مضاف لتراكم النقول في تراثنا التفسيري خصوصا والمعرفي عموما.

ملاحظة : تجدر الإشارة إلى أن الدكتور فهد يتحدث عن اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر هجري، أي في العصر الحديث، لكني وقفت عند تقسيمه وقفة منهجية عند المصطلحات، لغرض البحث، أما المضمون فأعود إليه في المبحث الموالي: اتجاهات التفسير في العصر الحديث.

وعطفا على كل ذلك، أفضل هنا أسلوب السؤال المعرفي؛

فالمنهج جواب عن سؤال: كيف أستعمل أدوات التفسير ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تلكم الأدوات التي يسأل عنها بـــ: ماذا أستعمل لأفسر القرآن؟

فإذا سألت: ما ثمرة استعمالي تلك الأدوات؟ فالجواب "مادة تفسيرية".

والـــسؤال : لماذا أستعمل تلك الأدوات، بتلكم المناهج؟ بل لماذا أفسر أصلا؟ وإلى أين يصل بي التفسير؟ يجاب عنه بـــ "الاتجاه التفسيري".

أما الطرائق أو أساليب العرض فهي جواب عن سؤال: كيف أعرض مادتي؟ فالطريقة إذن كيف شكلي "عرضي" خلاف المنهج الذي هو كيف تقني بحثي.

ويكـــون خلاصة نتاج المفسر "مشروعا تفسيريا" فإذا كان له تلاميذ وأنصار يتبعون نسقه شكلوا "مدرسة تفسيرية" أو "خطا في التفسير".

أما خلاصة ما يتعلق بالأدوات والمناهج والنتاج فهو ما أصطلح عليه بـــ "العملية التفسيرية".

وأشير هنا إلى جملة اصطلاحات لدى بعض الدارسين والمفسرين:

فالسيد محمد رشيد رضا يلخص مناهج المفسرين في ثمانية أنواع سماها "وجوه التفسير"[1].

أما الشيخ الابراهيمي في مقدمة تفسير ابن باديس، فيفرّق بين الطرائق والأساليب إذ يقول:

" وللمفسرين من عهد التدوين إلى الآن طرائق في فهم القرآن، وأساليب في كتابة تفسيره.

وأما الأساليب فقلما تختلف إلا في بعض العصور، حيث تختلف الأساليب الأدبية فتنحط أو تعلو، فيسري التطور منها إلى الأساليب العلمية، وأما الطرائق فإنها تختلف باختلاف الاختصاص في المفسرين والعلوم التي غلبت عليهم وعرفوا بها"[2].

---

1 - محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 17/1.

2 - محمد البشير الإبراهيمي، مقدمة مجالس التذكير لابن باديس، ص17، 18.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالشيخ البشير يجعل الأساليب ألصق بالبيان والعرض التعبيري، والطرائق مرتبطة بالمعارف والتخصصات، أي المناهج التفسيرية التي لخصها في سبع طرائق نعود إليها في حينها.

استعراض وتصنيف:

وبعد ضبط الاصطلاحات، أستعرض الآن أهم التصنيفات والتقسيمات التي اطلعت عليها، وقد تعددت باختلاف زاوية النظر:

1- من منظور تاريخي:

وهو التقسيم المتداول قديما، إذ تصنف التفاسير حسب تاريخها إلى طبقات وعصور ومئات، ولعل أقدم رصد تاريخي لها هو كتاب السيوطي، طبقات المفسرين[1].

يقول محقق الكتاب: "... غير أن تراجم علماء التفسير ظلت مبثوثة في ثنايا كتب التاريخ أو الأدب والطبقات المختلفة، لا يجمعها كتاب واحد كمثيلاتها من تراجم الحفاظ والمحدثين والنحاة والأدباء والشعراء، حتى جاء الحافظ جلال الدين السيوطي فوضع كتابه طبقات المفسرين"[2].

ويعتبر السيوطي أول من ألف في هذا الفن. وهو ما يصرح به السيوطي نفسه في مقدمة كتابه إذ يقول: "هذا المجموع فيه طبقات المفسرين، إذ لم أجد من اعتنى بإفرادهم كما اعتنى بإفراد المحدثين والفقهاء والنحاة وغيرهم"[3].

---

1 - جلال الدين السيوطي، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1396هـ/1976م

2 - جلال الدين السيوطي، طبقات المفسرين، ص6.

3 - جلال الدين السيوطي، طبقات المفسرين، ص21.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد جمع السيوطي في كتابه ترجمة سريعة لمئة وست وثلاثين مفسرا مبينا في مقدمته أنهم على أربعة أنواع تؤول إلى ثلاثة:

1-المفسرون من السلف.

2-المفسرون من المحدّثين (التفاسير المسندة).

3-بقية المفسرين من علماء أهل السنة الذين ضموا إلى التفسير التأويل والكلام على معاني القرآن وأحكامه وإعرابه...

4-من صنف تفسيرا من المبتدعة كالشيعة وأقرانهم، كالزمخشري والرماني والجبائي[1].

ورغم أهمية هذا التقسيم إلا أن السيوطي لم يوظفه في تصنيفه واكتفى بالسرد التاريخي، لذلك أرى أن يصنف جهده في إطار تاريخ التفسير لا مناهج المفسرين.

ثم تنوقل هذا التقسيم مع توسع أو اختصار، مع التركيز دوما على تفاسير الصحابة، والتابعين وتابعي التابعين... [2]

وقد يعرض البعض للمفسرين حسب القرون، كما لخص ذلك المقدم لتفسير الطبرسي"أحمد رضا"[3]؛ فالمائة الأولى اشتهر فيها (الإمام علي وابن عباس وابن مسعود وأبيّ بن كعب...)، ثم التابعون وأشهرهم تلاميذ ابن عباس: (مجاهد بن جبر، سعيد بن جبير، ...) ثم المائة الثانية وأشهر مفسريها (الجعفي وشعبة وسفيان ومقاتل والواقدي...) المائة الثالثة وأشهر مفسريها

---

1 - نفسه، ص21.

2 - يراجع مثلا: الزرقاني، مناهل العرفان، 14/1 وما بعدها.

3 - أحمد رضا، مقدمة تفسير الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: السيد هاشم الرسول المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ/1986م، 1/68.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطـــبري. المائـــة الـــرابعة (النيسابوري، الرماني، العسكري، أبو حيان...) المائة الخامسة وأشهر مفـــسريها (الطوســـي، الـــشريف الرضي، الجويني، الثعالبي...) المائة السادسة أشهر مفسريها (الزمخـــشري، الطبرسي، البغوي...) المائة السابعة (البيضاوي، ابن العربي، ابن عقيل النحوي...) المائـــة الثامـــنة (الزركـــشي، ابن كثير، أبو حيان، ابن عرفة....) المائة التاسعة (البقاعي، ابن الحاجب، ابن جماعة، السيوطي...) المائة العاشرة (أبو السعود العمادي، أبو زكريا الانصاري...) المائـــة الحاديـــة عشر(حسن البوريني، بهاء الدين العاملي، خير الدين الرملي، شهاب الخفاجي...) المائـــة الثانية عشر (عبد الغني النابلسي، هاشم البحراني....) المائة الثالثة عشر (الآلوسي، محمود الحمزاوي، ...) المائة الرابعة عشر (محمد عبده، رشيد رضا..)

والحق أن هذا الاستعراض مفيد جدا في التتبع التاريخي للأعمال التفسيرية، لكنه قد لا يكون كثير النفع من الناحية المنهجية.

وقـــد لخـــص د.غنايم طبقات المفسرين في ثمانية محطات تاريخية، لكن من منظور تخصصي، والطـــبقات التي ذكرها: الصحابة، التابعون، تابعو التابعين، أهل التدوين، المحدثون والفقهاء، أهل الرأي، أهل العلوم، الُمحدَثون [1].

وهـــذا مـــزج غـــير دقيق ولا متناسق، فيه تكلف واضح في جعل أهل كل عصر أو مائة أصحاب تخصص مشترك.

---

1 - محمد نبيل غنايم، دراسات في التفسير، ص29.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويقـــدم الدكـــتور عفت الشرقاوي تقسيما يجمع بين المرحلية التاريخية، والتصنيف المنهجي لنتاج كل مرحلة، فيعتبر أن التفسير مرّ بأربعة مراحل: مرحلة التفسير العملي ثم النظري ثم مرحلة الركود ثم مرحلة التفسير التطبيقي [(1)].

2- من منظور مضاميني:

وهـــو التقـــسيم الأشهر، بأن تصنف التفاسير حسب العلم الغالب على مضمون التفسير، والذي هو اختصاص المفسر وميوله غالبا.

وقد اصطلح عليها محمد رشيد رضا "وجوه التفسير" وحصرها في ثمانية: النظر في أساليب الكـــتاب ومعانـــيه، الإعراب، تتبع القصص، غريب القرآن، الأحكام الشرعية، الكلام في أصول العقائد ومقارعة الزائفين ومحاجة المخالفين، المواعظ والرقائق، الإشارة. [(2)]

أما الشيخ الابراهيمي في مقدمة تفسير ابن باديس فيحصرها في سبع طرائق: المحدّثون، مقلدة المذاهب، المتكلمون في معاني القرآن، الإخباريون، أصحاب المذاهب العقلية، النحاة والباحثون في أسرار التراكيب[(3)].

وهـــنا يظهر جليا أثر أدوات التفسير في تاريخه وخاصة علوم الحديث والفقه والعقيدة واللغة والـــتاريخ التي التصقت تاريخيا ومنهجيا بالتفسير وكانت ولا تزال أداته من جهة وثمرته كأحكام وحكم من جهة ثانية.

3- من منظور مذهبي تصوري: أي أن تصنف التفاسير حسب مذاهب وديانات وملل أصحابها.

---

1 - عفت الشرقاوي، قضايا إنسانية، ص12،13.
2 - رشيد رضا، المنار، 17/1.
3 - الإبراهيمي، مقدمة المجالس، ص17، 18.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد كان يشير إليها القدامى على مذهبين، أهل السنة، والمبتدعة كما فعل السيوطي[1].

وقد وظفها الدكتور فهد الرومي مفصّلة كاتجاهات ومناهج تفسيرية.

فقد صنف التفاسير إلى :

1-اتجاه عقائدي ويضم أهل السنة، منهج الشيعة، منهج الإباضية، منهج الصوفية.

2-الاتجاهات العلمية وتشمل المنهج الفقهي والأثري والعلمي التجريي.

3-منهج المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة ويقصد بها مدرسة المنار.

4-الاتجاه الأدبي وضمنه المنهج البياني ومنهج التذوق الأدبي.

5-الاتجاهات المنحرفة وتشمل المنهج الإلحادي، منهج القاصرين واللون اللامنهجي.[2]

-وحسب تصوري- فإن تصنيف التفاسير مذهبيا تقييم لا تقسيم، فالسنية والتشيع والإباضية والتصوف والإلحاد والانحراف والقصور كلها وأمثالها تصورات ومذهبيات واختيارات وأحوال وليست مناهج تفسيرية تجمع أهل كل ملة على طرائق معينة في تفسير كتاب الله. فإقحامها في مثل هذه الدراسات تكلف وتحكم زائد، وحكم مسبق على كيفية الاستفادة منها. ولو كان الدكتور فهد اكتفى بالأقسام الثلاثة (علمي، اجتماعي، أدبي) كاتجاهات وضمنها المناهج التابعة لها لكان أفضل، ثم داخل كل منهج يمكنه تصنيف التفاسير حسب مذهبياتها.

وغير بعيد عن هذا تقسيم السيد رشيد رضا والإبراهيمي التفاسير إلى مقرّبة من فهم القرآن ومبعدة عنه.

1 - السيوطي، طبقات المفسرين، ص21.

2 - فهد الرومي، اتجاهات التفسير، 22/1.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول صاحب المنار: "فعلم مما ذكرنا أن التفسير قسمان : أحدهما جاف مبعد عن الله وعن كتابه، وهو ما يقصد به حل الألفاظ وإعراب الجمل وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإشارات حتى النكت الفنية، وهذا لا ينبغي أن يسمى تفسيرا، وإنما هو ضرب من التمرين في الفنون كالنحو والمعاني وغيرهما.

وثانيهما وهو التفسير الذي قلنا إنه يجب على الناس على أنه فرض كفاية. وهو الذي يستجمع تلك الشروط لأجل أن تستعمل لغايتها، وهو ذهاب المفسر إلى فهم المراد من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح، ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام ليتحقق فيه معنى قوله "هدى ورحمة"[1] ونحوهما من الأوصاف، فالمقصد الحقيقي وراء كل تلك الشروط والفنون هو الاهتداء بالقرآن"[2].

أما الإبراهيمي فبعد أن استعرض طرائق المفسرين قال: "أما المفسرون الذين يصدق عليهم هذا الوصف فهم الذين يشرحون بحق فقه القرآن ويستثيرون أسراره وحكمه، معتمدين على القرآن نفسه، وعلى السنة، وعلى البيان العربي"[3].

فرشيد رضا والإبراهيمي يصنفان التفاسير تصنيفا تقييميا يحكم حكما قاسيا على جمع غفير من التفاسير بأنها غير ذات فائدة، وأنها جافة مبعدة عن الله وكتابه.

---

1 - تكرر ارتباط الهدى بالرحمة في القرآن الكريم ثلاثة عشر مرة، وذلك في السور التالية: الأنعام: 152 ، 157 ، الأعراف: 52 ، 154 ، 203. يونس 57. يوسف 111. النحل 64 ، 89. النمل 77. القصص 43 .لقمان 3 . الجاثية 20.

راجع محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط1364هـ، مادة رحم ص304-309، مادة هدى 731-735.

2 - رشيد رضا، المنار، 24/1 ، 25.

3 - الإبراهيمي، مقدمة المجالس، ص19.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذا حكم لا يسلم به على إطلاقه. فالناظر في تلك التفاسير لن يجدها مجرد تطبيقات لغوية جافــة، لكــنه سيجد بين ثنايا تلك التطبيقات أسرارا وحكما تبرز هداية القرآن التي يبحث عنها صاحبا المنار والمجالس.

وبــنفس القـــسوة يحاكم سعيد حوى المفسّر إلى الثمرة المترتبة عن تفسيره ويقول : "وأما بالنـــسبة للتفـــسير، فإذا لم تخدم قضية الإيمان فيه في عصرنا المادي الشهواني فكأن المفسر لم يفعل شيئا" [1].

4- من منظور منهجي:

أي أن تقـــسم التفاسير وتصنف حسب المنهج الذي اتبعه المفسر في تفسيره. وأميز هنا بين نمطـــين مـــن النظر المنهجي، فقد ينظر إلى منهجية عرض المادة التفسيرية، أو إلى منهجية البحث التفسيري.

أ) أما منهجية العرض: فتشمل المنهج التحليلي والموضوعي، وقد أفاض المحدَثون في الحديث عن المنهجين في كتبهم. والمتتبع للمسار التاريخي للتفسير يجد التفاسير القديمة جلها – حتى لا أقول كلــها- تحليلية[2]، أما المنهج الموضوعي فهو طرح منهجي حديث يبدأ فيه عمل المفسر من الواقع ليـــسأل والقرآن يجيب[3]، خلافا للمنهج التجزيئي، كما يسميه السيد محمد باقر الصدر[4]، الذي يكتفي باستبدال المفردات[5].

---

1 - سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 1405هـ/1985م، 13/1.
2 - ملامح المنهج الموضوعي قديمة، بدأت مع تفسير القرآن بالقرآن، وابن تيمية نموذج في هذا المجال.
3 - محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص19.
4 - نفسه، ص10.
5 - نفسه، ص14.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن هذا المنطلق يعتبر الصدر الفقه "كعلم" جزءا من التفسير الموضوعي، لذلك يرى أن الاتجاه الموضوعي سيطر على الساحة الفقهية، بينما سيطر الاتجاه التجزيئي على الساحة القرآنية[1].

هذا وتجدر الإشارة هنا إلى التقسيم الرباعي لمناهج عرض المادة التفسيرية الذي اعتمده د.محمد إبراهيم شريف: المنهج التقليدي القديم، المنهج الموضوعي، المنهج الموضوعي التقليدي، منهج المقالة التفسيرية[2]. ومن خلال شرحه لهذه المناهج[3] نتبين معيار تصنيفه؛ فالمنهج التقليدي يقصد به التحليلي، والمزيج بين التقليدي والموضوعي يقصد به من يقف عند القرآن تحليليا آية آية، أو مقطعا مقطعا لكنه في كل موضع يستحضر الموضوع في القرآن فيتحول إلى موضوعي، ويمثل له بتفسير الشيخ شلتوت[4].

أما المقالة التفسيرية[5] فهي أشبه ما تكون بدراسة قرآنية تركز على آية أو موضوع معين دون التزام بتتبع الموضوع قرآنيا، ولا بعناصر المنهج التحليلي للآية وكل متعلقاتها ...

ب) أما النمط الثاني من النظر المنهجي، فهو تصنيف التفاسير حسب منهج المفسر في بحث تفسيره، فهو منهج بحثي لا عرضي كما سبق القول.

وأشهر التقاسيم على هذا المنظور تقسيمان، تقسيم القدامى وتقسيم المحدثين.

---

1 - نفسه، ص16، 17.
2 - محمد إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد، ص68.
3 - نفسه، ص439.
4 - الإمام محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 12، 1424هـ/2004م.
5 - محمد إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد، ص 466.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمـــا القدامى فقد اشتهرت عندهم ثنائية الأثر والرأي أو النقل والعقل أو الرواية والدراية وكلـــها تؤدي إلى معنى واحد، هو أن المفسر إما أن ينقل الآثار المروية عن السابقين، أو يستعمل عقله ويجتهد رأيه في الأمر بعد النقل أو قبله أو حتى دونه.

وهذا التقسيم اشتهر لدرجة ألا يكاد يخلو منه كتاب تفسير.

فالمأثور هو الاتجاه التفسيري الذي عرف "بكراهية" إعمال العقل والرأي في التفسير، واهتم بجمع المرويات والتوقف عندها والتحفظ على التعليق والإضافة عليها –غالبا-.

أمـــا التفسير بالرأي فهو ذلك الاتجاه الراغب في الابتكار مع ثقة المفسر في قدرة عقله على الإبداع والإضافة على السابق[1].

وقـــد وظف ثنائية العقل والنقل الدكتور العك في تصنيفه لمناهج التفسير، وضمن النقلي ما يـــتعلق باللغـــة والحـــديث[2]، أما "العقلي الاجتهادي" فيشمل المنهج العقلي والمنهج الاجتهادي والمنهج الإشاري بنوعيه: الصوفي والعلمي، وغيرها اتجاهات منحرفة كالكلامي والصوفي الباطني والمتعصب والسياسي والمتطرف ومدّعو التجديد[3].

وواضح التداخل بين أقسام النوع الثاني، مما يعطي فكرة عن صعوبة الاصطلاح المنهجي في مناهج التفسير لسبب هام، هو أننا إذا أصلنا لتقسيم نظري دقيق فلا نكاد نجد تفاسير تنطبق عليها تلك التأصيلات بدقة، فكل التفاسير فيها نقل وعقل وفيها فقه ولغة وعقائد... على تفاوت طبعا،

---

1 - محمد إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد، ص63.
2 - خالد العك، أصول التفسير، ص107 .
3 - نفسه، ص163.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هـــذا من جهة، ومن جهة ثانية إذا انطلقنا من التفاسير ذاتها لكشف مناهجها وتجميعها، يتشعب الأمر حتى نضطر لأن نجعل كل تفسير منهجا لوحده.

وإذا كان د.العك يعتبر التفسير الإشاري قسما من المنهج الاجتهادي والعقلي، فإن د. غنايم يـــرى أنه قسم ثالث، فهو في تقسيمه للتفسير باعتبار المفسر يذكر ثلاثة أقسام: تفسير بالرواية والمأثور، وتفسير بالدراية والاجتهاد وتفسير إشاري[1].

ثم يختفـــي التفـــسير الإشـــاري لما ذكر اتجاهات التفسير ومناهجه (وهو ممن لا يفرق بين المـــصطلحين)، فيذكـــر اتجاه التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والتفسير المذهبي، ويدخل التفسير الإشـــاري ضـــمن هـــذا الأخير[2]. وقد سبق التعليق على اعتبار مذهبية المفسر معيارا ومنهجا للتصنيف.

ويحسن التذكير هنا برأي د. عبد الحميد بوكعباش، حول ثنائية النقل والعقل. وخلاصته أن هـــذا التقـــسيم نقل وعقل لا معنى له ولا دلالة من الناحية التاريخية، فهناك في الواقع نوعان من التفـــسير: تفسير بالعقل، وتفسير بنقل العقل[3]، فلا وجود لتفسير بالنقل المجرد، بل سيؤول حتما إلى نقل عقل"أي اجتهاد" الغير.

فالمفـــسر إما أن يجتهد وإما أن ينقل اجتهاد من اجتهدوا قبله. ولذلك فضل د. عبد الحميد اســـتعمال مـــصطلحي: التفـــسير الاجتهادي (تفسير العقل) والتفسير المدوّن (نقل العقل)[4]. والتفـــسير محتاج للنقل والعقل معا، لكنه ليس مضطرا للاكتفاء بالنقل فقط. بل إن الشيخ محمد

1 - محمد نبيل غنايم، دراسات في التفسير، ص19.
2 - محمد نبيل غنايم، دراسات في التفسير ، ص 37.
3 - عبد الحميد بوكعباش، التفسير والمعرفة الحديثة، ص1.
4 - نفسه، ص2.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عـــبده يخرج المقلد بغير عقل لا من دائرة التفسير فحسب، بل من الدين كله، إذ يقول: "التقليد بغير عقل ولا هداية شأن الكافرين"[1].

والحق أن مسألة حاجة التفسير للنقل والعقل معا قناعة قديمة نجدها عند أبي حيان مثلا[2]، وحتى الإمام الزركشي وهو يرفض التفسير بالرأي –المذموم طبعا- يؤكد على أن التفسير منه ما يتوقف على النقل، ومنه ما لا يتوقف عليه، أي لا بد فيه من إعمال العقل[3].

لكـــن الواقع التاريخي في محطات كثيرة منه يقول أن ديدن الكثير من المفسرين – والمؤلفين عامـــة- الـــنقل وتكـــرار السابقين، حتى صار المنهج "إقرأ الكتب وكرر ما يقوله الأساتذة تكن عالما"بعد أن كان "جرّب وشاهد تكن عارفا" كما يقول أحد الفلاسفة الأوربيين[4].

لكـــن من المهم التأكيد هنا على أن النقل ليس مرفوضا كأداة تفسيرية، بل كاتجاه ومنهج تفـــسيري يقـــصي الأدوات الإبداعية المضيفة، فالنقل ضرورة تاريخية ومعرفية لأي علم في بداية تشكل منهجه، حتى يتكدس فيه تراكم معرفي كاف يحرك شرارة الإيداع والتكييف المنهجي لتلك المعارف، وهذا ما جعل القدامى يقولون "التفسير مضطر للنقل"[5].

فـــإذا امـــتلك المؤلـــف أدوات المنهج جاز له –بل وجب عليه- حينها أن يجتهد ويتعقل النـــصوص ويؤولها، وذكرت التأويل لأن ثنائية (تفسير وتأويل) في الحقيقة قراءة ثانية لقضية (نقل وعقل) وحتى عملية النقل تحتاج لاجتهاد وتأويل، من جهة أن المفسر الناقل "المدوّن" إذا أراد

1 - عبد الحليم الجندي، القرآن والمنهج العلمي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1404هـ/1984م،ص54.
2 - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 104/1.
3 - الزركشي، البرهان، 171/2.
4 - هذا القول نقله غوستاف لوبون. انظر عبد الحليم الجندي، القرآن والمنهج العلمي المعاصر، ص54.
5 - الزركشي، البرهان، 171/2 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن يكـــون جهـــده مـــضيفا لا مضافا، عليه أن يستثمر ما ينقله عبر تتبعه تاريخيا وحسن عرضه وتـــصنيفه ثم الجمـــع بين الأقوال ورفع التعارض والترجيح والنقد، وحينها تكون الإضافة، ومن أحـــسن الأمثلة على ذلك تفسير الإمام الطبري الذي يعدّ حوصلة تدوينية اجتهادية جامعة لجهود المفسرين عبر ثلاثة قرون (قرن الوحي وقرن الرواية وقرن التدوين).

أمـــا النقل المحض، أعني النقل من أجل النقل، فهو تأريخ لا تفسير، وغالبا ما يرتبط بمنطق التجمـــيع والحـــشو في التفسير ما هو منه وما ليس منه اكتفاء بنقد الأسانيد أحيانا، وقد يغيب، فتتسرب الموضوعات والإسرائيليات التي قد لا ينتبه لها الباحثون والمؤلفون فضلا عن عامة القراء، أما نقد المتون فإذا لم يجتهد فيه المحدّثون -وهو ليس باختصاصهم[1] — فغالبا ما ينقل دون نقد- ومـــع الـــزمن فكل نص بشري يجاور النص الإلهي يضفي عليه قداسته، مما شكل عائقا عقديا في التعلـــيق على نتاج السلف، ولذلك توحي تسميات الأثر والنقل والرواية بمعاني الاتباع والالتزام والـــولاء والتقليد المانعة عن الإبداع خشية الابتداع في الدين والقول بالرأي والهوى وكأن عقل الخلف يسرع إلى الهوى عكس عقول السلف، وكلها عقول تصيب وتخطئ.

وأمـــا المحدثـــون، فقـــد انتشرت بينهم تقسيمات منهجية أكثر تفصيلا ودلالة، وأيسر في تـــصنيف التفاســـير إلا ما لم يلتزم فيه صاحبه بمنهج واحد[2] أو من لم يلتزم منهجا أصلا، وقد أحسن فهد الرومي إذ سماه اللون اللامنهجي في التفسير، ووضعه تحت مسمى الاتجاهات المنحرفة

---

1 - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة،دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م،ص 49.

2 - أشكل على كثير من المصنفين تصنيف بعض التفاسير، فالطبري مثلا يستعصي تصنيفه حتى جعلوه جامعا وموسوعيا، وكذا الزمخشري، فكونه مزيجا بين نزعتين لغوية وعقدية، والرازي الجامع بين نزعة كلامية وأخرى علمية جدلية، وابن كثير الجامع بين الفقه والحديث...

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في التفسير[1]، والمفتاح دوما هو العلم الغالب على التفسير كأداة محورية تمثل تخصص المفسر وميوله العلمية. ولذلك تتردد في كل التقسيمات جملة علوم ومعارف: اللغة بعلومها، الفقه، العقائد، الأخبار والقصص والحديث، الإشارات الصوفية والعلوم العقلية...

-تحت مسمى "وجوه التفسير" يلخص السيد رشيد رضا مناهج التفسير في:

الأساليب والمعاني، الإعراب، القصص، الغريب، الأحكام، العقائد، المواعظ، والإشارة[2]،

- وغير بعيد عنه تصنيف الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في مقدمة المجالس حين قسم المفسرين إلى: المحدّثون، مقلدة المذاهب، أهل المعاني، الإخباريون، أصحاب المذاهب العقلية، النحاة وعلماء التراكيب[3].

- أما الدكتور محمد حسين الذهبي فقد اختار التقسيم التالي: التفسير في عهد الصحابة، التابعين، تابعي التابعين، عصر التدوين، التفسير بالمأثور، التفسير بالرأي، تفسير الصوفية، تفسير الفلاسفة، تفسير الفقهاء، التفسير العلمي[4]،

- أما د.العك فيقسم التفاسير إلى نقلية وعقلية اجتهادية ومنحرفة؛ أما النقلية فتشمل منهج السنة النبوية والمنهج اللغوي. وأما العقلية الاجتهادية فتشمل المنهج العقلي والمنهج الاجتهادي والمنهج الإشاري بلونيه الصوفي والعلمي، ثم الاتجاهات المنحرفة: المنهج الكلامي الفلسفي، المنهج

---

1 - فهد الرومي، اتجاهات التفسير، 1057/3 .

2 - رشيد رضا، المنار، 21/1.

3 - الإبراهيمي، مقدمة المجالس، ص17.

4 - الذهبي، التفسير والمفسرون، 27،103/1، 112، 183، 250/2، 308، 319، 349.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفلسفي الصوفي الباطني، الغلاة المتعصبون، التفسير السياسي، التطرف في التفسير العلمي، مدّعوا التجديد[1].

- وقد استقصى د/ غنايم مناهج التفسير حسب أربع اعتبارات.

فباعتبار اللفظ يكون التفسير لغويا أو معنويا. وباعتبار المفسِّر تفسير لغوي تعرفه العرب، أو فقهي يعــرف بــه الحلال والحرام، أو علمي تعرفه العلماء، أو غيبي لا يعلمه إلا الله ويدّعى علمه أهل الإشارة.

أما باعتبار الطبقات فهناك تفسير السلف وعصر التدوين، وتفسير أهل الحديث والفقه، والتفسير بالرأي وتفسير أهل العلوم كاللغة والقصص والفقه والعلوم العقلية، ثم تأتي التفاسير الحديثة.

أمــا الاعتبار الرابع فهو الثنائية التقليدية المأثور والرأي، وقد أضاف إليها د.غنايم طرفا ثالثا هو التفــسير المذهبي، شاملا لتفاسير المعتزلة والشيعة والباطنية والإشارية[2]، فيما يفضل البعض تسمية هذا القسم بالرأي المذموم.

وفي معــرض التصنيف التقليدي الأثر والرأي، يفصل د. شريف كل اتجاه إلى ثلاث صبغات أو نزعات؛ فاتجاه الأثر يشمل صبغة لغوية وصبغة حديثية ومزيجا بين الحديث والفقه.

أمــا اتجاه الرأي فيشمل نزعة تأويلية باطنية كتفاسير الفلاسفة والمذاهب، ونزعة علمية جدلية كالرازي ونزعة لغوية بيانية ومذهبية عقدية كالزمخشري[3].

---

1 - العك، أصول التفسير، ص109، 163، 227-261.
2 - محمد نبيل غنايم، دراسات في التفسير، ص 37.
3 - محمد إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد، ص65.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويقتـــرح د.جمال البنا تقسيم المفسرين بعد الطبري إلى ثلاث مجموعات : اللغويون والمذهبيون والإخباريون[1] .

أمـــا الجـــبوري، فيتمسك بالتقسيم التاريخي: التفسير في عهد الحديث، بعد الاستقلال عن الحديث، بعد حذف الأسانيد وطروء الوضع، التفسير النقلي ، التفسير العقلي[2].

ويفـــضل د.الطير النظر إلى حجم التفسير، فيجعل التفاسير منها المبسوط والوسيط والمختصر وشرح المفردات[3] .

أما د.المحتسب فيقسم التفاسير إلى سلفية وعقلية وتوفيقية وعلمية[4].

ولعل أحد أكثر التقسيمات تفصيلا وتشعبا تقسيم د.الرومي الذي يصنف التفاسير إلى خمس اتجاهات في كل منها مناهج عدة.

فالاتجـــاه العقائـــدي في التفـــسير يشمل منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الشيعة والإباضية والصوفية والاتجاهات العلمية عنده ثلاث: المنهج الفقهي، المنهج الأثري، المنهج العلمي التجريبي. أما المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة (وهي مدرسة المنار) فيعدها اتجاها ومنهجا في آن واحد. ثم الاتجاه الأدبي بمنهجيه البياني ومنهج التذوق الأدبي (الظلال).

وعـــدا ذلـــك اتجاهات منحرفة في التفسير، وهي ثلاث: المنهج الإلحادي ، ومنهج القاصرين واللون اللامنهجي في التفسير[1].

---

1 - جمال البنا، تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين، دار الفكر الإسلامي، القاهرة، مصر، 1424هـ/2003م، ص57.

2 - أبو اليقظان عطية الجبوري، دراسات في التفسير ورجاله، ص 16.

3 - مصطفى محمد الحديدي الطير، اتجاه التفسير في العصر الحديث،مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، 1975م.ص11-13

4 - عبد المجيد المحتسب، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، دار الفكر، بيروت، ، ط1، 1973، ص41، 101، 245.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحتى المستشرق جولد تسيهر أدلى بدلوه في الموضوع، وقسم مناهج التفسير حسب مراحله التاريخية إلى سبع أقسام: التفسير في عهد السلف، التفسير بالمأثور ، التفسير بالرأي ، التفسير في ضوء العقيدة، التفسير في ضوء التصوف الإسلامي ، التفسير في ضوء الفرق الدينية، التفسير في ضوء التمدن الإسلامي[2].

وبعد هذا الاستعراض المختصر لبعض تقسيمات المحدثين لمناهج المفسرين لا بد من تعقيب سريع:

1. نؤكد على عدم انضباط المصطلحات في التعبير عن مناهج التفسير واتجاهاته، وقد مرت علينا لحد الآن جملة مصطلحات: الطرائق والأساليب، الوجوه، النزعات والطبقات، المجموعات...

2. تفاوت معايير التصنيف واختلافها هو سر التشعب والتداخل الملحوظ بين مختلف التقسيمات ولكنه في نفس الوقت مصدر ثراء في استكثار المحددات المميزة لكل منهج تفسيري، فكلما كثرت الأوصاف المناسبة للتفسير توضح منهجه أكثر. لذا فتجميع المعايير ضرورة لضبط المناهج.

3. طغيان التقييم على التقسيم في كثير من الأحيان، كما سبقت الإشارة مما جعل بعض التفاسير منحرفة ومذمومة، والسبب دوما انسياق المصنفين وراء مذهبيات المفسرين مما أضفي على تصنيفاتهم سمة سياسية أكثر منها علمية، وحكما مسبقا أكثر منه استنباطا لمنهج.

---

1 - فهد الرومي، اتجاهات التفسير، 1065/3، 1105، 1145.

2 - جولد تسيهر: مذاهب التفسير الإسلامي، ص73، 120، 201، 286، 337.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4. بعض التقسيمات مركبة ملفقة من عدة معايير: الجانب التاريخي، الأداة المعرفية البارزة في التفسير ثنائية الأثر و الرأي، معيار القبول والرفض، مذهبية المفسر، كما هو واضح في تقسيم الذهبي وغنايم وجولد تسيهر والرومي.

5. تضارب التصانيف في موقعة التفسير الإشاري وضبط محتواه، فمنهم من يجعله اجتهاديا، ومنهم من يعدّه قسما مستقلا ، ومنهج من يعده متحرفا ومنهم من يضمنه التفسير الصوفي والعلمي.

6. تفتيت بعض التقسيمات (خاصة رشيد رضا والإبراهيمي) للتفسير اللغوي إلى أدوات كثيرة تدخل كلها تحت مسماه: الأساليب، المعاني، الإعراب، الغريب، النحو والتراكيب...

7. أغلب التقسيمات الراجعة للعلم الغالب على التفسير تحصر جملة علوم موجهة لمنهج التفسير: اللغة بمختلف علومها، الحديث والأثر، الأخبار والقصص، الفقه، العقائد، المواعظ إضافة للعلوم العقلية والإشارة والتصوف والفلسفة.

التقسيم المختار:

في ضوء ما سبق من آراء وتعقيب عليها تتشكل لدينا رؤية حول مناهج التفسير قبل العصر الحديث. وإن كنا ننبه هنا على صعوبة تصنيف كثير من تفاسير القدامى لمزجها بين أكثر من منهج.

بداية وما دام الحديث عن مناهج المفسرين، فإن هناك تفاسير منهجية وأخرى لا منهجية، أو أن أصحابها لم يعتمدوا منهجا معرفيا محددا معروف الأدوات قابلا للاتباع والنقد، وتحته سأصنف التفسير الإشاري بمختلف المسميات اللصيقة به كالرمزي والتأويلي والباطني والصوفي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واعتـــباري لـــه غير منهجي لا يعني كونه عديم الفائدة، ولكن النظر العلمي المنهجي يقتضي اعـــتماده على أدوات محسوسة محددة منضبطة. أما مجرد الإلهام والحدس والفتح الرباني والمواهب الذاتية فليست مقاييس علمية مشكلة لمنهج معتمد.

أمـــا التفاسير المنهجية فهي لا تعدو أحد لونين: إما روائية ناقلة مدونة لما سبق من النصوص والآثـــار والأخـــبار، وإمـــا اجتهادية درائية تعمل العقل في النص لتستكشف المعارف المختلفة وتوظفها لفهم النص والاستمداد منه.

لـــذلك قسمت التفاسير المنهجية إلى التفسير الروائي والتفسير الدرائي، على اعتبار أن ثنائية الـــرواية والدراية متداولة في الثقافة الشرعي، وإن كان تقسيم د.بوكعباش أولى وأوضح ومطابقا للتقسيم المعتمد هنا، وأقصد ما سماه: التفسير المدون والتفسير الاجتهادي.

أمـــا التفـــسير الروائـــي يتضمن ما يتعلق بنقل الأحاديث والآثار التفسيرية، وكذا الأخبار والقصص.

وأمـــا التفـــسير الدرائـــي فضمّنته المنهج اللغوي بمختلف تشعباته، والمنهج الفقهي والعقدي والعلمي.

وتحت مسمى التفسير العقدي يدخل كل من المنهج الكلامي والفلسفي والعقلي والفكري...

بهـــذا الـــشكل يكون التقسيم قد حوى مختلف التسميات والتصنيفات المتداولة في الدراسات التفسيرية.

أما التفاسير التي استعصى تصنيفها فلا بد من تغليب معيار على غيره لتدخل تحت أي تقسيم، وهـــنا اعتبرت تفسير الطبري تفسيرا روائيا بحكم أنه خلاصة تجميع للمادة التفسيرية السابقة له،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رغـــم اللمسة الاجتهادية الواضحة فيه، لكن يغلب عليه التجميع، فالأنسب اعتباره روائيا – في تصوري- أما الرازي فتفسيره موسوعية تفسيرية إلا أن الغالب البارز فيه هو الجانب العلمي، لذا اعتـــبره تفـــسيرا علمـــيا والزمخشري صنفته ضمن التفسير اللغوي لأنه الجانب الأهم فيه ومحط الاستفادة منه وحتى الرافضون لتوجهه العقدي لا ينكرون إمامته البلاغية اللغوية.

وعلى ذلك يكون التفسير كالتالي:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

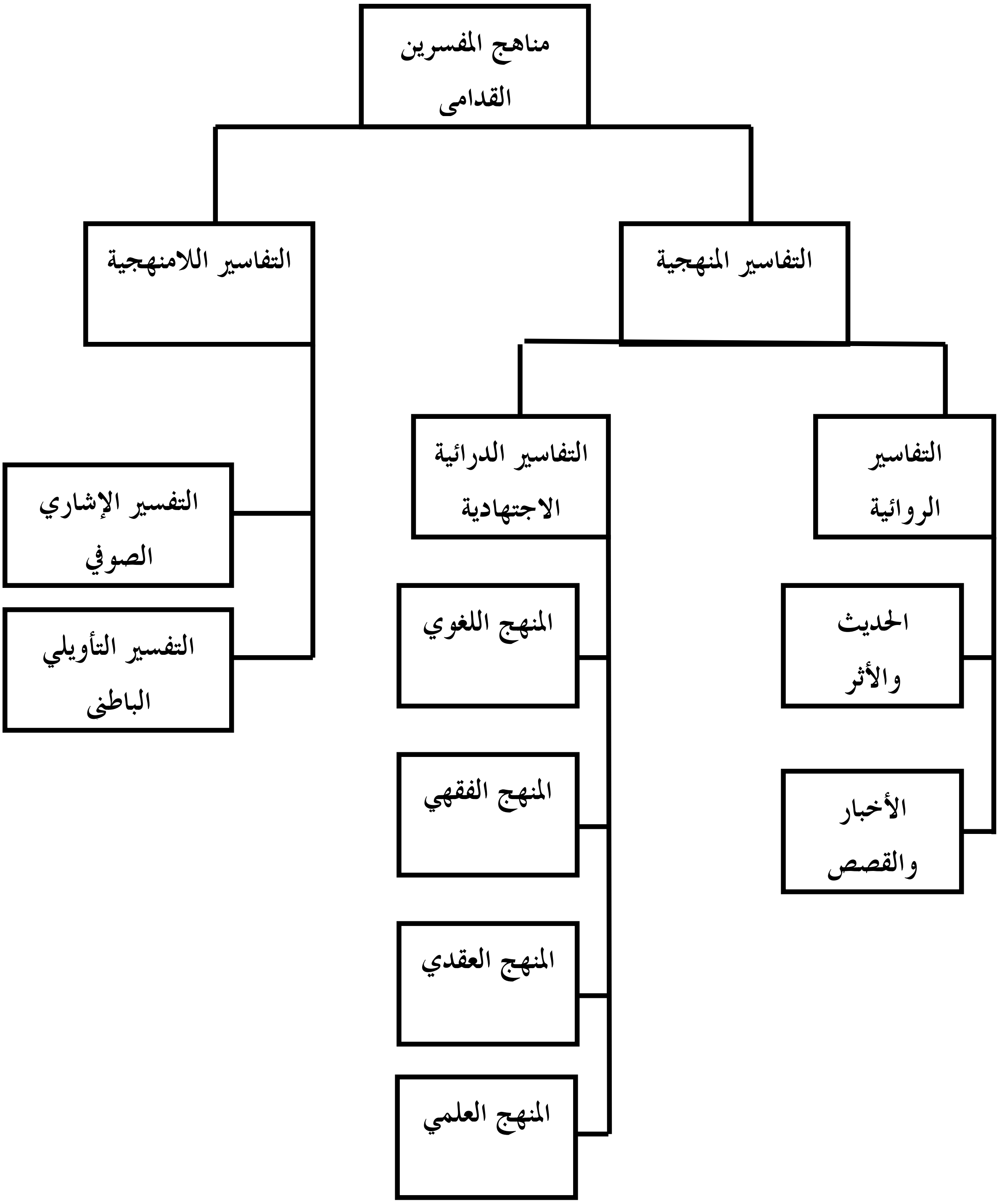

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثالث: اتجاهات التفسير في العصر الحديث

التفسير والعصر:

تفاعل التفسير مع العصر الحديث كغيره من العلوم تأثرا وتأثيرا، ومن الخطأ الاعتقاد أن تطور أي علم من العلوم الإسلامية وغير الإسلامية مستقل عن الواقع وغير متأثر بمتغيرات الحياة.

ومن الغريب أن يقول أحد الباحثين في تطور علم التفسير :" فالتطور الذي حدث في العلوم الإسلامية ليس له أي علاقة بالتغير السياسي الذي تخلل عصوره"[1].

وإذا كان الباحث استحضر معنى تتريه العلوم الإسلامية عن الاستجابة لضغط الواقع، فقد كان عليه أن يستحضر أيضا المعنى السلبي المقابل؛

وهو أن هذه العلوم –التي يريد تتريهها- تهان في الحقيقة إذا فصلناها عن تلبية حاجات الواقع الإنساني وحاصرناها في برج عاجي يعزلها عن التأثر والتأثير في الحياة التي يفترض أن تكون رسالة العلم السامية.

ولعل هذا ما جعل غيرنا يتصور أن العلوم الإسلامية بقيت أنصاف علوم لا نضجت ولا احترقت! كما يقول د.محمود عزب[2].

ويكفي في الرد على مثل القول السابق، تساؤل د.عزب: هل يمكن أن يقال إن التفسير ثابت لا يتحرك مع أن حياة جماهير المسلمين تعج بالحركة؟![1].

---

1 - د.مساعد مسلم، أثر التطور الفكري في التفسير، ص 27.

2 - د.محمود عزب، ملامح التنوير في مناهج التفسير،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 2006، ص40.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن المـــنطق والـــتاريخ يقرران أن المفسر –عن وعي أو عن غير وعي- منغمس تماما في حركة الواقع اليومي، بل هو نتاجها[2].

ماهية المعاصرة:

إن مصطلح العصر الحديث وما يحمله من معاني المعاصرة والعصرية والعصرنة، صار في حد ذاته عـــاملا مـــوجها ومؤثرا في العملية التفسيرية، فقد وجد المفسر الحديث نفسه أمام ضرورة التجديد والإبداع، لا لأنه مفسر فحسب، بل لأنه حديث أيضا.

لقـــد صارت المعاصرة والعصرية القيم العليا السائدة في هذا العصر، وكأنها الأصل المرجوع إليه والمسلمة المبدوء بها في معالجة القضايا والترجيح بين الحلول . [3]

وقد تفاقم الأمر عندما ارتبط مفهوم المعاصرة بكل ما يضاد الرجعية والتخلف، ثم تطور المفهوم ليـــصير العـــصري هـــو المنصبغ بخصائص الغرب الحضارية بحكم أنه رمز الحضارة والتمدن، بينما الباحث عن الأصالة والقيم رجعي متخلف يسبح عكس تيار العولمة. [4]

التفسير العصري:

---

1 - محمود عزب، ملامح التنوير في مناهج التفسير ، ص 47.
2 - نفسه، ص 43.
3 - طارق البشري، ماهية المعاصرة، دار الشروق، القاهرة، ط1426،2هـ/2005م، ص 48.
4 - نفسه ص 49، 52، (وقد تتبع د.طارق البشري تطور مفهوم العصرية والمعاصرة تتبعا تاريخيا ومنهجيا جيدا).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لعــل هذا ما جعل الكثيرين يتحفظون على عصرنة التفسير أو "التفسير العصري" الذي شنت عليه الدكتورة بنت الشاطئ حملة واسعة ردا على د.مصطفى محمود وتفسيره العصري متفادية حتى مجرد ذكر اسمه في كل الكتاب إلا مرة واحدة في كلام منقول! [1]

والمطلع على كتاب " القرآن والتفسير العصري "يكاد يجزم أن حملة د.عائشة ليست ضد تفسير مصطفى محمود فحسب، بل ضد كل ما هو "تفسير عصري" وذلك منذ الصفحات الأوائل –رغم أني أستبعد أن تقصد ذلك- تقول مثلا في أول الكتاب " فجأة ومن حيث لا نتوقع، يتردد في أفقنا كــلام عــن حاجة الناس إلى تفسير عصري للقرآن يستجيب للتقدم العلمي، ويتابع ما يستحدث الإنسان من علوم العصر، وما يكتشف من أسرار الذرة والإلكترون وبيولوجيا القمر..." [2].

ثم تقرر أن الحملة ضد القرآن بدأت باسم العصرية[3].

ثم تفــرق أواخــر الكتاب بين الدراسة القرآنية الخاضعة لأدق الضوابط المنهجية" وبين تفسير عصري يهيم في كل واد، ويضرب في متاهة الغيبيات لا يضبطه أي قيد"[4].

فــرغم صــحة كثير مما قالت الدكتورة بخصوص محاولة مصطفى محمود لتفسير القرآن تفسيرا عــصريا، إلا أن القــرآن لا يزال محتاجا لتفسير عصري. كما أن العصرية لا تعني مضادة القرآن ، والتفــسير العــصري لــيس خبط عشواء في متاهات الغيب دون ضوابط، إلا إذا أراد له صاحبه كذلك، لا تصوّره عصريا، بل لكونه اجتهادا بشريا موجها بإرادة المفسر وقدراته وآفاقه.

---

1 - قــصدت أن أتتبع ذلك لما رأيتها تتحاشى تسمية من ترد عليه، فما عثرت له على اسم إلا في ص 68 حيث تنقل كلام د.عــثمان أمين، وفي تصوري مثل هذا التصرف يشخّص النقاش، خاصة وان الدكتورة عائشة صرحت بسرقته لأفكار كتابها "مقال في الإنسان". مما يوحي بان الرد لم يكن ردا على أخطاء التفسير العصري أصالة، بل دفاعا عن كتابها أولا.

2 - عائشة عبد الرحمن، القرآن والتفسير العصري، سلسلة اقرأ، دار المعارف، القاهرة، مصر، رقم335، ص 7.

3 - عائشة عبد الرحمن، القرآن والتفسير العصري، ص 9.

4 - نفسه، ص 107.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العصر الحديث من منظور تفسيري:

فالـــشيخ محمد عبده -لو لم يكن عصريا بالمعنى الإيجابي للكلمة- لما صار معلما ومنعطفا تاريخيا بـــين التفسير القديم والتفسير الحديث، بإجماع المتتبعين لتطور حركة التفسير في العصر الحديث[1] وهو ما اعتمدته في هذه الدراسة.

فـــبظهور الإمام محمد عبده وقبله أستاذه جمال الدين الأفغاني، وبعدهما السيد محمد رشيد رضا اكتملت الأركان الثلاثة لمشروع المنار الإصلاحي.

ويشير الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى أن إرهاصات التجديد لعلم التفسير تجلت في ثلاثة من أذكـــى العلماء وأوسعهم اطلاعا: الشوكاني والآلوسي وصديق حسن خان[2]، "ثم كانت المعجزة بعد ذلك الإرهاص بظهور إمام المفسرين بلا منازع محمد عبده، أبلغ من تكلم في التفسير... ولكنه مـــات دون ذلـــك فخلفه ترجمان أفكاره ومستودع أسراره محمد رشيد رضا فكتب في التفسير ما كتب... ومات قبل أن يتمه، فانتهت إمامة التفسير بعده في العالم الإسلامي كله إلى أخينا وصديقنا ومنشئ النهضة الإسلامية العلمية بالجزائر بل بالشمال الإفريقي عبد الحميد ابن باديس "[3].

---

1 - ينظر مثلا، الذهبي ، التفسير والمفسرون 474/2، محمد محمود حوا: التفسير ورجاله،دار نور ، ص151. عبد الحميد بوكعباش، التفسير والمعرفة الحديثة، ص 35 وما بعدها . علي الأوسي، الطباطبائي ومنهجه في التفسير، معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية، مطبعة سبر، طهران، إيران، ط1، 1405هـ/1985م، ص 113.

2 - الإبراهيمي، مقدمة مجالس التذكير، ص 19.

3 - الإبراهيمي، مقدمة مجالس التذكير، ص 19.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالإبراهيمـــي يعتبر ابن باديس الركن الرابع لمشروع الإصلاح والتجديد التفسيري، بينما يعتبر الأستاذ مالك بن نبي جهد الشيخ حسن البنا نقلة نوعية حولت التفسير من لغة وكلام إلى تركيب اجتماعي يستخدم الآية كفكرة موحاة لا كفكرة محررة(1).

وبغـــض النظـــر عـــن خلافة محمد عبده ورشيد رضا، فإن جل-إن لم نقل كل-المحاولات التفـــسيرية الجادة في العصر الحديث نلمح فيها روح التجديد والإضافة والخروج من أسر التدوين والنقل المجرد(2).

فمـــن مجدد من حيث الشكل إلى مجدد في الموضوع والمنهج، إلى تفاسير جامعة لأكثر من منهج وتفاسير معنية بالاختصار والتهذيب بما يلائم حاجة العصر واهتمامات الناس(3).

الآثار الإيجابية والسلبية:

وعمـــوما فقد كان للعصر الحديث عميق الأثر في تحرير التفسير من ركوده وجموده كما يقول الشيخ الذهبي ملخصا أهم الآثار الإيجابية والسلبية للنهضة العلمية الحديثة في التفسير(4).

فمن الآثار الإيجابية:

- تخليص التفسير من الاستطرادات العلمية المطولة.
- تنقية التفسير من القصص الإسرائيلي.
- تمحيص الأحاديث الواردة في التفسير.

---

1 - مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص 108. وانظر محمد دراجي، معالم منهج حضاري في تفسير القرآن الكريم، دار البلاغ، الجزائر، ط1، 1423هـ/2002م، ص 35،36.

2 - صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن، ص 297.

3 - عبد المجيد البيانوني، ملحق كتاب التفسير ورجاله لمحمد محمود حوا، دار نور المكتبات، جدة، السعودية، ط1،1424 هـ/ 2003م،ص 151، 152.

4 - الذهبي، التفسير والمفسرون، ص 474.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- إلباس التفسير ثوبا أدبيا اجتماعيا.

- التوفيق بين القرآن وما جد من نظريات علمية صحيحة .

مع تسجيل الذهبي **لبعض الآثار السلبية:**

- التوسع العلمي المبالغ فيه عند البعض (كما في تفسير الجواهر لطنطاوي جوهري).

- التأثر بالمذاهب والعقائد.

والواقع أن الآثار السلبية التي سجلها الذهبي قديمة موروثة، بل وتقلصت في العصر الحديث، فالانتصار للمذهب والرأي الفاسد مشكلات قديمة كانت أكثر تفاقما بل ولونت التفسير باللون المذهبي منذ نشأته حتى عدّه الكثيرون منهجا في التفسير ومنهم الذهبي نفسه[1].

أما التوسع العلمي المستفيض فلا نكاد نجده إلا عند طنطاوي جوهري وبعض التفاسير العلمية.

هذا عن السلبيات، أما الإيجابيات فلم يشر الذهبي إلى أن التفسير في العصر الحديث صار مواكبا للحياة، مما فرض نزعة التزامية في التفسير [2].

فقد لعبت حركة التفسير دورا مهما في تقديم الوعي السياسي ضد الاستعمار، وساهمت مساهمة أساسية في حركة الإصلاح الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، فضلا عن الجانب التهذيبي والأخلاقي والروحي. [3]

كما أن التفسير بدأ يتحرر من ثنائية الأثر والرأي التي ظنها المتقدمون بديهية مسلمة ملازمة للتفسير.[1] وبدأ يحل محلها التفسير بالمعرفة، "وفي الحقيقة وواقع الأمر أنه لا تفسير إلا بمعرفة".[2]

---

1 - الذهبي، التفسير والمفسرون. ص 474، وقد ناقشت ذلك بإسهاب في موضعه من البحث، ص 61، 81.
2 - عفت الشرقاوي، قضايا إنسانية، ص 81.
3 - علي الأوس، الطباطبائي ومنهجه في تفسيره –الميزان-، ص 112، 113.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالعلـــوم اللغوية والفقهية والعقدية التي لازمت التفسير منذ نشأته هي معارف، بل هي أمهات المعارف الإسلامية وأسسها، وخاصة علم التفسير الذي لا يستغني عنها، ولكنه أيضا لا يستغني عن بقـــية المعارف النقلية والعقلية، لكن الذي وقع أن المفسرين القدامى انشغلوا بالعلوم الثلاثة السابقة (لغة، فقه، عقيدة) بسبب اهتمامهم بالنصوص الإنشائية الحاوية للأوامر والنواهي رغم أنها لا تمثل أكثر من نصف سدس القرآن(500 آية) بينما النصوص الخبرية لم تلق العناية الكافية لغياب الأداة المعرفية المفسرة لها.(3)

تفسير السلف :

ولعـــل هذا الاهتمام المستفيض بالقسم العملي من النصوص القرآنية الإنشائية لدى القدامى هو سبب الوقفة التقديسية المتهيبة من الإضافة على أقوالهم في القرآن كله.

وانتشرت بذلك تلك المقولات الخاطئة التي تلخصها عبارة " ما ترك الأول للآخر شيئا".

انظر مثلا إلى قول الذهبي : "لم يترك الأوائل للأواخر كبير جهد في تفسير كتاب الله والكشف عـــن معانيه ومراميه... والذي يقرأ كتب التفسير على اختلاف ألوانها لا يدخله شك في أن كل ما يـــتعلق بالتفـــسير مـــن الدراســـات المختلفة قد وفاه هؤلاء المفسرون الأقدمون حقه من البحث والتحقيق... (و لم يتركوا لمن جاء بعدهم) من عمل جديد أو أثر مبتكر... اللهم إلا عملا ضئيلا لا

---

1 - محمود عزب، ملامح التنوير، ص 42.
2 - عبد الحميد بوكعباش، التفسير والمعرفة الحديثة، ص 37.
3 - نفسه، ص 38، 39.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يعدو وأن يكون جمعا لأقوال المتقدمين أو شرحا لغامضها، أو نقدا وتفنيدا لما يعتوره الضعف منها، أو ترجيحا لرأي على رأي"[1].

وكأن المفسر الحديث لا يمكنه أن يجتهد في فهم وتفهيم كتاب الله لأن فهوم القدامى استنفذت معاني النصوص، و لم يبق أمامه إلا مجال ضيق لممارسة تفسير مغلق مسيّج بمعرفة راكدة[2].

وما دام المنطلق غير سليم، فلا عجب أن تنبني عليه استنتاجات ليست خاطئة فحسب، بل ومتناقضة أيضا! فأمام هذه الهالة التقديسية لتفسير السلف، كيف نتصور الموقف من التفسير في عصر النبوة؟، فمن قائل أن النبي –صلّى الله عليه وسلّم- لم يلتحق بالرفيق بالأعلى إلا وقد فسّر لنا ما نحتاجه من القرآن[3]، إلى قائل بأن القرآن لم يكن أصلا محتاجا لتفسير في عصر التتريل! [4].

أما المقولة الأولى، فهي صحيحة لو ضبطت بحاجة العصر، أي أن الرسول –صلّى الله عليه وسلّم- فسر القرآن في حدود ما يحتاجه عصره، أما من بعده فقد تجددت وتنوعت حاجاتهم وحاجات عصورهم لذلك احتاجوا إلى تفسير القرآن الكريم تفاسير"معاصرة" لهم بعد تفسير النبي -صلّى الله عليه وسلّم- والصحابة والسلف. وليس في هذا أي انتقاص من قيمة النبي –صلّى الله عليه وسلّم- أو قيمة تفسيره للقرآن المتجسد في سنته –صلّى الله عليه وسلّم-.

ولعل مرمى مثل تلكم المقولة أن الرسول –صلّى الله عليه وسلّم- فسّر لنا ما نحتاجه من أصول العقيدة والشريعة. وهو منظور صحيح بالنظر لوظيفة السنة ومكانتها في التشريع ومترلتها من القرآن.

---

1 - الذهبي، التفسير والمفسرون، 473/2.
2 - بوكعباش، التفسير والمعرفة الحديثة، ص 43.
3 - محسن عبد الحميد، دراسات في أصول التفسير، ص 9.
4 - مساعد مسلم، أثر التطور الفكر في التفسير، ص 53.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمـــا عن المقولة الثانية، فالخطأ فيها راجع لقصر وظيفة التفسير على الشرح اللغوي، ومادام الصحابة عربا أصلا فهم يفهمون القرآن العربي فلا يحتاجون لتفسيره!

ولو لم يكن القرآن محتاجا لتفسير، فلماذا كان رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم- يفسر أصلا؟ ولماذا كانـــوا هم يتساءلون ويستفهمون عن النصوص؟ بل لماذا برز بينهم مهتمون بالتفسير أكثر من غيرهم ما داموا كلهم "مفسرين" يفهمون القرآن والعربية؟

التفسير وضرورات المعاصرة:

إن النهاية الفكرية لكلتا المقولتين تنم عن خلل في تصور علاقة التفسير بالعصر، أي في تصور ضرورة معاصرة وعصرية التفسير والحاجة للتفسير في حدود احتياجات العصر والواقع.

فهل يعقل أن يحتكر التفسير عصر واحد، أو أن يترفع عصر عن الحاجة للتفسير، ولو كان عصر النبوة والوحي، فالقرآن أجلّ من أن يحتكره عقل واحد وعصر واحد(1).

وباســـتطاعة كل عصر وعقل بمؤهلات وشروط وضوابط –طبعا- أن يضيف لتفسير النص القرآني. يقول د.محسن:"من المحال على البشرية أن تفهم كمالات القرآن في نواحي الوجود كلها في عصر واحد، إذ باستطاعة كل عصر أن يضيف إلى تفسير الآيات المتعلقة بتلك الموضوعات مما يستجد أمامه من العلوم والمعـــارف نتيجة لتطور الحضارة ونمو الثقافة. أي أن تفسير القرآن في عصر ما يتأثر تأثرا كبيرا بالمستوى العقلي والحضاري الذي وصل إليه المسلمون"(2).

وإذا كان الدكتور محسن يرى أن التفسير "يتأثر" بالعصر وأن كل عصر"باستطاعته" أن يضيف للتفسير، فإني أقول أن التفسير لا ينفك عن العصر ولا ينفصل عنه، ولا يمكن أن يتصور بدونه.

---

1 - مصطفى محمد الحديدي الطير، اتجاه التفسير في العصر الحديث، ص 10.
2 - محسن عبد الحميد، دراسات في أصول التفسير، ص9.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالتفـــسير الـــذي لا يخدم قضايا عصره لا يعدّ تفسيرا أصلا كما يشير إلى ذلك الأستاذ سعيد حـــوى في قـــوله: "وأما بالنسبة للتفسير، فإذا لم تخدم قضية الإيمان فيه في عصرنا المادي الشهواني، فكأن المفسر لم يفعل شيئا".[1]

ثم إن كل عصر ليس باستطاعته " فقط" أن يضيف بل من واجب المسلمين في كل عصر ومصر أن يتفاعلوا مع القرآن الكريم فهما وتفهيما.وعلى المتخصصين منهم في التفسير أن يجتهدوا في تفسير القـــرآن الكـــريم في ضـــوء حاجة العصر وعطاءاته المعرفية المتجددة التي كانت ولا تزال في توسع مستمر يوسع بالضرورة مجال الأدوات التفسيرية[2] وبالتالي مجال العملية التفسيرية برمتها. [3]

لـــذا، واكب تطور التفسير تاريخ الأمة من جهة، وتاريخ المعرفة من جهة ثانية، " فلطالما كان التفـــسير مـــرآة للحـــياة العامة والخاصة، حتى إن التفاسير الموجودة في مكتبة القرآن لتمثل تاريخ المسلمين بصحيحه النافع وزبده الفاسد".[4]

فتاريخ الإسلام تاريخ للتفسير، وكذا تاريخ الفكر والمعرفة[5].

فالناظر في أعمال المفسرين يرى تاريخ الأمة والمعرفة ويرى خلاصة ما رآه كل مفسّر في عصره عندما نظر إلى آيات القرآن " ليرى من خلالها أوضاع الأمة وعللها وأسقامها، وليرى أحوال واقعها وموقعها بين الأمم، ثم يرى كيف يكون القرآن هاديا مرشدا لها في جوانب حياتها المختلفة"[6].

---

1 - سعيد حوى، الأساس في التفسير، 13/1.
2 - محمود عزب، ملامح التنوير في مناهج التفسير، ص62
3 - محمد دراجي، معالم منهج حضاري في التفسير، ص 13.
4 -محمد صالح علي مصطفى، تفسير سورة الرعد، دار النفائس، الرياض، السعودية، ط1، 1408هـ/1988م، ص 24.
5 - بوكعباش، التفسير والمعرفة الحديثة، ص 45.
6 - د. زياد خليل محمد الدغامين، تفسير القرآن إشكالية المفهوم والمنهج، ص 16.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تلكــــم هـــي المهمة الحقيقية للمفسر، إظهار الحلول القرآنية للمشكلات التي تواجه الأمة ابتداء والإنسانية عموما[1]. وليس مجرد ردود الأفعال التي لا تصلح ردا على مشكلات الحياة[2].

تنبيه لا بد منه:

ولا بـــد من التنبيه هنا على أن الدعوة لتفسير القرآن تفسيرا عصريا، لا تعني أبدا رفض جهود الـــسلف والانبتات عنها، والانتقاص من شأنها، فتفاسير القدامى تبق رصيدا معرفيا هاما يرجع إليه وينطلق منه ويضاف عليه. ومن المرفوض علميا وأخلاقيا أن يقال أن التفاسير القديمة تمارس نوعا من التشريح الذي لا يتأتى إلا لجسم ميت[3].

ممـــا يدعـــونا -حسبه- إلى صرف النظر عن الاحتجاج بالتفاسير القديمة بحجة أنها جنت جناية عظمـــى علـــى القرآن لأنها صرفت الناس عن مطالعة النص أو الاستماع إليه، وأن هذه التفاسير تحولت إلى مرويات ركيكة عديدة لا حصر لها لا يجمعها جامع بل يضرب بعضها بعضا.[4]

وأغـــرب منه قول أحدهم: " ومن هذا يتضح أنه لا يجوز اتباع أحد المفسرين في تفسيره سواء أكان ممن حسن مذهبه أم لم يكن، لأنه من اتباع الظن، وهو لا يغني من الحق شيئا!!" [5].

فـــإذا كـــان كلام البنا موقفا فكريا من تفاسير القدامى، فإن الأخرس حوله إلى موقف فقهي، وهذا قول شاذ لم يقل به أحد، وإذا كانت ظنية التفاسير سببا لعدم جواز الاحتجاج بها، فإن المعرفة الإنسانية كلها ظنية ولا قطع إلا في الوحي، فهل نقول بعدم جواز اتباع المعرفة كلها لأنها ظن. إننا

---

1 - الدغامين، مرجع نفسه، ص 16.
2 - محمود عزب، ملامح التنوير، ص 63.
3 - جمال البنا، تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، ص 54.
4 - جمال البنا، تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، ص 11.
5 - رياض الأخرس، المجريات الاجتماعية لتوجه نحو التفسير الموضوعي، دار الهادي، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م، ص 28.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الحقيقة –وكما قرر العلماء- متعبدون بالظن، ولا يجوز لأحد أن يقطع بأن رأيه هو المراد الإلهي والشرعي. بل يبقى اجتهادا بشريا قد يصيب وقد يخطئ.[1]

من هذا المنطلق، يتأكد لدينا أن لا تناقض بين المفسرين القدامى والمحدثين، إلا من حيث بعض التفاصيل المتعلقة بالمناهج والاتجاهات ومجالات التفسير وأدواته. بل على العكس تماما، إن التفسير في صورته المعاصرة محاولة عودة إلى نهج السلف بعد طول جمود وركود، فجل المفسرين المعاصرين أصحاب رسالة إصلاحية وحضور ميداني في المجتمع، تماما كما كان المفسرون الأوائل منذ جيل الصحابة والتابعين ومن على نهجهم.

مفهوم الاتجاه:

يعرف الدكتور محمد إبراهيم شريف الاتجاه التفسيري فيقول أنه : "مجموعة الآراء والأفكار والنظرات والمباحث التي تشيع في عمل فكري –كالتفسير- بصورة أوضح من غيرها، وتكون غالبة على ما سواها، ويحكمها إطار نظري أو فكرة كلية تعكس بصدق مصدر الثقافة التي تأثر بها صاحب التفسير، ولونت تفسيره بلونها"[2].

أي أن الاتجاه يمثل الخلفية الفكرية أو الرؤية الفلسفية الكلية الموجهة للتفسير[3]. والطابع العام والمنحى الشامل لعمل المفسر[4].

---

1 - الشاطبي، الموافقات، ص 429. ابن قدامة المقدسي، روضة الناظر وجنة المناظر، مؤسسة الريان، ط2 ،2002م، 2/ 142. علاء الدين البخاري، كشف الأسرار ، دار الكتاب الإسلامي 31/4. الشوكاني: فتح القدير، 76/5.

2 - محمد إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد، ص 63.

3 - محمد دراجي، معالم منهج حضاري في تفسير القرآن الكريم، ص 14.

4 - عبد العزيز المجذوب، الرازي من خلال تفسيره، الدار العربية للكتاب، طرابلس، لبنان، 1396هـ/1976م،ص63.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو بعـــبارة أبـــسط، الاتجاه هو "الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون"[1].

فالاتجـــاه إذن، الإطـــار الكلي الذي يوجه المفسر ويصنع غاياته ومراميه من عمله التفسيري، ويضبط توظيفه للأدوات والمناهج المناسبة للتفسير.

---

1 - فهد الرومي، اتجاهات التفسير، ص 22، وبحوث في أصول التفسير ومناهجه، ص 55.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاتجاه والمنهج:

رغم عمومية الاتجاه وخصوصية المنهج، إلا أنه كثيرا ما يخلط بينهما، بل ويعتبرهما البعض شيئا واحـــدا[1]. والواقـــع –كما يرى د.شريف- أن المنهج التفسيري هو الوسيلة المحققة لغاية الاتجاه التفسيري، فالمنهج كالوعاء الحاوي لأفكار اتجاه تفسيري ما.[2]

كمـــا أن الاتجاه تصور وقواعد نظرية، بينما المنهج تطبيق عملي لتلك التصورات والقواعد في التفـــسير[3]. وهو نفس ما يراه د.محمد دراجي، رغم تباين الاصطلاح. فالدكتور دراجي يستخدم "المنهج" للتعبير عن "الاتجاه"، ويستعمل مصطلح "الطريقة" للدلالة على ما نقصد بها هنا "المنهج"، وهذا بالنظر –طبعا- للمضامين التي عبر عنها.[4].

وباستحضار ما قلته عن علاقة المناهج بأدوات التفسير يمكن القول أن المنهج هو نتيجة استخدام المفسر لأدوات معينة بكيفيات معينة، أي أن المنهج مجموعة تقنيات وأشكال بحثية، وغالبا ما يعنون المنهج بالعلم الغالب على استخدام المفسر في تفسيره.

ومعظـــم المناهج سميت من هذا المنظور، فعندما نقول أن منهج المفسر الفلاني منهج فقهي، فهذا يعني أنه استخدم الفقه أكثر من غيره وتوقف عنده مطولا في تفسيره الذي سيكون غطى بالضرورة آيات الأحكام أكثر من غيرها.

أمـــا الاتجاهات فهي خطوة أبعد في التفسير كعلم وكعملية، ويمكن جعلها منطلقا للانتقال إلى مستوى معرفي جديد في الطرح لعلم التفسير ولـــ"فلسفة التفسير".

---

1 - انظر مثلا محمد نبيل غنايم، دراسات في التفسير، ص 37.
2 - محمد إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد، ص 68.
3 - ينظر: عبد الفتاح الخالدي، المنهج الحركي في ظلال القرآن، دار المنار، جدة، السعودية، ص125.
4 - محمد دراجي، معالم منهج حضاري، ص 15.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من المناهج إلى الاتجاهات:

فبعد أن بدأ التفسير نصوصا مسندة ضمن علم الحديث، ثم استقل بعد حذف الأسانيد، ودونت معارفـــه، ليظهـــر لها بالتدريج مناهج خاصة[1]، ها هو التفسير في العصر الحديث ينتقل من "لغة" المـــناهج إلى لغـــة جديدة هي الحديث عن اتجاهات تفسيرية، تجعل التفاسير تصنف وتقيم حسب غاياتها ومراميها ومنطلقاتها التصورية وخلفياتها الثقافية.

وهـــو ما يراه د.عبد الحميد بوكعباش إذ يقول ما معناه: "فالتفسير قبل المنار كان شرحا يتنوع إلى مذاهب، ويشمل كل مذهب آراء عقلية وأفكار نظرية، لكنه في العصر الحديث صار يتنوع إلى اتجاهات[2].

لقد صار التفسير الحديث موجها بغايات، مما جعله معالجة عملية، لا مجرد بحث نظري أو تطبيق لغوي أو فقهي كما كان المفسر القديم، بل صار المفسر في العصر الحديث أكثر تذكرا لواقع أمته، وأكثر استحضارا لهدفه من عمله التفسيري[3].

وإن كـــان د. محمـــود عـــزب، يرى أنه حتى لغة المناهج غير مناسبة عند الحديث عن تفاسير القدامـــى، والمـــتحدث عن منهج لتفسير قديم متجاهل –كما يقول عزب- لحركة التاريخ وطبيعة التفسير في تلك العصور. [4]

---

1 - تراجع تفاصيل نشأة علم التفسير في مختلف الدراسات التفسيرية، انظر مثلا: الذهبي:التفسير والمفسرون، صبحي صالح: مباحث في علوم القرآن، ...

2 - بوكعباش، التفسير والمعرفة، ص 37.

3 - عفت الشرقاوي، قضايا إنسانية، ص 80.

4 - محمود عزب، ملامح التنوير، ص 41.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحقـــيقة أن في هذا شيئا من المبالغة، فإذا كان المفسرون السابقون لا يصرحون بمناهج معينة يعتمدونها، ولا يكلف بعضهم نفسه حتى الولوج لتفسيره بمقدمات علمية يلخص فيها تصوره لعلم التفـــسير، إلا أن هذا لا يعني أنهم لم ينطلقوا من خلفية معرفية وتصور لطريقة وأسلوب ما في كتابة التفـــسير، وإلا لما استطاع المحدثون استنطاق تلك الجهود واستخراج مناهجها، وإذا كان مصطلح المنهج حديثا، فإن صورته ومعناه كانت حاضرة عند المفسرين ولو لم يصرحوا بها.

بل يمكن الذهاب أبعد من هذا، والقول بأن ثنائية الأثر والرأي تعبر –ولو من طرف خفي- عن اتجاهـــات تفسيرية وليس مجرد مناهج. فالمفسر الأثري وهو يوظف الأداة الروائية لا بد وأنه مقتنع بأنه لا يمكن أن يفسر القرآن إلا بمستند نصي نقلي عن الوحي وجهود سلفه.

بيـــنما الممـــارس للتفسير بالرأي ينطلق من قناعة أنه لا مناص من الاجتهاد والقول بالرأي بعد الرجوع للوحي والتراث، وهو ما يشير إليه د.شريف، حيث قرر أن التفسير قديما يحكمه اتجاهان: اتجـــاه يرى كراهية إعمال العقل والرأي في التفسير، فيلجأ لجمع المرويات والتوقف عندها (الأثر) واتجـــاه راغـــب في الابـــتكار مع ثقة في قدرة العقل(الرأي). [1] و لم يمنعني من اعتماد هذه الثنائية كاتجـــاهين تفـــسيريين إلا تداخلهما وصعوبة الفصل بينهما في عمل تفسيري واحد، فلا نكاد نجد النقل إلا ومعه الرأي والعكس [2].

وهـــذا سر صعوبة التعامل مع هذه الثنائية في الدراسات التفسيرية فمرة تعد اتجاهات كما فعل د.شريف[3].ومرة يعد المنهج الأثري رافد من روافد الاتجاه العلمي كما يظهر من تقسيم الرومي[1].

---

1 - محمد إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد، ص63.
2 - صرح بهذا الكثيرون، انظر مثلا د.شريف: اتجاهات التجديد ، ص 64.
3 - نفسه، ص 83.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والدكتور الرومي نفسه في كتاب آخر يعد التفسير بالمأثور طريقة من طرق التفسير في موضع[2]، ثم يعود في موضع آخر ليعد التفسير بالمأثور منهجا من مناهج التفسير![3].

وهـــناك من يعتبر الأثر والرأي مرحلتان تاريخيتان للتفسير كما يبدو من تناول المستشرق جولد تسيهر لها[4]. وهو ما يظهر في تصنيف طبقات المفسرين عند بعض المؤلفين كالدكتور غنايم[5].

هـــذا الأخير الذي يجعلها في تقسيم آخر "اتجاهات التفسير ومناهجه"[6].معتبرا الاتجاه والمنهج شيئا واحدا، ويبدو أنه ليس الوحيد الذي يعتقد ذلك[7].

---

1 - الرومي، اتجاهات التفسير، 519/2.

2 - الرومي، بحوث في أصول التفسير، ص 71.

3 - نفسه، ص 86.

4 - جولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ص 73 وما بعدها.

5 - محمد نبيل غنايم، دراسات في التفسير، ص 29.

6 - نفسه، ص 37.

7 - انظر مثلا: التفسير ورجاله، محمد محمود حوا، ص 35.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

طريقة واحدة :

وإذا كان المفسرون القدامى لا يخرجون عن ثنائية الأثر والرأي، فإنهم ومن حيث طريقة عرض المادة التفسيرية، ملتزمون بطريقة واحدة، هي طريقة التفسير التحليلي[1].

أي تفسير القرآن آية آية، بدء بالمعاني اللغوية، ثم الآثار الواردة في الآية، ثم ما يستخرجه المفسر من معاني وأحكام، وحكم من سياق الآية، وقد يبين مدى ترابط الآية أو المقطع أو السورة كلها بما قبلها وما بعدها.

وهـــذه الطـــريقة جد مجدية في فهم الآية وربطها بسياقها، وليست –كما قال البنا- نوعا من التشريح الذي لا يتأتى إلا لجسم ميت[2].

فالقـــرآن جـــسم حي يحتاج لعقل حي يتفاعل معه ليؤطر به الواقع المتحرك، والتشريح الذي يتحدث عنه البنا تقوم به العقول الميتة، ولا ذنب للقرآن الحي في ذلك.

بين التفسير والفهم:

إن طبـــيعة ومؤهلات العقل المتفاعل مع القرآن هي التي تحدد نوعية النتاج وقيمته العلمية فإذا تفاعـــل مع القرآن عالم مختص في التفسير مستكمل لشروط التفسير، كان نتاج تفاعله مع القرآن تفسيرا أو دراسة قرآنية؛ تفسيرا إذا استوفى كل القرآن أو قسطا وافيا منه، ودراسة قرآنية إذا توقف عند موضوع معين أو نص معين. أما العقل المسلم غير المتخصص في التفسير فيمكن أن يتفاعل مع القرآن، ويكون النتاج "فهما" لا "تفسيرا"[3].

---

1 - محمد إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد، ص66. جمال البنا، تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، ص 53.
2 - جمال البنا، تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، ص 54.
3 - د.عائشة عبد الرحمن، القرآن والتفسير العصري، ص 47.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتوضح بنت الشاطئ أكثر قائلة: " القرآن نزل للعالمين و لم يترل للمتخصصين، لكن تفسيره ليس مباحا لكل الناس، والاجتهاد فيه محظور على غير العلماء، بل إن قراءته ليست مباحة للعالمين، يقرؤه كل فرد باجتهاده، وإنما أجمعت الأمة على قراءات سبع، لأئمة من المتخصصين يفصلنا عنهم بضعة عشر قرنا"[1].

وتزيد الأمر تفصيلا وتوضيحا، حيث تشير لمحاولة متخصص في علم من العلوم الكونية أو الإنسانية فهم القرآن الكريم، فإن الأمر يكون مقبولا ومجديا إذا تناول من النصوص ما يتعلق بتخصصه، أما أن يخوض في كل الآيات والعلوم باسم كونه متخصصا أو عصريا فهذا لا يقبل ولا يعقل، وجلي طبعا أن الدكتورة عائشة ذكرت ذلك مشيرة إلى د. مصطفى محمود صاحب التفسير العصري[2]. مقارنة له بدراستها القرآنية حول الإنسان: "فرق كبير بين دراسة قرآنية تخضع لأدق الضوابط المنهجية الصارمة، وبين تفسير عصري يهيم في كل واد، ويضرب في متاهة الغيبيات لا يضبطه أي قيد"[3].

وبعيدا عن التشخيص، فقد فرقت الدكتورة بين التفسير والدراسة القرآنية من جهة، وبين محاولة الفهم، والتفسير العصري من جهة ثانية، ولا شك أن شروط وضوابط تحكم النوعين لكنها مع المفسر أضبط وأدق. ومع الفهم أخف وأقل تضييقا، وهي لا تخرج عن أدوات التفسير المتناولة في موضعها من البحث[4].

---

1 - نفسه، ص 75.
2 - نفسه، ص 85.
3 - د.عائشة عبد الرحمن، القرآن والتفسير العصري، ص 107.
4 - راجع ص 39 من هذا البحث.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتبقى مشكلة التفسير والدراسات القرآنية توسعها المتزايد، وغزارة الكتابة فيها، وهنا تطرح مشكلة التأليف، أو بالأحرى مشكلة المؤلف، فقد صار يكتب في التفسير والدراسات القرآنية المتخصص وغير المتخصص وتفاقم الأمر –كما يقول الدكتور عزب- أن المتخصصين في علوم التفسير أغلبهم تقليديون لا يتجرؤون على الخروج عن نسق معين خوفا من القول في القرآن بالرأي، وبالمقابل بعض المحاولات الاجتهادية، لكنها من غير متخصصين في الدراسات القرآنية والشرعية، يعتبرون عادة متطفلين دخلاء[1]. كما حدث للكثيرين من أمثال د.مصطفى محمود.

عرض وتصنيف لاتجاهات التفسير الحديث:

مصادر العرض:

يجب أن نسجل بداية عدم كثرة المصنفات المهتمة باتجاهات التفسير في العصر الحديث، كموضوع محوري لها[2] لا كجزء من الدراسة يعرج عليه المؤلف، هذا من جهة، كما أعني أيضا عدم الاكتفاء بالسرد التاريخي كما فعل البعض، مع قليل جهد في التركيز على تصنيف التفاسير الحديثة واستكشاف اتجاهاتها ومناهجها، واستخراج ضوابطها وقواعدها، مع التنبيه على أن أغلب المحاولات اتجهت إلى استكشاف منهج كل مفسر على حدة، ومن أهم الدراسات التي أعتبرها محورية في موضوع اتجاهات التفسير:

---

1 - د.محمود عزب، ملامح التنوير، ص 48، 64.

2 - هذا مقارنة مع اهتمام الدراسات بمناهج المفسرين القدامى من جهة، ثم مدى إحاطة هذه الدراسات بتفاسير العصر الحديث من جهة ثانية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1- الدراسة القيمة للشيخ محمد حسين الذهبي : "التفسير والمفسرون" التي توقف فيها مطولا عند تفاسير القدامى، وختمها بكلمة عامة عن التفسير وألوانه في العصر الحديث. (1)

2- اتجاه التفسير في العصر الحديث، مصطفى محمد الحديدي الطير.

3- قضايا إنسانية في أعمال المفسرين، الدكتور عفت الشرقاوي، وهي دراسة قيمة تعمق فيها صاحبها و لم يكتف بمجرد السرد والوصف.

4- اتجاهـــات التجديد في التفسير في العصر الحديث للدكتور محمد إبراهيم شريف، وهي من أهم ما كتب في الموضوع.

5- اتجاهات التفسير في العصر الراهن، الدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب.

6- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي. وهو دراسة أكاديمية مطولة في ثلاث مجلدات، توقف فيها صاحبها عند مختلف تفاسير المذاهب الإسلامية، مع ملاحظات على تقسيمه، نسجلها في مظانها من هذا البحث.

7- التفـــسير والمفـــسرون في العصر الحديث، الدكتور عبد القادر محمد صالح، وهي إضافة رصدية هامة يعتبرها صاحبها امتدادا وتتمة لجهد الذهبي، مع وقفة هامة مع التفسير الحداثي.

8- التفسير ورجاله، محمد محمود حوا، وهي دراسة مبسطة يقترحها المؤلف كمقرر للمعاهد الدينية، مع الإشارة للملحق الهام المرفق بها، بقلم الدكتور عبد المجيد البيانوني.

9- ملامـــح التنويـــر في مـــناهج التفـــسير، الدكتور محمود عزب. وهي قراءة تحليلية تتبعية لاتجاهات التفسير الحديث.

---

1 - محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ص473.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

10- أصول التفسير وقواعده، الدكتور خالد عبد الرحمن العك.

11- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، الدكتور محمد بن لطفي الصباغ.

هـــذه أهـــم الدراســـات التي اطلعت عليها، والتي أعتبرها مفتاحية لكل من يريد الكتابة عن اتجاهـــات التفسير الحديث، ويمكن الإفادة –طبعا- من كثير من الدراسات في هذا الموضوع الهام، وستظهر بعضها في ثنايا هذا البحث.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقفة إجمالية:

بعد اطلاعي على تلكم المؤلفات وغيرها، سجلت الملاحظات التالية:

1- يكـــاد يجمع المؤلفون على التقسيم الثلاثي: الاتجاه الاجتماعي، الاتجاه الأدبي، الاتجاه العلمي. مـــع إضافة اتجاهات أخرى عند البعض، بعضها حديث وبعضها قديم، وأكثرها مناهج وأساليب تفسيرية، وسنفصل ذلك في حينه.

2- الاتجاهـــات الثلاث المذكورة يدخلها البعض معا لتصير ثنائية، فكثيرا ما نجد الاتجاهين الأدبي والاجتماعـــي اتجاها واحدا. بل وهناك من استطاع أن يجمع بين الاتجاهين الاجتماعي والعلمي في اتجاه واحد.

ثم هناك من يوسع دائرة الاتجاه العلمي ليدخل فيه علوما أخرى غير العلوم التجريبية، كالفقه. وهناك من يفصّل الاتجاه الأدبي إلى بياني وذوقي.

3- لقي الاتجاه العلمي (التجريبي) نقدا مستفيضا من الكثيرين، بدء من الذهبي، وكان جل نقدهم مسلطا على زعيم هذا الاتجاه الشيخ طنطاوي جوهري صاحب تفسير الجواهر.

4- تتردد بعض المصطلحات تجمع بين الاتجاهين الاجتماعي والأدبي، أقصد وصف "الإصلاحي" و"الهدائي" والواقع أن كل الاتجاهات الحديثة إصلاحية هدائية، سواء أكانت اجتماعية أو أدبية أو علمية.

وغني عن الإشارة إلى أن التصنيف تغليبي، أي أن التفسير الاجتماعي لا يخلو من الإشارات العلمية والصياغة الأدبية وهكذا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5- اســـتمرار التصنيف التقليدي: "تفاسير الرأي المذموم" في تعابير جديدة: الاتجاهات المنحرفة، الاتجاهات الإلحادية، والتفسير الحداثي.

6- تطرح المدرسة الشيعية ألوانا جديدة في التفسير، كالتفسير المعادلاتي، والبنائي، والتوحيدي[1].

وتكـــاد تكـــون كلها أوجها عدة للمنهج الموضوعي الذي بدأت بذوره قديما، ثم صار مجالا خصبا للتأليف والممارسة، وذلك بعد أن تبناه الجامع الأزهر كمقياس دراسي. وصار يعتبر تفسير المستقبل، ويتوجه نحو أن يصير علما مستقلا[2] بعد تعاظم الدعوة إليه وتعدد محاولاته.[3]

وقـــد أشار رياض الأخرس للاتجاهات السابقة (التفسير الموضوعين المعادلاتي، البنائي، التوحيدي) علـــى أنها اتجاهات حديثة، بينما صنف ثلاثية (التفسير الاجتماعي والأدبي والعلمي) ضمن سلسلة مناهج القدامى.[4]

7- انتـــشار ظاهـــرة تلخـــيص وتبسيط تفاسير القدامى، ومن الرواد في هذا الشيخ محمد علي الصابوني، الذي اختصر تفسيري الطبري وابن كثير[5].

---

1 - انظر مثلا، رياض الأخرس، المجريات الاجتماعية، ص80 وما بعدها.
2 - د صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي ، ص19-30. وينظر رياض الأخرس، المجريات الاجتماعية، ص92.
3 - علي الأوسي، الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان، ص113.
4 - رياض الأخرس، المجريات الاجتماعية، ص49 وما بعدها.
5 - محمد محمود حوا، التفسير ورجاله، ص153.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقفة تفصيلية:

بعد هذه الإشارات الكلية، أقف هنا مع أهم تقسيمات المصنفين لاتجاهات المفسرين في العصر الحديث.

1- تقسيم الذهبي:

يقسم الشيخ محمد حسين الذهبي "ألوان" التفسير في العصر الحديث إلى أربعة: اللون العلمي واللون المذهبي واللون الإلحادي واللون الأدبي الاجتماعي[1].

وتبدوا في عرضه معارضته للتفسير العلمي الذي لم يلق –حسب الذهبي- قبولا لدى كثير من المثقفين[2]. خلافا لمدرسة محمد عبده التي يعتبرها المجسّد لتفسير أهل السنة، حين فصل اللون المذهبي[3]. ومدرسة محمد عبده هي ذاتها اللون الأدبي الاجتماعي، وقد ذكرها الذهبي مرتين بسبب إدخاله اللون المذهبي الذي يعد تقييما وتصنيفا حسب المذهب والعقيدة، لا حسب الجهد المبذول في التفسير، ويمكن توظيفه لكن في إطار تقسيم آخر باعتبار مذهب المفسر، ثم يكون اجتماعيا أو علميا أو أدبيا... إما دمج التقسيمين معا، فهو السبب في هذا الخلط المنهجي الذي يجعل المصنف مضطرا لتكرار نموذج واحد في خانتين مختلفتين، كما نلحظ جمع الذهبي بين الاتجاهين الأدبي والاجتماعي مع إمكانية الفصل بينهما، وإن كانا جد متقاربين ومتلازمين من حيث المنشأ والأسلوب.

2- تقسيم الشرقاوي:

---

1 - محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، 474/2.

2 - نفسه، 484/2.

3 - نفسه، 497/2.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يلخــــص الدكــــتور عفت الشرقاوي الاتجاهات التفسيرية الحديثة في ثلاثة: فهو يفصل بين الأدبي والاجتماعــــي –خلافا للذهبي- إضافة للاتجاه العلمي، وقد صرح في البداية أن التفسير في العصر الحديث اتجاهان: اجتماعي وعلمي، وبين هدف كل اتجاه[1]. ثم ذكر اتجاها ثالثا فيما بعد: "الاتجاه الأدبي"[2]. وكأنه يعتبره اتجاها فرعيا، خاصة وانه يشير لارتباطه بالاتجاه الاجتماعي[3].

وعمــــوما، فالدكــــتور الشرقاوي يصرح بمصطلح "الاتجاهات" ، كما انه يعرض لكل اتجاه مبينا هدفــــه المحدد لوجهته، فالاتجاه الاجتماعي يعنى بإحياء المفهوم الاجتماعي للكلمة القرآنية ... وهو يهــــدف للعــــثور على معيار إسلامي تستطيع به ثقافتنا الأصيلة الحكم على القيم الجديدة الوافدة والاستفادة منها في غير جمود[4].

بينما يعنى الاتجاه العلمي بربط النظرية العلمية الحديثة بالنص القرآني في محاولة للعثور على مركب ثقافي نستجمع به شخصيتنا الحضارية، بعد شتات[5].

بينما الاتجاه الأدبي فهو اتجاه يهتم بقضايا الإعجاز القرآني[6].

---

1 - عفت الشرقاوي، قضايا إنسانية في أعمال المفسرين، ص81.
2 - نفسه، ص97.
3 - نفسه.
4 - نفسه، ص81،82.
5 - نفسه.
6 - عفت الشرقاوي، قضايا إنسانية في أعمال المفسرين ، ص97.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3- تقسيم د.محمد إبراهيم شريف:

يستعمل الدكتور شريف مصطلحا جديدا "الاتجاه الهدائي"[1] للتعبير عن الاتجاه الاجتماعي الإصلاحي، إضافة للاتجاهين الآخرين: الأدبي والعلمي، كما يعتبر تفسير المنار موسوعة تفسيرية تضم كل الاتجاهات والمناهج، من الصعب تصنيفها، تماما كما وقع للمصنفين مع تفسير الطبري[2].

كما أنه يرى أن الاتجاه الواحد قد يحمل بين جوانبه عدة روافد وتيارات متنوعة لا تخرجه عن اتجاهه[3]. وان الاتجاه الواحد يضم عدة نزعات تمثل كل "نزعة" حصيلة كل مفسر من ثقافة عصره ومدى تمثله واستيعابه لما اختص من هذه الثقافة[4].

فالاتجاه الأدبي مثلا يشمل عدة نزعات؛ نزعة لغوية بيانية كما في تفسير بنت الشاطئ، ونزعة انطباعية ذوقية رائدها سيد قطب، ونزعة نفسية يمثل لها بالدكتور أمين الخولي وعبد الوهاب حمودة[5].

وبعد تفريقه بني الاتجاه والمنهج (أو الطريقة) يذكر الدكتور شريف أربع مناهج: المنهج التقليدي القديم(التحليلي)، المنهج الموضوعي، المنهج الموضوعي التقليدي، والمقالة التفسيرية[6].

---

1 - د.محمد إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد، ص 309.
2 - نفسه، ص66.
3 - نفسه، ص64.
4 - نفسه، ص65.
5 - نفسه.
6 - سبق تفصيل ذلك في ص 68، 80، وانظر اتجاهات التجديد، ص466،439،452،426.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4- تقسيم د. عبد المجيد المحتسب:

يطـــرح الدكتور المحتسب تقسيما ثلاثيا لا أثر فيه للاتجاه الأدبي، فهو يعتبر أن التفسير الحديث نحا ثـــلاث اتجاهات: اتجاه سلفي يمثل له بمحاسن التأويل للقاسمي[1]، واتجاه عقلي توفيقي بين الإسلام والحـــضارة الغربية جسده الإمام محمد عبده بترعته العلمية من جهة، والإصلاحية الخلقية من جهة ثانية[2].

ويختمها باتجاه علمي يمثله القاسمي ومحمد عبده، وجوهري والألوسي[3].

ويظهر في هذا التقسيم أثر ثنائية "الأثر والرأي" في تعبير الدكتور المحتسب بالسلفي مقابل العقلي، ثم هـــو يفـــصل بـــين العقلي والعلمي، وكان مقتضى تصنيفه أن يجعلهما اتجاها واحدا في مقابل السلفي.

بل إن الاتجاه العلمي أكثر تجسيدا لمحاولة التوفيق بين الإسلام والحضارة الغربية. ثم هو يجعل التفسير الواحد نموذجا لأكثر من اتجاه، وهذا اضطراب منهجي يجب تجاوزه، لأنه يخلّ بأصل التقسيم، وما فائدة التصنيف إذا لم يسعه الفصل بين التفاسير ولو عبر تغليب نزعة على نزعة.

والواقـــع أن كـــل تفاسير العصر الحديث إصلاحية اجتماعية، بها مسحة أدبية وأخرى علمية، بل وأخـــرى سلفية، وفي نفس الوقت يكاد يكون كل تفسير اتجاها بعينه، وخطّا فريدا لا يكاد يلتقي مع غيره إلا في بعض الجزئيات والتفاصيل. وهذا سر صعوبة التصنيف. ونفس الكلام تقريبا يقال عن تفاسير القدامى.

---

1 - عبد المجيد المحتسب، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص41.
2 - نفسه، ص101.
3 - نفسه، ص245.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5- تقسيم د. فهد الرومي:

يمكن القول أن الدكتور الرومي أكثر من فرّع تفاسير العصر الحديث[1]، فقد حصر التفاسير الحديثة في خمسة اتجاهات؛ الاتجاه العقائدي، الاتجاهات العلمية، منهج المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة، الاتجاه الأدبي، الاتجاهات المنحرفة[2].

ويلخص في الاتجاه العقائدي مناهج أهل السنة والجماعة، ومنهج الشيعة، منهج الإباضية، ومنهج الصوفية بلونيه النظري والإشاري [3].

وقد تفرّد الرومي بتوسيع نطاق الاتجاه العلمي ليشمل المنهج الفقهي والمنهج الأثري إلى جانب المنهج العلمي التجريبي الذي يفرده الباقون بصفة العلمية[4].

أما مدرسة المنار، فقد خصها الرومي باتجاه/منهج خاص سماه منهج المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة في التفسير.[5]

أما الاتجاه الأدبي ففرعه إلى منهجين: المنهج البياني ومنهج التذوق الأدبي في التفسير.[6]

ويختم تصنيفه بذكر الاتجاهات المنحرفة التي فرعها إلى المنهج الإلحادي، منهج القاصرين في تفسير القرآن واللون اللامنهجي في التفسير[7].

ونسجل على تقسيم الرومي الملاحظات التالية:

---

1 - مر بنا التقسيم في ص 76-77 لكن نعيده هنا في حدود الحاجة.
2 - فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، 45/1.
3 - نفسه، 51/1.
4 - نفسه، 415/2.
5 - نفسه، 2/ 705-718، وهو عنوان كتاب مستقل خصصه لهذا الاتجاه.
6 - فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، 861/3.
7 - فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، 1057/3.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- احتفاظه بثلاثية الأدبي/العلمي/الاجتماعي مع تعبيره عن هذه الأخيرة بالعقلية الاجتماعية الحديثة.

- حصره للاتجاه الاجتماعي في مدرسة المنار، مع ملاحظة أنه يعتبره منهجا في مقابل اتجاهات.

- توسيعه لدائرة الاتجاه العلمي –كما سبق القول- ليشمل المنهج الفقهي والأثري، مع العلمي التجريبي.

- إضافته لاتجاهين –أراهما غير ضروريين في التصنيف ولا ملائمين لمقابلة الاتجاهات الثلاثة السابقة. فالحديث عن اتجاه منحرف يكون بمقابلة الاتجاهات "المستقيمة" الأخرى.

أما عن الاتجاه العقائدي، فإقحام لمذهبيات المفسرين في مناهجهم واتجاهاتهم. وكان كافيا من الناحية المنهجية، أن يبين اتجاه التفسير؛ أعلمي هو أم هو أدبي أم اجتماعي؟ ثم له أن يعقب بعد ذلك على كونه سنيا أو شيعيا...، مستقيما أو منحرفا في تفسيره.

- وتجدر الإشارة إلى أن الدكتور الرومي في كتاب آخر (هو بحوث في أصول التفسير) قد فصّل مناهج التفسير دون تصنيفها إلى اتجاهات، والمناهج التي ذكرها هي: منهج التفسير بالمأثور، المنهج الفقهي، المنهج العلمي، المنهج العقلي، الاجتماعي، البياني، ومنهج التذوق الأدبي[1].

وواضح من خلال تتبع هذه المناهج، اندراجها تحت الاتجاهات الثلاث التي قررها سلفا على الترتيب: العلمي، الاجتماعي، الأدبي، مع ملاحظة أنه فصل هنا بين المنهج العقلي والاجتماعي، خلافا لما قرره سلفا؛ فالتفسير العقلي –عنده- مرادف للتفسير بالرأي والتفسير بالاجتهاد

---

1 - فهد الرومي، بحوث في أصول التفسير، 86-110.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والدرايــــة[1]، ويقـــسمه إلى نـــوعين: تفسير بالرأي المحمود، ويمثل له بتفسير الألوسي والسعدي والقاسمـــي[2]، في مقابـــل تفاسير الرأي المذموم، كتفسير الميزان للطباطبائي والكاشف لمحمد جواد مغنية والبيان للموسوي الخوئي وهميان الزاد لمحمد بن يوسف أطفيش[3].

أما التفسير الاجتماعي فيمثل له بتفاسير مدرسة المنار وتفسير الظلال وتفسير شلتوت[4].

6- **تقسيم د.غنايم:** فصّل الدكتور محمد نبيل غنايم تقسيمات التفاسير باعتبارات مختلفة: من حـــيث اللفظ، باعتبار المفسِّر، باعتبار المفسَّر، تقسيم محمد رشيد رضا، باعتبار طبقات المفسرين، باعتبار اتجاهات التفسير ومناهجه[5].

وفي التقسيم الأخير، باعتبار اتجاهات التفسير ومناهجه، حيث توقعت تصنيفا مضيفا للبحث، عاد بنا الدكتور غنايم للتقسيم التقليدي: المأثور والرأي مع قسم ثالث التفسير المذهبي[6].

لكـــنه في التقسيم التاريخي الذي قبله(طبقات المفسرين) [7]، يذكر في آخر طبقة (وهي الطبقة الثامـــنة طـــبقة المُحْدَثين) يذكر جملة اتجاهات في سياق ذكر نماذج من تفسير المحدثين: المتبحّر في العلـــوم كطنطاوي جوهري، والمهتم بالجمع كالمراغي، والمركّز على هداية القرآن كمحمد عبد ورشيد رضا، والتربوي كسيد قطب، والتعليمي كحجازي وبرانق[8].

فقد ذكر د.غنايم خمس اتجاهات: علمي، جمعي، هدائي، تربوي وتعليمي.

---

1 - نفسه، ص100.
2 - نفسه، ص103.
3 - نفسه ، ص104.
4 - نفسه، ص105.
5 - د.محمد نبيل غنايم، دراسات في التفسير، ص17 وما بعدها.
6 - د.محمد نبيل غنايم، دراسات في التفسير، ص37.
7 - نفسه ص29.
8 - نفسه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونلحظ بداية غياب الاتجاه الأدبي. وإيراده لاتجاه "جامع" يمكن اعتباره ممثل الاتجاه الأثري السلفي في العصر الحديث.

وبينما تردد غيره في تصنيف تفسير الظلال بين أدبي واجتماعي، فإن الدكتور غنايم يعتبره تفسيرا تربويا. وفي الظلال كل ذلك: التربية والأدب والإصلاح والاجتماع، ومن الصعب حقا تصنيفه، ولعل اعتباره منهجا خاصا في التذوق الأدبي مخرج علمي مؤقت من إشكال تصنيفه.

كما نسجل إضافة د. غنايم لاتجاه جديد: الاتجاه التعليمي، وهي التفاتة هامة، باعتبار أن كثيرا من الأعمال التفسيرية الحديثة نحت هذا المنحى، أي تقديم تفسير تعليمي أكاديمي ممنهج مبسط، في صورة تحليلية ملخصة، مفردات ومعاني، ثم أحكام وحكم.

7- تقسيم د.عبد القادر محمد صالح:

في دراسته الراصدة لعشرين تفسيرا حديثا، يذكر د.عبد القادر محمد صالح ثمانية أنواع: التفسير العام، المنهجي، الموضوعي، الأدبي الاجتماعي، الفقهي، الإشاري، البلاغي، الحداثي[(1)].

ومن خلال الكتاب، يبدو المؤلف مهتما برصد التفاسير أكثر من الجانب المنهجي للتصنيف، فتعبير المؤلف "تفسير عام"[(2)] غير منضبط، ولعله يقصد معنى الموسوعية الذي كان يطلق على تفاسير القدامى.

أما عن "التفسير المنهجي"[(3)] فاصطلاحه في غير محله، فبمفهوم المخالفة، كل ما عداه تفسير غير منهجي، ومن المؤكد أنه لا يقصد هذا، ولعله يقصد المنهج التعليمي الذي ذكره د.غنايم، فأمثلته تدل على ذلك، رغم

---

1 - عبد القادر محمد صالح، التفسير والمفسرون في العصر الحديث، ص195، 249، 301، 361، 385، 401، 453.
2 - نفسه، ص109.
3 - نفسه، 195.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنه ذكر بينها تفسير الشعراوي[1]، الذي يمكن تصنيفه في غير هذه الخانة، فتفسير الشعراوي أقرب إلى التفسير العلمي الذي لم يذكره الدكتور عبد القادر.

ثالث اتجاه يذكره المؤلف طريقة وأسلوب في التفسير لا منهج وهو التفسير الموضوعي[2]، ثم هو يجمع بين الاتجاهين الأدبي والاجتماعي ليدخل تفسير سيد قطب مع تفاسير مدرسة المنار.

أما بقية التفاسير الأدبية فيذكر بعضها تحت مسمى التفسير البلاغي[3] ويختم بوقفة مع دراسة محمد شحرور : الكتاب والقرآن، مصنفا لها كتفسير حداثي[4].

وعمـــوما فـــإن استعراض الأستاذ عبد القادر محمد صالح تفصيلي لا منهجي ، فهو يقف مع التفاســـير مـــصنفا لها حسب ما يراه غالبا على نهج المؤلف في عمله. ولعله أشبه ما يكون بعمل الذهبي، ولذلك اختار لنفسه نفس عنوان الذهبي: التفسير والمفسرون.

8- تقسيم د. عبد المجيد البيانوني:

وضع الدكتور البيانوني ملحقا لكتاب التفسير ورجاله للأستاذ محمد محمود حوا، وقد صنف التفاسير المعاصرة حسب شكل التجديد الذي تطرحه. فالتفاسير –حسبه- أربعة اتجاهات[5]:

تفاســير مجدّدة من حيث الشكل، وتفاسير مجدّدة من حيث الموضوع، وتفاسير مجدّدة جامعة، وتفاسير معنيّة بالاختصار والتهذيب، اختصار وتهذيب التفاسير القديمة بالطبع.

---

1 - نفسه، 219.
2 - نفسه، 249.
3 - نفسه، 401.
4 - نفسه، ص453.
5 - عبد المجيد البيانوني، ملحق كتاب التفسير ورجاله، محمد محمود حوا، ص151.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقــد اهتم هذا التقسيم بمعيار آخر ، غير ما اهتمت به التقسيمات السابقة، وإذا أردنا مقابلة هـــذا التقـــسيم بغيره، فإن الاتجاهين الأدبي والعلمي ضمّنهما في قسم التفاسير المحددة من حيث الموضوع. أما التفسير الاجتماعي الذي لا يظهر في تقسيم البيانوني، فقد اعتبره مدرسة عقلية ذات مسحة اعتزالية، مع فكر تجديدي طموح(1).

ومـــن خـــلال شرحه لتقسيمه، تبدو التفاسير الاجتماعية أقرب إلى ما سماه التفاسير الجامعة لأكثر من منهج، المتميزة بحسن العرض والإتيان بما يلائم حاجة العصر واهتمامات الناس(2). وهي أوصاف تلائم مدرسة المنار والتفاسير الاجتماعية عموما.

أمـــا التجديد الشكلي فهو أحد خصائص التفاسير التعليمية، بينما التفاسير المعنية بالتلخيص فيمكن عدّها امتدادا للمنهج الأثري النقلي.

9- تقسيم الشيخ العك:

يطرح الشيخ خالد عبد الرحمن العك ثلاث اتجاهات تفسيرية، دون أن يصرح بتسمية الاتجاه؛ فهـــناك اتجـــاه أثري يشمل المنهج النقلي والمنهج اللغوي الذي لا يخرج عن النقل(3). واتجاه عقلي اجـــتهادي يشمل منهجين: منهج عقلي ومنهج اجتهادي(4). كما ضمنه التفسير الإشاري، جامعا بين الإشارات الصوفية والإشارات العلمية(5).

---

1 - نفسه، ص151.
2 - نفسه، ص152.
3 - خالد العك، أصول التفسير وقواعده، ص135،119.
4 - نفسه، 163، 165، 173.
5 - نفسه، ص203 ، 210، 217.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمــا الاتجــاه الثالث فجمع فيه الاتجاهات المنحرفة بمختلف ألوانها: المنهج الكلامي الفلسفي، المنهج الفلسفي الصوفي، الغلاة المتعصبون، التفسير السياسي، التطرف في التفسير العلمي، ومدّعوا التجديد[1].

ولا نزال نلحظ استمرار أثر ثنائية المأثور والرأي في طروحات المصنفين، ولو مع بعض التغيير في المصطلحات.

ثم بخصوص الاتجاه الثاني، الشيخ العك يفرّق بين المنهج العقلي والاجتهادي، لكن المطلع على شــرحه لكل منهج، لا يكاد يجد فرقا بينهما. فالمنهج العقلي –مثلا- يعرّفه بأنه "الاجتهاد في فهم النــصوص القرآنية وإدراك مقاصدها ومراميها من مدلولاتها ودلالاتها"[2]. وهو نفس ما قاله عن المنهج الاجتهادي الذي يعرّفه بأنه "بذل المفسر جهده في تفهم معنى النص القرآني، والكشف عن مرامي ألفاظه ومدلولاتها"[3].

كما أن جمع العك بين المنهج الصوفي والمنهج العلمي مثير للانتباه والاهتمام، وإن كنت أرى فــيه إضفاء صبغة منهجية على نزعة لا منهجية، أعني الصوفية، كما أنه من جانب آخر، حط من قــدر التفسير العلمي، من الناحية المنهجية على الأقل، بغض النظر عن تقييمه والموقف منه، وربما وجهة نظر الشيخ العك مردها إلى بعض الطروحات التي أساءت تجسيد المنهج العلمي، فعرضته في صورة شبه صوفية، لكن بلغة وأمثلة ومصطلحات علمية معاصرة، كما نلحظ في التفسير العصري للدكتور مصطفى محمود مثلا.

---

1 - نفسه، ص225، 231، 237، 242، 248، 252، 255.
2 - خالد العك، أصول التفسير وقواعده ، ص167.
3 - نفسه، ص176-177.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما عن الاتجاهات المنحرفة[1]، فتصلح تقييما لنماذج أكثر منها تقسيمات منهجية، فليس كل توجه فلسفي أو سياسي أو صوفي منحرفا بالضرورة، ولو تحفظ فقال كما قال عن الاتجاه المتطرف في التفسيرات العلمية لكان أنسب. أما مدعو التجديد فليس كل من يدّعي التجديد في التفسير منحرفا، وإلا استنتجنا من هذا أن الشيخ العك يرفض –أصلا- فكرة التجديد في علم التفسير.

وواضح من الأمثلة التي ضربها أنه صاغ تعبيراته في ضوء كل مثال وجده لتفسير يراه منحرفا، فتعبيره "التفسير السياسي" يقصد به تفاسير الشيعة[2]، والتطرف في التفسير العلمي يقصد به تفسير الجواهر[3]، ومدعوا التجديد منهم د.مصطفى محمود وعبد الودود يوسف وأبو زيد والنيهوم[4].

10. تقييم الصباغ:

يعرض الدكتور محمد بن لطفي الصباغ لخمس اتجاهات، ويجمل خمسا أخرى تحت مسمى "اتجاهات أخرى" وهي التفسير الموضوعي والفقهي والإشاري والفلسفي وتفاسير الفرق الضالة[5].

أما الاتجاهات الخمس الرئيسية فهي: الاتجاه اللغوي، اتجاه التفسير بالمأثور، اتجاه التفسير بالرأي، الاتجاه العلمي، المنحى الإصلاحي الاجتماعي في التفسير[6].

وقد توسع الصباغ في الاتجاه اللغوي لسببين –حسب قوله- الأول أنه أقدم اتجاه تفسيري، والثاني أنه كتب كتابه أصلا للمختصين في اللغة العربية[1].

---

1 - نفسه، ص225.
2 - خالد العك، أصول التفسير وقواعده ، ص249.
3 - نفسه، ص252.
4 - نفسه، ص255.
5 - د.محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص324.
6 - نفسه، 219، 279، 292، 308.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمـــتأمل في تقسيم الصباغ يلمح فيه مسحة تاريخية، فالتفسير بدأ شرحا لغويا ونقلا أثريا، ثم ظهـــر الــــرأي، وتـــلاه توظيف العلوم في التفسير، ليظهر الخط الإصلاحي الاجتماعي في العصر الحديث.

فهذا الترتيب التاريخي لتطور التفسير هو نفسه تقسيم الصباغ على الترتيب.

أما ما سماه "اتجاهات أخرى" فهي ألوان تفسيرية لم يجد لها موقعا في تصنيفه، مع التأكيد على كون التفسير الموضوعي طريقة وأسلوبا لا اتجاها تفسيريا في تصوري على الأقل.

وكان يسعه أن يضيف التفسير الفقهي للاتجاهات الأثرية، أو حتى العلمية كما فعل الرومي، ويضيف المناهج الفلسفية والإشارية لاتجاه التفسير بالرأي، لأنها ترعرعت في ظله تاريخيا.

11- تقسيم الدكتور عزب:

في كـــتابه: ملامـــح التنويـــر، يطالعنا الدكتور محمود عزب بتقسيمه لاتجاهات أو بالأحرى "تـــوجهات" التفـــسير علـــى حد تعبيره[2]، الذي أسسه على موقع كل تفسير من ثنائية السلفية والحداثة، فكانت التوجهات ثلاثة: توجهات سلفية، وتوجهات بين السلفية والحداثة، وتوجهات حداثية[3].

أما التوجهات السلفية فتتلخص عنده في توجهات ثلاث:

1- توجه إصلاحي أسست له مدرسة المنار بأعلامها الثلاث:الأفغاني، محمد عبده، رشيد رضا.[4]

---

1 - نفسه، ص217-219.

2 - استخدم د.عزب مصطلح توجهات. انظر مثلا ص135،95.

3 - لم يصرح الدكتور بتقسيم من أول كتابه، لكني استنتجته من ثنايا حديثه، راجع الملمح 4، 5، 6، 7، 8، حول التوجهات السلفية، ص59-133 الملمح9 بين السلفية والحداثة ص135 والملمح 10 حول التوجه الحداثي ص153.

4 - محمود عزب، ملامح التنوير في مناهج التفسير، ص59-93.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2- تـــوجه إيديولوجـــي، يشمل نموذجين: التفسير العلمي ممثلا له بطنطاوي جوهري، والتفسير السياسي الاجتماعي مجسدا في سيد قطب[1].

أما الاتجاه الأدبي، فيعتبره الدكتور عزب تجديدا حقيقيا في التفسير، وأعلامه صاحب النظرية د.الخولي، وأشهر تلاميذه الذين طبقوا نظريته د.عائشة عبد الرحمن ود. محمد أحمد خلف الله[2].

أما بقية المحاولات التي اعتاد المصنفون وصفها بالمنحرفة والإلحادية والضالة، فقد وقف عندها صاحب ملامح التنوير وقفة تبدو أكثر تأنيا وعمقا، وصنفهم إلى خط وسط بين السلفية والحداثة، يمثله الدكتور حسن حنفي والدكتور أبو القاسم حاج حمد والدكتور محمد شحرور[3].

3- ويختم بالاتجاه الحداثي أو القراءة التأويلية التي مثل لها بالدكتور نصر حامد أبو زيد والدكتور محمد أركون[4] أهم رموز مدرسة التفسير التأويلي.

والحقيقة أن التصنيف يدل على عمق في الرؤية وقدر من الموضوعية في التحليل، بعيدا عن مجرد السرد ورص المعلومات حول المفسرين وتفاسيرهم كما عودنا جل المصنفين في مناهج التفسير.

لكـــن نلحـــظ علـــى تقـــسيم د. عزب نوعا من الميل والتسامح مع التوجهات التوفيقية[5] والحداثـــية[1]، مـــع اعتبار خاص للاتجاه الأدبي البياني، واعتباره تجديدا حقيقيا، ثم اعتباره أساسا لتفسيرات الحداثيين[2].

---

1 - نفسه، ص95.

2 - راجع : محمود عزب، ملامح التنوير في مناهج التفسير، ص115 وما بعدها.

3 - نفسه، ص135 ما بعدها.

4 - نفسه، ص153 وما بعدها.

5 - أقصد بالتوفيقيين الاتجاه الوسط بين السلفية والحداثة، التي يعتبرها دراسات تنطلق من التراث وتحاول الرجوع بالقرآن. ص137.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبغـــض النظر عن ذلك، يبقى استخدامه لمصطلح "إيديولوجي" غير دقيق، فإذا صح ذلك في حق التفاسير السياسية الاجتماعية، فكيف نستسيغه في حق تفسير علمي! وإن كان المؤلف نفسه متـــرددا في استخدامه، إذ يقول: "التوجه الإيديولوجي في التفسير: لا ندري حقا إن كانت هذه التسمية صحيحة"[3].

12- تقسيم رياض الأخرس:

جمـــع صاحب المجريات الاجتماعية، كل الاتجاهات والمناهج المتداولة في الدراسات التفسيرية تحت مسمى "الاتجاهات الرئيسية في التفسير"[4] مقابل "الاتجاهات الحديثة"[5]

ورغـــم أنه يذكر ثلاثية (علمي/إصلاحي/أدبي) إلا أنه يدرجها ضمن الاتجاهات الرئيسية أي القديمة، ما دامت مقابلة للاتجاهات الحديثة[6].

وقـــد أورد المؤلـــف ضـــمن الاتجاهات الرئيسية: المنهج اللغوي، الروائي، الفقهي، الصوفي، الفلسفي، العقائدي الكلامي، إلى جانب العلمي والإصلاحي الاجتماعي والأدبي[7].

أمـــا الاتجاهـــات الـــتي يعتـــبرها حديـــثة، فهـــي: المنهج البنائي، والتوحيدي، والمعادلاتي والموضوعي[8].

---

1 - يقول د.عزب مدافعا عن الحداثيين انهم لا يتجاهلون قداسة النص المقدس، وأنها تستمد معاييرها من التراث، وإنها على وعي جيد بالتراث، وإنها تبشر بميلاد جديد لمدرسة في الفكر الإسلامي... ص156،155.

2 - محمود عزب، ملامح التنوير، ص156.

3 - محمود عزب، ملامح، ص97.

4 - رياض الأخرس، المجريات الاجتماعية والتوجه نحو التفسير الموضوعي، ص49 وما بعدها.

5 - نفسه، ص80 وما بعدها.

6 - يراجع المجريات الاجتماعية، ص64، 69، 75.

7 - راجع على الترتيب المجريات الاجتماعية، ص49، 52، 55، 56، 59، 62، 64، 69، 75.

8 - رياض الأخرس، المجريات الاجتماعية والتوجه نحو التفسير الموضوعي ، ص80، 84، 88، 92 على الترتيب.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجديــر بالإشارة أن المناهج الحديثة التي ذكرها –عدا الموضوعي- طروحات شيعية، فالمنهج البنائــي مــثلا طــرحه الدكتور محمود البستاني[1]، اما المنهج التوحيدي والمعادلاتي فقد ذكرهما الدكتور غالب حسن الشابندر في دراساته[2].

وإن كان الدكتور حسن الترابي قد بدأ مشروعا تفسيريا سماه التفسير التوحيدي[3].

كمــا ان المــناهج الــتي ذكرها -والتي لم يذكرها- مما تطالعنا به الدراسات يوما بعد يوم، كالمــنهج التراتبي والتطبيقي... فهي إعادة صياغة للمنهج الموضوعي، وهي طرائق في التفسير تنظر للقرآن نظرا موضوعيا، مع اختلاف –ربما- في كيفية وزاوية النظر وطريقة العرض.

ولا شــك أنها تحتاج إلى دراسات علمية متأنية فاحصة تكشف لنا عن حقيقتها، كما تحتاج لتتــبع زمني يجعلها تنضج كرؤى عند أصحابها، وتوظف تطبيقيا في التفسير، لنرى ثمارها ومدى قدرتها المنهجية على استنطاق النص القرآني وتفهيمه.

كمــا تحتاج أيضا إلى نظرة منهجية متكاملة تبلورها في إطارها الصحيح، وهذا البحث محاولة في هذا السياق.

ورغم أن الأخرس قد عرج على اتجاهات التفسير –مارّا- في سياق دراسته، إلا أنه رغم ذلك حاول الوقوف عند كل منهج وقفة نقدية مبرزا أهم ميزاته ومآخذه.

---

1 - محمود البستاني، المنهج البنائي في التفسير، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط 1، 1422هـــ/2001م.

2 - غالب حسن الشابندر، نظرية العلم في القرآن ومدخل جديد للتفسير، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط 1، 1422هـــ/ 2001م. و له أيضا كتاب: مداخل جديدة للتفسير، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط 4، 1424هـــ/2003م.

3 - حسن الترابي، التفسير التوحيدي، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التقسيم المعتمد:

بعـــد هذه الوقفة المفصلة مع تقسيمات المصنفين لاتجاهات المفسرين المحدثين، لا بد من تبني تقـــسيم يكـــون حوصلة للنقاش السابق من جهة، وامتداد طبيعيا للتقسيم المعتمد لمناهج المفسرين القدامى من جهة ثانية.

فقـــد صـــنفت تفاســـير القدامى إلى قسمين؛ تفاسير منهجية وأخرى لا منهجية، والمنهجية صـــنفان: تفاســـير روائية "مدونة" وتفاسير درائية "اجتهادية"؛ فالتفاسير الروائية تفاسير الحديث والأثر، أو الأخبار والقصص، أما الدرائية فمنها المنهج اللغوي والفقهي والعقدي والعلمي.

وأما التفاسير اللامنهجية فتشمل كل تفسير إشاري صوفي رمزي أو تأويلي باطني.

وعطفـــا علـــى ذلك التقسيم، فإن تفاسير المحدثين لا تخرج عن كونها تفاسير منهجية أو لا منهجية.

فالاتجـــاه اللامنهجـــي لا يـــزال مستمرا في أثوابه القديمة –ولو بلغة معاصرة-، عبر التفاسير الإشارية الصوفية والتأويلية الباطنية.

أما الاتجاهات المنهجية فهي لا تعدو أن تكون أحد اثنين:

1- إمـــا اجـــتهاد روائـــي لا يكاد يضيف للتفسير إلا من حيث الشكل، وضمنته ثلاثة أشكال تفسيرية:

أ- التفسير النقلي الأثري، الذي استمر على نسق المدرسة الأثرية، وحجم الإضافة فيه هو تجديد التبويب والتعبير، أو التلخيص والتهذيب.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب- التفسير الفقهي، وقد نقلته من التفسير الدرائي إلى الروائي لأنه صار نقلا رتيبا لنصوص وأقوال فقهية، مع إضافة تتعلق بالترجيحات والتخريجات الفقهية. وقد استعصى تصنيف هذا التوجه الفقهي على المصنفين، حتى عده بعضهم تفسيرا علميا[1].

ج- التفسير التعليمي: أي ما كتب للمتمدرسين والعامة من تفاسير مبسطة الأسلوب واللغة، ملخصة المتن، فتركيز أصحابها على التبسيط والتيسير، لا على الإضافة والاجتهاد، لذلك اعتبرتها تفاسير روائية.

ولا بد من التنبيه هنا على أنه ما اعتبرته تفاسير روائية لا تخلو من الاجتهاد في تفسير كتاب الله، وإنما غلّبت جانب النقل فيها لغرض التصنيف، وإلا فإن كل تفاسير العصر الحديث تفاسير اجتهادية مضيفة ولو شكليا.

2- أما النوع الثاني من التفاسير المنهجية، فقد خصصته للتفاسير التجديدية بألوانها الثلاث:

أ- الاتجاه الاجتماعي (الهدائي الإصلاحي)، وقد اكتفيت بالتعبير عنه بالاجتماعي لدلالته على باقي الأوصاف بالتبع، فكونه اجتماعيا يدل بالضرورة على توجهه للمجتمع لهدايته وإصلاحه.

ب- الاتجاه الأدبي: بكل ألوانه اللغوي والبياني والذوقي.

وإذا كان التوجه البياني هو الغالب على الاتجاه الأدبي، بل يكاد المقصود به في تقسيمات المصنفين، فإن التطبيقات اللغوية الإعرابية اعتبرتها تفاسير لغوية، إلى جانب تفسير الظلال الذي اعتبره المصنفون تفسيرا خاصا يمتاز بذوقه الأدبي الرفيع، مع روحه التربوية الاجتماعية، إلا أني فضلت تغليب الجانب الأدبي الذوقي فيه.

---

1 - د. فهد الرومي، اتجاهات التفسير، 415/2.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ج- ثالث الاتجاهات التجديدية هو الاتجاه العلمي –ورغم التحفظات عليه- إلا انه يبقى إضافة هامـــة في التفسير، ولو من حيث المبدأ والغاية، بغض النظر عن مدى صحة التطبيقات العلمية الناتجة عن العملية التفسيرية.

وفي مقابـــل التفاسير التجديدية نجد التأويلات الحداثية التي حاولت تفسير النص القرآني برؤية منفلتة عن نهج السلف وبأداوت دخيلة على الرؤية الإسلامية الأصيلة.

ولا أقصد هنا بكون صاحب القراءة حداثيا، بل أركز على النتاج أكثر، فكلما آلت بالمفسر محاولته نحو المقولات والتصورات والأحكام (الحداثية) كان تأويله حداثيا.

وقـــد تحاشيت قاصدا استخدام مصطلح التفسير واستعضت عنه بالتأويل، لاعتباري ان تلك القـــراءات التأويلـــية اجتهادات ومحاولات عصرية جزئية في فهم القرآن الكريم، لكنها تفتقد لبعد هـــام، وهـــو الجانب "العلمي" الأكاديمي في التفسير، فأصحابها لا يتوفرون على شروط المفسر، وأدوات التفسير، ولا ينضبطون بمناهجه المعتادة.

لكـــن هذا لا ينفي عن التأويلات الحداثية صفات المنهجية والعلمية والاجتهاد، حتى لا يكون موقفنا حكما مسبقا أو تعميما لخطأ جزئي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

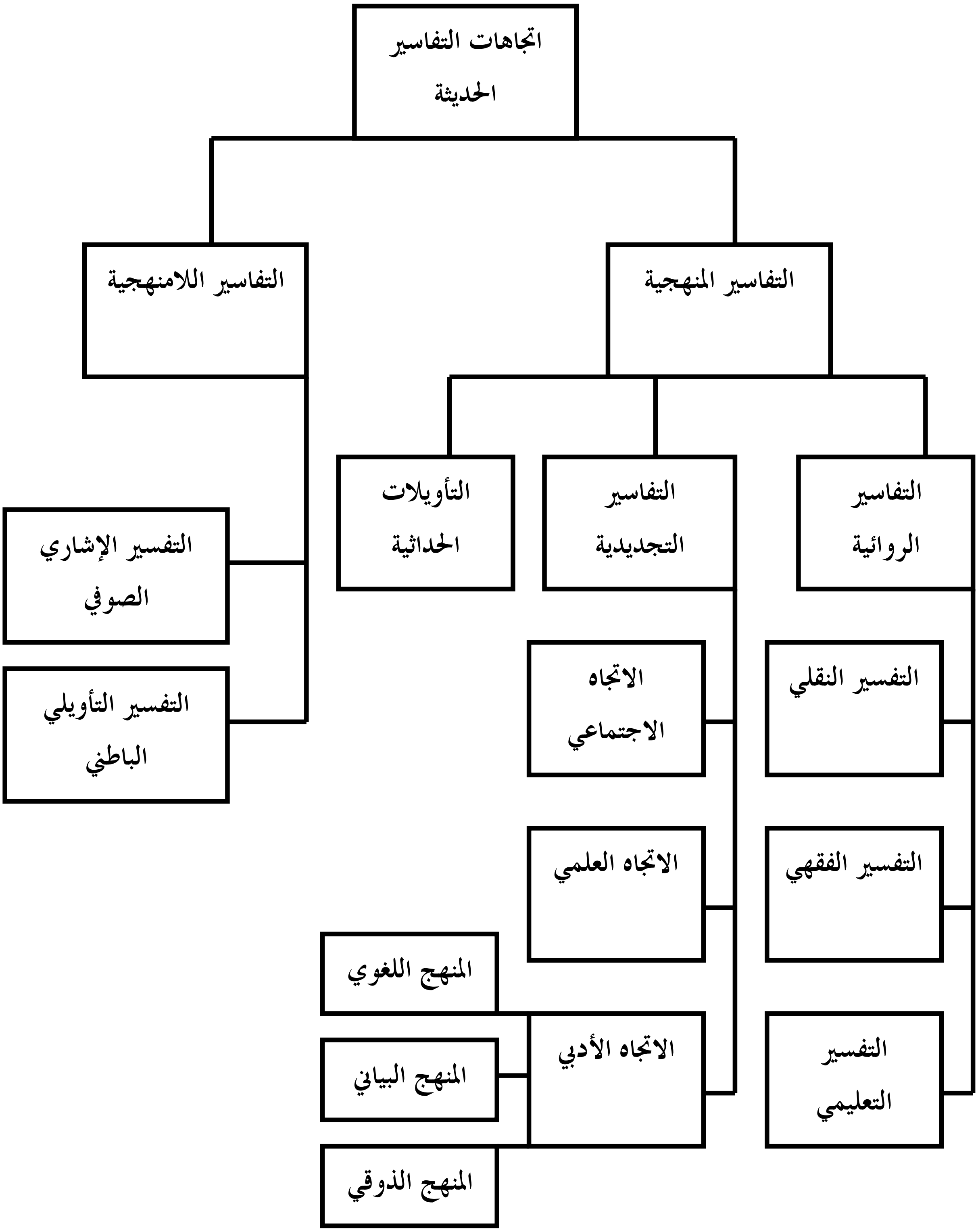

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الثاني:

السنن الإلهية مفهومها خصائصها أنواعها

المبحث الأول: مفهوم السنن الإلهية

المطلب الأول: مفهوم السنن الإلهية في اللغة

المطلب الثاني:مفهوم السنن الإلهية في الاصطلاح

المبحث الثاني: خصائص السنن الإلهية

المطلب الأول: الخصائص الربانية للسنن الإلهية

المطلب الثاني: الخصائص القانونية للسنن الإلهية

المطلب الثالث: الخصائص المنهجية للسنن الإلهية

المطلب الرابع: الخصائص الثقافية للسنن الإلهية

المبحث الثالث: أنواع السنن الإلهية

المطلب الأول: أنواع السنن الإلهية باعتبار مجالها

المطلب الثاني: أنواع السنن الإلهية باعتبار دور الإنسان تجاهها

المطلب الثالث: تقسيم الأستاذ الطيب برغوث

المطلب الرابع: التقسيم المعتمد لأنواع السنن الإلهية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الأول: مفهوم السنن الإلهية

المطلب الأول: مفهوم السنن الإلهية في الاستعمال اللغوي

السنن جمع مفرده سنّة من الفعل الثلاثي "سنّ" الذي نجد لمادته اللغوية "س.ن.ن" في معاجم اللغة معاني عديدة ، تتراوح بين الحقيقة والمجاز[1]، وبعضها تبع لبعض من حيث الاستعمال.

والأصل اللغوي لكمة سنّة، هو جريان الماء، ثم عمّم لأي شيء يجري في اطراد وسهولة ويسر[2] .

فمعاني الفعل سنّ تعود كلها إلى معنى الجريان والاطراد بسهولة.

ومن المعاني اللغوية للفعل سنّ واشتقاقاته[3] :

صقل السيف أو الحجر، وحدّ السكين، وأكلت الإبل ورعت، وساق الراعي الإبل سوقا سريعا، وسار الرجل سيرا شديدا، وأحسن الشخص رعاية أمر، وحسّن المتكلم منطقه وبيّن كلامه، وبيّن الأمر وأوضحه، وصوّر الصانع شيئا ، وأنبت الله النبات، وصبّ الرجل الماء، وأرسل فلان إبله للرعي، وسار الإمام في الطريقة، وابتدأ الرجل أمرا عمل به قوم بعده.

وسَنَّ فلان طريقا من الخير يَسُنّه: إذا ابتدأ أمراً من البرّ لم يعرفه قومه، فاستنوا به وسلكوه[1] .

1- استعمال العرب لكلمة سنن يتراوح بين الحقيقة والمجاز، فابن فارس يستعملها بمعناها الحقيقي، والزمخشري يعدها مجازا(ينظر:الزمخشري: أساس البلاغة،دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1998/1419، ص 311) وانظر: د. شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط1، 1425هـــ/2004م، ص20.

2- د. شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، ص19، 21.

3- يرى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور أن لفظة السنة اسم جامد غير مشتق، وأنه لم يرد في كلام العرب بمعنى وضع السنّة، ثم يخلص إلى أن فعل "سنَّ" مشتق من السنّة اشتقاق الأفعال من الأسماء الجامدة، و هو اشتقاق نادر. ويستدل الشيخ بن عاشور على رأيه بأن أصحاب المعاجم لا يصرحون بكون السنة مصدرا قياسيا لفعل سن ولا يأتون به عقب هذا الفعل. ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر-تونس-، 1984، 96/4.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولكثير من هذه المعاني شواهدها الشعرية والحديثية في معاجم اللغة، خاصة منها معنى صقل السيف ورعي الإبل وسوقها والسير في الطريقة.

وهذه أشهر معاني الفعل سنّ التي تحمل دلالات تجعلها متقاربة في المعنى ولذلك ربما اشتركت في الوضع اللغوي للفعل سنّ كما سيتضح بعد إيراد أمثلة لها في شواهد لغوية.

يقول الشاعر:

وزرق كستهن الأسنّة هبوة   أرقّ من الماء الزلال كليلها

والأسنة هي الرماح لأنها تسنّ أي تصقل وتحدّ[2].

ويقول خالد الهذلي مخاطبا أبا ذؤيب الهذلي:

فلا تجزعن من سنّة أنت سرتها   فأول راض سنّة من يسيرها

ويقول لبيد: من معشـــر سنّت لهم آباؤهم   و لكــل قوم سنّة و إمامها[3].

1- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، لسان العرب،دار صادر-بيروت-لبنان، ط1، د.ت، مادة: س.ن.ن، 223/13. 220/9. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مكتبة النوري-دمشق-سوريا، د.م، 236/4. أبو البقاء الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط2، 1413هـ/1993م، ص497. ابن منظور الإفريقي، لسان اللسان، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1413هـ/1993م، 631/1. أبو الحسين أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، دار الجيل-بيروت-لبنان، ط1، 1411هـ/1991، 60/3. محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، دار صادر-بيروت-لبنان، ط1، 1306هـ، 242/9. القاموس الفقهي، 1/ 183 . أبومنصور الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1،2001م 4/ 243-245.

2- ابن منظور، لسان العرب، 220/9.

3 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، 96/4.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن الحديث الشريف، يقول رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم-:**"من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا"**[1]. أي وضع وطرّق طريقة حسنة. والطريقة من المعاني اللغوية للفعل سن وللمصدر سنة.

ويقول: "إنما أنسّى لأسنّ"[2] أي إنما أدفع إلى النسيان لأسوق الناس بالهداية إلى الطريق المستقيم، وأبيّن لهم ما يحتاجون إليه أن يفعلوا إذا عرض لهم النسيان[3].

وفي حق المجوس، يقول -عليه الصلاة والسلام-: **"سنّوا بهم سنّة أهل الكتاب"**[4] أي خذوهم على طريقتهم وأجروهم في قبول الجزية مجراهم[5].

فالأحاديث تعطي للفعل سنّ معنى السير في الطريقة والسوق إليها.

أما معنى الرعي فيدل عليه قوله-صلى الله عليه وسلم-:**"أعطوا السنّ-أي ذوات السنّ - حظها من السنّ"** أي الرعي. كل هذه المعاني يضمّنها أهل اللغة للفظ "سنة"، فهو يعني العناية

---

1 - رواه مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله، ورواه النسائي عنه. محي الدين النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط4،1418هـ/1997م، 104/7-106، ح 2348، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة. وكتاب العلم، باب من سن سنة، ح6741، 442/16-443. سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة، م3/ج75/5-76.

2- هكذا نقله صاحب البصائر وفي الموطأ لفظ قريب منه: "إني لأنسى أو أنسى لأسن" أرسله ورفعه. انظر مالك بن أنس: الموطأ رواية يحيى بن يحيى الليثي، إعداد: أحمد راتب عرموش، دار النفائس-بيروت-لبنان، ط11، 1410هـ/1990م، كتاب النداء للصلاة.

3- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المكتبة العلمية-بيروت ـ لبنان، د.م، 267/3.

4- رواه مالك في الموطأ والبيهقي في السنن عن عمر بن الخطاب. موطأ مالك، ص188، ح618. كتاب الزكاة، باب جزية أهل الكتاب والمجوس. سنن البيهقي الكبرى،دار الكتب العلمية، بيروت،ط3، 1424هـ/2003م، باب ما جاء في تحريم حرائر أهل الشرك دون أهل الكتاب،ح7،172/13764.

5- الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز، 268/3.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحسن والسهولة في جريان الشيء واطّراده.

وباستحضار المعاني السابقة، نجدها تدل على هذا: فنحن بحاجة إلى العناية والتحسين عند الصقل والرعي والسوق والسير والكلام والصنع والصبّ والإرسال والسير في الطريقة، فبدون رعاية وتحسين لن تسير هذه الأفعال باطراد وسهولة. كما أن إنبات الله النبات أكثر وضوحا في كونه جاريا على قمة العناية والتحسين، لذلك يتبدى لنا اطراده هينا سهلا، ولو تكفل به غيره سبحانه لما كان كذلك أبدا. وعلى هذا المعنى يطلق بعض اللغويين مصدر السنة على الوجه والصورة وعلى الطبيعة [1]. لما فيها من بروز عناية الله وتحسينه لخلقه.

أما المعنى الآخر للسنة فهو الطريقة. فالسنة في اللغة الطريقة أو السيرة حسنة كانت أو قبيحة [2]، وبعضهم يخصها بالطريقة المستقيمة المحمودة المرضية المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب [3]

وهذا التعريف يتجه بالسنة إلى معناها الاصطلاحي في الشرع أي سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولذلك نلاحظ أن المعاني اللغوية للسنن الإلهية لا تخرج عن الدلالات الشرعية لكلمة سنة [4].

فتعرف بأنها: "ما واظب عليه مقتدى: نبيا كان أو وليا" [5]. أو" ابتداء أمر ليقتدي فيه به،

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، 220/3، 223. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، 236/4.
2 - ابن منظور، لسان العرب، 222/3.
3 - أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص497.
4- عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية في ضوء المقاربة الحضارية، مجلة إسلامية المعرفة، س13 – ع 49، صيف 1428هـ/2007م، ص24.
5 - أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص497.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو العمل بقصد اقتداء الغير به [(1)]. والبعض يصرّح بالمعنى التشريعي للسنة فيقول: "هي ما أمر به النبي -صلى الله عليه وسلم- ونهى عنه وندب إليه قولا وفعلا مما لم ينطق به الكتاب العزيز" [(2)]. والبعض يعرفها بالأثر الفقهي: "هي ما في فعله ثواب وفي تركه عتاب ولا عقاب" [(3)]. والسنة بهذا المعنى التشريعي لا تعنينا في هذا البحث، فما أبحثه هو "سنة الله" لا سنة نبيه: ولذا فسأقتصر في التعريف الاصطلاحي على ما يتعلق بسنة الله.

وبنظرة تحليلية للجهود اللغوية في تعريف السنن، نجد تأسيسا وتركيزا لغويا وشرعيا منضبطا لدى ابن منظور[(4)]، رغم تضييقه المعنى، الذي وسعه الفيروز الآبادي ليشمل الجانب الطبيعي الكوني، وهو يستخدم لفظ "النهج" وهي إضافة هامة لمعنى السنن[(5)]، ليصير أكثر انضباطا. أما الراغب فيجمع بين البعدين الشرعي والكوني في السنة فيقول أن السنة هي طريقة حكمته وطاعته[(6)]. فيما يركز ابن فارس على خصائص السنة ؛ اطرادها وثباتها وجريانها، ومعنى الجريان يعطيه بعدا صوتيا كلما التقى السين والنون.[(7)]

أما الأزهري فنجده يركز على البعد البشري للسنن حين يتحدث عن سنن الأوائل وسن العامة[(8)]، وفي هذا تأسيس لمعنى السنن الاجتماعية والتاريخية.[(1)]

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، 222/3.

2 - نفسه.

3 - الكفوي، الكليات، ص497.

4 - ابن منظور، لسان العرب، 223/13، 220/9.

5 - الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، 236/4.

6 - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ 1/ 429.

7 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة 60/3 .

8 - الأزهري، تهذيب اللغة 12\198.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و يضيف الأزهري معنى هاما للسنة يربطها بالقصد والوجهة. حين ينقل قول العرب: سننت إلى فلان الرُّمْحَ تسنيناً: إذا وجهته إليهن فالسنّ يتضمن معنى التوجيه، والسنن موجهات إلهية للمخلوقات.

ورغم استفاضة اللغويين في معاني السنة، إلا أنهم قلما يتوقفون عند السنة مسندة لله سبحانه، ولذلك يمكننا موافقة الدكتور الشكعة حينما قال أن التناول المعجمي للسنن الإلهية شديد الإيجاز.[2]

وعليه، فإضافة السنن لله عبر وصفها بالإلهية يدل لغة على طرق الله سبحانه وعاداته في معاملة خلقه.

ونسبة السنن لله تضيف لغة معنى جديدا، إلى جانب الطريقة والسيرة، وهو معنى الحكم.

فتكون المعاني اللغوية للسنن تتمحور حول معنى الجريان والاطراد، وتتفرع ضمن ثلاث معاني كلية هي الطريقة والسيرة والحكم.

وبتأمل هذه المعاني الكلية للسنن الإلهية لغويا، يمكننا المطابقة بينها وبين أقسام السنن، وكأن كل معنى يدل على قطاع من السنن، فسنن الهداية[3] يدل عليها لفظ الحكم أكثر من غيره، والسنن الاجتماعية أو سنن الأنفس أقرب إلى معنى السيرة المتبعة. بينما يشير معنى الطريقة إلى معنيين جزئيين متضمنين فيه؛ طريقة الطاعة وطريقة الحكمة، وهذا المعنى الأخير يدل على سنن

---

1 -يراجع في ذلك: رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،ط1،1427هـ/2006م، ص29. عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن، ص24.

2 - مصطفى الشكعة ، حجية السنن الإلهية في رحاب القرآن الكريم، الموسوعة القرآنية المتخصصة، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 2006م، 815.

3 - وظفت هنا اصطلاحات الأستاذ الطيب برغوث للدلالة على أقسام السنن (هداية/دراية/عناية): فسنن الكون يسميها سنن الآفاق أو سنن العناية، والسنن الإنسانية سنن الأنفس أو سنن الدراية، بينما سنن الوحي والتشريع هي سنن الهداية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآفاق أي سنن الكون، بينما يدل سابقه (طريقة الطاعة) على سنن الهداية، كما يدل –ولو من طرف خفي- على سنن الكون باعتبار خضوع الإنسان لها.

ومن منظور ثان، فإن ثلاثية المعنى اللغوي تقابل ثلاثية سنة الله – سنة الرسول – سنة البشر؛ فسنة الله هي حكمه في خلقه، وسنة الرسول هي السيرة المتبعة، بينما سنة البشر هي طريقتهم المعتادة في السلوك.

وعليه يمكن القول بأن السنن مسندة إلى الله تمثل خلفية تصورية نظرية عقدية وتشريعية، والسنن مسندة للرسول تمثل خلفية تطبيقية تاريخية، والسنن مسندة للبشر تمثل خلفية ثقافية اجتماعية.

ثم ومن زاوية أخرى تعود تلك المعاني الثلاث إلى منبت دلالي موحد يدور حول معاني الجريان والاطراد والسهولة التي تذكرها كتب اللغة؛ فمعاني الطريقة والسيرة والحكم تحمل –ولو من طرف خفي- تلك الدلالات: فلا تكون السنة طريقة جارية مألوفة معتادة إلا لاطراد فعلها وجريان سلوكها، ومن اعتاد شيئا سهل عليه ويسر اطراد فعله عليه، حتى يصير دأبا له وديدنا، بل ومن غير شعور منه أحيانا.

وهو نفس ما يقال عن معنى السيرة، فمن اطرد منه سلوك وجرى عليه دهرا صار سيرة متبعة، فيسهل على غيره التأسي به فيما استمر عليه.

أما الحكم فلا معنى له إذا لم يكن جاريا نافذا على مستحقيه، وتزداد حاكمية الحاكم جلالا وجلاء إذا أجرى أحكامه بسهولة ويسر على محكوميه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم إن هذه المعاني ذاتها لا تنفك عن بعضها؛ فالبشر يطرقون طرائق عدة في سلوكهم، فتصير بعضها مع الزمن سيرا متبعة وعادات وأعراف مألوفة لدى الناس، ومع تقادم العهد بها تصير حكما ثابتا مطردا فيهم. فالطريقة تؤول إلى سيرة، والسيرة تستحيل حكما. ومن منظور ثان، الحكم لما يجسده المحتكمون إليه يصير سيرة لهم فيتأسى بهم غيرهم، ومع الزمن يصير ذلك الحكم وتلك السيرة طريقة معتادة مألوفة لدى الناس.

وكلا الحالين قائم مجرّب بين الناس. فحكم الله وشرعه تجسد عبر سير الأنبياء والصالحين، وصار بعد ذلك طريقة اجتماعية في السلوك البشري. والعكس كذلك؛ فكثيرا ما تأست الشعوب برموزها وسيرهم، فصارت طرائق لهم، وانبثقت منها تصوراتهم وأحكامهم.

وخلاصة المعنى اللغوي –كما يقول د.رمضان خميس- أن السنة هي القانون الضابط المهيمن والفعل النافذ الحاكم الذي يجري باطراد وثبات وعموم وشمول مرتبا على سلوك البشر.(1)

والواقع أن الدكتور رمضان يوظف مصطلحات تظهر في المعنى الاصطلاحي ولا تظهر في التناول اللغوي -القديم على الأقل-، فلفظ القانون والضابط ومعاني الانضباط والهيمنة والنفاذ لا تستخدمها معاجم اللغة لتعريف السنة، بل نجد بدلا عنها، الطريقة والسيرة والحكم.

فإذا أردنا تلخيصا للمعنى اللغوي للسنن، فهي الطرائق المطردة والسير المتبعة والأحكام المطردة في الكون والبشر.

فإذا أضفنا له البعد "الإلهي" تكون السنن الإلهية في الاستعمال اللغوي هي الطرق والسير والأحكام الإلهية الجارية المطردة في الكون والبشر.

---

1 - رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص31.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما قبل إضافة معنى "الإلهية" للسنن، يبقى المعنى اللغوي مقتربا بالسنن أكثر لمعناها الشرعي القاصر لها على سنن النبي –صلّى الله عليه وسلّم-.

فالتناول الشرعي للسنن لا يكاد يخرج عن مداليل المادة اللغوية، بل ينطلق منها أساسا.[1] ومن معنى الطريقة بالذات، الذي يربطه الرازي ومن قال بقوله، بالمعنى اللغوي للسنّ وهو جريان الماء، فقيس عليه جريان السلوك من مقتدى نبيا كان أم وليا، وهو أصل المعنى الشرعي للسنن النبوية.[2] فالسنن في اللغة الطريقة أو السيرة حسنة كانت أو قبيحة [3].

---

1 - عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن، ص28.

2 - يراجع مثلا: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ 9/ 11. تقي الدين ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، 1416هـ/ 1995م، 267/3، 268. رشيد رضا، المنار، 115/4. رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية، ص29.

3 - ابن منظور، لسان العرب، 222/3.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبعضهم يخصها بالطريقة المستقيمة المحمودة المرضية المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب[1].

وهذا التعريف يتجه بالسنن إلى معناها الاصطلاحي في الشرع أي سنن النبي - صلى الله عليه وسلم- فتعرف بأنها: "ما واظب عليه مقتدى: نبيا كان أو وليا"[2]. أو"ابتداء أمر ليقتدي فيه به، أو العمل بقصد اقتداء الغير به[3].

والبعض يصّرح بالمعنى التشريعي للسنن فيقول: "هي ما أمر به النبي -صلى الله عليه وسلم- ونهى عنه وندب إليه قولا وفعلا مما لم ينطق به الكتاب العزيز"[4].

والبعض يعرّفها بالأثر الفقهي: "هي ما في فعله ثواب وفي تركه عتاب ولا عقاب"[5].

والسنن بهذا المعنى التشريعي ليست المقصودة في هذا البحث، فما أبحثه هنا هو "السنن الإلهية" لا السنن النبوية: ولذا فسأقتصر في التعريف الاصطلاحي على ما يتعلق بالسنن الإلهية.

---

1 - أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص497.
2 - أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص497.
3 - ابن منظور، لسان العرب، 222/3.
4 - نفسه.
5 - الكفوي، الكليات، ص497.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني : مفهوم السنن الإلهية في الاصطلاح

يصنع المصطلح شخصيته المفاهيمية وصورته التصورية، من الفضاء الدلالي والثقافي السائد في مجتمع التعريف، وذلك عبر طائفة من المصطلحات اللصيقة بالذهن لتقريب المعنى.

وبعد تتبعي لما وقع بين يدي مما كتب في موضوع السنن الإلهية ، وجدت أن المؤلفين يستعملون جملة مصطلحات للتعبير عن السنن الإلهية :

* أفعال الله -أحكامه - مشيئته - شريعته - حكمته -أقداره -كلماته - أوامره – إرادته.

* القوانين - النواميس - الضوابط – القواعد – النظام – الأصول - القوى – الأسباب.

* الطرائق – المناهج – الأساليب.

* العادات –الطبائع-الخصائص

وبتأمل هذه المصطلحات، رأيت أنه يمكنني تصنيفها إلى أربع مجموعات:

1- مجموعة مصطلحات تدل على ارتباط السنن بالله تعالى، وهذا ما يتجلى في ألفاظ كفعل الله وحكمه ومشيئته وشريعته وحكمته وقدره وكلمته وأمره وإرادته...

2- ومجموعة مصطلحات تعرّف السنة من جهة كونها صارمة لازمة الحدوث، وهذا ما يدل عليه بجلاء مصطلح القانون والمصطلحات المقاربة له في هذا المعنى من مثل: الناموس-الضابط-القاعدة – النظام - الأصل – القوة - السبب...

3- وطائفة ثالثة تشير إلى السنة من حيث كونها منهجا وأسلوبا مسلوكا وطريقا متبعا، وهو ما توحي به ألفاظ: الطريقة – السيرة - المنهج والنهج - الأسلوب...

4- وباقي المصطلحات تشير للسنن كعادات وطبائع وخصائص للكون والبشر، مما يشير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لالتصاقها بالمخلوقات وانصباغهم بها، بحيث صارت اعتبارات معتادة ونماذج ثقافية مجسدة لحركة السنن الإلهية.

وعليه ، تكون التعاريف الموظفة لتلكم لمصطلحات، تصب جميعها في أحد المعاني التالية:

- مصدر السنن وغاية حدوثها، وهو مؤدى المجموعة الأولى من المصطلحات.

- لزوم حدوث السنن وصرامتها بما يجسد قانونيتها التي تعود إلى معاني مصطلحات المجموعة الثانية.

- أو تكرر حدوث السنن الإلهية، بما يجعلها طريقة متبعة، أي بمدلولات المجموعة الثالثة.

- ثم باعتبار مآل ونتيجة تكرار حدوثها، مما يحولها إلى عادات واعتبارات ثقافية، بالمعنى الرابع. وقد تناول السنن الإلهية بنفس هذه الاعتبارات، الدكتور عبد العزيز برغوث، في مقاله القيم: ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية[1].

وقد قرّر وهو يتناول موضوع السنن أن التناول العلمي (الاصطلاحي) للسنن لا يبتعد عند الكثيرين عن الخطوط العامة والفضاءات الدلالية لغويا وتفسيريا. [2] وهو ما لا يؤدّي الغرض المتوخّى من طرح مفهوم محوري، كسنة الله، فهو يدعو لدراسة السنن بوصفها مفهوما حيويا فعّالا له صلة مباشرة بتفاعلات الواقع وتدافعات الحياة وصيرورة الأحداث والواقع. [3]

ثم يقرّر أنه يمكن تحديد أربعة مداخل لتحديد مفهوم السنن [4] .

1- السنن بوصفها إرادة الله وحكمته ومشيئته. ← البعد الرباني للسنن.

---

1 - عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية، ص33.
2 - نفسه، ص32-33.
3 - عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن، ص44.
4 - نفسه، ص33.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2- السنن بوصفها القانون الإلهي ← البعد القانوني الوصفي النظامي للسنن.

3- السنن بوصفها المنهج والطريقة ← البعد المنهجي التربوي للسنن.

4- السنن بوصفها المثال والنموذج والعادة ← البعد الثقافي الاعتباري للسنن.

وهو نفس مؤدى التصنيف المصطلحي الذي اعتمدته، وبالتالي سأتبنى تصنيفه الرباعي بمصطلحاته سالفة الذكر:

الفرع الأول: السنن بوصفها إرادة الله وحكمته ومشيئته. ← البعد الرباني للسنن الإلهية.

تطرح السنن من هذا المنظور على أنها قرار إلهي[1]، وممارسة لمعاني القوة والقدرة، وتدبير الشؤون. [2].

وقد كرّر السيد محمد رشيد رضا جملة ألفاظ ومعاني تدل على هذا البعد للسنن[3] بمعناها الرباني، ومنها: النظام الإلهي – **الأقدار** التي يقوم عليها هذا النظام في الكون – **أوامر** الله التكوينية الجارية في الكون – **أحكام** الله **الفعلية** الجارية في الخلق، هي القسيم المقابل لأحكام الله التكليفية المودعة في الكتاب والسنة. [4]

أولا: السنن فعل الله

---

1 - محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، دار التعارف، بيروت- لبنان، ط2، 1401هـ/1981م، ص77. يقول باقر الصدر: كل قانون من قوانين التاريخ هو كلمة الله سبحانه وهو قرار رباني.

2 - عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن، ص33.

3 - حازم زكريا محي الدين، مفهوم السنن الإلهية في الفكر الإسلامي، السيد محمد رشيد رضا نموذجا، دار النوادر، دمشق، سورية، ط1، 1428هـ/2007م، ص114.

4 - رشيد رضا، تفسير المنار 41/1 267/4 236/7 533/8 236/12.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يعرّف عبد الحميد الفراهي السنة على أنها **فعل** الله في الأمم. [1]

وهو ما اختاره الأستاذ مجدي عاشور في تعريفه: "السنة ما اطرد من **فعل الله** في معاملة الأمم والأفراد، بناء على أعمالهم وسلوكهم ومواقفهم من شرع الله وأثر ذلك في الدنيا والآخرة". [2]

وكذا الأستاذة ناهد يوسف رزق التي تعتبر السنن "**الفعل** الإلهي المطرد الذي لم يقع فيه استثناء وتم به انضباط أمر الكون". [3] ، وقد أشارت للتعريف في موضوع آخر تقول فيه أن السنن الإلهية هي ما يجري من الله تعالى **فعلا وإخبارا**. [4] فقد جمعت بين الفعل الإلهي المعبّر عن الكون، والإخبار الإلهي المشير للوحي، مما يدلّ على رؤية شمولية للسنن لا تقصرها على السنن الكونية فقط، بل تشمل السنن التشريعية أيضا، وهو ما يغفله أكثر الباحثين في الموضوع.

---

1 - علي فهمي خشيم، حديث الأحاديث، الدار العربية للكتاب، طرابلس الغرب،ط 1398هـ/1978م، ص 131. ينظر شريف الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، ص 26.

2 - مجدي محمد عاشور، السنن الإلهية في الأمم والأفراد، دار السلام، القاهرة، مصر،ط1، 2006/1427م، ص36.

3 - ناهد يوسف رزق يوسف، علاقة السنن الإلهية بالقوانين الكونية والاجتماعية، كتاب المؤتمر الدولي الثالث عشر للفلسفة الإسلامية،كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر،أفريل 2008م، ص96 (هذا التعريف ينطبق على نوع فقط من السنن وهو السنن الجارية مما لا يتماشى مع التقسيم الذي اعتمدته الكاتبة، وإن كان مؤداه يتماشى مع ما اخترته في هذا البحث من أن كل السنن جارية، حتى ما نظنّه خارقا).

4 - ناهد يوسف رزق يوسف، علاقة السنن الإلهية بالقوانين والاجتماعية، ص 96.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانيا: السنن حكم الله ومشيئته وشريعته

يقدّم شيخ الإسلام ابن تيمية تعريفا منهجيا –كما يصفه حازم زكريا[1]- للسنة إذ يقول أن السنة الإلهية **حكم** الله في الأمور المتماثلة[2]، ويتابعه الكثيرون في استخدام لفظ "الحكم" منهم:

أحمد كنعان: "السنة هي **حكم** الله في خليقته"[3].

عامر الكفيشي: سنة الله في الخلق تمثل **حكم** الله **ومشيئته** في خليقته.[4]

عبد الكريم بكار: سنن الله تعالى (يقصد في المجال النفسي والاجتماعي والحضاري وكل ما له صلة بالإنسان بوجه من الوجوه) عبارة عن **أحكام** علوية ماضية مستمرة اقتضتها **مشيئة** الله **وحكمته** البالغة.[5]

ونلحظ ارتباط معنى الحكم بمعنى المشيئة والحكمة في المثالين الأخيرين؛

ويشمل معنى الحكم وحي الله وشرعه، ولذا ألحقت به التعريف التالي، أما الذي يليه فتبع له، فأصول الحكمة نهايات علل الشريعة، كما هو جلي في التعريف ذاته.

فسنة الله **شريعته** وطريقته، وما جرى من نظامه في خلقه.[6]

---

1 - حازم زكريا محي الدين ، مفهوم السنن الإلهية، ص69.

2 - ابن تيمية، جامع الرسائل، ت: محمد رشاد سالم، دار العطاء ، الرياض، ط1، 1422هـ/ 2001، 1/ 55،54.

3 - أحمد محمد كنعان، أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، دار النفائس، بيروت ، لبنان، ط1، 1418هـ/1997م، ص52.

4 - عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م، ص226.

5 - عبد الكريم بكار، هي هكذا، كيف نفهم الأشياء من حولنا، الجزء الأول، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 2009، ص 10.

6 - محمد إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، تقديم الدكتور عبد الصبور شاهين، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط3، د.ت، ص 154.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والسنن القرآنية[1] **أصول الحكمة، والحقائق** التي تنتهي إليها علل الشريعة الإسلامية الغراء.[2]

ثالثا: السنن قدر الله وكلمته وأمره وإرادته

تطرح هذه الزاوية من النظر للسنن مدخلا جديدا لفهم القدر الإلهي، فالسنن بهذا المعنى أقدار الله وكلماته وأوامره وأحكامه، مما يدلّ على قدرته تعالى ومشيئته. وهذه بعض تعاريف السنن من هذا المنظور:

تعريف فتحي شهاب الدين: إن السنن هي **أمر** الله **وقدره** الثابت الذي لا يتبدل. [3]

تعريف رندا عوني: السنة **مقادير** إلهية **وأحكام** ربانية مترتبة على أفعال العباد وتوجهاتهم، كل ذلك ضمن **مشيئة** الله سبحانه وتعالى **وقدرته.** [4]

تعريف رشيد كهوس: سنن الله القرآنية هي **أقدار** الله وعهوده الثابتة وعهوده الحقة، **وكلماته** التامات، التي لا تبديل لها، ولا تحويل يعتريها، ولا تغيير يشملها، ولا تحابي أحدا مؤمنا كان أم كافرا. [5]

---

1 - تكرر هذا التعبير اللافت "السنن القرآنية" مرارا في مقال الدكتور رشيد كهوس، مما يدل على استعماله عن قصد واختيار، وكأنه يخصص حديثه عن السنن الواردة في القرآن فقط دون بقية السنن الإلهية. وإن كنت أفضل الالتزام بتسمية السنن الإلهية، لقرآنيتها "سنة الله" من جهة، ولعدم التكثير من مصطلحات قد تشوش على المعنى وتفتح الأقواس من حوله دون كبير فائدة ولا توظيف.

2 - رشيد كهوس، القواعد الكلية للسنن الإلهية، مجلة المنار الجديد، القاهرة، مصر، شتاء 2009، س 12، ع45، ص 14

3 - م.فتحي شهاب الدين،السنن الإلهية في قيام الأمم وسقوطها،دار النشر للجامعات،القاهرة،ط1، 1429هـ/2008م، ص 11.

4 - رندا عوني، قصة الاختلاف،دراسة سننية، دار العلوم، عمان، الأردن،ط1، 2005م، ص26.

5 - رشيد كهوس، القواعد الكلية للسنن الإلهية، ص 26 هامش 3.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعريف عبد العزيز برغوث: السنن تجلّ من تجليات **القدرة والحكمة والإرادة الإلهية** في ضبط موازين الحياة والوجود الكوني والبشري. (1)

وبتأمل هذه التعاريف نجد أنها تضفي على السنن الإلهية مسحة عقدية فلسفية وروحية، ما دامت مربوطة بالله سبحانه مباشرة، منسوبة لفعله وخبره، وأمره وقدره وحكمه ومشيئته.

ولذا يمكن اعتماد هذا البعد في التعريف، لتأصيل السنن عقديا وفلسفيا، وتفعيل معناها روحيا وشرعيا. دون استغناء طبعا عن بقية الأبعاد الآتية في سياق التحليل.

فالسنن –بهذا المعنى- تعبر عن ارتباط الخلق بالخالق وأن فعل الله متصل مباشرة بحياة الإنسان عن طريق سننه، كما تدل على أن فعل الإنسان له غاية، تؤكد على الإرادة الربانية في هداية الخلق. (2)

الفرع الثاني: السنن بوصفها القانون والنظام الإلهي ¬ البعد القانوني للسنن الإلهية

السنن بهذا المعنى قواعد وضوابط ونواميس لنظام إلهي ثابت محكم. وهو ما يتجلى في حشد هائل من التعريفات المعاصرة للسنن الإلهية.

أولا: السنن بمعنى القوانين

استخدم الإمام محمد عبده هذا المصطلح حيث يقول: "وعلى حسبها (أي السنن) تكون الآثار، وهي التي تسمى شرائع أو نواميس، ويعبّر عنها قوم **بالقوانين**" (3)

---

1 - عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية، ص18.

2 - نفسه، ص34.

3 - محمد عبده، الإسلام دين العلم والمدنية، تحقيق عاطف العراقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1998، ص132.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

علي جمعة: هي تلك **القوانين** التي تجري على الناس جميعا دون استثناء مؤمنين وغير مؤمنين.(1)

يوسف القرضاوي: السنن تلك **القوانين** التي أقام الله عليها نظام الكون ونظام المجتمع، وهي سنن وقوانين لها صفة العموم والشمول، كما أن لها صفة الثبات والدوام. (2)

محمد هيشور: السنة الإلهية هي **القوانين** أو الضوابط التي تتحكم في عملية التحضر. (3)

ويستعمل عمر عبيد حسنة لفظ القانون مرتين، فمرة يقول: "وكلمة سنة تعني **القانون** المطرد الذي لا يتخلف" (4). وفي موضع آخر يقول أن السنن هي : "**القوانين** المطردة الثابتة التي تحكم حركة الحياة والأحياء وتحكم حركة التاريخ وتتحكم بالدورات الحضارية" (5).

إياد الركابي: **القانون** الذي يحكم سير الفعل البشري. (6)

محمد الصادق عرجون: مجموع **القوانين** (7) التي يسير وفقها الكون التي يستفيد منها الكائن البشري.

---

1 - علي جمعة، مقدمة كتاب هيشور: سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها ، ص12.

2 - يوسف القرضاوي، العقل والعلم في القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1416هـ/1996م، ص279.

3 - محمد هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط1 ،1417هـ/1997م، ص 36.

4 - محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، مدارسة أجراها معه عمر عبيد حسنة، دار الانتفاضة، الجزائر، ط1، 1990، ص 49.

5 - عمر عبيد حسنة، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة،المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، و.م.أ، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي:7، الدار العالمية للكتاب الإسلامي-الرياض-السعودية، ط2، 1414هـ/1994م، ص19.

6 - إياد الركابي، السنن التاريخية في القرآن المجيد، دار النهضة الإسلامية، الحمراء، بيروت، ط1، 1996، ص10.

7 - محمد الصادق عرجون، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط3، 1404هـ/1984 م، ص 48.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والسنن عند إبراهيم بن علي الوزير: "مجموع **القوانين** التي يسير وفقها الكون، والتي يستفيد منها الكائن الإنساني بما يؤهله فيسخرها ويستفيد منها"[1]. ويقول كذلك: **القواعد والضوابط** التي تضمنتها السنن التشريعية التي جاء بها الرسل منسجمة مع سنن المنطق وناموس الكون، مكملة لها في الجانب الاختياري الحر، مضيئة للعقل سبل الحقائق.[2]

أما محمد باقر الصدر فيعرّف السنن التاريخية قائلا: "هي **القوانين** التي تتحكم في مسيرة التاريخ وفي حركته وتطوره" [3]. وبتعميم تعريفه تصبح السنن هي القوانين التي تتحكم في الوجود.

ويعرّفها جودت سعيد تعريفا مختصرا، قائلا هي: "**القانون** الذي يخضع له الوجود"[4].

أما أحمد محمد كنعان فالسنة عنده : "هي مجموعة **القوانين** التي سنّها الله عز وجل لهذا الوجود وأخضع لها مخلوقاته جميعا، على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها" [5].

ويعرف الدكتور عبد الكريم زيدان السنة بأنها: "**القانون** الذي يتعلق بخضوع البشر له باعتبارهم أفرادا وأمما وجماعات"[6].

ويقول عنها بلفظ آخر: السنة هي **القانون العام** الذي وضعه الله لحكم سلوك الشبر وأفعالهم

---

1 - إبراهيم بن علي الوزير، دراسة للسنن الإلهية والمسلم المعاصر، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط4، 1409هـ/1989 ،ص7.

2 - نفسه، ص32،25.

3 - محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، دار التعارف، بيروت- لبنان، ط2، 1401هـ/1981م، ص43.

4 - جودت سعيد، اقرأ وربك الأكرم، المطبعة العربية-غرداية – الجزائر، ط1، 1990م، ص85.

5 - أحمد محمد كنعان، أزمتنا الحضارية في ضوء سنّة الله في الخلق، ص52.

6 - د. عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأفراد والأمم والجماعات، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1423هـ/ 2002م، ص12.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وما يصيبهم.[1] هذا عن السنن الاجتماعية، أما السنن الكونية فيعرفها قائلا أنها:" القانون العام الذي تخضع له جميع الكائنات الحية في وجودها المادي وجميع الحوادث المادية"[2].

ويذكر محمود زايد المصري تعريفا آخر فيقول : "هي تلك **القوانين**، التي لا حيلة للفكر منفردا أو مجتمعا مع حركة الإنسان في تغييرها أو منع اضطهادها" [3].

أما جمال الدين عطية، فيرى أن السنن هي:"**القوانين** القائمة على علاقة السببية والاطراد" [4].

والسنن كما يعرفها محمد عمارة: " **قوانين** مخلوقة لله أودعها وركّبها في ذات الطبيعة وظواهرها وقواها" وسنن الله هي "ما جرى به **نظامه**" [5].

يوسف كمال: السنة هي **قانون** الله الذي يسلم له الكون طوعا وكرها ويذعن له كل شيء وكل حي رضي أم لم يرض، من أكبر سيارة في السماء، إلى أصغر ذرة في الإنسان.[6]

[أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون] [7]

محمد دراجي: السنن الكونية مجموعة **القواعد والقوانين** التي يسير وفقها الكون وتحكم حركة التاريخ والمجتمع صعودا وهبوطا. [1] المؤلف أخرج سنن الكون (الطبيعة) من تعريفه رغم أنها الألصق بالتسمية التي اختارها: "السنن الكونية".

---

1 - د. عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأفراد والأمم والجماعات ، ص16.

2 - نفسه، ص7.

3 - محمود زايد المصري، تأملات في السنن الكونية، مجلة المسلم المعاصر، س 20، ع80، محرم 1417هـ/ماي 1996م، ص67.

4 - جمال الدين عطية، النظرية العامة للشريعة الإسلامية، مطبعة المدينة، ط1، 1407هـ/1988م، ص16.

5 - محمد عمارة، معالم المنهج الإسلامي، دار الشروق-القاهرة، ط1411،1 هـ/1991م، طبعة مشتركة بين الأزهر الشريف والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة المنهجية الإسلامية(3)، ص40.

6 - يوسف كمال، منهج المعرفة في القرآن الكريم، دار القضاء ، المنصورة، مصر، ط2، 1988م، ص 91.

7 - الآية 83 من سورة آل عمران.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عبد العزيز برغوث: السنن هي **القانون الوجودي والكوني والتاريخي** الذي يحكم عمران الإنسان واستخلافه.(2)

محمد محفوظ: السنن الكونية والاجتماعية هي **القوانين** التي أودعها الله وسبحانه في الكون وفي حركة الإنسان والمجتمع. (3)

ويقول في موضع آخر: السنن مجموعة **القوانين** التي يسير وفقها الوجود كله، وتتحرك بمقتضاها الحياة. (4)

عامر الكفيشي: السنن في الفكر هي مجموعة **القوانين** التي يسير وفقها الوجود كله، وتتحرك بمقتضاها الحياة، وتحكم جزئياتها ومفرداتها فلا يشذ عنها مخلوق، وما في الكون ذرة أو حركة إلا ولها قانون وسنة. (5)

محمود حمدي زقزوق: السنن هي **القوانين** التي تحكم سري الكون وتضبط حركته. وهي قوانين لا تتبدل ولا تتخلف. هي القوانين الحاكمة للكون المادي والإنساني.(6)

ويستنتج حازم زكريا محي الدين مفهوم السنن الإلهية عند رشيد رضا فيقول: السنن **قوانين** الله تعالى الجارية في الكون وفي البشر أفرادا وجماعات وأمما وفق نظام ثابت لا يتغير. (1)

---

1 - محمد دراجي، السنن الكونية في تفسير ابن باديس، ج 2، جريدة البصائر، الجزائر، 14- 21 محرم 1424هـ/17- 24 مارس 2003، ع 135، ص 8.

2 - عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية، ص17.

3 - محمد محفوظ، أوليات في فقه السنن، مركز الراية للتنمية الفكرية، جدة، السعودية، ط1، 1426هـ/2005- 2006 م، ص 12.

4 - نفسه، ص17.

5 - عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن، ص225 اختار تعريف هيشور، سنن القرآن، ص27.

6 - محمود حمدي زقزوق، السنن الإلهية وأثرها في نهضة الأمم، كتاب المؤتمر الدولي الثالث عشر للفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة، مصر، أفريل 2008م، ص 13.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما تعريفه هو: السنن الإلهية هي **قوانين** الله – عز وجل - التي أقام عليها بمشيئته النافذة، وحكمته البالغة، نظام الكون والإنسان والمجتمع والحضارة، وهذه القوانين تتصف بالعموم والثبات والاطراد.(2)

خالص جلبي: السنن الاجتماعية هي **القانون المنتظم** الذي يطرد كلما توافرت أسبابه وشروطه ويحكم سلوك البشر بناء على مطلق الإرادة. (3)

رندا عوني: السنة الإلهية هي **القانون** الذي وضعه الله منذ الأزل في اللوح المحفوظ وقبل أن يخلق البشر، لتنظيم حياة المجتمعات والأمم وسيرها بعلم الله المطلق لما يصلح لسلوك البشر أيا كان هذا السلوك. (4)

وتخصص السنن الاجتماعية بالتعريف، فتقول: السنة الاجتماعية هي **الفعل والجزاء** معا وهما **جناحا القانون**، وهي **القانون** الذي ينص على أنه إن فعل كذا حصل كذا. (5)

*هذا عن لفظ القانون، واستُعمِلت ألفاظ غيره:

ثانيا: السنن بلفظ النواميس

باقر الصدر: السنن التاريخية هي تلك الضوابط والقوانين **والنواميس** التي تتحكم في عملية التاريخ. (6)

سيد قطب: السنن هي **النواميس** التي تحكم حياة البشر وفق مشيئة الله الطليقة. (1)

---

1 - حازم زكريا محي الدين ، مفهوم السنن الإلهية، ص115

2 - حازم زكريا محي الدين ، مفهوم السنن الإلهية، ص31.

3 - خالص جلبي، النقد الذاتي، مؤسسة الرسالة، ط4، 1407هـ/ 1987م، ص65.

4 - رندا عوني ، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص22.

5 - رندا عوني ، قصة الاختلاف دراسة سننية ، ص22.

6 - محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية ، ص44.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدكتور عماد الدين خليل يستعمل مصطلح الناموس، فالسنن عنده :"**النواميس** التي تسير حركة التاريخ وفق منعطفها الذي لا يخطئ، وعبر مسالكها المقنّنة التي ليس إلى خروج عليها سبيل"[2].

شريف الخطيب: سنن الله في الحياة الإنسانية: **نواميس** الله في سير الحياة الإنسانية ونواميسه في إثابة الطائعين وعقاب المخالفين وفق قضائه الأزلي على مقتضى حكمته وعدله.[3]

علي فهمي خشيم: السنة هي **الناموس** الأزلي الذي وضعه الله عز وجل للكون.[4]

عبد الكريم بكار: السنن هي **النواميس** والطبائع والقوانين التي أجراها الله على مخلوقاته.[5]

---

1 - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق – القاهرة-مصر، ط16، 1410هـ/1990م، 1/ 479.

2- عماد الدين خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، كتاب الأمة:4، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، رجب 1405هـ / أفريل1985م، ص52.

3 - شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص5.

4 - علي فهمي خشيم، حديث الأحاديث، ص 420.

5 - عبد الكريم بكار، هي هكذا، ص 8.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صائب عبد الحميد: سنن الله في الأرض هي الأصول التي تجري وفقها الأمور **والنواميس** التي تحكم الحياة **والنظام** الثابت الذي تتبعه الأحداث وهي جارية لا تتخلف. (1)

ثالثا: السنن بمعنى النظام

ولفظ النظام الذي يشر إليه الدكتور صائب يوظفه بعض المعرفين:

عامر الكفيشي: حركة الكون تسير وفق **نظام** دقيق تحكمه قواعد وقوانين تجري بحكمة ومشيئة إلهية عادلة. هذه القواعد تسمى سنن. (2)

سمير سلمان: السنن الإلهية هي **النظام** الإلهي العام، الذي يخضع له الخلق أفرادا وجماعات. (3)

رمضان خميس زكي:"السنن **النظام** الإلهي الذي يحكم سلوك البشر في انضباط واطراد". (4)

المراغي: السنن **النظام** الذي جرى عليه أمر الأمم. (5)

رابعا: السنن ضوابط

ويورد محمد باقر الصدر تعريفا آخر مستعملا لفظ الضوابط، إذ يقول: "هي **الضوابط** التي وضعها الله سبحانه وتعالى لتنظيم ظواهر الكون". (6)

---

1 - صائب عبد الحميد، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ/ 2007م، ص 555 . يراجع الظلال 80/4 تفسير آل عمران 137-140.

2 - عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن، ص224.

3 - سمير سلمان، خطاب الكلمة في القرآن، منظمة الإعلام الإسلامي، طهران، 1409هـ/ 1989م، ص 33.
حازم زكريا محي الدين ، مفهوم السنن الإلهية، ص29-30.

4 - رمضان خميس زكي. مفهوم السنن الربانية ص25.

5 - أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط1،1365هـ/1946م. 1/ 479
وانظر مثله في المنار 4/ 141. يراجع: شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص24.

6 - محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص49.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جودت سعيد: السنن هي مجموعة **الضوابط** لحركة الحياة وهي ذلك **القانون** الذي يحكم سير العقل البشري المنتزع من حركة عقل الإنسان في الطبيعة. [1]

محمد محفوظ: السنن هي **الضوابط** التي تمسك الكون في نظام ليكون كما أراد الله. [2]

خامسا: السنن قواعد

وغير بعيد عن معنى القوانين والضوابط لفظ القواعد الذي وظفه الدكتور محمد سعيد مولاي: السنن مفهوم شامل لكل **قاعدة أو منهاج** ملازم لأي كائن من الكائنات. [3]

السنن عند رشيد رضا **قواعد** ثابتة[4]، يقول رشيد رضا "أي أن أمر البشر في اجتماعهم... قد جرى على طرق قويمة وقواعد ثابتة اقتضاها **النظام** العام"[5].

سادسا: مصطلحات أخرى

أما سيد قطب، فقد جعل السنن "**الأصول** التي تجري وفقها الأمور" [6].

وينفرد ولي الله الدهلوي باستعمال لفظ القوة، فالسنن عنده "**القوى** المودعة في العالم"[7].

أما مصطلح السبب، فإن المراغي يعرّف به السنن قائلا: "**أسباب** مطردة لا تغيير فيها ولا تبديل"[1].

---

1 - جودت سعيد، اقرآ وربك الأكرم ص90.

2 - محمد محفوظ، أوليات في فقه السنن، ص17.

3 - محمد سعيد مولاي، أضواء قرآنية على ظواهر كونية، الشركة الجزائرية اللبنانية، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ/2008م، ص21.

4 - حازم زكريا محي الدين ، مفهوم السنن الإلهية، ص114.

5 - رشيد رضا 140/4.

6 - سيد قطب: في ظلال القرآن، 478/1.

7 - ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1415هـ/1995مـ، 35/1.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهو ما يشير إليه الدكتور محمد الشرقاوي إذ يقول: "فالحياة سننها التعب والكفاح، والسنن الإلهية هي نوع من **العلاقة المسيطرة** بين الحوادث أو الظواهر الكونية والإنسانية أيضا... فسنة الله أو إرادته **سبب أعلى** وعام اقتضى أن تحدث ظواهر الكون بناء على أسباب ومسببات جزئية خاصة خاضعة لهذا السبب الذي هو سنة الله أو إرادته."(2)

ويستعمل حسن سلمان مصطلح الفواعل: السنن التاريخية **الفواعل** المؤثرة في حركة المجتمع التي بمجموع حركتها الزمنية تولد تاريخ ومسيرة ذلك المجتمع. (3)

المعيار مصطلح تستخدمه ناهد يوسف رزق: القوانين الكونية عبارة عن **المعيار** الذي تقاس به المستحدثات في عالم الدنيا، ويسمى بهذا الاعتبار **قانوني كوني.**(4)

وعموما، فتعريف السنن من هذا المدخل يركز على الجانب الموضوعي والدراسة العلمية للسنن الإلهية لمتاحة –فطريا- لكل إنسان مهما كان دينه (5) ليقوم بفهمها وتفسيرها واكتشافها وتسخيرها، ويتقوى الإنسان بذلك ويتمكن بمقدار ما يسخر السنن. (6)

الفرع الثالث: السنن بوصفها الطريقة والمنهج والسيرة المتبعة ¬ البعد المنهجي للسنن الإلهية

أولا: السنن طرائق وطرق إلهية

ممن عرف السنن بهذا المعنى أصحاب المعاجم القرآنية، منهم الراغب الأصفهاني والفيروز

---

1 - أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، 2/77.

2 - محمد الشرقاوي، الأسباب والمسببات، دراسة تحليلية مقارنة ، دار الجيل،بيروت، ط1، 1417هـ/1997م، ص41.

3 - حسن سلمان، دراسات قرآنية حول الإنسان والمجتمع، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 2002م، ص125،128.

4 - ناهد يوسف رزق يوسف، علاقة السنن الإلهية بالقوانين والاجتماعية، ص104.

5 - محمد هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، ص 28. أبو الحسن صديق عبد العظيم، مفهوم السنن، مجلة الشريعة، الكويت، س12، ع31، 1997/1417، 314.

6 - عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن، ص36.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آبادي، اللذان يعرفان السنة أنها: "**طريقة حكمة** الله وطريقة **طاعته**"(1). ومنهم عبد الحميد الفراهي: السنن **طريق** عامة يجري بها أمره في عباده ، وهو **الطريق** المرعية في أفعال الله تعالى، وهو طريق العدل والرحمة(2) وهو ما ذكره واختاره د. حسن فرحات. (3).

وكذا إبراهيم محمد إسماعيل، فالسنن عنده هي شريعة الله **وطريقته** وما جرى من نظامه في خلقه(4).

ومحمد عبد المنعم خفاجي الذي يقول أن "السنة هي **الطريقة والمنهج والمسلك**، سنة الله هي المنهج الإلهي في تسيير أمر حياتنا، وهي طريقته في تربية الأمم، وهي شرائعه التي يرشد الإنسانية بها إلى الله وإلى الحق". (5)

وقد تبعهم في ذلك جمع من المفسرين؛ فالسنن عند أبي عبد الله القرطبي هي: "**طريقة الله** وعادته السالفة"(6).

والسنن عند المراغي:"**طرق** قويمة وقواعد ثابتة اقتضتها الحكمة والمصلحة". (7)

1- أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني:معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم،ضبط وتخريج وتصحيح:إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية-بيروت،ط1418،1هـ/1997م، ص... الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز،267/3.

2 - عبد الحميد الفراهي، مفردات القرآن، تحقيق:محمد أجمل أيوب،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط1، 2002م، ص45.

3 - د. أحمد حسن فرحات، سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، دار عمار-عمان-الأردن، ط1، 1420هـ/1999م، ص 10.

4 - إبراهيم محمد إسماعيل ، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص154.

5 - محمد عبد المنعم خفاجي، موسوعة ألفاظ القرآن الكريم، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، مصر، ط 1988، ص 141، 142. حازم زكريا محي الدين ، مفهوم السنن الإلهية، ص27.

6 - أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1405هـ/1985م، 16/ 280.

7 - أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، دار الفكر للطباعة، د.ت، 76/2.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والسنن عند محمد عبده: "**الطرائق الثابتة** التي تجري عليها الشؤون، وعلى حسبها تكون الآثار، وهي التي تسمى شرائع أو نواميس، ويعبر عنها قوم بالقوانين".[(1)]

أما الشيخ الشعراوي فالسنن هي **الطرق** التي يصرف الله بها كونه بما يحقق مصلحة ذلك الكون ليضمن للإنسان ما يحقق مصلحته.[(2)]

ويعرّف عبد الحميد محمود طهماز السنة الكونية بأنها **الطريقة** المسلوكة العامة الشاملة في الكون، والمراد به جميع الكائنات التي أخرجها الله تعالى من العدم إلى الوجود.[(3)]

أما الدكتور عبد الكريم زيدان فيعرف السنن بـــ: **طريقة** معاملة الله لخلقه.[(4)]

---

1 - حازم زكريا محي الدين ، مفهوم السنن الإلهية، ص83. وذكره أيضا: محمد عادل شريح، مفهوم السننية بين الدلالة القرآنية والتوظيفات الحداثية، مقال إلكتروني، نقلا عن موقع القلم/ النص والتأويل، شبكة القلم الفكرية، 2007/02/15، www.alqlm.com.

2 - محمد متولي الشعراوي، الخواطر، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، مصر، ط1، 1997، 1373/3، رندا عوني: قصة الاختلاف دراسة سننية، ص25.

3 - عبد الحميد محمود طهماز، السنن الإلهية في الخلق، سلسلة كتب قيمة، رقم 39، دار القلم، دمشق، ط1، 1421هـــ/ 2000، 13.

4 - عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية، ص13، وهو ما اختاره يوسف إبراهيم يوسف، السنن الإلهية في الميدان الاقتصادي، ص13.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويورد د. زيدان تعريفا ثانيا للسنة عنده فيقول: "هي **الطريقة** المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة" [1].

أما الدكتور عفت الشرقاوي فيؤصل لتعريف السنن بالطريقة لغويا: " والسنن جمع سنة، وهي **الطريقة** المعبدة والسيرة المتبعة أو المثال المتبع، قيل إنها من قولهم سن الماء إذا والى صبه، فشبهت العرب الطريقة المستقيمة بالماء المصبوب؛ فإنه لتوالي أجزائه على نهج واحد يكون كالشيء الواحد.

ومعنى ذلك أن البشر في اجتماعهم، وما يعرض عليهم فيه من مصارعة الحق للباطل، وما يتبع ذلك من الحرب والنزال، والملك والسيادة، وغير ذلك، قد جرى على طريقة قديمة، وقواعد ثابتة اقتضاها النظام العام.[2]

ثانيا: السنن نهج ومنهج

يظهر مصطلح المنهج في تعريف الأستاذ شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب: السنة الإلهية **منهج** الله تعالى في تسيير هذا الكون وعمارته وحكمه، وعادة الله في سير الحياة الإنسانية وعادته في إثابة الطائعين وعقاب المخالفين، طبق قضائه الأزلي على مقتضى حكمته وعدله. [3]

---

1 - عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية، ص13.

2 - عفت الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط4، 1405هـ/1985م، ص 286. حازم زكريا محي الدين ، مفهوم السنن الإلهية، ص28.

3 - شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص 5، 27، 76. وانظر محمد صادق عرجون، سنن الله في المجتمع، 39، وانظر سيد قطب: الظلال 4/ 2379، 5/ 3216.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بينما يفضل سمير سلمان مصطلح النهج في تعريفه للسنن: **النهج والنظام** الإلهي العام الذي يخضع له الخلق أفرادا وجماعات.(1)

بقي لفظ الأساليب في تعريف محمد تقي اليزدي: السنن هي **الأساليب** التي يستخدمها الله تعالى في إدارة وتدبير أمور العالم والإنسان.(2)

ومن مجمل هذه التعريفات، تبدوا لنا السنن كأساليب لسير أمور العالم، مما يجعلها قوة في أيدينا، وأسلحة في تغيير النفس والواقع الذي نعيشه(3) ومنهجا قويما يرشدنا إلى تسخير هذه القوى في تحقيق الاستخلاف.(4)

وهذا ما يعطي للسنن وظيفة توجيهية وترشيدية للإنسان على مستوى الرؤية، ومنهج النظر في الكون والتاريخ والاستخلاف.(5)

كما يضفي عليها بعدا تربويا مهما يتم بموجبه تربية الإنسان على منهج الله عز وجل، وتربيته على الالتزام بهذا المنهج، واتّباعه في الفهم والفعل، حتى تستقيم أموره وأقواله وأفعاله مع مراد الله عز وجل، وتتحقق فيه السننية.(6)

الفرع الرابع: السنن بوصفها المثال والعادة ¬ البعد الثقافي الاعتباري للسنن الإلهية

---

1 - سمير سلمان، خطاب الكلمة في القرآن ، ص33 . حازم زكريا محي الدين ، مفهوم السنن الإلهية، ص29.

2 - محمد تقي مصباح اليزدي، النظرة القرآنية للمجتمع والتاريخ، تعريب محمد عبد المنعم الخاقاني، دار الروضة، بيروت، لبنان، ط 1416هــ/ 1996، ص413.

3 - محمد عمارة، معالم المنهج الإسلامي ، ص50.

4 - عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن، ص38

5 - خالد فائق العبيدي، القوانين القرآنية للحضارات، دراسة قرآنية لأحداث التاريخ، منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هــ/2005م، ص90 وما بعدها.

6 - جودت سعيد، الدين والقانون رؤية قرآنية، دار الفكر، دمشق، سورية،ط1، 1419هــ/1998م، ص46. وانظر : عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن، ص38، 39.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السنن بهذا الاعتبار عادة الله في معاملة الأقوام، في نصر المؤمنين ومحق الكافرين، كما يؤكد على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في مثل قوله: "فهذه سنة الله **وعادته** في نصر عباده المؤمنين على الكافرين...". [1]

ويترتب على هذا قضية الاعتبار والاطراد والقياس في السنن[2]؛

فكون السنن عادات معلومة فهذا يعني أنها صارت جزء من ثقافة الأمم السائدة ومحورا أساسيا في تراثها وتاريخها وأحوالها وأفعالها [3]، وهذا من رحمته سبحانه بالأمم كما يشير الإمام محمد عبده. [4]

فبفضل الله سبحانه أصبحت السنن الإلهية مصدرا مهما للوعي والاعتبار والتربية والتسخير والقوة.[5] مما يشكل دعما للبشر ومساعدا لهم في الاتقاء عن الوقوع في الخطأ مرة أخرى –على حد تعبير الشيخ جودت سعيد- [6] .

ومن هنا ترتبط السنن بجانبها البشري والتاريخ أكثر، إذ تتجسد السنن عبر تكرر التجارب والأمثلة البشرية في التعامل معها، وتحولها إلى ممارسات معتادة مألوفة، لتتغلغل داخل الكيان البشري وتصنع طبائعه وخصائصه. ومن هنا جاءت السنن بمعنى العادات والطبائع والمثال.

---

1 - تقي الدين بن تيمية، الرد على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت، ص391،390.

2 - ابن تيمية، رسالة السنة، ص53. مجموع الفتاوى، 28\425. عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن، ص 39. الشاطبي ، الموافقات، 4\55. ابن عاشور: التحرير والتنوير، 15\178.

3 - عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن، ص40.

4 - محمد عبده، دروس من القرآن، كتاب الهلال، ع96، ص190.

5 - عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن، ص40.

6 - جودت سعيد، حتى يغيروا ، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ص128. عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن، ص41.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولا: السنن بمعنى المثال

يصادفنا لفظ **المثال** في تعريف الطبري للسنّة بأنها: "**مثال** فعل الله بالسابقين"[1]. و لم أعثر عليه عند غيره، لذلك آثرت البدء به.

وجلي فيه التركيز على معنى العاقبة ومآلات الأمم في تعاملها مع السنن، بل ويكاد المعنى يوحي بالتعامل السلبي –دون الإيجابي- مما يجعل العاقبة "عقوبات على المخالفات"، وفي هذا دعوة للاعتبار والتوقي بلا شك، لكن فيه أيضا إغفالا للجانب الإيجابي في التفاعل مع السنن، ليكون محل تأس واقتداء.

ثانيا: السنن بمعنى العادات

اشتهر شيخ الإسلام باستعمال هذا المصطلح، وتعريفه أقدم توظيف للسنن بمعنى العادات.

فالسنن عنده "العادة التي تتضمن أن يفصل في الثاني فعل ما فعل بنظيره الأول**...**وهي **العادة** في الأشياء المتماثلة".[2]

وبنفس المعنى يعرف تلميذه ابن القيم السنن، فسنته سبحانه **عادته المعلومة** في أوليائه وأعدائه.[3]

لفظ العادة استعمله كذلك محمد الطاهر بن عاشور، في تعريف جد مختصر فالسنة هي "**عادة** الله في خلقه" وبقية كلامه تخصيص للسنة بالسنن الاجتماعية: "وهي **أحوال** الأمم الجارية

---

1 - محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1412هـ/1992م، 304/10.

2 - تقي الدين بن تيمية، مجموع الفتاوى، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة- السعودية، ط1389هـ، 20/13، 169.

3 - ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1398هـ/1998م، ص 199.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على طريقة واحدة" [1].

ثالثا: السنن بمعنى الطبائع

يوظّف الدكتور عبد الكريم بكار هذا المصطلح للتعبير عن السنن، فالسنن –عنده- هي **الطبائع** التي أجراها الله على مخلوقاته. [2]

ويواصل فيقول: "أن **طبائع** الشيء **وخصائصه** حين تتجلي في سياقات وظروف **متكررة**، فإن تجلياتها تسمى **سنة أو قانونا أو ناموسا**. أما في المجال النفسي والاجتماعي والحضاري وكل ما له صلة بالإنسان بوجه من الوجوه فإن سنن الله تعالى فيه عبارة عن **أحكام علوية ماضية مستمرة** اقتضتها **مشيئة** الله **وحكمته** البالغة" . [3]

ونلاحظ كيف تحضر في كلامه، الأبعاد الأربعة السابقة، عبر ألفاظ الطبائع والخصائص والقوانين والنواميس والأحكام والمشيئة والحكمة، إلى جانب معاني الجريان والمضيّ والتكرر والاستمرار والعلوية.

وتنبني على هذا البعد دلالة هامة أشار إليها الأستاذ عامر الكفيشي في قوله أن السنن **قضايا عقلية** منتزعة من **تجارب** الأمم التاريخية، وليست وجودات خارجية مستقلة[4]، فتحول السنن لعادات وطبائع وخصائص للأمم يثير وهما بأن السنن هي نفسها تلك الحوادث والتجارب التاريخية، والحقيقة أنها ليست سوى تجليات للسنن، التي هي في الأصل قضايا عقلية ينتزعها العقل من تجارب الأمم، وليست التجارب نفسها.

---

1 - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 97/4.
2 - عبد الكريم بكار، هي هكذا، ص8.
3 - نفسه، ص10.
4 - عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن الكريم، ص231.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونختم هذا البعد بتعريف المفكر الغربي بانتريو الذي ذكرته الباحثة رندا عوني، وقد وظف بانتريو مصطلحات غير موظفة في تعريفات المفسرين والمفكرين المسلمين، من مثل الممارسات والتعليمات، المستقاة من وسطه الثقافي الغربي، لكنه يضم إليها معاني العادات والقواعد.

فالسنن حسب بانتريو اصطلاح يطلق على تلك **الممارسات** والقواعد التي تحكم أساسا النشاطات المتعلقة بمنهج الحياة للفرد أو سلبها منه، أي أنها تطلق أصلا على **العادات** التي يجب أن تطاع، تعد بكل تأكيد جوهرية في صالح المجتمع، وفي تعريف علماء الاجتماع نجد أن السنن تتضمن **تعليمات** الفلسفة والأخلاق والعقائد والآراء". (1)

وجدير بالذكر أن الاستعمال العرفي للسنن لا يخرج عن هذا البعد الثقافي الاعتباري، فكثيرا ما يتردد على لسان العامة قولهم: "هذه سنة الحياة" بمعنى المعتاد المألوف فيها. (2)

مناقشة عامة للتعاريف السابقة:

بعد هذا الاستعراض المستفيض لمختلف التعريفات التي عثرت عليها، أناقشها للخلوص إلى صياغة تعريف اصطلاحي للسنة.

1. لاحظت بداية شيئا من الغموض والعموم في معظم التعريفات، فكأن أصحابها يصفون السنة ولا يعرفونها، كأن يقال السنة هي القانون الذي يخضع له الوجود أو حكم الله في خليقته أو عادة الله في خلقه أو طرق قويمة وقواعد ثابتة أو الأصول التي تجري وفقها الأمور وأمثالها، رغم امتيازها بالإيجاز وقلة الألفاظ.

---

1 - سامنر ويليام غراهام، دراسة حول القيمة الاجتماعية للعادات والأخلاق، نيويورك، 1940م، ص3. نقلا عن رندا عوني: قصة الاختلاف، ص25- 26.

2 - محمد سعيد مولاي، أضواء قرآنية على ظواهر كونية، ص27.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2 . في مقابل الاختصار والإيجاز، حاول بعض المعرّفين التوسع زيادة في التوضيح، لكن صار شرحا إضافيا أحيانا كما في تعريف للدكتور كنعان مثلا:"وأخضع لها مخلوقاته جميعا" ثم يضيف شرحا زائدا "على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها"[1]، وهو متضمن في كلمة "جميعا". مما يدل على أن المعرفين يصفون السنن لتوضيحها في ذهن القارئ. حتى إن الدكتور كنعان في تعريفه السابق عرّف السنة بفعل سن! حيث قال "هي مجموعة القوانين التي (سنّها) الله عز وجل لهذا الوجود" كأنه لم يجد فعلا آخر مقاربا لمعنى الفعل سن.

3. تكرّرت في عدة تعاريف لفظتا: التحكم والخضوع؛ فالسنن تحكم الموجودات والموجودات خاضعة للسنن، بل إن الدكتور محمود زايد المصري يعتبر تحكم السنن في الوجود "اضطهادا"[2]. وأظن أن سبب هذا الاختيار للمصطلحات هو إغفال البعد الإلهي حين التعريف، لذا تصير السنة هي الحاكمة المضطهدة للوجود كأنها إله، ويصبح الوجود كله خاضعا لهذه السنن وربما عابدا لها. وباستحضار البعد الإلهي تتدخل الإدارة والمشيئة الإلهية فتصير حاكمية السنن انعكاسا للمشيئة الإلهية، فالله عز وجل هو الذي يشاء ويفعل وليست السنن التي تضطهد وتحكم، كما أن الموجودات تتوافق مع السنن إرضاء لله وعبادة له لا خضوعا للسنن وتأليها لها.

وما لاحظته أن هذا الإغفال حدث خاصة في تعاريف المجموعة الثانية المستعملة لألفاظ: القانون، الناموس، وما تلاهما... فأضفيت على السنة الصرامة التي تدل عليها هذه الألفاظ خاصة لفظ القانون.

أما بقية التعاريف، فلم يظهر فيها هذا الأمر: فمن استعملوا مصطلحات: الطريقة-الحكم-

---

1- محمد كنعان، أزمتنا الحضارية، ص52.

2- زايد المصري، تأملات في السنن الكونية، ص1.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المثال-العادة أسندوها مباشرة إلى الله عز وجل. لكن بعض التعاريف المستعملة للفظ القانون أو الضابط ظهر فيها بقوة انبناء العلاقة بين السنن والبشر وفق المشيئة الإلهية. فالسنن ضوابط وضعها الله أو قوانين سنها الله وقوانين مخلوقة لله كما في تعاريف الأستاذ باقر الصدر والدكتور أحمد محمد كنعان ومحمد عمارة على الترتيب[1].

وهذه السنن وضعها الله وأخضع لها الوجود وأودعها وركّبها فيه. ويتضح البعد الإلهي بجلاء في تعريف د.عبد الكريم زيدان: فالسنّة عنده هي:"الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه،وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة"[2].

4. عدّة تعاريف تصف السنن عبر خصائصها، وهذا أوضح من مجرد الوصف العام، فتعرف السنن بكونها لا تتغير، وكونها قائمة على علاقة السببية والاطراد والثبات وعدم التخلف وكونها لا تخطئ مواضعها وليس إلى خروج عليها من سبيل.

5. تشير طائفة من التعاريف إلى أقسام السنن، فهي تعرفها من خلال بيان أقسامها؛ سنن طبيعية تحكم ظواهر الكون والطبيعة أو حركة الحياة و الأحياء أو أحوال الكائنات من وجود مادي وحوادث مادية، وسنن بشرية اجتماعية تاريخية تحكم الأفراد والأمم والجماعات أو حركة التاريخ والدورات الحضارية أو أحوال الأمم.

ويوجزها الفيروز آبادي في لفظتين :الحكمة والطاعة[3]، ويستعمل الفراهي لفظتي: العدل

1- باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص49. كنعان، أزمتنا الحضارية، ص52. محمد عمارة، معالم المنهج، ص40.
2- د.عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية، ص13.
3- الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، 267/3.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والرحمة[1]، فالحكمة والعدل تتعلقان بسنن الكون وما يبرزه من حكمة الله وعدله. أما الطاعة والرحمة فتشيران إلى سنن الحياة البشرية وما تقتضيه من طاعة الله وما يصبغها من رحمته سبحانه.

6. تشير تعاريف أخرى إلى معنى المثلية أو التماثل في السنن، أي أن يحدث في المرة الثانية مثلما حدث في المرة الأولى لأن نفس الأسباب في نفس الظروف والشروط تؤدي إلى نفس النتائج كما يقرر المنهج التجريبي في علوم المادة في عصرنا الحالي، وهذا ما جسده شيخ الإسلام ابن تيمية في ألفاظ موجزة " العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول"[2].

فالعادة هي تكرر نفس النتائج بمثل ما يحدث كلما توافرت نفس الأسباب لكن بشرط التناظر بتوفر نفس الشروط والظروف.

ولكن يبقى هذا التعريف وأمثاله مما استعمل فيه لفظ العادة - الطريقة- المثال -تعاريف راجعة إلى المعنى اللغوي، وإذا لاحظنا أن مستخدمي هذه الألفاظ من المتقدمين مقارنة ببقية المعرفين - اتضح لنا أن سبب الميل إلى المعنى اللغوي هو أن البحث في السنن لم يظهر بعد بصورته الواضحة في عصر أولئك العلماء.

الفرع الخامس: البعد الحضاري في تعريف السنن الإلهية

بتكامل الأبعاد الأربعة السابقة في تعريف السنن، تقترب رؤيتنا من التصور الحضاري الشمولي الذي لا نكاد نلمسه إلا مبثوثا في أكثر من محاولة تعريف، لذلك يلحظ المتصفح لهذه الدراسة تكرر أسماء المعرفين في أكثر من بعد من الأبعاد الأربعة. وتزاحم المصطلحات في التعريف الواحد مرارا.

1- عبد الحميد الفراهي، مفردات القرآن، ص45، وينظر:أحمد حسن فرحات سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، ص10.
2- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 20/13.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وينفرد في هذا السياق الأستاذ الطيب برغوث، الذي يقدم رؤية سننية واعية مستوعبة في دراساته عموما، وخصوصا في سلسلته الأخيرة: آفاق في الوعي السنني، وبشكل أخص في كتابه: الفعالية الحضارية والثقافة السننية، الذي نقلت منه هذه الفقرة، والتي تضمنت التعريف وتعليقات إضافية شارحة له، موضحة لرؤيته السننية التي ذكرت.

أولا: <u>مفهوم السنن الإلهية عند الطيب برغوث</u>

يقول الأستاذ الطيب برغوث:

"ونقصد بالسنن هنا **الأنساق الخِلقية الهيكلية أو البنيوية المنتظمة في المفردات الكونية** [1] لتضمن أداء كل مفردة منها لوظيفتها الوجودية الداخلية والخارجية في النسيج الكوني العام باطراد، سواء تعلق الأمر بمفردات عالم الآفاق أو عالم الأنفس أو عالم الهداية أو عالم التأييد، وهي العوالم الأربعة ذات العلاقة التسخيرية المباشرة بالإنسان، والتي يقوم كل منها على نسيج سنني متكامل، يحكم وجوده، ويحدد طبيعته وهويته الذاتية، التي ينبثق منها المنهج المعرفي الوظيفي الذي يمكّن من فعالية البحث فيها، وتوسيع آفاق المعرفة بها أولا.

ومن ثم الفهم لآليات عملها وأدائها لوظائفها التسخيرية ثانيا، والوصول إلى القدرة اللازمة على التحكم التسخيري فيها، أو الاستثماري لها بعد ذلك في نهاية الأمر. [2]

والمتمعن في هذا التعريف، يلحظ حضور وعي خاص لا نلمحه في التعريفات السابقة، بدء بالمصطلحات والتعابير نفسها، فتعبير "النسق" في حد ذاته يدل على عمق فكري في فهم السنن.

---

1 - يوضح الأستاذ الطيب أن الكونية لا تعني المادية فقط بل تستوعب مفردات كل المنظومات التسخيرية (عالم الآفاق والأنفس والهداية والتأييد) المشكلة معا للميزانية التسخيرية الكلية للإنسان في الحياة. ونلاحظ أن الأستاذ يدخل في الكون الكون الطبيعي المادي، والكون الإنساني، وحق الوحي، والتأييد الغيبي.

2 - الطيب برغوث، الفعالية الحضارية والثقافة السننية، دار قرطبة، المحمدية، الجزائر، ط1، 1425هـ/ 2004م، ص32.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما أنه يستحضر أكثر من دلالة تعود للمعاني الأربعة السابقة؛ فالنسق لا بد له من منسِّق هو الله، وهذا استحضار لربانية السنن الإلهية، والنسق نظام متكامل يوحي بقانونية السنن، والنسقية تعبير

عن تناسق منهجي بين مفردات الكون، مما يستحضر البعد المنهجي، والتربوي أيضا، فالنسقية أداة تربوية تساهم في تنشئة الفرد وضمان انضباطه وفق النموذج النسقي المجتمعي الخاص وعدم خروجه عنه إلا قاصيا مختارا، وبمراكمة ذلك تاريخيا يتجلى البعد الرابع –ولو من طرف خفي-، فنسقية الكون وسننه الإلهية تستبطن كون السنن معايير ثقافية اجتماعية تتحول من قضايا عقلية إلى تجارب وعادات وخصائص وطبائع إنسانية.

ونلحظ النسقية في ألفاظ التعريف نفسها، فالهيكلية والبنيوية والانتظام والمفردات، كلها مصطلحات توحي بالنسق والنسقية، فلا يكون البناء هيكليا ولا بنيويا ولا منتظما إلا إذا كان وفق نسق ناظم لهياكله وبناه ومفرداته. والمفردة تعبر بنفسها عن كونها جزء من نسق لا شاردة في الفضاء الكوني.

وقبل كل هذا وذاك لفظ "الخِلقية" يعبر عن كون السنن خلقا إلهيا خاضعا لإرادته وحكمته ومشيئته سبحانه وتعالى.

لكن ورغم هذا التعقيب المشيد بتعريف الأستاذ الطيب، إلا أني ملزم بتقرير أنه تعريف فلسفي مجمل، فيه تكرار من وجه أن ألفاظ الهيكلية والبنيوية والانتظام أوصاف متداخلة يغني بعضها عن بعض، والتعريف شانه أن يكون مختصرا جامعا مانعا، أما التوضيح والشرح فيأتي بعده

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مكملا، وإن كان هذا النقد موجه لأغلب المعرّفين، الذين نثروا تعريفاتهم وحشوها بالتفصيلات والمرادفات، حتى صار كشف تعريفاتهم في حد ذاته جهدا علميا، يحتاج لعناية وتأمل.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانيا: التعريف المختار

لن أختار تعريف الأستاذ الطيب برغوث رغم جدته وتميزه، لكني سأستل منه وصفي النسق والمفردات الكونية، لقوة دلالتهما على بقية ألفاظ تعريف الأستاذ الطيب.

وسأضمن تعريفي جملة معاني –مبثوثة في مجمل التعاريف السابقة- والتي أراها محورية لتشكيل مفهوم للسنن الإلهية.

- معنى **الإلهية** والربانية المسند للسنن لله تعالى.
- معنى **القانونية**، بحكم كونه أقرب الألفاظ –عقليا- دلالة على السنن، كما أنه أكثر الألفاظ تداولا في تعريفات المؤلفين.[1]
- معنى شمول السنن **للكون** بكل مفرداته المادية والإنسانية **والوحي**.
- معنى كون السنن **طرائق وأساليب ومناهج** إلهية في تصريف أمر الكون بكل **مفرداته**.
- معنى كون السنن **عادات وطبائع وخصائص تنظم** حركة الكون والإنسان.

وهكذا يكون التعريف -كما يجب عليه أن يكون- جامعا مانعا، مجسدا للأبعاد الأربعة السابقة، على جانب المنظور الحضاري، الممثل له بتعريف الأستاذ الطيب برغوث.

1 - يظهر لفظ القانون في خمس وعشرين تعريفا نقلته في هذه الرسالة، دون حساب التعاريف المكررة لنفس المؤلف.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولن أغفل هنا تعريفي للسنن الذي اعتمدته في رسالتي للماجستير وهو:

سنّة الله هي القانون الذي وضعه الله عز وجل في كونه ووحيه، لتخضع عبره الموجودات له سبحانه، فتطّرد حركتها وتنتظم أحوالها. [1]

لكن –طبعا- بعد تهذيبه وتطويره وفقا للمنظور السابق. فأقول –وبالله التوفيق- :

السنن الإلهية هي تلك الأنساق القانونية التي بثّها الله عز وجل في كل المفردات الكونية لتخضع له سبحانه في اطراد وانتظام.

1- هذا التعريف اعتمدته في رسالتي للماجستير: التدافع وسننه في القرآن الكريم، ص 16.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثاني: خصائص السنن الإلهية

أولا: حصر وتصنيف

تعددت وتنوعت تعبيرات المؤلفين في موضوع السنن الإلهية عن خصائص السنن، مع شيء من الاختلاف في التسميات والعدد:

يذكر الشيخ ابن عاشور أن السنن الإلهية جارية على طريقة واحدة[1]. ومعنى الجريان هو ما يعبر عنه المعاصرون بالاطراد أي أن السنن تطرد على وتيرة واحدة، مما يعني أنها تخضع لقانون السببية،كما يقول الدكتور أحمد فرحات[2] والدكتور جمال الدين عطية[3].

ويعبّر الدكتور محمود زايد المصري بوصف السريان دلالة على الاطراد والجريان. [4] أما الدكتور عبد الكريم زيدان فيشير إلى اتصاف السنن بالثبات والاستمرار والاطراد والعموم.[5] كما يصفها بأنها خفية بطيئة. [6]

وعن الدكتور زيدان ينقل الكثيرون، مع إضافة أو نقصان أو تعديل في التعبير، فالدكتور الشكعة –مثلا- يذكر ما ذكره زيدان، ويضيف صفة الإجبارية. [7]

---

1 - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 97/4.
2 - أحمد حسن فرحات، سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، ص136،112.
3 - جمال الدين عطية، النظرية العامة للشريعة، ص16.
4 - محمود زايد المصري، تأملات في السنن الكونية، ص1-2.
5 - عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية، ص8، 14.
6 - نفسه، ص14.
7 - مصطفى الشكعة، حجية السنن الإلهية في رحاب القرآن الكريم، ص 816.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما الأستاذة رندا عوني فتضيف صفة **الحتمية**[1] التي يذكرها الدكتور عادل شريح أيضا[2] كما يضيف الدكتور الخطيب وصفي **الحكمة والعدل.**[3]

ويشير الدكتور أحمد محمد كنعان جنب وصفي الثبات والاطراد، إلى خصيصة **الشمولية**[4]. وهو نفس ما يذكره الدكتور عمر أحمد عمر.[5]

أما **السيد محمد باقر الصدر**، فيركز على خصيصتين محوريتين للسنن الإلهية، زيادة على الاطراد والثبات، وهما صفتا **الربانية، ودور اختيار الإنسان وإرادته في تسخير السنن الإلهية.**[6]

وهو ما يشيد به كثير من المعاصرين الناقلين عن السيد باقر الصدر، أمثال الدكتور حسن سلمان[7] وعامر الكفيشي[8] الذي يضيف أوصافا أخرى: السببية، الغائية، الاجتماعية، عند حديثه عن طبيعة عمل السنن الإلهية.[9]فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى الدكتور صائب عبد الحميد وجدنا عنده خصائص الثبات والنفوذ.[10] والموضوعية والربانية والاتساق مع حرية الإنسان.[11]

---

1 - رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص34-38.

2 - محمد عادل شريح، مفهوم السننية بين الدلالات القرآنية والتوظيفات الحداثية.

3 - شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص45-57.

4 - أحمد محمد كنعان، أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، ص53.

5 - عمر أحمد عمر، السنن الإلهية في النفس البشرية، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1412هـ/1992م، ص7.

6 - باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص83،77،75.

7 - حسن سلمان، دراسات قرآنية حول الإنسان والمجتمع، ص 148.

8 - عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن ، ص229-230.

9 - نفسه ، ص234-235.

10 - لعل الدكتور صائب عبد الحميد يقصد النفاذ، أي أن السنن جارية مطردة، خاصة وأنه لم يذكر الاطراد . وإن كان وصف السنن بالنفوذ مستساغا إذا قصد به نفوذها في الكون وهيمنتها وحاكميتها على مفرداته.

11 - صائب عبد الحميد، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص554 ، 592.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم يصادفنا وصف **الحاكمية** عند الدكتور رمضان خميس[1] الذي يخص السنن الكونية بخصائص **التوازن والنظام، والإحكام والانضباط**[2]. كما نجد وصف السنن **بالفطرية** في حديث الدكتور بكار[3] وخصيصة **الصرامة** عند السيد كاظم الحائري[4] وصفة **الموضوعية** لدى الدكتور إياد الركابي[5] وأختم بصفة **الحيادية** التي يذكرها محمد محفوظ[6].

ومن خلال هذا الاستعراض، يتبين أن الكل ركز على أهم خصيصة للسنن الإلهية وهي الاطراد أو السريان والجريان على طريقة ووتيرة واحدة، ولذلك توصف السنن بالصرامة والإجبارية والحتمية والنفوذ والهيمنة، ومظهر هذا الاطراد هو انبناء السنن على علاقة السببية.

أما خصائص الثبات والعموم والشمول والحيادية...فتدل عليها خصيصة الاطراد، لذلك لا يذكرها البعض لاندراجها تحت وصف الجريان والسريان والاطراد على وتيرة واحد.

ويتميز طرح السيد محمد باقر الصدر بالسبق في ذكر خصيصتين مهمتين تبرزان دور الإرادة الإلهية والإرادة البشرية إزاء السنن؛ فالأولى خصيصة الربانية، والثانية اختيار الإنسان ودور إرادته في تسخير السنن، وهذا راجع لكون السنن قابلة للتسخير. ثم ينقل عنه اللاحقون تباعا.

وبنظرة إجمالية، يكاد يكون الباحثون في السنن عالة على المفكرين والمفسرين القدامى لمعاني الاطراد والجريان، وعلى الطرح المعاصر لمنظّري السنن، وعلى رأسهم باقر الصدر ود.زيدان.

وبمقارنة سريعة وبسيطة بين مقاربتي الرجلين نجد عمقا لافتا لدى الصدر وتبسيطا تفصيليا

---

1 - رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص5-88.
2 - نفسه، ص85.
3 - عبد الكريم بكار، هي هكذا، ص9.
4 - كاظم الحائري، سنن التاريخ، مجلة الحوار الفكري والسياسي، ع 30-31، ص53.
5 - إياد الركابي، السنن التاريخية في القرآن المجيد، ص141.
6 - محمد محفوظ، أوليات في فقه السنن، ص 47.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لدى زيدان. هذا الأخير الذي يوظف السنن توظيفا دعويا حركيا في طرحه، مقابل طرح فكري تصوري لدى الصدر.

ويبدو أن هذا ما وجه الطرح السّنني في المدرسة الشيعية (وريثة طرح الصدر) وجهة تنظيرية تأصيلية، بينما انصبغ الطرح السنّي السنني[1] بصبغة تفصيلية تمثيلية أسس لها د.زيدان؛ أي بلغة أخرى، أسّس الصدر لتوسع عمودي مقابل توسّع أفقي عند زيدان.

وعموما، فالخصائص السابقة كلها، لا تكاد تخرج عن خمس خصائص تشمل كل منها حشدا من الأوصاف الأخرى من جهة، ثم تؤول جميعها –من جهة ثانية- إلى الأبعاد الأربعة التي تبدت في تعريفنا للسنن الإلهية.

فالسنن الإلهية ربانية، وهذا مصدر حاكميتها وهيمنتها ونفوذها، وهو جانب الغيبية فيها، كما تدل نسبتها لله على معنى الغائية، فهي ليست صماء ولا عمياء بل وضعها الله بحكمة وعدل في كل مفردات كونه.

واطراد السنن يدل على حتميتها وسببيتها وصرامتها وإجباريتها المحققة لمعاني التوازن والنظام والانتظام والإحكام والانضباط والموضوعية.

أما القابلية للكشف والتسخير فوصف هام للسنن الإلهية، يبرز كونها إنسانية اجتماعية واقعية، مما يجلّي دور الإنسان واتساق حريته مع سنن الله تعالى التسخيرية.

وما تبقى من دلالات تستجعمها أوصاف الثبات والعموم والشمول، مما يبين كون السنن حيادية مستمرة مستقرة، لكن جهل الإنسان بها وبطء فعلها وأثرها يجعلها تتسم بالخفاء، لذا فهي

---

1 - جلي هنا أني أقصد بالسنّي أهل السنة، وبالسّنني الحديث عن السنن الإلهية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تحتاج لإعمال فكر لتأملها، لكنها مع ذلك مركوزة في الفكرة البشرية.

وهذه الخصائص لا تخرج عن الأبعاد الأربعة للسنن الإلهية: الربانية، القانونية، المنهجية والثقافية.[1]

فجليّ –بداية- اندراج خصيصة الربانية وما يدل دلالتها، على البعد الرباني للسنن الإلهية.

أما الاطراد والحتمية والسببية والصرامة فأوصاف دالة على البعد القانوني للسنن.

وما يشير لإنسانية السنن مشمول بمعنى التسخيرية، وهو ما يشير للبعد الثالث للسنن الإلهية بوصفها طرائق ومناهج وأساليب إلهية في معاملة البشر.

أما البعد الرابع للسنن بوصفها عادات وطبائع، والذي يؤول إلى الجوانب الثقافية الاعتبارية للسنن، فتدل عليها صفات العموم والشمول والثبات والاستمرار... بحكم ثبات واستقرار واستمرار الخصائص والطبائع الثقافية وعموميتها وشموليتها.

فالخصائص الخمس إذن تؤول إلى أربع: الربانية – الاطراد – التسخيرية – الثبات والعموم

وبالرجوع إلى التعريف الاصطلاحي الذي اعتمدته في هذه الدراسة، تبرز هذه الخصائص:

فــ"السنن الإلهية هي تلك الأنساق القانونية التي بثّها الله عز وجل في كل المفردات الكونية لتخضع له سبحانه في اطراد وانتظام."[2].

1 - راجع ص 151 من هذا البحث وما بعدها.

2 - انظر المبحث الأول من هذا الفصل، ص179.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فكل جزئية في التعريف محدد يختزن خصيصة من الخصائص:

- فالسنن "إلهية" وضعها الله عز وجل وبثّها في خلقه، فهي منه سبحانه، رهن إرادته ومشيئته. وهذا ما يعبر عن خصيصة **الربانية** وما يلحقها من معاني ودلالات راجعة للبعد الرباني.

- والسنن مبثوثة في كل مفردات كون الله ووحيه، فهي تشمل كل شيء وتعم كل الموجودات على مر الأعصار والأمصار، وهذا ما يجسد خصيصة **الشمول والعموم**، الراجعة للبعد الثقافي الاعتباري.

- وعبر التوافق مع هذه السنن، تخضع الموجودات لله، ولا يتم هذا الخضوع ولا يتأتى إلا باكتشاف السنن وتسخيرها، وهذا ما يشير إلى خصيصة **القابلية للتسخير (التسخيرية)** المجسدة للبعد المنهجي للسنن.

- ووفق هذه السنن "القانونية" تجري حركة الكون باطراد وفق علاقة السببية ومبدأ تكرر نفس النتائج، وهذا ما تمثله خصيصة **الاطراد** الدالة على البعد القانوني للسنن الإلهية.

- وعبر التوافق مع السنن كأنساق، تنتظم أحوال الموجودات وتتسق، ولم يكن هذا الانتظام والاتساق ليتحقق لو لم تكن السنن ثابتة مستمرة تسري بانتظام ودون تخلف، ولولا ذلك لاختلّ الوجود وانهدّ الكون. وهذا ما يشير إلى خصيصة **الثبات**. الدالة –مع خصيصة العموم- على البعد الثقافي للسنن.

هذه هي الخصائص التي أراها مشكلة لمفهوم السنّة وحقيقتها، وههنا وقفة مختصرة مع تلكم الخصائص مرتبة حسب اندراجها في الأبعاد الأربعة المعرّفة للسنن الإلهية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول: الخصائص الربانية للسنن الإلهية

ما دامت السنن منسوبة لله عز وجل فإن أعظم خصيصة لها هي ربانيتها التي تصلها لفظا ومعنى بالله تعالى، وتربطها بإرادة الله وحكمته ومشيئته. فالسنن أفعال الله وأقداره وأحكامه وكلماته وأوامره كما مر بنا في التعريف.

ومن مجمل الخصائص التي ذكرها المصنفون تصادفنا بعض منها متعلقة بربانية السنن كالحاكمية والهيمنة والحكمة والعدل والنفوذ والغائية.

الفرع الأول: دلالة ربانية السنن الإلهية

سنن الله ربانية، أي أنها "مرتبطة بالله؛ فهي تدبير إلهي.. وقرار رباني"[1]، فالسنن من الله، وهو الذي أودعها في هذا الوجود وحكّمها فيه وأخضع لها الموجودات كلها.ولذلك ينسبها عز وجل لنفسه في القرآن الكريم: {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا}[2]، {سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا}[3]...

وحتى الآيات التي نسبت فيها السنة لغير الله يقدر فيها المفسرون نسبتها إلى الله، فقوله عز وجل:{ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ}، تقديره: فقد مضت سنة الله في الأولين[4].

وقوله: {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}،

---

1 - باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص77. حسن سلمان، دراسات قرآنية حول الإنسان والمجتمع، ص158
2 - الأحزاب: 62.
3 - الإسراء: 77.
4 - الأنفال:38. وانظر: الطبري، جامع البيان، 244/6. سيد قطب، الظلال، 1507/3.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أي: يهديكم سنن الله في الذين من قبلكم[1].

وقوله: {سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا}،

يعني: سنتنا فيمن قد أرسلنا، أو جعلنا ذلك سنة فيمن قد أرسلنا[2].

ولا حاجة لإثبات أن السنن من الله، فهو خالق الكون كله ومدبر أمره:

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[3].

فما من قانون ينظم حركة الكون، أو عادة تسري في الخلق إلا وهو رهن بأمر الله تعالى، فالله سبحانه وتعالى يظهر لنا قدرته من خلال هذه القوانين والسنن.[4]

فالله واضع سنن الكون ومسيرها، وله إن شاء إيقاف عملها أو إمضاؤه، لأنها إرادة الله، وهي ممثلة لحكمة الله وتدبيره في الكون.[5]

ولشدة ارتباط السنن الإلهية بخصيصة الربانية، فقد اختار بعض الباحثين[6] تسميتها بالسنن الربانية

---

1 - النساء: 26. وانظر: سيد قطب، الظلال، 631/2.

2 - الإسراء: 77. وانظر: الطبري، جامع البيان، 122/8. الرازي، مفاتيح الغيب، ج21، 20/11. ابن عاشور، التحرير والتنوير، 178/15.

3 - الأعراف: 54.

4- سميح عاطف الزين، حركة التاريخ في المفهوم الإسلامي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1405هـ/1985م، ص29-30 نقلا عن عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن، ص231.

5- صائب عبد الحميد، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص566.

6- ممن فضل تسمية السنن الربانية، رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية. راشد سعيد شهوان، السنن الربانية في التصور الإسلامي، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1430هـ/2009، ص14.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أصالة لا مجرد وصف، كما فعل الدكتور رمضان خميس، الذي يقول: "ربانية نسبتها للرب يلحظ فيها ملامح التربية، فإن الله يربي عباده بهذه السنن الثابتة والنواميس الصارمة رغم أنه شاع على بعض الألسن لفظ السنن الإلهية، إلا أني رأيت أن كلمة الربانية هنا أوفق".[1]

لكني لا أوافقه على هذا الاختيار، لأن تعبير "سنة الله" تعبير قرآني أصيل دالّ على معنى الربانية متضمن له. واسم الجلالة "الله" أعظم أسماء الله، وأدلها على سننه في مفردات كونه. وأجمعها لما اتصف به عز وجل من صفات قدسية كاملة كما يقول الدكتور خميس نفسه.[2]

الفرع الثاني: مقتضيات ربانية السنن الإلهية

يضفي وصف الربانية على السنن دلالات ومقتضيات محورية في تأسيس رؤيتنا للسنن؛

1- فربانية السنن فيها إبراز للقدرة الإلهية، فهي أثر من آثار إظهار أفعال الله في خلقه، وهي إبراز لقدرة الله تعالى وعلمه وعزته وحكمته، وما اتصف به من صفات قدسية كاملة.[3]

2- وإظهار القدرة الإلهية يرتبط بطلاقة المشيئة، فالله جل شأنه يمارس قدرته من خلال السنن لأنها إرادة الله[4] التي تمثل مشيئته المطلقة وتدبيره الحكيم لما في الكون.

فكل سنة من سننه، هي كلمة من الله، وقرار رباني منه، يتدخل فيها حيثما شاء وكيفما شاء.[5]

1- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص25.
2- نفسه، ص85.
3- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص25.
4- حسن سلمان، دراسات قرآنية حول الإنسان والمجتمع، ص158.
5- يوسف كمال محمد، سنن الحضارات كما تبينها سورة الأنعام، ص8.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكن ذلك لا يعني نزع الحادثة التاريخية عن الأسباب والمسببات، ولا عن العلاقات والروابط المتعلقة بها على الساحة التاريخية، بل إن هذه الروابط والعلاقات بين الحوادث التاريخية هي في الحقيقة تعبير عن حكمة الله وبنائه التكويني للساحة التاريخية.(1)

3- وفي ربانية السنن إبراز للحكمة والعدل الإلهيين، فالسنن تتسم بالحكمة والعدل لأنها فعل الله وفعل الله هذه صفته دائما، وهي من أسمائه الحسنى.(2)

فكلما حقق الله سنة من سننه في عباده فلنعلم يقينا أن في ذلك كله حكمة بالغة وهي عادلة، وهذا أحد أعظم أسرار إضافة السنن إلى الله.(3)

4- ربانية السنن شاهد على حاكميتها على كل المفردات الكونية، ما دامت من الله، فلا يفلت من نسقيتها مخلوق، "فكل مخلوق يحكم بسنن ربانية، فإذا تغيرت طبائعه فإنه يخضع لسنن ربانية جديدة"(4) لكنه لا يخرج عنها أبدا.

لكن هذا الطرح لحاكمية السنن لا يعني الجبرية، إنما يعني أن وعي الإنسان بقوانين هذه السنن وقواعد حركتها هو الذي يجعل الإنسان قادرا على تسخيرها في الاتجاه الذي يريد، فالكون كله بما فيه السنن مسخر من الخالق سبحانه.(5)

1- سميح عاطف الزين، حركة التاريخ في المفهوم الإسلامي، ص29-30. وانظر عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن، ص231.

2- (أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، نشر الجفان والجابي، قبرص، ط1، 1407هـ/1987م، ص 130. ابن كثير، 2/ 74. الرازي،228/1. الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، 2/ 490). شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، ص54.

3- شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، ص55-56.

4- عبد الكريم بكار، هي هكذا، 10.

5- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص5.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكنه يعني في الوقت نفسه أنها لا تحابي أحدا، لأنها حاكمة على الجميع، لا تنتقي ولا تنتخب.(1)

5- كما تدل ربانية السنن على توازن الكون ونظامه، لنسبته لخالق حكيم، بث سننه في خلقه، فكان النظام أساسه من الذرة إلى المجرة، ولهذا كان الكون دالا على الله.(2)

6- **الغائية:** فالسنن –لكونها ربانية- فإن عملها لا بد أن يكون هادفا ينتهي إلى غاية، يسير بالخلق بخطوات واعية نحو المستقبل(3)، وليس مجرد حركة سببية فقط، مشدودة إلى سببها؛ بل مشدودة إلى غاية هادفة ومستقبلية.(4)

7- وما دامت السنن تنتهي بها ربانيتها إلى غاية، فإن الغاية الوجودية للإنسان توحيد الله وعبادته لتحقيق رسالته الاستخلافية في الكون. [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ]. (5)

فكل سلوك بشري هو سلوك سنني وعبادي في آن واحد؛ فالحركة في الكون تعامل مع السنن، والتعامل مع السنن اتصال بالله وعبادة له سبحانه.(6) ، وهذا الكلام يصدق في حق الأفراد والأمم.

لذا فإننا نجد القرآن العظيم –ومن خلال حديثه عن السنن الإلهية- يضفي على الظواهر والتحولات التاريخية والاجتماعية جميعا، الصبغة التوحيدية، ويربطها بالله، ليقرر هذه الحقيقة،

1- نفسه، ص53.
2- نفسه، ص86.
3- عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن ، ص234.
4- نفسه ، ص235.
5- الذاريات: 56.
6- حسن سلمان، دراسات قرآنية حول الإنسان والمجتمع، ص158.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهي أن الله هو المؤثر الحقيقي في الوجود فحسب.[1]

الفرع الثالث: ربانية السنن والمشيئة الإلهية

إن السنن تعمل وفق مشيئته عز وجل، وهنا يطرح إشكال: ما دامت السنن رهن المشيئة الإلهية، كيف نفهم ترتب المسببات على أسبابها، وتحقق النتائج بعد مقدماتها؟ هل الله عز وجل "ملزم" بترتيب تلك النتائج وتوفير المسببات لأنه ربطها بالأسباب والمقدمات. أو بمعنى آخر: هل تحقق النتائج حتمي لازم أم هو مرتبط بمطلق المشيئة الإلهية: متى شاء الله حقق نتائج الأفعال، ومتى شاء منعها؟

يقول صاحب المنار: "من الناس من يظن أن معنى إسناد الشيء إلى مشيئة الله تعالى هو أن الله تعالى يفعله بلا سبب ولا جريان على سنة من سننه في نظام خلقه، وليس كذلك، فإن كل شيء بمشيئة الله تعالى: {اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ}[2]. أي بنظام وتقدير موافق للحكمة ليس فيه جزاف ولا خلل"[3]. فليس هناك أي حتمية تسري على الخالق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، إنما سريان السنن هو عين المشيئة، وهو تحقيق لحكمة الله في خلق المخلوقات وإخضاعها للسنن. فـــ"حكمته سبحانه اقتضت ارتباط هذه بتلك ارتباطا ضروريا، لكي يتمكن الإنسان من تسخيرها في الكون في شؤون حياته المختلفة، لأنه من غير هذا

1- محمد تقي مصباح، معارف القرآن، تعريب محمد عبد المنعم الخاقاني، الدار الإسلامية، بيروت، لبنان، 1410هـــ/ 1989م، 4\267.

2 - الرعد: 8.

3 - رشيد رضا، تفسير المنار، 479/2.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الارتباط، يتعذر عليه القيام بأمانة الاستخلاف في الأرض"[1]. وبهذا الفهم لا يكون هناك أي تعارض بين حتمية السنن ومشيئة الله، فلا نحتاج لنفي الحتمية عن السنن حتى نتره المشيئة الإلهية "فإن مشيئة الله تعالى لا تتعلق بإبطال سننه تعالى، وحكمته في نظام خلقه"[2]. ثم إن السنن ذاتها من خلق الله ووضعه. فكيف تعمل خارج إرادته ومشيئته..؟ "فليست هناك جبرية آلية في الخلق والإنشاء، ولا في الحركة والحدث، والنواميس التي يراها الناس مطردة في الكون –بوجه عام- ليست قوانين آلية أنشأها وسلطها لتعمل بذاتها آليا وحتميا، ولكنها تطرد –على الجملة- لأن قدر الله في شأنها أن تطرد في غير جبرية وآلية فيها، وفي غير حتمية على الله سبحانه في اطرادها، إنما هي مشيئته وحكمته بهذا، فيجري قدره بما يشاء"[3].

وللتوفيق بين حتمية السنن وطلاقة المشيئة يعمد البعض إلى تفسير غريب لارتباط الأسباب بمسبباتها، إذ يقولون أن ارتباط الصفات بالموجودات ارتباط "عادة" لا ارتباط "لزوم"، بحجة أن كون الارتباط باللزوم يعطل المشيئة الإلهية، فالحل –في تصورهم- هو نفي لزوم السنن وحتميتها، وإحلال "العادة" محله. فارتباط السبب بمسببه –على هذا الرأي- ناتج عن تعودنا على رؤية حدوثه وليس لازما له. مثلا: النار تحرق، لكن ليس هذا من طبيعتها الدائمة، إنما تعودنا فقط رؤيتها تحرق، ولو لزم كونها محرقة لأحرقت إبراهيم –عليه السلام- كما يقولون، إنما تكتسب صفة الإحراق بعد أن يشاء الله ذلك لها لحظة ملامستها للأشياء، فكلما لامست شيئا أودع الله

---

1 - أحمد محمد كنعان، أزمتنا الحضارية، ص34.

2 - رشيد رضا، تفسير المنار، 480/2.

3 - سيد قطب، مقومات التصور الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1988، ص62-63.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيها خاصية الإحراق، ومتى شاء ألا تحرق منع عنها تلك الخاصية[1]. وهذا التفسير "يعطي للعالم صورة سحرية غريبة... فالنار قد تحرق وقد لا تحرق.. كأن الأمر عبث دون ضابط!!"[2].

فالأمر إذن خلاف ذلك التصور؛ فحتمية السنن لا تنفي المشيئة الإلهية، بل هذه الحتمية نفسها من مشيئة الله، فالله تعالى هو الذي شاء أن تكون السنن على هذا الشكل ليستقر أمر الخلق ويمكن تسخير الكون، وهذا مقتضى حكمته كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فالله "حكيم في خلقه وأمره، والحكمة ليست مطلق المشيئة، إذ لو كان ذلك لكان كل مريد حكيما، ومعلوم أن الإرادة تنقسم إلى محمودة ومذمومة، بل الحكمة تتضمن ما في خلقه وأمره من العواقب المحمودة والغايات المحبوبة "[3].

الفرع الرابع: ربانية السنن ودور الإنسان

السنن إذن ربانية، فهي من الله، وهي أمره وقراره، وعلينا أن نتعامل معها على هذا الأساس، فنستعين بالله على تسخيرها، وقد تتدخل العناية الإلهية فتخرق لنا سنة إكراما لنا إذا ما نحن استوفينا الأسباب واستفرغنا الجهد، لكن الأصل في تعاملنا مع السنن يجب أن يبقى ثباتها ولزومها لا خرقها وتعطيلها. فـــ"ظاهرة تعطيل الناموس من الله بكن فيكون وذلك لإضفاء نعمة أو إنزال نقمة هي جد نادرة، وليست مطردة، ولا ينبني عليها من العمل إلا تعزيز الالتزام بدين الحق والصراط المستقيم ولزوم الدعاء. لذا، حري بالمسلم أن يأخذ بنسيج الأسباب والسنن المطردة بشقيها الغيبي والشاهد.. لفهم حاله وما حوله، وأن يجعل سنة تعطيل الناموس في إضفاء الخالق

---

1 - أحمد محمد كنعان، أزمتنا الحضارية، ص79.

2 - نفسه، ص80.

3 - تقي الدين بن تيمية، منهاج السنة النبوية، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ج1، 34/1.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النعم على المؤمنين وإنزال العذاب على الكافرين من احتياطي القوة والمنعة والثقة بالله، ويتعهد هذا الأمر الغيبي بالعناية والاحتفاء في دعائه ومناجاته لربه"[1].

1 - محمود زايد المصري، تأملات في السنن الكونية، ص19.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني: الخصائص القانونية للسنن الإلهية

القانونية ألصق الصفات والخصائص بالسنن الإلهية بعد الربانية، بل قبلها في المنظور المادي الوضعي، وخصائص السنن بوصفها القوانين الإلهية تكاد تتلخص في خصيصة الاطراد.

ولعل أول صفة تتبادر إلى الذهن حين الحديث عن السنن هي أنها مطردة، وهذا معنى كونها قوانين، ولطالما عرّفت السنن الإلهية بأنها القوانين المطردة التي لا تتخلف[1].

وقد ارتبطت السنن من حيث قانونيتها واطرادها بجملة أوصاف وخصائص ظهرت في حديث المصنفين في السنن الإلهية، منها الإجبارية والقهر والحتمية والسببية والعلّية والصرامة، إلى جانب أوصاف الانضباط والإحكام والنفاذ...

الفرع الأول: دلالة قانونية السنن الإلهية

السنن الإلهية قانونية، أي أنها محكومة بقوانين جارية نافذة لا تتخلف، قاهرة لمن يتصدى لها[2]، وفق ما بثّه الله فيها وأراده لها. **{وهوالقاهرفوقعباده}**.[3]

ومقتضى قانونية السنن يعود إلى اطرادها. فلذلك الحديث عن القانون حديث عن اطراد الأحكام وسريانها على الحوادث والظواهر التي يحكمها هذا القانون.[4]

---

1 - يرجع إلى تعريفات السنة اصطلاحا، ص 149 وما بعدها.

2- الظلال 476/1.

3- الأنفال 18.

4- رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص36. عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية، ص24.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والاطراد في اللغة يعني التتابع والتسلسل[1]. واطراد السنة يعني "تتابع حصولها، أو تكرار آثارها على الوتيرة نفسها كلما توافرت شروطها وانتفت الموانع التي تحول دون تحقيقها... فالمطر يهطل –بإذن الله- كلما تلبدت الغيوم في السماء وتهيأت الظروف الجوية المواتية، والحجر يسقط إلى الأرض كلما ألقينا به في الفضاء، واليد تحترق كلما لامست النار، والمرض يحصل كلما صادفت الجراثيم جسما قابلا للعدوى والمرض...وهكذا"[2]. وهذا ما عبّر عنه شيخ الإسلام حين عرّف السنّة أنها "العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثلما فعل بنظيره الأول"[3]، فكلما تكررت نفس الظروف و توافرت شروطها، وانتفت الموانع التي تحول دون تحقيقها تكون قابلة للإعادة وتكرار آثارها –بإذن الله تعالى- على الوتيرة نفسها، لأنها لا تختلف من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان.[4] وهذا من خصائص السنة كقانون **ثابت الاطراد**، وهو شرط ضروري للسنة. [5] وهذا المعنى هو الذي يوظفه ابن القيم وهو يتحدث عن العلة في الأحكام الشرعية فيقول: "لهذا يذكر الشارع العلة والأوصاف المؤثرة، والمعاني المعتبرة في الأحكام الشرعية والقدرية والجزائية، ليدلك بذلك على تعلق الحكم بها أين وجدت، واقتضائها لأحكامها، وعدم تخلفها عنها إلا لمانع يعارض اقتضاءها، ويوجب تخلف أثرها عنها"[6].

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، 579/4، مادة طرد.
2 - كنعان، أزمتنا الحضارية، ص76-77.
3 - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 21/13.
4- عبد الحميد صديقي، تفسير التاريخ، ترجمة كاظم الجوادي، دار القلم، الكويت، 1400هـ/ 1980م، ص144.
5- صائب عبد الحميد، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص554.
6 -ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ت: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل-بيروت، ط1973م، 196/1.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالاتحاد في العلة يقتضي الاتحاد في الحكم، وهذا مقتضى القياس الشرعي، وكذلك في مجال السنن الإلهية، فأحكام الله وسننه تخرج كلها من مشكاة واحدة.

الفرع الثاني: مقتضيات قانونية السنن الإلهية

قانونية السنن الإلهية استحضار للإرادة والوعد والعدل الإلهي، ودلالة على غائية وعلمية السنن، وإمكانية دراستها وكشفها؛

1- السنن الإلهية قوانين مطردة، لكن هذا يخصّ علاقتها بالبشر، فهي **إجبارية** تجري على المخلوقات جميعا، لكن وراء السنن إرادة قديرة ومشيئة مطلقة.[1]

فالله سبحانه لا تسري عليه قانونية سننه! ولا تلزمه ولا توجب عليه، فالقانونية والاطراد لا تنفيان مشيئته وإرادته سبحانه عز وجل. والسنن تطرد لأن الله أراد لها أن تطرد، ولا ولن يتوقف اطرادها ولا تحول دونه قوة البشر[2] مهما علموا وعلوا وعتوا، لأنه عز وعلا أرادها كذلك، وإن توقف اطرادها فبإرادة الله وحكمته.

2- ولذلك فقانونية السنن واطرادها وعد من الله تعالى، ولا يخلف الله وعده[3]، ولذلك أكد الله عز وجل على اطراد السنن، وجعلها حقا منه سبحانه لما نصبها على المصدرية المؤكدة في أكثر من موضع: **{سنةَالله}** "على معنى حقا من الله، كأنه قال: فعلنا ذلك سنة منا"[4].

3- وما دامت السنن مرتبطة بالإرادة والوعد فهي مشيئة إلهية تتجلى في قانون بشري مطرد.

1- مصطفى الشكعة، حجية السنن الإلهية في رحاب القرآن الكريم، ص 816.
2- شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص57.
3 - القرطبي، الجامع، 303/10.
4 - الطبري، جامع البيان، 304/10.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يشير سيد قطب إلى الارتباط بين الاطراد والمشيئة فيقول: "والنواميس التي يراها الناس في الكون -بوجه عام- ليست قوانين آلية أنشأها الله وسلطها لتعمل بذاتها آليا وحتميا، ولكنها تطرد —على الجملة- لأن قدر الله في شأنها أن تطرد في غير جبرية آلية فيها، وفي غير حتمية على الله سبحانه في اطرادها، إنما هو مشيئته وحكمته بهذا، فيجري قدره بما يشاء..."[1]. دون أن يكون تدخلها مشروطا بظروف زمانية أو مكانية.[2]

4- كل تلك الدلالات تؤول بنا إلى غائية السنن وهدفيتها، فالسنن الإلهية **إجبارية** تجري على المخلوقات جميعا، لكنها **ليست صماء عمياء** بل وراء السنن إرادة قديرة ومشيئة مطلقة[3] ، أي أن وراءها غاية ومقصدا، فالله عز وجل متره عن العبث، وسننه سبحانه في عملها بعيدة عن العشوائية والعفوية، ترتبط بأسبابها **الموضوعية** طبقا لمبدأ العلّية في الوجود.[4]

فالسنن بأنواعها تخضع لقانون **العلة والمعلول** والأسباب والنتائج مثلما الكون الذي خلقه الله عز وجل وفقا لهذا القانون. [5] ولذلك توصف السنن الإلهية **بالموضوعية.**[6]

تتريها لها عن العشوائية والمحاباة[7]، فلا استثناء لأي جماعة أو أمة من سنن التاريخ، بل حتى الجماعة المؤمنة، تخضع لحكمها، لأن سنة الله تعالى ماضية في عباده دون تبديل.[8] وهذا معنى

---

1 - سيد قطب، مقومات التصور الإسلامي، ص62.

2- محمد عادل شريح، مفهوم السننية.

3- مصطفى الشكعة، حجية السنن الإلهية في رحاب القرآن الكريم، ص 816.

4- عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن، ص234.

5- رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص38. وكلام الدكتورة يوحي بأن السنن خارج نطاق الكون، إلا إذا كان المقصود السنن الاجتماعية.

6- صائب عبد الحميد، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص566.

7- إياد الركابي، السنن التاريخية في القرآن المجيد، ص67 . ينظر: رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص36.

8- عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن ، ص230.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قولهم أن السنن **حيادية...** وذلك لأن السنن لا تحابي أحدا ولا تعرف إلا من يلتزم بها.[1]

وغائية السنن تقتضي أن عملها هادف ينتهي -بنا- إلى غاية صالحة أو طالحة، يسير بخطوات واعية نحو المستقبل. منطبع بنوعية العقل.[2]

ولا إشكال في وصف الأستاذ الكفيشي للغايات بصالحة وطالحة، فوصف الصلاح والطلاح متعلق بالإنسان الطابع للسنن بنوعية وجهته ونيته ورغبته الواعية لمآل كل مسار وعاقبته، وهذا ما أفهمه من قوله إن السنن واعية ومنطبعة بنوعية العقل.

أما السنن الإلهية في أصلها فتقود للصلاح والفلاح في الدنيا والأخرى إذا التُزم بها وأُحسن كشفها وتسخيرها.

5- خصيصة القانونية تعطي للسنن الإلهية طابعها العلمي، وهذا شأن القاعدة القانونية. [3] والقانون العلمي المتصفان بالاطراد وعدم التخلف.[4] فالاتحاد في الأسباب يقتضي الاتحاد في النتائج، وهذا الذي يجعل الكون بشقيه الطبيعي والبشري مجالا علميا قابلا للدراسة والبحث.

" فالسّنة ليست علاقة عشوائية وليست رابطة قائمة على أساس الصدفة والاتفاق، وإنما هي علاقة ذات طابع موضوعي لا تتخلف في الحالات الاعتيادية التي تجري فيها الطبيعة والكون على السنن العامة، وكأن التأكيد على طابع الاطراد في السنة تأكيد على الطابع العلمي للقانون التاريخي."[5]

فاطراد السنن ضرورة ليطّرد العلم " فإن معنى العلم بإيجاز شديد: أن تدخل السنة في العقل،

1- محمد محفوظ، أوليات في فقه السنن، ص47. وكلام الدكتور خاص بسنن التطور والتغيير الإنساني، من باب التدقيق، لكن الكلام ينطبق على كل السنن الإلهية.

2- عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن ، ص230.

3- صائب عبد الحميد، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص567.

4- عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن ، ص230.

5 - باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص75.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبما أن السنة لا تتبدل ولا تتحول فكذلك العلم لا يتبدل ولا يتحول ".[1]

فالاطراد ضروري في السنة، إذ " لولا اطراد حدوثها مما يدل على خضوعها لقانون ثابت لما صح لفت النظر إليها واعتبارها آية من آيات الله ".[2] ومن هنا أمرنا الله بالاتعاظ والاعتبار بقصص السابقين.[3] ولولا قانونية السنن الإلهية لما أمكن ذلك.[4]

6- وأشير ختاما إلى دلالة قانونية السنن على الإحكام والانضباط المشاهدان في كل المفردات الكونية بصورة "صاحبة" على حد تعبير الدكتور رمضان.[5]

هذا الأخير الذي يطرح وصفي الإحكام والانضباط كمقابل للاطراد في السنن الربانية، وتعبيره يشير إلى أن السنن الكونية أشد انضباطا وصرامة من السنن الربانية —حسب اصطلاحه-[6]

ولكن الحقيقة هي أننا نحن محدودو العلم بظنّ عقولنا الأقل وعيا، ذلك الظن المفرق بين سنن الله وقوانينه المطردة كلها بنفس الدرجة من الانضباط والإحكام.

حاصل ما هنالك أن البشرية تعلمت الانضباط والإحكام أمام السنن الكونية التي قطعت شوطا هائلا في كشفها وتسخيرها، ولمّا تصل ذلك القدر من الكشف في السنن الإنسانية، لتتعلم منها ذات القدر من الإحكام والانضباط. وفي انتظار ذلك، لا يعذر الجاهل بجهله،[7] ولا ينسبنّ

---

1 - جودت سعيد، اقرأ وربك الأكرم، ص88.

2 - عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية، ص9.

3- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص55.

4- صائب عبد الحميد، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص567.

5- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص88.

6- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص88.

7- الظلال 1/ 465 وانظر: شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص57.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لسنن الله عدم الضبط والصرامة، من إنسان متفلّت، محدود العلم والقدرة والإرادة: ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(1) .

الفرع الثالث: قانونية السنن الإلهية وعلاقة السببية

خصيصة القانونية هي التي تجعل السنن مطردة جارية وفق قانون السببية ومبدأ العلية في الوجود(2)، فموافقة السنن تعني طلب المسببات من أسبابها والعلل من معلولاتها، فـــ " للأسباب مسببات لا تعدوها بحكمة الله في نظام الخلق"(3)، هذا النظام الذي تجسده السنن المبثوثة في الكون، وما علينا سوى الأخذ بالأسباب الصحيحة لتحصيل المسببات المطلوبة، حتى لا نصادم السنن، فمتى صادم الإنسان سنة من السنن فلأنه اتخذ أسبابا خاطئة، أو نهج بها غير نهجها السليم، أو قصر في تحصيل الأسباب أصلا.

1- آل عمران 165.

2- عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن ، ص234.

3 - رشيد رضا، تفسير المنار، 66/2.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن السنن الإلهية في عملها بعيدة عن العشوائية والعفوية، ترتبط بأسبابها الموضوعية طبقا لمبدأ العلية في الوجود.[1] القاضي بأن تخضع السنن بأنواعها لقانون **العلّة والمعلول** والأسباب والنتائج مثلما الكون الذي خلقه الله عز وجل وفقا لهذا القانون.[2]

وصفة **القانونية** في السنن هي التي تضمن لها ثباتها و عمومها، فاطراد سنن الله في فلاح أو هلاك الأمم السابقة هو الذي يعطيها ثباتها و عمومها في كل الأمم، في كل الأزمنة والأمكنة، ولذلك فالسنن هي محل تأس لنا. "ولولا اطراد السنن لما أمكن الاتعاظ والاعتبار بها"[3].

فحصاد الماضين درس لنا في التعامل مع السنن ومع قانون السببية المجسد لقانونيتها واطرادها، وهذا ما يلغي كل "طمع" في خصوصية إزاء سنن الله، يقول باقر الصدر: "اطراد السنن يجعل النصوص تستنكر أي تفكير أو طمع من جماعة أن تكون مستثناة من التاريخ:

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ}[4] "[5].

1- عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن ، ص234.

2- رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص38.

3 - عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية، ص14. رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص55 صائب عبد الحميد، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص567.

4 - البقرة: 214.

5 - باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص76. عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن ، ص230.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثالث: الخصائص المنهجية للسنن الإلهية (التسخيرية)

عندما وُصفت السنن بالطرائق والمناهج والأساليب، عبّر المعرّفون والمصنّفون عن طريقة الله تعالى ومنهجه في تسيير شؤون خلقه ورعايتهم.

وهذا الطرح يرتّب على الإنسان مسؤولية تسخيرية تغييرية ،[1] تكلّفه بكشف كيفية السير النسقي للمفردات الكونية[2] ، ليتعلّم كيفية التناسق والتناغم معه في عملية التسبيح الكوني بحمد الله عن فقه ووعي وبصيرة، عبر حبّات "السبحة" السننية! المبثوثة في الكون كله حتى لا يتوقف عن التسبيح بحمد الله، وإن كنا لا نفقه تسبيحه.[3] ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[4]

والحديث عن تسخير السنن يستدعي استحضار ما يتعلق بإنسانية السنن واجتماعيتها وواقعيتها، مما يربطها بالإنسان في مختلف دوائره الوجودية.

الفرع الأول: دلالة تسخيرية السنن الإلهية

السنن قابلة للتسخير؛ لأن الله عز وجل خلقها وبثها في كونه لتعترض سبيل الإنسان فيتعلم منها بكشفها وتسخيرها واستثمارها واستغلالها[5]، هذا ما تدل عليه تسخيرية السنن.

1- حسن سلمان، دراسات قرآنية حول الإنسان والمجتمع، ص125.
2- الطيب برغوث، الفعالية الحضارية والثقافة السننية، ص32.
3- عبد الفتاح أحمد الفاوي، وقفة تأملية في رحاب السنن الإلهية، كتاب المؤتمر الدولي الثالث عشر للفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، القاهرة، مصر، أفريل 2008م، ص43.
4- الإسراء: 44.
5- صائب عبد الحميد، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص554.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنّ من أهمّ الحقائق السننية في وجود الإنسان وصيرورته أنّ السنن هي أساس نجاحه أو فشله في المشروع الاستخلافي الموكل له.[1] فالسننية والاستخلاف أمران لا ينفصمان، لأن غير ذلك يعني عشوائية الحياة، وانعدام القدرة على التصرف وتحمل المسؤوليات[2]، إذ يمكن للإنسان أن يسخر السنن الإلهية لخدمة وظيفته الوجودية "الاستخلاف"، فالبعض يتوهم أنه ما دام للكون سنن، فإنه لا إرادة للإنسان معها، بل هو خاضع لها محكوم بها، وأغفلوا دور الإنسان وموقعه من السنن.رغم أنها تشكل بعدا محوريا في فهم حقيقة الإنسان ووظيفته.[3]

فتسلسل السنن ونسقيتها الهيكلية أساسها ومحورها الإنسان: إرادته وجهده[4].

إن السنن ليست عدوا للإنسان ولا معيقا له؛ "فإن الأسباب "جاهزة للتلبية" لأي من بني البشر عند طلبها الصحيح"[5]، "كما أنها لا تقصد الإنسان بإعاقة أو إلزام، بل هي مسخرة له، وهو وإيمانه وعلمه وحكمته وعمله: فإن أحسن توظيفها واستعمالها كان من قوتها إضافة لقوته، وإن عاندها كان من قوتها خصما من قوته"[6].

1- عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية، ص16

2- عبد الحميد أبو سليمان، الرؤية الكونية الحضارية، دار السلام، القاهرة، ط1، 1430هـ/2009 م، ص149.

3- عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية، ص17.

4 - باقر الصدر: المدرسة القرآنية، ص83-84.

5 - محمود زايد المصري: تأملات في السنن الكونية، ص9.

6 - نفسه، ص 10.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفرع الثاني: مقتضيات تسخيرية السنن الإلهية

إن كون السنن الإلهية قابلة للتسخير يقتضي عدة دلالات ومعاني:

1- كشف السنن الإلهية ممكن[1] وتسخيرها واجب،وتلك مسؤولية الإنسان فردا ومجتمعا.[2] وحكمها في التاريخ أشبه بالجزاء الذي هو جنس العمل.[3]

لم يمكّن الله الإنسان من تسخير السنن فحسب، بل كلّفه بذلك. "فالمسلم يتعامل مع هذه النواميس الثابتة، ويأخذ بالأسباب التي تتلاءم مع هذه النواميس، لأنه مأمور أن يأخذ بها، وأخذه بها عبادة وطاعة"[4]. فمن أحسن هذه العبادة سارت حياته على انتظام واستقرار، ومن عصى وأساء فلا يلومنّ السنن، فالاختيار راجع إليه، ومصيره يحدده بنفسه. "فإن الحتمية الإسلامية لا تعد بأشكال أو أحوال اجتماعية أو عمرانية يتطور لها العالم مع الوقت رغم أنفه، بل إن هذه السنن والفطر الثوابت في توافق تام مع تخيير الإنسان وحريته في تحديد مصيره من خلال عمله"[5]، "فمن قصر في اتخاذ الأسباب اعتمادا على الله فهو جاهل بالله، ومن التجأ إلى ما ليس بسبب من دون الله فهو مشرك بالله"[6].

2- تسخير السنن إلى جانب كونه ممكنا وواجبا، فهو كذلك ضرورة لعبادة الله واستخلافه في الأرض، وبتسخيرها نتعلّم، فننتج العلم، فـــ"إن معنى العلم بإيجاز شديد: أن تدخل السنة في

1- صائب عبد الحميد، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص554
2- حسن سلمان، دراسات قرآنية حول الإنسان والمجتمع، ص125
3- صائب عبد الحميد، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص592
4 - سيد قطب، مقومات التصور الإسلامي، ص63.
5 - محمود زايد المصري، تأملات في السنن الكونية، ص9-10.
6 - رشيد رضا، تفسير المنار، 67/2.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العقل، وبما أن السنة لا تتبدل ولا تتحول فكذلك العلم لا يتبدل ولا يتحول"[1]، "فعلم الإنسان يعني علمه بالسنن .. ومعرفته بتفاصيلها وجزئياتها الكثيرة جدا بما أعطاه الله تعالى من آلات المعرفة بهذا القانون"[2].

3- آلات معرفة السنن –كما يعبر عنها د.زيدان- هي السمع والبصر والفؤاد مصداقا لقوله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}[3] فعلينا أن نقتفي ما لنا به علم، أي ما يمكننا علمه مما يقع تحت أسماعنا وأبصارنا وأفئدتنا، عبر المشاهدة والنظر والتأمل واستخلاص النتائج لاكتشاف السنن {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[4] ثم يذكر السياق بعض آيات الله التي علينا الكشف عنها حتى يقول: {يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ}[5]. فالتقصير في الكشف عن السنن (إنكار) لها و(كفر) بمهمة تسخيرها.

4- من سبل تسخير السنن الإلهية السير في الأرض باستخدام وسائل الإدراك من سمع وبصر فؤاد، وهو ما دعا إليه القرآن الكريم في آيات عدة، فالسير والنظر ليسا على ظاهر معنييها اللغويين القريبين، وهذا هو المعنى القرآني الذي توحي الآيات الآمرة بالسير والنظر:

---

1 - جودت سعيد، اقرأ وربك الأكرم، ص88.
2 - عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية، ص10.
3 - الإسراء:36.
4 - النحل:78.
5 - النحل:83.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

{ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ }.[1]

{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.[2]

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}.[3]

يقول ابن عرفة: "السير في الأرض حسي ومعنوي،والمعنوي: هو النظر في كتب التاريخ بحيث يحصل للناظر العلم بأحوال الأمم،وما يقرب من العلم، وقد يحصل به من العلم ما لا يحصل بالسير في الأرض لعجز الإنسان وقصوره،وإنما أمر الله بالسير في الأرض دون مطالعة الكتب لأن في المخاطبين من كانوا أميين،ولأن المشاهدة تفيد من لم يقرأ علم وتقوى من قرأ التاريخ أو قص عليه".[4]

وقد تكرر طلب السير والنظر في القرآن الكريم أربعة عشر مرة[5]؛

سبع بصيغة الأمر: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ}

وسبع بصيغة المضارع: { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ }

وما هذا التكرار إلا للحث على كشف السنن وتحريض الإنسان للبحث عنها ومحاولة تسخيرها، وباستمرار البحث والمحاولة يضفي الإنسان على حياته مسحة من التغيير المستمر مما

---

1 - الحج: 46.
2 - العنكبوت: 20.
3 - يوسف: 109. غافر: 82. محمد: 10.
4 - يراجع قول ابن عرفة في تفسير التحرير والتنوير، 97/4.
5 - انظر آيات الأمر بالسير في الأرض في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص374.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يجمّل الحياة ويملؤها بهجة، فيحقق بذلك سعادة الدنيا والآخرة عبر التوافق مع السنن الإلهية[1].

5- وفي آيات السير في الأرض "دلالة على أهمية علم التاريخ، لأن فيه فائدة السير في الأرض، وهي معرفة أخبار الأوائل، وأسباب صلاح الأمم وفسادها"[2].

ومن هنا يمكن استثمار السنن الإلهية كدافع حركي يفرض على الجماعة البشرية أن تتجاوز مواقع الخطأ التي قادت الجماعات السابقة إلى الدّمار، وأن تحسن التعامل مع الكون والطبيعة، مستمدة التعاليم والقيم من حركة التاريخ نفسه.[3]

"فالتاريخ العام هو المصدر الأساسي للفقه الحضاري، والمختبر الحقيقي لصواب الفعل البشري... والدعوة للسير في الأرض التي حث عليها القرآن، إنما هي في الحقيقة للاستدلال على فاعلية السنن التي قررها القرآن وعدم تخلفها من جانب، والامتداد والاكتشاف لسنن أخرى بالاستقراء والملاحظة، وديمومة النظر العقلي من جانب آخر، وإلا فما قيمة القصص القرآني الخالد إذا لم يشكل عقلا مدركا للقوانين والسنن التي تحكم التجمع الإنساني، وتتحكم بقيام وسقوط الحضارات، هل هي حكايات لتزجية الوقت أسقطها الزمن وطواها التاريخ؟...

يجب أن نتوجه صوب فقه القصص القرآني بالقدر نفسه الذي توجهنا به نحو آيات الأحكام... لنكتشف فقها حضاريا في إطار علوم الإنسان والقوانين الاجتماعية".[4]

1- رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص38.

2 -ابن عاشور، التحرير والتنوير، 97/4.

3- صائب عبد الحميد، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص592.

4 - عمر عبيد حسنة، مراجعات، ص21،16.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن الإنسان بما آتاه الله من القدرة على الاختيار والإرادة ، يمسك بزمام ناصية التاريخ، فتخضع هذه الحركة لاختياره وإرادته[1] في إطار إرادة الله واختياره –طبعا-.

وما دمنا نتحدث عن التاريخ فإن الأستاذ عبد العزيز برغوث يسجل أول سنة إلهية في التاريخ! إذ يقول: "منذ أن ميّز الله الإنسان بالخلافة سجّلت أولّ سنة في التاريخ، وهي أن الإنسان لن يحقّق مشروعه إلا عن طريق فهمه للسنن وتسخيرها. منذ تلك اللحظة أصبحت السّنن هي القانون الوجودي والكوني والتاريخي الذي يحكم عمران الإنسان واستخلافه".[2]

6- ويقودنا البعد التاريخي لبقية دوائر الوجود الإنساني، فالفعل الإنساني في مختلف دوائره ووجوده خاضع لمنظومة من القيم والسنن التي ينطلق من خلال الالتزام بها.[3]

وإن كنا نتفق مع ما يقرره البعض من أن الواقع الإنساني مختلف عن الواقع الكوني الطبيعي، فإننا لا نسلّم بوصفهم للواقع الإنساني بأنه ليس منضبطا كواقع المادة، بسبب اشتماله على العنصر الروحي والإرادة الحرة وما يكتنف الوجود البشري من الخفاء والغموض.[4] فعدم العلم لا يعني العلم بالعدم كما يقال، نحن الأقل علما وليست السنن هي الأقل انضباطا.

1- محمد مهدي الآصفي، المذهب التاريخي في القرآن ، دار القرآن الكريم، طهران، إيران، 1412هـ، ص29، نقلا عن عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن ، ص233.

2- عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية، ص17.

3- محمد محفوظ، أوليات في فقه السنن، ص 13.

4- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص88.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا نشكّك في صعوبة وتعقيد الكشف والتسخير للسنن الإنسانية، لكون الإنسان هو أداة التحليل ومحله مما يشكّل صعوبة، خلافا للسنن الكونية. لكن هذا لا يعني العبثية والعشوائية وعدم الانضباط.[1]

ما يجب التأكيد عليه هنا هو أن السنن الإنسانية مختلفة لأن عملها ينطلق من أرضية اجتماعية.[2]

ولذا فهي تتسم بالواقعية، وهي تترتب وفق معتقدات البشر كما يقول صاحب الظلال[3] وإن كانت بعض السّنن لا تترتب على معتقدات البشر مثل سنّة الابتلاء، كما يعقب الخطيب على كلام سيد قطب.[4]

الفرع الثالث: تسخيرية السنن الإلهية ودور الإنسان

مفهوم السنن يشكّل بعدا محوريا في فهم حقيقة الإنسان ووظيفته.[5] فالإنسان هو صانع حركة الحياة ضمن السنن الكونية والاجتماعية[6] التي تشرط الفعل الإنساني بجزاء إلهي سنني يقابله. ولذا كان لاختيار الإنسان دور رئيسي في التصور القرآني والإسلامي للسنن الإلهية.[7]

على الإنسان أن يكتشف السنن ليسخرها، وفي هذا التسخير تحقيق لمشيئة الله في انكشاف سنن الكون واستمرار الحياة في التطور والاتضاح والسهولة، " ففي جملة سنن الله في خلقه، وقدره

1- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص88.
2- عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن ، ص235.
3- الظلال 17/1.
4- شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص56.
5- عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية، ص17.
6- محمد محفوظ، أوليات في فقه السنن، ص 11.
7- صائب عبد الحميد، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص568.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في تدبير عباده أن الإنسان خلق ذو علم ومشيئة وإرادة وقدرة، فيعمل بقدرته وإرادته ما يرى بحسب ما وصل إليه علمه وشعوره أنه خير له، وهو ليس في هذا معارضا لمشيئة الله ولا مزيلا لها، بل مشيئته تابعة لمشيئة الله ومظهر من مظاهرها كما قال تعالى: **{وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}**[1].

وقد جرت سنته أن يشاء لنا أن نعمل عندما يترجح في علمنا أن العمل خير من تركه، وأن نترك عندما يترجح في علمنا أن الترك خير من الفعل، مما هو معلوم لكل من يعرف ما هو الإنسان"[2].

وبهذا ندرك قيمة الجهد البشري في التعامل مع السنن الإلهية، ولذلك أضفت هذه الخصيصة الهامة (قابلية التسخير) التي لأجل إمكانها اختصت السنة بالثبات والعموم والاطراد، فلا معنى لثبات السنن وعمومها واطرادها إلا جعلها قابلة للتسخير، وهذا ما يثبت كون السنن ربانية، فالسنن من الله، وضعها جل وعلا، خالق الكون والعالم به، جاعل الإنسان خلفة فيه، ومسخر الكون له عبر ما بثّ فيه من سنن منظمة لحوادثه وظواهره: **{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}**[3].

---

1 - الإنسان: 30.
2 - رشيد رضا، تفسير المنار، 190/4.
3 - الملك: 14.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الرابع: الخصائص الاعتبارية الثقافية للسنن الإلهية

إذا كان البعد الرباني يعطي للسنن مصدريتها القدسية وأصالتها العقدية، والبعد القانوني يؤسس لنسقيتها وإلزاميتها، فيما يجذّر البعد المنهجي إنسانيتها واجتماعيتها، فإن هذا البعد الرابع، ينظر للسنن من زاوية كونها عادات وطبائع ثقافية، وخصائص ونماذج اعتبارية، مؤسسا بذلك لثبات السنن وعمومها واستقرارها واستمرارها على وتيرة واحدة قارّة، قرارَ الخصائص الثقافية للشعوب والأمم، والتي هي ثمرة تفاعلها مع السنن الإلهية، بوصفها المثال والنموذج الاعتباري والعادات والطبائع والخصائص الثقافية.

وهذا المنظور يمكن أن يكون مدخلا مفتاحيا للتفريق بين خصائص السنن الكونية والسنن الإنسانية، لكن كخصائص تفصيلية فرعية مع الاشتراك في الخصائص الأساسية، أي بوصفها "سنن الله" لا "سنة الله".

وأنا أفرّق هنا –قاصدا- تفريقا منهجيا توظيفيا بين السّنن كجمع والسنّة مفردة، فالسياق القرآني يوظّف تعبير "سنة الله" الذي تأتي فيه السنن غالبا مسندة لله تعالى[1] ، دلالة على وحدة مصدر السنن الإلهية ونسق جريانها الواحد. فيما يشير تعبير "سنن الله" إلى تعدد وتنوع السنن الإلهية واختلاف طرق وسبل جريانها وآثارها حسب سلوك البشر إزاءها. ولذلك يأتي وصف

1- وذلك في الآيات التالية: الفتح: 23 ، الأحزاب: 62/38، غافر:85 ، فاطر: 43، الإسراء: 77. أما بقية المواضع فتقدر فيها نسبة السنن لله، فالتعبير القرآني ﴿سنة الأولين﴾ تقديره: سنة الله في الأولين. ينظر ذلك في الآيات: الحجر: 13، الكهف:55، الأنفال: 38، فاطر: 43.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السنن بالجمع في القرآن الكريم مسندا للبشر: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. [1]

الفرع الأول: دلالة الخصائص الاعتبارية الثقافية للسنن الإلهية

السنن الإلهية ثابتة عامة كما سبق علمه تعالى وتعلّقت مشيئته بها.[2] ومن ثباتها وعمومها تستمد الخصائص والطبائع الثقافية للأمم ثباتها وعمومها. لذلك كان الثبات والعموم من أهم خصائص السنن. [3]

أولا: دلالة ثبات السنن الإلهية

إن "الأمور لا تمضي في الناس جزافا، والحياة لا تجري في الأرض عبثا"[4]. بل إن لله سننا ثابتة مستقرة في جميع الأحوال والظروف إذا توافرت أسبابها وتحققت نتائجها،[5] تمضي وفقها الكائنات في انسجام وإحكام،[6] لا تتبدل مع العصور المتغيرة، كل صغير وكبير يمضي وفقها ولا يحيد عنها.[7]

1- النساء: 26. وهو الموضع الوحيد في القرآن الذي أسندت فيه السنن بالجمع للبشر، وقد ورد لفظ سنن مرة أخرى فقط في القرآن، وذلك قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ آل عمران: 137.

2- عبد الحميد محمود طهماز، السنن الإلهية في الخلق، ص 16.

3- صائب عبد الحميد، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص592.

4 - سيد قطب، الظلال، 2949/5.

5- رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص39.

6- محمد سعيد مولاي، أضواء قرآنية، ص21 .

7- نفسه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وثبات السنن أمر ملاحظ يدل عليه التاريخ ويشهد له الواقع وقد قرّره الوحي.[1] وهو خاصية الوجود عموما الذي يسير وفق قوانين إلهية ثابتة لا تتغير.[2] ولا تضطرب ولا تختلف ولا تحيد عن الطريق [3].

ومعنى ثبات السنن كما يقول الإمام الرازي: "أن ما أجرى الله به العادة لم يتهيأ لأحد أن يقلب تلك العادة"[4].

والثبات –كما في المنار- هو استمرار السنن واطرادها بلا استثناء،[5] وإن كنا نلحظ أن السيد رشيد رضا يعرف خصيصة بأخرى، وهذا خلل تصوري يستغرب وقوعه من مهتمّ بالسنن كرشيد رضا، لكن علينا أن نعذره في ذلك لكون فقه السنن الإلهية في عهده كان في وضعه الجنيني، وهو أحد حملة راية الدعوة لعلم السنن، فحسبه أنه فتح باب البحث والاهتمام بالسنن الإلهية، وما جاء هذا التعقيب غلا من منظور منهجي ضبطي ليس إلا.

ويمكن تعريف ثبات السنن الإلهية بتكرارها، أي أن السنن نفسها تتكرر عبر مراحل التاريخ. وهي دائما نتائج لأسباب محددة.[6]

لكن يبقى تعريف الرازي أدل وأدق، فالثبات متعلق بعدم التبديل والتحويل كما قرر القرآن الكريم.

1- شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص 45.
2- رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص39.
3 - نفسه، 3102/5.
4 - الرازي، مفاتيح الغيب، ج21، 20/11.
5- المنار 4/ 115، 226، 164، 124.
6- رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص38.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالسنن عامة وشاملة لكل الناس في كل زمان ومكان.لا يطرأ عليها تغيير أو تبديل[1]، وهي دائمة الجريان مستمرة السريان دون تبديل ولا تحويل كما قال تعالى: {فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا}.[2]

والتبديل هو التغيير، قال تعالى: {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}.[3] وقال: {ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}.[4] أما التحويل فهو الانتقال من حال إلى حال، يقال: تحولت القوس أي صارت معوجة بعد استقامة، وحوّل الشيء أي نقله من موضعه إلى آخر[5].

فالتبديل أن تبدل الشيء بخلافه. أما التحويل فهو أن تحول الشيء من محل إلى محل كما يقول ابن تيمية[6]. وليسا شيئا واحدا كما يشير الإمام الطبري[7]. ويفرق الرازي بين التبديل والتحويل بأن التبديل معناه أن العذاب لا تبديل له بغيره، أما التحويل فهو أن العذاب لا يتحول عن مستحقه إلى غيره[8].

ويوضح القرطبي ذلك قائلا: "أي أجرى الله العذاب على الكفار، ويجعل ذلك سنة فيهم،

1- عبد الكريم بكار، هي هكذا، 9.
2 - فاطر: 43.
3 - النحل: 101.
4 - الأعراف: 95.
5 - ابن منظور، لسان العرب المحيط، 759/1.
6 - ابن تيمية، جامع الرسائل، ص55.
7 - الطبري، جامع البيان 422/10.
8 - الرازي، مفاتيح الغيب، ج26، 32/13.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهو يعذب بمثله من يستحقه، لا يقدر أحد أن يبدل ذلك، ولا أن يحوّل العذاب عن نفسه إلى غيره"[1].

ويقابل ابن عاشور ذلك بقول الحكماء: "ما بالطبع لا يتخلف ولا يختلف"[2]. فعدم التخلف هو عدم التحويل، وعدم الاختلاف هو عدم التبديل. فالتبديل والتحويل "لا يطرآن أبدا على ما بث الله من سنن في هذا الوجود، فإن سنن الله باقية على حالها منذ خلق السماوات والأرض، وهي مستمرة على هذه الحال من الثبات إلى أن يشاء الله"[3]. ومن هنا فلا تبديل لسنة بأخرى، ولا تغيير لخصائص سنة من السنن[4]، فهي ثابتة لا تنسخ ولا تتغير خصائصها ولا تحويل لها عما جرت ولا تحوّل لها عن مستحقها.[5]

ثانيا: دلالة عموم السنن الإلهية

هذا عن الثبات، أما عموم السنن الإلهية وشمولها، فمعناه أن سنن الله عامة في كل الموجودات شاملة لكل أجناسها وأنواعها. "فهذا العالم -الذي هو خلق الله- بسبب من أنه خلق الله الواحد الحكيم، المتره في خلقه عن العبث —قد حكمته وتحكمه- في كل صغيرة وكبيرة.

السنن والقوانين التي هي الأخرى، مخلوقة لله، أودعها وركبها في ذات الطبيعة وظواهرها وقواها.. فكان النظام والانتظام الذي يبهر العقل الإنساني يوما بعد يوم كلما اكتشف والانتظام الذي يبهر العقل الإنساني يوما بعد يوم كلما اكتشف جزئية أو حقيقة من جزئيات وحقائق هذا

---

1 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 360/14.
2 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، 338/22.
3 -أحمد محمد كنعان، أزمتنا الحضارية، ص68.
4- الألوسي، روح المعاني، 206/22.
5- شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص46.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النظام والانتظام"[1].

فسنن الله "عامة يسري حكمها على الجميع دون محاباة ولا تمييز.. وهي غير مقتصرة على فرد، وعلى قوم دون قوم"[2].

فهي لذلك "دقيقة كل الدقة، منتظمة أشد الانتظام، لا تحيد ولا تميل، ولا تجامل ولا تحابي، ولا تتأثر بالأماني الطيبة، إنما تتأثر بالأعمال"[3].

وهي صارمة في عمومها، إذ "لا بد أن تنطبق على العدو والصديق، ومحاولة الإفلات منها فاشلة، بل ميئوس من نتائجها"[4].

وورود السنن في القرآن يدل على عمومها، فهي منسوبة إلى الله خالق كل شيء،

{فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ}[5]

كما أنها ترد نكرة في سياق النفي، وهذا مفيد للعموم في اللغة {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا}[6]

وهذا وصف بتحقق السنة في المستقبل، وقد سبقه وصف برسوخها فيما مضى

{سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ }[7] {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ }[8] فهذا تعميم للسنة في

---

1 -محمد عمارة، معالم المنهج الإسلامي، ص39.
2 - عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية، ص15.
3 - محمد قطب، حول التفسير الإسلامي للتاريخ، دار الشروق، ط1، 2006، ص120. وانظر: أحمد حسن فرحات، سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، ص133.
4 - محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن الكريم، ص50.
5 - غافر: 85.
6 - الأحزاب: 62.
7 - الفتح: 23.
8 - الأحزاب: 62.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأزمنة[1].

فسنن الله شاملة لكل فرد ومكان وزمان،[2] عامة لجميع البشر لا تحابي أحدا من الخلق، وميزتها الكبرى تساوي الناس جميعا مسلمين وغير مسلمين، فهي تنطبق عليهم جميعا[3] لأنها تعمّ كل زمان ومكان ومجتمع وجيل[4]، بل تعمّ كل علم وفن ومجال ومخلوق.[5] وهذا مظهر من مظاهر عدل الله تعالى في هذا الكون، حيث لا تفرّق السنن بين شخص وآخر، ولا بين أمّة وأخرى لأيّ سبب من الأسباب.[6] فالجنس البشري كله وحدة واحدة أمام وحدة السنن والنواميس العامة الشاملة.[7]

الفرع الثاني: مقتضيات الخصائص الاعتبارية الثقافية للسنن الإلهية

ما دامت السنن الإلهية ثابتة مستمرة، وعامة شاملة، فإن ذلك –لا شكّ- سيقتضي الكثير من المعاني والدلالات التي نرصد هنا أهمها:

أولا: ضرورة ثبات السنن الإلهية

من رحمة الله تعالى وحكمته أن جعل في هذا الكون سننا ثابتة، فهذا الثبات هو أساس نظام الكون ومفتاح تسخير الإنسان له.[8] فالحياة الدنيا سننها ثابتة، ولولا ثبات هذه السنن لاستحال

---

1 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، 112/22، 182/26.
2- سيد قطب، الظلال 4/ 2246. رشيد رضا، المنار 4/ 140-141.
3- رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص38.
4- صائب عبد الحميد، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص547.
5- عبد الكريم بكار، هي هكذا، 15.
6- نفسه، 8.
7- فاطر: 44، الظلال 5/ 1950 . رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص36.
8- شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص85.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للناس تسخير الكون وأداء وظيفة الاستخلاف؛ "إذ كيف يمكن أن يستخلفوا في عالم هلامي لا يثبت على حال؟ وكيف يمكن أن يسخروا مثل هذا العالم الذي يحكمه قانون ولا تضبطه سنة؟"[1]. فلولا ثبات السنن لسادت الفوضى هذا العالم، ولاختل توازنه واستقراره الذي خلقه الله وفقه. فخلق الكون وتسخيره للإنسان وتهيئته للاستخلاف فيه، وانبناؤه على نظام بديع وتوازن دقيق واستقرار متناه، هذه كلها شواهد على ثبات السنن.

وهذه الشواهد كلها راجعة إلى الخالق عز وجل، خالق الكون ومسخره، وخالق الإنسان وجاعله خليفته، ومبدع نظام الكون وواضعه على توازن واستقرار، لذلك يقول الفراهي: "وكونه تعالى واجب الوجود يلزم منه دوام سنته ودوام الخير ودوام الرحمة"[2].

ويشير سيد قطب إلى حقيقة مهمة حول ثبات السنن، فحياة الفرد ليست مقياسا للثبات، بل المقياس الصحيح لها حياة الأمم والنظر الممتد في التاريخ، فالناظر في حياة الأفراد وفي حقب قصيرة لا يلحظ بوضوح هذا الثبات. يقول سيد قطب: "...وسنة الله التي لا تتخلف هي التمكين في الأرض للمستقيمين على منهجه، وهي التدمير على أعدائه المخالفين عن سنته، وقد يطول الأمر – بالقياس إلى عمر الفرد البشري القصير- ولكن السنة لا تتخلف.

وحين ننظر إلى الماضي نرى هذه السنة واضحة، بينما قد تخفى معالمها علينا حين ننظر إليها في المدى القريب، وتتضافر الشواهد القرآنية والشواهد التاريخية على تقرير هذه الحقيقة التي تعتبر قاعدة أساسية من قواعد التفسير الإسلامي للتاريخ"[3].

---

1 - أحمد محمد كنعان، أزمتنا الحضارية، ص68.
2 - أحمد حسن فرحات، سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، ص135.
3 - سيد قطب، مقومات التصور الإسلامي، ص368.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي نفس المعنى يقول الأستاذ عمر عبيد حسنة: "إن نفاذ السنن والتحول الاجتماعي والإنساني الذي يخضع لها، يتم ببطء شديد وعمر مديد قد يستغرق حياة الإنسان، لذلك يكون من الصعوبة بمكان رصد مساراته والتعرف على اتجاهاته بدقة في الواقع المشهود. فالنظر إلى موضوع السنن التي تحكم الأنفس والآفاق، من خلال بعض الجزئيات في الحاضر التي قد تبدو عصية عن الانسلاك في نطاق السنة، وخارجة عن الاطراد، بل ومناقضة لحقيقة ومعادلة اجتماعية ثابتة، أو النظر إلى ذلك من خلال مدى زمني أقل من العمر المطلوب الذي يقتضيه التفاعل الاجتماعي بمعنى غياب السنة الأجل المفترض للتغيير الاجتماعي عن أدوات الدراسة، قد يؤدي إلى لون من الضلال في الرؤية، واضطراب في الموازين، وإنكار موضوع السنن أصلا، والانتهاء إلى لون من العبثية والوجودية المدمّرة"[1].

ثانيا: ثبات السنن وعمومها بين المشيئة والأجل

سنن الله ثابتة ماضية لا تتوقف.[2] لكن هذا لا يعني أن ثباتها أبدي، بل هو مرهون باستمرار الحياة في هذا الكون، فقد بدأ الثبات مع بداية الكون، وسينتهي مع نهايته بانتهاء مهمة الإنسان فوق هذه الأرض: "فيوم تنتهي هذه المهلة ينتهي أجل السنن التي تسود اليوم عالمنا ليبدأ عمل سنن أخرى قدرها الله للحياة الآخرة"[3].

يقول تعالى: {فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ. يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ

---

1 - عمر عبيد حسنة، مراجعات في الفكر الدعوة والحركة، ص22.

2- شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص50.

3 - أحمد محمد كنعان، أزمتنا الحضارية، ص70.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}[1]. فالله عزّ وعلا لا يخلف وعده، وسننه في الكون ثابتة لا تتبدل ولا تتحوّل حتى تتبدّل الأرض والسماوات في الآخرة.

ويورد الأستاذ رشيد رضا لطيفة لغوية حول تعلق السنن بمشيئة الله: إذ يقول أن استعمال القرآن الكريم لأسلوب {إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}[2] يدل على الثبات والاستمرار، أي أن الأمور الثابتة الدائمة إنما كانت كذلك بمشيئة الله تعالى لا بطبيعتها في نفسها، ولو شاء الله أن يغيرها لفعل، فالاستثناء بالمشيئة شاهد على ثبات السنن[3].

ثالثا: ثبات السنن لا يعني خلود العالم

ما دام ثبات السنن محكوما بأجل هو استمرار الحياة الدنيا، فإن الثبات لا يعني خلود العالم، وهذا ما تغافل عنه القائلون بقدم العالم كالسهروردي وأمثاله.

فعدم تغير العالم راجع لأنه من عادة الله أن يكون ثابتا، فالشمس لا تزال تطلع وتغرب لأنها عادة الله، واحتجّ لذلك بثبات السنن وعدم تبديلها وتغييرها[4].

وقد ردّ عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بأن هذا خلط بين سنن الله وطبائع الخلق، فسنن الله ثابتة {فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا}[5]

---

1 - إبراهيم: 48.
2 - التعليق بالمشيئة الإلهية ورد في آيات كثيرة، منها:الأنعام:128،الأعراف:188،الأعلى:7. ينظر: المعجم المفهرس، مادة شاء، ص391.
3 - رشيد رضا، تفسير المنار، 419/1.
4 - أحمد حسن فرحات، سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، ص125.
5 - فاطر: 43.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما طبائع الخلق فليست ثابتة، وقوله تعالى: {لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}[1]. ليس مثل قوله السابق،

فالخلق يمكن تبديله، والله تعالى يقول: {وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ}[2] على لسان إبليس،

كما يستدل بحديث: **"لعن الله الواشمة والمستوشمة المغيرات خلق الله"**[3]

فلو كان محالا لم يكن محلا للنهي، فالنهي عنه دليل على إمكانه[4].

لكني أرى أن الرد على السهروردي يكون بما سبق تقريره من كون السنن لها أجل بدايةً ونهايةً. أما الخلق فتحكمه سنن الله الثابتة، فلا تبديل لسنن الخلق كما هو صريح الآية:

{ لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} أما تغيير خلق الله الذي يأمر به إبليس وينفذه هو وأجناده، والتغيير الذي تقوم به الواشمة والمستوشمة، فليس تحكما في سنن الخلق أو تعطيلا لها، بل هو محاولة إفساد لسنن الخلق ومخالفة لها في حدود اختيار الإنسان وقدرته وليس نفيا لثبات السنن، فإذا بيّنت لنا السنن طريق الصلاح والهداية والفلاح ثم خالفها البعض فهم لا يقدحون في ثبات تلك السنن ، لكنهم يفسدون فيضلّون ويخيبون.

كما أن التغيير لخلق الله في الآية والحديث يعني تغيير أحوال مخلوقات الله، أي تحويل الناس عن العبادة الصحيحة والسلوك القويم إلى ما يعصون به الله باستجابتهم لإبليس وأعوانه، أو

---

1 - الروم: 30.

2 - النساء: 119

3 - رواه التسعة إلا مالكا، أكثرهم من حديث نافع عن ابن عمر، قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، قال وفي الباب عن عائشة وابن مسعود وأسماء بنت أبي بكر وابن عباس ومعقل بن يسار ومعاوية، ورواه غيره عن علي وأبي هريرة، نقل هذا الحديث في تفسير قوله تعالى: (وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) [الحشر:7] انظر مثلا: البخاري: الجامع الصحيح، البيوع،ح2084. الطلاق،ح2928. اللباس،ح5477-. التفسير،ح4،1853/4604. مسلم بن الحجاج : الجامع الصحيح، دار إحياء التراث العربي-بيروت، د.ط، 1954م،اللباس والزينة،ح3965. أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي: سنن الترمذي، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، د.م.،اللباس،ح1681...

4 - أحمد حسن فرحات،سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، ص125.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بقيامهم بما يخالف الشرع والفطرة كالوشم.

فالردّ على القائلين بقدم العالم وثباته لكون سننه ثابتة، يكون بأن الحياة لها أجل، لها بداية ونهاية، وكذلك الموجودات، وبالضرورة السنن الحاكمة لهما.

ويرد الفراهي على السهروردي بكون السنن قابلة للخرق وكون التجربة لا تفيد اللزوم والعموم. فالسنن في حق الله قابلة للخرق ولا لزوم فيها، أما في حقّنا نحن، فالسنن ثابتة لازمة، وهذا من أسس التكليف. فواجبنا نحو السنن التسخير لا التغيير.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رابعا: عمومُ السنن الوجودَ الطبيعي والوجودَ البشري

السنن الإلهية عامة، بل لا تكون إلا عامة[1]، إذ من خصائص السنن الشمولية[2] لكل الوجودات والموجودات الطبيعية والبشرية، لكن هذا العموم والشمول مثار اعتراض؛ إذ "يبدي بعض الباحثين تحفظهم تجاه شمولية السنن، لأنهم يظنون أن المادة وحدها تخضع لسنن صارمة، يمكن أن تصاغ صياغة رياضية دقيقة، بينما لا تخضع النفس البشرية ولا الحياة الاجتماعية لمثل هذه الصرامة، ويظنون فوق هذا أن التغييرات النفسية والاجتماعية تتم في حياة البشر بطريقة سحرية خارقة غامضة الأسباب"[3]. وصرامة سنن المادة طرح يؤيده الواقع إلى حد بعيد، فالعلوم المادية تقدمت تقدما هائلا في مجال استكشاف السنن وتسخيرها حتى صارت قوانين رياضية صارمة، بخلاف العلوم الاجتماعية التي تأخر تطورها، ولم تصل بعد الدرجة التي تصير بها سننها صارمة كسنن المادة. وذلك راجع لعوامل عدة؛ "فالإنسان والواقع الإنساني يختلف في طبيعته عن الواقع الكوني المادي من حيث صرامة السنن والقوانين التي تحكم سيره، ولذلك يمكن القول بأن كشف القوانين والسنن التي تحكم المادة الصماء والكون المادي تثمر المعرفة اليقينية، وعلى ضوئها يتعامل الإنسان مع الكون في جهوده التي يبذلها في تسخيره لمصلحته، لكن الواقع الإنساني ليس منضبطا كواقع المادة، فالعنصر الروحي في تكوين الإنسان والإرادة الحرة التي يحظى بها، جعلا هذا الواقع يتصف بكثير من الخفاء والغموض في العوامل والأسباب التي تنشأ عنها الظواهر السلوكية، الأمر الذي يجعله عصيا عن الفهم اليقيني والاطراد الصارم، خاصة وأن الإنسان هو أداة التحليل ومحلّه في

1- جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، ص35.
2- حسن سلمان، دراسات قرآنية حول الإنسان والمجتمع، ص148.
3 - كنعان، أزمتنا الحضارية، ص 61 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقت واحد، بينما في إطار المادة والكون، فالإنسان هو أداة التحليل، أما المحل فشيء آخر منفصل عنه.

وهذا لا يعني أن حركة الإنسان ونهوض وسقوط الحضارات تسير بشكل عشوائي عبثي، خالية من كل قانون ثابت، بل هي محكومة بقوانين عامة تحكم توجهاتها ومساراتها العامة".[1]

وعلى كل، فأهم الأسباب ما يلي:[2]

1- قلّة الاهتمام بالعلوم الاجتماعية عبر التاريخ إذا ما قورنت بالعلوم المادية التي كان الاهتمام بها ضرورة فرضها استمرار الوجود، ولذلك تطورت أسرع من العلوم الاجتماعية.

2- شدّة تعقيد الظواهر النفسية والاجتماعية وتشابكها وترابطها، بل وتتدخل حتى الظواهر الطبيعية، فمن الصّعب دراستها والتجريب فيها للوصول إلى نتائج نستنتج منها قوانين صارمة.

3- انبناء العلوم الاجتماعية على العالم الإنساني- الإنسان- الذي يتدخّل تدخلا فاعلا في الظواهر، مما يخلّ في كثير من الأحيان بالشروط الموضوعية للبحث العلمي.

فالإنسان جزء من الظواهر التي يدرسها فتتدخل نفسية الباحث وثقافته وحدود معلوماته وظروف البحث وفترته وغير ذلك، مما قد يقود لنتائج محدودة أو موجهة بل وخاطئة أحيانا. أما المادة، فالتعامل معها أسهل من التعامل مع الطبيعة البشرية. فالمادة أكثر ثباتا وطواعية للبحث والدراسة، ويمكن فيها التجريب والتكرار لتثبيت النتائج ووضع القوانين.

4- قد يكون للمنهج السائد في العلوم الاجتماعية دور كبير في تخلفها وصعوبة دراستها، فكثيرا ما ينطلق ببعض الباحثين من نتائج "حيوانية" استخلصت من تجارب أجريت على حيوانات

---

1 - عمر عبيد حسنة، مراجعات، ص 21-22.

2 - هذه الأسباب مستوحاة من كلام الدكتور أحمد محمد كنعان، أزمتنا الحضارية، ص 64-65.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليؤسسوا عليها بحوثا "بشرية" تجري على الإنسان والمجتمع! وذلك إن كانت له مصداقية –على محدوديتها- في الجوانب البيولوجية والفيزيولوجية، إلا أنها ستصطدم –لا محالة- بالخصوصيات النفسية والعقلية والروحية المتشابكة المعقدة للكائن البشري.

كما أن بعض البحوث لا تحترم المجال الثقافي والعقدي، وطبيعة الاختلافات الاجتماعية والنفسية وحتى التاريخية والجغرافية للمجتمعات، فيطبق ما جرّب في مجتمع غربي على مجتمع مسلم دون مراعاة خصوصيات كل مجتمع، وهذا سر الكثير من مآسي مجتمعاتنا في العصر الراهن على كل الأصعدة من الحياة الخاصة للفرد إلى الأنظمة العامة للدول وطرائق الحكم. فمناهج العلوم الاجتماعية بحاجة إلى إعادة نظر وتقويم.

لهذه الأسباب، وربما لغيرها معها، لم تصل السنن الاجتماعية بعدُ إلى صرامة السنن المادية، وقد يتأخر وصولها أجيالا مطولة، لكن حركة العلوم والمعارف، وتطور العقل البشري، يكاد يقرر أنه مهما تطورت العلوم الاجتماعية فلن تصل تطور علوم المادة، ومهما بلغت صرامة السنن الاجتماعية فستبقى دون صرامة سنن المادة لما سبق ذكره من اختلاف الميدانين وظروف كل منهما.

وإذا حدث وأن بلغت صرامة سنن الاجتماع صرامة سنن المادة فلا أتصور الإنسان آنئذ إلا آلة ورقما تسلسليا أو قريبا من الآلة والرقم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمفارقة أن السلف كانوا يرون الأمر من منظور عكسي، فسنن الله في الحياة الإنسانية – عندهم- ثابتة أكثر من ثبات السنن الكونية.[1]

كما يشير لذلك –مثلا- قول ابن تيمية حول نقض السنن الكونية: فالعادات الطبيعية ليس للرب فيها سنة لازمة.[2] فالسنن الإنسانية ثابتة لا تتحول، أما الكونية فقد تنخرق أحيانا نصرةً لبعض المؤمنين.[3] بل إن السنن الكونية قد تنخرق من أجل أن تتحقق سنّة إنسانية.[4]

لقد تحولت النظرة إلى السنن بين القديم والحديث، فقد كان القدامى يقولون بثبات السنن الإنسانية من منظور أن القرآن صرح بذلك، أما السنن الكونية فنظروا فيها إلى الخوارق والمعجزات فلم يهتمّوا بثباتها واطرادها بل ركّزوا على الجانب العقدي في إمكان خرق الله لها. أما المحدثون وبحكم الكشوف العلمية وتطور العقل البشري وطغيان المنظور المادي، فقد قالوا بثبات واطراد وحتمية السنن الكونية بينما نسبوا التغير والاضطراب للواقع الإنساني لمّا ابتعد به الحال عن الحقائق القرآنية فابتعد تبعا لذلك التحليل عن السياق القرآني للسنن.

والخلاصة أنه مهما اختلف المجال الطبيعي عن المجال البشري، إلا أن السنن الحاكمة لهما تبقى من طبيعة واحدة، ذات منهج واحد؛ فكلها من خلق الله، وسنن الله في الخلق تعمهما معا مهما اختلفا عن بعضهما. والسنن في القرآن لا تعني العالم البشري فقط، كما أن الصرامة لا تخص العالم الطبيعي فقط، فكلاهما من سنن الله الصارمة الثابتة العامة.

1- شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص49.
2- تقي الدين بن تيمية، جامع الرسائل، ص 52-55.
3- شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص47.
4- نفسه، ص49.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سنن الله عامّة في المؤمنين والكافرين، وأمّة الإسلام تسير ضمن السنة العامة كغيرها من بني البشر.[1] " فإنّ الدنيا ما بقيت مع المؤمن ولا مع الكافر. ولكن المؤمن يبقى له بعد موته الثناء الجميل في الدنيا، والثواب الجزيل في العقبى، والكافر تبقى عليه اللعنة في الدنيا والعقاب في العقبى"[2]. "فسنن الكون متاحة للإنسان من حيث هو إنسان لا تتعلق بمعتقده، آمن أم كفر، إلى جنة هو أم إلى نار {كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا}[3].

وقد سأل رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم- ربه تخصيص أمته من سنن الله العامة، فمنحه خصوصيات معينة، ومنعه مطلق التخصيص، حتى لا تخرج الأمة عن السنن الإلهية.

ونصّ الحديث عن عامر بن سعد عن أبيه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ذات يوم من العالية. حتى إذا مر بمسجد بني معاوية، دخل فركع فيه ركعتين. وصلينا معه. ودعا ربه طويلا. ثم انصرف إلينا. فقال صلى الله عليه وسلم "سألت ربي ثلاثا. فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة. سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسّنة فأعطانيها. وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها. وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها"[4].

1- رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص39.

2 -هذا القول مأثور عن عطاء، نقله الرازي، مفاتيح الغيب، ج9، 5/10-11. راجع أثرا قريبا منه عن مجاهد بن جبر، نقله الطبري، جامع البيان، 443/3.

3 - الإسراء: 20.

4 - حديث صحيح من أحاديث الفتن، أخرجه مسلم وأحمد وابن خزيمة وابن أبي شيبة وأبو يعلى عن سعد بن أبي وقاص، وأخرجه الحاكم عن أنس وعن أبي هريرة على شرط الصحيحين. ينظر: صحيح مسلم. كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض. ح2890. مسند أحمد. مسند أبي إسحق سعد بن أبي وقاص،181/1. صحيح ابن خزيمة، كتاب الصلاة، باب صلاة الترغيب والترهيب . ح1217 . مسند أبي يعلى. مسند سعد بن أبي وقاص. ح 734 . مصنف ابن أبي شيبة كتاب الفضائل. ح 57 كتاب الدعاء . مستدرك الحاكم كتاب صلاة التطوع ح 1183 عن أنس بن مالك .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فمنطوق هذا الحديث أن الله تعالى رفض أن تكون لأمة محمد سنة خاصة بها بل هي مشمولة بعموم سنن الله.[1]

لكن هذا لا ينفي خصوصية الأمة المسلمة.[2] ، وخصوصية المؤمن عموما. وقد اختص عز وجل أمة محمد من الهلاك بالقحط أو الغرق كغيرها من الأمم المعرضة لذلك، ولكن وفي نفس الوقت أبقى سبحانه على إمكان التناحر الداخلي بين أفراد وشعوب الأمة –كما وقع ويقع للآن- ، فهذا المنع يبقي على مشمولية السنن الإلهية للأمة الإسلامية، والمنح السابق يخصصها بميزات عن غيرها. ولا تعارض ولا تناقض في ذلك.

إذ كيف يعامل الخالق عز وجل المؤمنين مثل الكافرين، وهو الذي يقول: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ. مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}[3]

فسنن الله ليست عامة، بل للمؤمنين سننهم الخاصة، وللكافرين سننهم الخاصة، فهذا طعن في عموم السنن؟!

ردّا على هذا الاعتراض، يبيّن الأستاذ محمد قطب أن عموم السنن على نوعين: عموم شامل لكل البشر مؤمنهم و كافرهم وهو الأوسع مساحة في التاريخ البشري، وعموم شامل لصنف دون صنف، أي سنن تعمّ المؤمنين فقط وتتكرّر بينهم ولا تقع للكافرين، أو العكس.

فالسنن نوعان: عامّة وخاصّة، وإن كانت الخاصة خاصّة بفئة دون فئة، إلا أنها عامّة في أهل

وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه بهذا اللفظ. الحاكم كتاب الفتن والملاحم. ح 8576 . عن أبي هريرة وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

1- رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص38.

2- جودت، حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ص35.

3 - القلم: 35-36.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تلك الفئة، فلم تنتف عنها صفة العموم، فكلّ السنن عامة لمشمولاتها سواء شملت البشر كلهم أو شملت صنفا منهم فقط[1]. فالعموم إذن لا ينفك عن الخصوص الذي لا ينفك عنه أيضا! فكل عام خاص بمشمولاته فقط دون غيرها، والخاص كذلك عام لكل مشمولاته التي يختص بها. أي أن الخصوص نظرة داخلية، والعموم نظرة خارجية. فلا وجود لعام مطلق العموم ولا لخاص مطلق الخصوص. فكل شيء في الكون نسبي مرجعي، ونظرتنا للأشياء هي التي تحدد العموم والخصوص. والكمال المطلق لله تعالى وحده عزّ سلطانه.

هذا هو معنى العموم، أما أن تكون السنن عامّة في كل البشر. فهذا يفقد الإيمان معناه ودوره في الوجود، "وذكر الإيمان هنا جوهري، لأنه يفتح للإنسان أبوابا من نسيج الأسباب الشامل لا تفتح إلا للمؤمن"[2]. فبدخول عنصر الإيمان يقع تعديل في خضوع الإنسان لصنف من السنن دون صنف.. "ومن ثم فإن السنن التي تحكم الحياة الإنسانية التي لا تخضع لشريعة الإسلام، لا يمكن أن تبقى شاملة للإنسان المسلم دون تعديل بعد أن دخل الإسلام كعنصر معلل ومؤثّر في تغيير (الإنسان) ليكون (الإنسان المسلم)"[3].

فالإنسان المسلم "يتحرر جزئيا من القانون الطبيعي الذي فطر عليه جسده، ويخضع في كليته إلى المقتضيات الروحية التي طبعتها العقيدة الإسلامية في نفسه: بحيث يمارس حياته في هذه الحالة الجديدة حسب قانون الروح.. وهكذا كانت روح بلال هي التي تتكلم وتتحدى بلغتها الدم واللحم، كما أن ذلك الصحابي كأنه يتحدى بسبابته المرفوعة الطبيعة البشرية، ويدفع بها في لحظة

---

1 -محمد قطب، التفسير الإسلامي للتاريخ، وينظر: أحمد حسن فرحات،سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، ص134.

2 - محمود زايد المصري، تأملات في السنن الكونية، ص10.

3 - فرحات، سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، ص138.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معينة مصير الدين الجديد، كما أنها هي نفسها تتحدث بصوت تلك" المرأة الزانية" التي أقبلت إلى الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- لتعلن عن خطيئتها وتطلب إقامة حد الزنا عليها، فالوقائع هذه جميعا تخرج عن معايير الطبيعة" إلى معايير جديدة تحكمها سنن "الإيمان" لا "سنن الإنسان"[1].

"فيجب أن ننظر إلى السنن في ذات الوقت بنظرتين؛ نظرة علمية ونظرة إيمانية"[2].

بهذا يتضح عموم السنن مع تدخل عامل الإيمان في حالات معينة، وفي شكل سنني أيضا، فالله تعالى يقول: {كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا}[3] فعطاء الله للناس في هذا الكون عام لكل من وافق السنن، لكن للإيمان دور ودخل، يقول تعالى {وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}.[4]

فالإيلام مشترك، والكل يبذل جهدا، لكن جهد المؤمن تباركه العناية الإلهية، لأن المؤمن يرجو من الله قدرا زائدا من الجزاء السنني، وهذه في حد ذاتها سنة، ولولاها لانتهى التوحيد:

{وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا}[5].

سادسا: ثبات وعموم السنن الإلهية يقتضيان "العلْميّة"

لأنّ السنن الإلهية ثابتة عامة، فإن حركتها تتعدى حدود الإدراك الفردي اللحظي، لذلك كثيرا ما تتصف بطبيعة خفية. وهذه الحقيقة تجعل من تلمس نتائجها بطيئة.[1]

---

1 - مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط 1406هـ/ 1986م،ص101-102.

2 - محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص80.

3 - الإسراء: 20.

4 - النساء: 104.

5 - الحج: 40.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن حركة السنن "عملية بطيئة تتعدى عمر الإنسان الفرد إلى عمر الجماعات والأمم... يتوصل إليها بجهد إنساني جماعي متراكم عبر أجيال عديدة...".[2] لذا تحتاج السنن إلى التمعن وإعمال الفكر وإمعان النظر وبعد الإدراك مع الدراسة المستفيضة الواعية وتأمل أحداث التاريخ ودراسة العلوم الإنسانية.[3] لاستكشاف حركتها السببية، فهي دائما نتائج لأسباب محددة.[4]

ومن هنا، تقتضي السنن الإلهية دراسة علمية تكشف خفاءها وبطء حركتها، وتبرز ثباتها وعمومها كل المفردات الكونية. فقانون الله له طابع موضوعي علمي وهو متصف بالاطراد والثبات والعموم، وليس خبطا عشوائيا اتفاقيا، بل تحكمه علاقات سببية لا صدفة فيها.[5]

وكما تؤكد الحتمية في السنة طابعها العلمي[6] ، فإن الخصائص الثقافية والاعتبارية للسنن تؤكد ذلك أيضا.

1- عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية، ص14.
2- رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص37.
3- نفسه.
4- نفسه، ص38.
5- حسن سلمان، دراسات قرآنية حول الإنسان والمجتمع، ص148.
6- نفسه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن شمول السنن تستمد المعرفة العلمية شمولها لكل الظواهر، لتكون بذلك عامة قابلة للنقل لكل الناس ويقينية مدللة، مشاعة بين كل العقول بمجرد اكتشافها[1] .

وهذا يقود إلى أن يكون العلم بها مكتسبا صفة الديمومة والثبات، مما يجعل الإنسان في تحركه وتعامله مع الأشياء على بيّنة.[2]

وبسبب ثبات وعموم السنن –وبقية خصائصها- صار الإنسان يشعر أنه يتعامل مع أشياء ذات مواصفات ثابتة[3] مستقرة في جميع الأحوال والظروف.[4]

وهذا ما يمنح الإنسان الشعور بالتحكم في الكون، والاستقرار فيه، ويمنحه كذلك الثقة في عقله، وفي المعرفة التي يفسر بها ما حوله.

الفرع الثالث: ثبات وعموم السنن الإلهية ودور الإنسان

إن رسالة الإنسان في هذا الوجود ودوره في تسخيره يتحدّد أساسا من تصوّره للوجود ولبارئ الوجود، وذلك ينبني أصالة على وعي السنن وحسن التعامل معها فهما وتسخيرا.

إن السنن ثابتة، وبسبب ثباتها صار الإنسان يشعر أنه يتعامل مع أشياء ذات مواصفات ثابتة.[5]

"وعلى هذه الصورة من الفهم، يجب أن يكون تعاملنا مع السنن التي فطر الله عليها أمور الخلق، فليس لنا أن نفكر في تعديل صفاتها أو تبديلها، وإنما علينا أن نعرف صفاتها، وأن نتصرف بها وفق هذه الصفات الثابتة التي قدرها الله عز وجل كما شاء"[1].

1- حسن سلمان، دراسات قرآنية حول الإنسان والمجتمع، ص148-149.
2- رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص40.
3- عبد الكريم بكار، هي هكذا، ص8.
4- رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص39.
5- عبد الكريم بكار، هي هكذا، ص8.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فمهما حاول الإنسان، فلن يستطيع تغيير سنن الله،[2] لأن السنن الإلهية لا تتغير.[3] وكل محاولة لصدّها عن غايتها مقضيّ عليها بالفشل، سنة الله، ومن ذا يبدلها أو يحوّلها[4] إلا الله، فهو الذي أبدع السنن، وهو وحده القادر على تبديلها أو إزالتها.[5] ولا تزال السنن ثابتة عامة مستعصية على التغيير والتبديل ما دام القضاء والقدر الإلهي مسيطرا على كل الكون.[6] وسيظل كذلك.

وفي هذا تقويم وتربية وتوجيه للسلوك الإنساني.[7] حتى يصب في مصبّه الصحيح، فيتفاعل مع الكون والحياة، وسننهما الثابتة العامة، ويعمل من خلال ذلك.[8] ووفق هذا المنظور نحقق الانسجام مع سنن الله، وبذلك نسعد ونصل موقع الصدارة.[9]

وفي طريقنا لتحقيق ذلك –وما هو على الله بعزيز-، يترتب علينا توسيع أفق النظر والتعامل مع ما هو أوسع من حدود الحياة البشرية الفردية لنعاين ثبات السنن وعمومها وإلا قادنا ضيق الأفق إلى نفيها.

ومن هنا ندرك "أن الكشف عن السنن التي تحكم الحركة الاجتماعية لا يتأتى إلا من السير

---

1 - أحمد محمد كنعان، أزمتنا الحضارية، ص76.

2- عبد الحميد محمود طهماز، السنن الإلهية في الخلق، ص 16.

3- مرتضى مطهري، الكون والتوحيد في المنظار الإلهي، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت ، ط 1993، ص24.

4- ابن باديس، مجالس التذكير، ص210. في تفسير آية الأنبياء 105 . وينظر محمد دراجي، السنن الكونية في تفسير ابن باديس، ج 6، جريدة البصائر، ع 139.

5- عبد الحميد محمود طهماز، السنن الإلهية في الخلق، ص 19.

6- مرتضى مطهري، الكون والتوحيد في المنظار الإلهي، ص24.

7- رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص40.

8- يوسف كمال محمد، سنن الحضارات كما تبينها سورة الأنعام، ص 8.

9- رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص29.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الأرض واستقراء التاريخ والتعرف على القوانين التي حكمت حياة البشر للإفادة منها للحاضر والمستقبل، فالحاضر –على كل حال- ليس محلا كافيا للقراءة والاستقراء، فقد يكون الحاضر نتيجة لمقدمة في الماضي، وقد يكون نتيجة لا تظهر إلا في المستقبل"[1].

وليكن يقيننا راسخا، أن سنن الله العامة الثابتة، محايدة لا تحابي ولا تجامل أحدا. لأنها مظهر من مظاهر عدل الله تعالى في هذا الكون، لا تفرّق السنن بين شخص وآخر، ولا بين أمة وأخرى لأي سبب من الأسباب. [2]

وما دامت السنن الإلهية محايدة، "فنتائج العلم بطبيعة السنن وكيفية تسخيرها، يمكن استخدامها في الخير، ويمكن استخدامها في الشر، وإن هذا العلم ليس وحده بعاصم للإنسان عن الضلال، وإنما هو إذا استخدم في أي مجال أثمر ثمرته المنطقية أيا كانت تلك الثمرة: خبيثة أم طيبة، ولكنه حينما يتجه به إلى تفهم آيات الله في الوجود بصفتها تدل بوضوح على الكمال الأسمى والأعظم للخالق المبدع فهذه النتيجة تسوق الإنسان إلى الإيمان"[3].

"ومن مقتضى هذا: أن من أهمل تلك الأسباب الكونية التقديرية الإلهية، و لم يأخذ بها لم ينل مسبباتها ولو كان من المؤمنين، وهذا معلوم ومشاهد من تاريخ البشر في ماضيهم و حاضرهم، نعم لا يضيع الله على المؤمنين أجر إيمانه، ولكن جزاؤه عليه في غير هاته الدار، كما أن الآخر لم يضع عليه أخذه بالأسباب، فنال جزاءه في دار الأسباب وليس له في الآخرة إلا النار"[4]. أما في الدنيا، فالكل متساوون أمام السنن العامة، فالأكثر أخذا بالأسباب وتوافقا مع السنن هو الأكثر رصيدا من العلم والمعرفة، والأوفر حظا من الجزاءات

---

1 - عمر عبيد حسنة، مراجعات، ص22.

2- عبد الكريم بكار، هي هكذا، 8.

3 - ابراهيم بن علي الوزير، دراسة للسنن الإلهية، ص107.

4 - عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير، منشورات المعارف-وهران-الجزائر، ط 1991م،ص66.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدنيوية، وإذا كان مع ذلك مؤمنا تضاعف جزاؤه في الدنيا، وقاده لنعيم الآخرة بنعمة من الله وفضل. لكن المبدأ هو أن السنن العامة أسبق وأحكم من السنن الخاصة، وأن الإيمان يتدخل بعد استيفاء الأسباب العامة المشتركة، ثم استيفاء أسباب الإيمان وشروطه. فالإنسان مطالب بالتقدم المستمر على خط كشف السنن، عامّها وخاصّها، والحرص على توفير الأسباب وحسن إعمالها، بالرجوع إلى وحي الله وكونه، وبالاستفادة الحذرة من نتائج العلوم الغربية، خاصة في جانبها الإنساني.

ولا يزال الإنسان ينقّب عن السنن، ولا يزال يتعلم منها، وسيظلّ. وكلما ترقّى في تنقيبه ترقّى في تعلمه، لأنه كلما اقترب من السنن فهو قد اقترب –في الحقيقة- من رب السنن، لذلك كان العقلاء الأتقياء هم الذين ينقبون عن السنن ويهتدون إليها.[1] لأن السنن بثباتها وعمومها –وسائر خصائصها- مصدر العلم ومصدر الإيمان، وهذا يقود إلى أن يكون العلم بها مكتسبا صفة الديمومة والثبات، مما يجعل الإنسان في تحرّكه وتعامله مع الأشياء على بينة.[2] ومتى كان على بينة فلا شك أنه سيكون على هدى.

ولن نكون على بينة وعلى هدى، ما لم نتعلم من التعامل مع سنن الله الثابتة العامة خلقي وصفتي الثبات والعموم: نتعلم من السنن الإلهية الثبات على الحق. تعلمنا السنن الإلهية الاستقرار وتحفزنا على الاستمرار. تمنحنا الرؤية الشمولية والطرح التعميمي للقضايا والوقائع. وتفتح عقولنا على التفكير الموسوعي التكاملي. أي بعبارة مختصرة جامعة، تجعلنا السّننُ "سُنَنِيّينَ"، وهذا لن يتمّ إلا باستحضار السنن، كلّ السنن، بكلّ خصائصها، وفي شتّى مجالاتها.

1- عمر أحمد عمر، السنن الإلهية في النفس البشرية، ص7.

2- رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص40

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثالث: أنواع السنن الإلهية

ضبط مدخلي:

قبل تفصيل تقسيمات وأنواع السنن، أقف سريعا مع مسألة هامة، وهي عدم انضباط المصطلحات، مما أوقع اضطرابا مثيرا للتساؤل لدى بعض المؤلفين.

ويتعلق الأمر بالتفريق بين السنن الإلهية والقوانين الكونية، وبين السنن والآيات، والخلط بين السنن الكونية والاجتماعية، وتراوح الاصطلاح على السنن بين الربانية والإلهية.

1-ونبدأ من الإشكال الأخير: هل الأوفق تسمية السنن بالسنن الإلهية أم السنن الربانية؟

لا شك أن الشائع والغالب تسمية "السنن الإلهية"، وهو الموافق للتعبير القرآني "سنة الله". لكن يقترح بعض المؤلفين تسمية "السنن الربانية" كما هو واضح من عنوان كتابي الدكتور رمضان خميس[1] والدكتور راشد سعيد شهوان[2].

وإذا كان المعنى المتبادر إلى الذهن بداية وبداهة هو ترادف الاصطلاحين، لكون الله هو الرب، ووصف الشيء بالإلهية أو الربانية ينتهي في الحالين إلى ربطه بالله ربنا سبحانه. إذا كان الأمر كذلك فإن الدكتور راشد يستخدم تسمية "السنن الربانية" كتسمية عامة تشمل كل السنن الكونية والإنسانية والتشريعية، بينما يجعل هذه الأخيرة هي المقصودة بتسمية "السنن الإلهية"[3].

1- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ، ص24، 25.

2- سعيد شهوان، السنن الربانية في التصور الإسلامي ، ص14، 48.

3- نفسه، ص14.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بينما يستخدم الدكتور رمضان خميس اصطلاح "السنن الربانية" كقسم من السنن الإلهية يتعلق بالإنسان والمجتمع[1]. ويبرر ذلك بكون وصف الربوبية يضفي على السنن الإلهية معاني العناية والرعاية الإلهية[2]، إلا أنه يخصّص تعبير "السنن الربانية" تخصيصا غير مبرّر بالسنن الإنسانية دون الكونية، وكأن خلق الكون ونسق مفرداته لا تظهر فيه ربانية السنن؟ بل إنها لتظهر –ربما أكثر- من غيرها.

وعلى القولين، تكون السنن الربانية قسما من السنن الإلهية أو العكس، وهو تفريق غير مبرر بين وصفين لموصوف واحد.

لذلك فالأفضل –في تصوري- التزام التعبير القرآني "السنن الإلهية"، ولا بأس بتوظيف "السنن الربانية" لتأكيد معاني الربوبية في السنن جميعها، أما تخصيصها بقسم من السنن فاختزال وتضييق لا داعي إليه.

2-يفرّق الدكتور عادل شريح بين السنن والآيات، ويرى أن "ما يسميه البعض سنن الآفاق والأنفس يرد في القرآن تحت لفظ آية لا سنة ، وهو اختلاف دلالي معنوي لا مجرد شكلي... فالآيات قوانين كونية ثابتة لها علاقة بالوجود المادي وقوانين الحياة الأساسية سبل معرفتها الحواس".[3]

ورغم العمق القرآني الذي نلحظه في هذا الطرح، إلا أن الدكتور عادل لا يصل بنا لضبط دقيق واضح بين المصطلحين في ثنايا مقاله. وأوافقه في أن مصطلح الآيات يرتبط قرآنيا بالسنن

1- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص83.
2- نفسه، ص25.
3- محمد عادل شريح، مفهوم السننية بين الدلالة القرآنية والتوظيفات الحداثية، مقال على الانترنت.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكونية ومصطلح "سنة الله" يتعلق غالبا بالسنن الإنسانية، لكن هذا لا يعني التخصيص، ولا يدعو للتفريق بين ما هو سنة وما هو آية بالشكل الذي يقترحه د.شريح. فالسنن الكونية والإنسانية مبثوثة في ثنايا مختلف المواضع القرآنية التي ورد فيها لفظ "سنة" أو "آية"، ولا ينبغي الاقتصار على آخر مذكور في السياق، ففهم النصوص القرآنية لا يتأتى إلا في صورة نسقية تكاملية لا انتقائية ضيقة.

وكأني بالدكتور عادل، بطرح هذا، يلغي خصائص السنن الإلهية عن الآيات الكونية، لتتحول كما طرحها البعض لمجرد قوانين وصور ذهنية نسبية في العقل الإنساني.

3- وقريب من ذلك ما تطرحه الدكتورة ناهد يوسف، التي تفرّق بين السنن الإلهية والقوانين الكونية، فقوانين الكون –حسب طرحها- تقوم على صورتين: الصورة التي خلق الله الكون عليها وهي السنن الإلهية، والقوانين التي اكتشفها العلماء. أي أن "السنن" طرح من منظور إلهي مطلق، و"القوانين" منظور بشري نسبي متعلق بحالة مخصوصة، هي ما نعيشه في الحاضر. أما السنن فهي عامّة شاملة للعالم الحاضر والغائب.(1)

4- أما الدكتور زقزوق، فيجمع في طرحه بين السنن والآيات والقوانين فهو يقسّم السنن إلى: آيات الله في الكون والإنسان – قوانين المادة – سنن الاجتماع البشري – السنن التاريخية.(2)

وجلّي من الوهلة الأولى تداخل الأقسام الأربعة وكونها تؤول إلى قسمين لشيء واحد؛ فالسنن الإلهية في تقسيم الدكتور زقزوق هي نفسها ما سماه "آيات الله في الكون والإنسان"،

1- ناهد يوسف رزق يوسف، علاقة السنن الإلهية بالقوانين الاجتماعية، ص105.
2- محمود حمدي زقزوق، السنن الإلهية وأثرها في نهضة الأمم، ص13.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتي تشمل نوعين: سنن الكون وهي "قوانين المادة" وسنن إنسانية تشمل ما فصّله إلى سنن اجتماعية وتاريخية.

5- وبالحديث عن السنن التاريخية، فطرحها يوحي أن هناك سننا فردية نفسية، وسننا اجتماعيا، وسننا تاريخية تتعلق بالأمم والحضارات(1).

والمتأمل للقسمين الأخيرين (الاجتماعية والتاريخية) يجدهما شيئا واحدا لكن من منظورين مختلفين، فالسنن الاجتماعية منظور زمكاني محدّد يصف اللحظة الحاضرة، أما النظرة التاريخية المتعالية على الزمان والمكان، فتطرح السنن الاجتماعية مجرّدة مخفّفة من شخوصاتها التفصيلية لتتحول إلى سنن تاريخية.

أي أن السنن التاريخية هي السنن الاجتماعية من منظور تاريخي، والسنن الاجتماعية سنن تاريخية من منظور اجتماعي.

6- كما أشير هنا إلى صنيع الأستاذة رندا عوني، التي تجعل السنن ثلاثة أنواع: السنن الإلهية والسنن الكونية والسنن الاجتماعية الإنسانية!(2)

لكن المتصفح لكتابها يجد أنّ تقسيمها يؤول إلى أن السنن الإلهية تشمل الكونية والاجتماعية، ولذلك نجدها تعرّف السنن الإلهية بما يدل مرّة على السنن الكونية ومرّة على السنن الاجتماعية(3).

1- عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن، ص226.

2- رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص31

3- السنن الإلهية عند رندا عوني هي الطرق التي يصرف الله بها كونه بما يحقق مصلحة ذلك الكون. وهي القانون الذي وضعه الله منذ الأزل في اللوح المحفوظ وقبل أن يخلق البشر، لتنظيم حياة المجتمعات والأمم وسيرها بعلم الله المطلق لما يصلح لسلوك البشر. رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص31، 32. وواضح دلالة التعريف الأول على السنن الكونية، والثاني على السنن الإنسانية، مما يدل على الاضطراب في توظيف المصطلحات الذي أشرنا إليه في مطلع هذا المبحث.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

7- بقيت وقفة أخيرة مع الدكتور محمد دراجي، الذي اختار تسمية "السنن الكونية" للحديث عن "السنن الاجتماعية" مع تعقيبه على اصطلاح غيره بتسميات أخرى، واعتبرها كلها صوابا مع اختلاف التسمية باختلاف زاوية النظر، وأنه لا مشاحة في الاصطلاح، فرشيد رضا يسميها "السنن الاجتماعية" لأنها وثيقة الصلة بالمجتمع، ومحمد باقر الصدر يفضّل تسميتها "السنن التاريخية" لكونها لا تعرف إلا من التاريخ، أما الغزالي فيستخدم تسمية "السنن الإلهية" بالنظر لمصدر السنن وهو الله تعالى، وأحيانا يستعمل تسمية "السنن الاجتماعية"... ثم وإن اختلفت المباني فهي متفقة في المعاني، ونحن –يقول- نؤثر تسميتها بالسنن الكونية لما في هذا الاصطلاح من عموم وشمول من جهة، ومن دقة وصرامة من جهة أخرى[1].

والحقيقة أن هذا الاختيار من الدكتور دراجي مستغرب، فالبون شاسع بين سنن الكون المادي وسنن الاجتماع البشري، ولو كان اختار تسمية سنن تاريخية أو إلهية أو حتى ربانية، ليتحدث عن سنن اجتماعية لكنا استسغنا ذلك منه.

لكن أن يختار مصطلح "السنن الكونية"، ويقصره على السنن البشرية، قاصدا إخراج ما يتعلق بسنن الطبيعة منه –مع أنها أصل معناه-، فهو اصطلاح بعيد جدا وغير مبرّر، فلا هو عام شامل كما قال، بل هو خاص محدد بما هو مادي طبيعي غير إنساني، ولا هو محتكر لمعاني الدقة والصرامة، فكل سنن الله دقيقة صارمة، كونية كانت أو إنسانية.

اعتبارات التقسيم:

وردت في السياق السابق عدة أنواع للسنن الإلهية، وهناك أنواع غيرها، وتندرج كلها تحت

1- محمد دراجي، السنن الكونية في تفسير ابن باديس، ج 2، جريدة البصائر، ع 135.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تقسيمين أساسيين:

- تقسيم ينظر للسنن من حيث مجال عملها وسريانها.
- وتقسيم ينظر لدور الإنسان تجاهها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول: أنواع السنن الإلهية باعتبار مجالها

باعتبار المجال الذي تنتمي إليه، تنقسم السنن الإلهية إلى:

- سنن تحكم عالم الشهادة وأخرى تحكم عالم الغيب.
- وسنن الشهادة منها ما يحكم الوجود المادي (الكون)، و الوجود البشري(الإنسان)
- فسنن الوجود البشري منها ما يحكم الإنسان عموما، ومنها ما يختص بالإنسان المؤمن.
- وسنن الوجود نفسها، منها ما يحكم الإنسان الفرد، وما يحكم الجماعات والأمم.
- أما سنن الغيب، فمنها سنن مغيبات عنا في عالم الشهادة، وسنن للآخرة، وسنن ما قبل عالم الشهادة. هذا ما سأفصل عنه الحديث إن شاء الله فيما يلي:

الفرع الأول: سنن عالم الشهادة وسنن الغيب

سنن عالم الشهادة هي المقصود بالسنن الإلهية في هذه الدراسة، لأنها داخلة في وعينا وطاقة عقولنا، ونحن مكلّفون إزاءها تكليفا مباشرا، يوجب علينا كشفها وتسخيرها.

أما الحديث عن سنن للغيب، فنابع من اعتقادنا بأن الله عز وجل كما وضع لعالم الشهادة في الحياة الدنيا سننا، فقد جعل للغيب سننا.فالغيب "له سننه وقوانينه، ومصدر معرفتها الوحي فقط.. إلا أن مفهوماته العامة لا تخرج عن المعقولية من ربط الأسباب بالمسببات، لأنه منطق العدل الإلهي.. فالدنيا كلها مقدمة ومزرعة للعالم الآخر، وواقع المؤمن في الآخرة مرهون بما يقدم في الدنيا"[(1)].

الغيب إذن له سنن، لا شك أنها تختلف عن سنن عالم الشهادة، لكن وجودها ضروري

1 - عمر عبيد حسنة، مراجعات، ص28.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

"فكما حكمت القوانين هذا العالم في الخلق والمسيرة.. كذلك تحكمه في المصير؛ ففي الإيجاد حكمة وفي الأعمال حكمة، وفي الجزاء غاية وحكمة تنفي العبثية عن الحياة والأعمال"[1].

ويصرح الدكتور محمود زايد المصري بتقسيم السنن إلى "سنن وفطر وأخبار ووعود من عالم الغيب، وسنن وفطر وأخبار من عالم الشهادة"[2]. لكن الغريب أنه لما يمثل لكل قسم لا نجد سننا غيبية، بل مثل لسنن الغيب بسنن مشهودة: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}[3]، {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}[4]، {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا}[5]، {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}[6] وغيرها.

ومن خلال أمثلته، ومقابلتها بأمثلة سنن الشهادة، نجد أنه يقصد بالغيب سنن النفس والمجتمع أي السنن البشرية في مقابل سنن الكون المادي التي يجعلها سنن الشهادة! ولا أدري ما الذي جعله يربط بين الغيب والحياة البشرية، وبين الشهادة والوجود المادي. وربما سبب هذا التصور هو أن جزاءات السنن الحاكمة للحياة البشرية غالبا ما تكون بطيئة الحصول مقارنة بجزاء السنن المادية، فتحقق جزاء سنة بشرية قد يدوم سنوات وعقودا بل أجيالا. مثلا، لو لمس شخص نارا يحترق لتوه، بينما لو عصى معصية أو خالف فطرة بشرية كالزنا والقتل فقد يتأخر جزاؤه سنوات، وقد يؤخره الله له للآخرة. لعل هذا ما جعل الدكتور محمود زايد المصري يسمي سنن الحياة البشرية سننا من عالم الغيب لأن جزاءاتها مستقبلية أي غائبة عن الإنسان في حياته الحاضرة.

---

1 - محمد عمارة، معالم المنهج الإسلامي، ص42.
2 - محمود زايد المصري، تأملات في السنن الكونية، ص2.
3 - تكررت هذه العبارة في خمس آيات قرآنية: الأنعام:164، الإسراء:15، فاطر:18، الزمر:7، النجم:38.
4 - البقرة:286.
5 - الحج:38.
6 - آل عمران:140.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن سنن الغيب: {فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا}[1]. {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}(2). {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ}[3].

{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ. يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ. وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ. ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ. يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا }[4].

فهذه وأمثالها سنن تتوفر فيها خصائص سنة الله:

- فهي ربانية، من الله، فهو تعالى حاشر الناس ومحاسبهم ومجازيهم على أعمالهم، ومقرر مصير كل منهم: إلى الجنة أو إلى النار (وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ).

- وهي ثابتة لا تتبدل ولا تتحول، وأسلوب الآيات يدل على ثبات السنن: فالقسم والتوكيد باللام و"إنّ" وغيرها من الأساليب اللغوية في الآيات السابقة تدل على ثبات السنن {وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ}.

- وهي عامة في كل البشر، بل والجن أيضا، فكل نفس ستحشر وتجزى بعملها وكل الناس سيلقى مصيره العادل، فكلّ الأبرار مصيرهم النعيم، وكلّ الفجار مآلهم الجحيم {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}. [5].

---

1 - مريم: 68.
2 - غافر: 17.
3 - الزلزلة: 6 .
4 - الانفطار: 13-19.
5 - الزلزلة: 7-8.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- وهي مطردة، تتكرّر في كل الناس، وتتكرّر السنن الخاصة بكل صنف في كل أفراده: الحشر والجزاء والحساب والنعيم والجحيم.

- أما دور الإنسان تجاهها فمرتبط بعمله في الدنيا {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}. {لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ}. فمصير كل إنسان راجع لعمله: فمن عمل الخير أدخله الله جنته بفضله تعالى ورحمته، وغفرانه لتقصير الإنسان، ومباركته لقليل عمله، لو كان دخول الجنة بمحض العمل لما دخل الجنة أحد. ومن عمل الشر أدخله الله ناره {جَزَاءً وِفَاقًا}[1].

ولو شاء الله ما دخل النار أحد لكنها سننه تعالى: {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ }.

لكن الغوص في تفصيل سنن الغيب وخصائصها غير مجد ولا ممكن، لمحدودية معلوماتنا حوله، إلا ما أخبرنا به الوحي الإلهي قرآنا وسنة، لذلك سأكتفي بهذا القدر من البحث فيه، على أن أعود لذكر أنواع السنن الغيبية من باب التصنيف وبلورة تقسيم كلي للسن الإلهية، يجعلها شاملة لكل العوامل والمجالات الزمانية السابقة واللاحقة للحياة الدنيا.

---

1 - النبأ: 26.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفرع الثاني: السنن الكونية والسنن الإنسانية

أولا: السنن الكونية

السنن الكونية بالمفهوم الخاص للكون[1] هي السنن الإلهية الحاكمة للطبيعة والوجود المادي، في مقابل السنن الإنسانية، الحاكمة للوجود البشري.

فللوجود المادي سننه، وللوجود البشري سننه كذلك. فسنن الوجود المادي هي "ما تخضع له جميع الكائنات الحية في وجودها المادي، وجميع الحوادث المادية، ويخضع له كيان الإنسان المادي، وما يطرأ عليه مثل نموه وحركة أعضائه ومرضه وهرمه ولوازم بقائه حيا ونحو ذلك"[2]. وهي ما يسميه البعض سنن الكون والمادة وطبائع الخلق والقوانين الطبيعية. وتشمل كل ما يتعلق بحركة الحياة والأحياء وظواهر الطبيعة وقواها وحركة الأفلاك والذرة والكيمياء وأجهزة الجسم الإنساني وكافة ظواهر الكون الطبيعية.

وقد عرّفت سنن الكون تعريفات عدّة، من أهمها أنها الطرق التي يصرف الله بها كونه بما يحقق مصلحة ذلك الكون[3]، فهي بذلك منهج الله في تسيير هذا الكون وعمارته وحكمه[4]، وهي الظواهر الطبيعية والقوانين الحاكمة للظواهر.[5] وهي ما يتعلق بالكون وما يجري فيه[1] من

---

1 - المفهوم الخاص للكون يقصر دلالته على الموجودات المادية، أي كل ما عدا الإنسان، أما المفهوم العام فيجعل الكون كل ما عدا الله. وقد استعملت مصطلح الكون في تعريفي المختار للسنن بمعناه العام، فكل السنن الإلهية سنن كونية بهذا المعنى. لكني هنا أستخدم السنن الكونية بمعناها الخاص أي كل ما عدا السنن الإنسانية.

2 - عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، ص7.

3- رندا عويني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص31(وهو تعريف الشعراوي 1773/3).

4- شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص5، 76.

5- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص53. نلحظ هنا جمع د.رمضان بين الظاهرة والقانون الحاكم لها، وتسمية كليهما سنة، وهو ما لا نسلّمه له. فسنن الله ليست الظواهر نفسها، بل صورتها الذهنية في عقولنا، التي هي نفسها القانون الحاكم للظاهرة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ظواهر كونية تخص مختلف مفردات العالم[2]، ونظام الكون المادي في الأفلاك والجاذبية... [3].

وسنن الكون أثر من آثار إظهار أفعال الله في خلقه، وهي جانب من جوانب إبراز قدرة الله تعالى وعلمه وعزته وحكمته، وما اتصف به عز وجل من صفات قدسية كاملة.[4]

ثانيا: السنن الإنسانية

أما سنن الوجود البشري أو السنن الإنسانية فهي القسم الخاص بكل ما يتعلق بالحياة الإنسانية، سواء على مستوى الأفراد والنفوس، أو على مستوى المجتمعات والجماعات، وعلى مستوى الأمم والحضارات والتاريخية.

ويمكن تعريفها بأنها نواميس الله وقوانينه المنتظمة المطردة التي وضعها الله منذ الأزل وجرت بها أحكامه، لحكم سير الفعل البشري وتنظيم حياة المجتمعات والأمم، وسيرها بما يصلح لسلوك البشر، وفق قضاء الله الأزلي، على مقتضى حكمته وعدله سبحانه. [5]

أي أنها "ما يتعلق بخضوع البشر له باعتبارهم أفرادا وأمما وجماعات... وأعني بخضوعهم له خضوع تصرفاتهم وأفعالهم وسلوكهم في الحياة وما يكونون عليه من أحوال وما يترتب على ذلك من نتائج كالرفاهية أو الضيق في العيش، والسعادة والشقاء، والعز والذل والرقي والتأخر والقوة

1- الزمخشري 404/4. جودت سعيد، العمل قدرة وإرادة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1400هـ/1980م، ص68. عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن، ص226.

2- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص85

3- رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص32. ولا أدري لماذا خصت الباحثة سنن الجاذبية والأفلاك بالذكر في تعريفها، فمقام التعريف يقتضي الجمع والمنع، لا التمثيل والتفصيل.

4- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص85.

5- ينظر في ذلك مثلا: إياد الركابي، السنن الاجتماعية في القرآن المجيد، ص10. رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص32. شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص5 . ناهد يوسف رزق يوسف، علاقة السنن الإلهية بالقوانين والاجتماعية، ص98 ...

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والضعف، ونحو ذلك من الأمور الاجتماعية في الدنيا"[1]. وهي ما يسمى بسنن النفس والمجتمع أو سنن التاريخ والاجتماع. وتشمل "مجالات النفس الإنسانية والمجتمعات مثل قوانين الاجتماع والسياسة والاقتصاد والنفس وغيرهما من العلوم الإنسانية"[2].

ثالثا: العلاقة بين السنن الكونية والإنسانية

خلق الله الكون والحياة وسيرهما وفق سنن ثابتة تحكم سيرهما في كلا الجانبين: جانب الحياة الطبيعية، وجانب الحياة الإنسانية.[3] هذه الأخيرة خاضعة لقانون اجتماعي له ما للقانون الكوني من خصائص.[4]

فبين سنن الله في الكون والإنسان إذن علاقة مزدوجة؛ علاقة اتفاق من جهة ، وعلاقة افتراق من جهة ثانية؛ فالسنن الكونية والإنسانية بداية كلها سنن إلهية، لكن سنن الوجود المادي تختص بالحياة المادية أو الكون المادي، أما الوجود البشري فتختص سننه بالحياة الإنسانية أو الكون البشري. فكلاهما متعلق بالموجودات الكونية، ويشتركان في تعلقهما بالإنسان، لكن سنن المادة تختص فيه بحياته المادية ووظائفه الحيوية أي ما يتعلق به من ظواهر بيولوجية، بينما تحكمه السنن الاجتماعية أو التاريخية –كما تسمى- في حياته البشرية.

1 - علاقة الافتراق

---

1 - عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، ص12.

2 - جمال الدين عطية، النظرية العامة للشريعة، ص16.

3- شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص5.

4- رندا عوني ، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص22.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا يزال كشف السنن الإنسانية في بداية الطريق مقارنة بالسنن الكونية وعلوم المادة.[1] ذلك أن الوعي بالشروط التسخيرية في العمل البشري لم يصل بعد مبلغه في الوجود المادي[2] والفرق – بلا شك- كبير بين التحكم في صامولة، والتعامل مع إنسان! أو بين علم الميكانيكا وعلم التغيير الاجتماعي![3] لكن اللافت للنظر أن القرآن يستعمل السنن الكونية كظواهر ومفردات(وعي بشري) والسنن الإنسانية كنظام(خلق إلهي)[4] مما يوحي بأن سنن الله الإنسانية ثابتة أكثر من ثبات السنن الكونية.[5]

رغم أن الواقع الإنساني يكاد ينطق بأنه ليس منضبطا كواقع المادة، والسبب، بالطبع، هو العنصر الروحي في الإنسان وإرادته الحرة، مع الخفاء والغموض الملاحظين في المجال البشري.[6]

لذلك كان تفسير الحوادث في علوم الكون والطبيعة تفسيرا علميا كميا محدّدا بواسطة صيغ رياضية دقيقة، بينما في علوم الإنسان والاجتماع لا يزال تفسير الظواهر ذا طابع كيفي نسبي.[7]

فكل ما يذكر من طبائع وسنن في الحقل الإنساني والحضاري ما هو إلا ملاحظات ومقاربات واجتهادات بعيدة عن اليقين والقطع، والتحليل الشخصي فيها ظاهر.[8]

1- عمر أحمد عمر، السنن الإلهية في النفس البشرية، ص4.
2- محمد البشير مغلي، السنة الإلهية في تحليلية مالك بن نبي ومنهجية المفسرين، مجلة رؤى، مركز الدراساتالمغاربة، باريس، س4، ع20، 2003م، 29.
3- مالك بن نبي، آفاق جزائرية، ترجمة الطيب الزين، مكتبة النهضة، الجزائر، د. ت، ص119،120.
4- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية، ص94.
5- شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، ص49.
6- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية، ص88 .
7- كارل بوبر، بؤس الإيديولوجيا، ترجمة عبد الحميد صبرة، دار الساقي، بيروت، 1992م، ص31،32.
8- عبد الكريم بكار، هي هكذا، ص11.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ورغم تطور الكشف السنني في المجال الإنساني، إلا أن الإنسان ما زال مجهولا لم نعرف خصائصه وطبيعته النفسية، والمجتمع ما زال لغزا لم نعرف القوانين التي يخضع لها.(1)

ومهما بلغ علم العلماء فإن المجهول من السنن كثير –وسيبقى كثيرا-، ولا يعلم هذا المجهول المغيّب إلا الله.(2)

وصدق الله إذ قال: ﴿ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير﴾(3)

وهذه شهادة قرآنية علمية على نسبية ومحدودية وقصور المعرفة البشرية(4).

فلا وجود لأحكام نهائية مع ظنية المعرفة العقلية البشرية، ولذلك –وكما يقول السير جيمس جيتر- كثيرا ما التوى نهر المعرفة على نفسه.(5)

وفيما تبرز الرؤية القرآنية ثبات السنن الإنسانية، مقابل كون السنن الكونية قد تنخرق وقد تتعطل أو تنحرف من أجل أن تتحقق سنة إنسانية،(6) نصرة لبعض المؤمنين مثلا(7).

في مقابل تلك الرؤية القرآنية، فإن الوعي المعرفي الغربي الغارق في ماديته، لا يزال مبهورا بالإحكام والانضباط البارزين بصورة صاخبة في السنن الكونية (8) مما يجعلها بذلك أشد انضباطا وصرامة من السنن الإنسانية، خاصة مع تطور وسائل التحكم في المادة، مما جعل اكتشاف

1- عمر أحمد عمر، السنن الإلهية في النفس البشرية، ص 4.
2- عبد الفتاح أحمد الفاوي، وقفة تأملية في رحاب السنن الإلهية، ص41.
3- الملك: 4.
4- ناهد يوسف رزق يوسف، علاقة السنن الإلهية بالقوانين والاجتماعية، ص134.
5- سير جيمس جيتر، الكون الغامض،مطبعة بابرباك، 2007، ص172.
6- الزمخشري، الكشاف، 4/ 41 + أبو حيان، البحر المحيط 5/ 370. شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص49، 76.
7- شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص47.
8- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص88.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتسخير السنن المادية أسهل بكثير من اكتشاف الطبيعة البشرية وسنن الله في الأنفس والمجتمعات. [1]

ولكن الحقيقة هي أننا نحن محدودو العلم بظن بعقولنا الأقل وعيا، ذلك الظن المفرق بين سنن الله المطردة كلها بنفس الدرجة من الانضباط والإحكام.

ثم إن التفريق بين السنن الكونية والإنسانية يمكن إن يتأسس من منظور علّي. أي أنه وبالمفهوم الفلسفي؛ العلة في السنن الكونية والظواهر الطبيعية علة فاعلية نمطية[2] أي أنها علاقة سببية؛ علاقة الماضي بالحاضر؛[3] علاقة نتيجة بمقدمات.[4]

أما العلة في الظواهر الإنسانية والاجتماعية التاريخية فهي غائية[5] هدفية[6]؛ علاقة نشاط بغاية مستقبلية[7]. لأن الظواهر الكونية مبناها على التكرار بينما مبنى الظواهر التاريخية على التطور.[8]

ثم ومن منظور موضوعية البحث العلمي وحياديته، تبقى السنن الكونية أكثر موضوعية، ففي السنن الربانية الإنسان هو أداة التحليل ومحلّه مما يشكل صعوبة، خلافا للسنن الكونية. لكن هذا لا

1- عبد الكريم بكار، هي هكذا، ص 10.
2- محمد البشير مغلي، السنة الإلهية في تحليلية مالك بن نبي ومنهجية المفسرين،29.
3- عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن ، ص236.
4- محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص90.
5- محمد البشير مغلي، السنة الإلهية في تحليلية مالك بن نبي ومنهجية المفسرين،29.
6- عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن ، ص236.
7- محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص90.
8- حسن سلمان، دراسات قرآنية حول الإنسان والمجتمع، ص142-143.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يعني العبثية والعشوائية في المجال الإنساني.[1] بل يعني صعوبة وتعقّد ونسبية البحث والتحليل والتوقع في المجال الإنساني، خلافا للمجال الكوني.

وعموما تبقى السنن كلها إلهية، لكن بخصوصياتها؛ فالسنن الإنسانية شأن إنساني، لها قانونية مختلفة ومنطق مغاير للسنن الكونية.[2]

لكن ومع كل هذه التفريقات، يجب التنبيه إلى أن التفريق بين السن الإلهية/الربانية والكونية/الطبيعية أو بينها وبين السنن الإنسانية/الاجتماعية/التاريخية قد يوهم بأن سنن الكون ذاتية وليست إلهية، وأن الطبيعة فاعلة بنفسها لا بربها. وهو ما لا يقصده المفرّقون –بالطبع-، لذا كانت الدقة مطلوبة خصوصا وأن الأمر متعلق بقضية عقدية حساسة كهاته.

2- علاقة الاتفاق

لكن ورغم هذه الفوارق، لا يجب أن ننخدع كما يقول صاحب الظلال: فــ" قد تأخذنا في بعض الأحيان مظاهر خادعة لافتراق السنن الإلهية حتى نرى أن اتباع القوانين الطبيعية يؤدّي إلى النجاح مع مخالفة القيم الإيمانية، هذا الافتراق قد لا تظهر نتائجه في أول الطريق، ولكنها تظهر في نهايته، وهذا ما وقع للمجتمع الإسلامي نفسه، لقد بدأ خط صعوده من نقطة التقاء القوانين الطبيعية في حياته مع القيم الإيمانية وبدأ خط هبوطه من نقطة افتراقها، وظل يهبط كلما انفرجت زاوية الافتراق حتى وصل إلى الحضيض عندما أهمل السنن الطبيعية والقيم الإيمانية جميعا".[3]

1- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص88.

2- محمد عادل شريح، مفهوم السننية بين الدلالة القرآنية والتوظيفات الحداثية.

3- الظلال 17/1.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالترابط واضح بين سنن الكون سنن السلوك الإنساني.[1] خصوصا في السياق القرآني الذي يبرز التلازم بين الاثنين.[2]

فلو تأملنا مثلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (27) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (28) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (29) ﴾[3]

فالمتدبر للآيات الكريمة، يلحظ التناغم الهائل بين السنن الكونية، مجسّدة في خلق السماء والأرض وحكمته، والسنن الإنسانية الاجتماعية، ممثلة بالتمايز بين المؤمنين المتقين والمفسدين الفجّار وجزاء كل منهم، ثم السنن التشريعية المبثوثة في كتاب الله المبارك المنزّل للتدبر والتذكر. والأمثلة القرآنية عديدة لكنا نكتفي بهذا النموذج لدلالته وشموليته. وهذا السياق النصي يدل – فيما يدل- على أن كل مفردات الكون ومجالاته خاضعة لسنن الله بكل معانيها وخصائصها ومقتضياتها. بل إن هذه الحقيقة ذاتها قاعدة أساسية تقوم عليها السنن الإلهية.

يقول الدكتور يوسف كمال: "سنة الله الماضية في مسيرة الحضارات تقوم على قاعدة أساسية هي أن القيم الإيمانية مرتبطة تماما بالسنة الطبيعية لأنها كلها سنّة الله في الأرض".[4]

1- انظر مثلا، رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص، 92، 95. رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص33 . الخطيب7 برغوث 20 يوسف 46،93.

2- مثل هذا الربط كثير في القرآن الكريم، تدبر مثلا الآيات: ص27-29. الحجر 85. الجاثية:3-10. الأحقاف: 3، الأنبياء: 16-18 آخر العنكبوت، الروم، سبأ، فاطر، فصلت...

3- ص: 27-29.

4- يوسف كمال محمد، سنن الحضارات كما تبينها سورة الأنعام، ص 6،7.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن القرآن يتحدث عن سنن الله في المجتمع الإنساني كحلقة في سلسلة النظام الكوني القائم على التناسق بين عناصر الكائنات. والمتأمل للكون والقرآن معا يجد هذا التطابق الذي يلفت النظر ويسترعي الذهن. [1]

ومن هنا يقال أن لله كتابان مسطور وهو القرآن ومنظور وهو الكون، فالكون قرآن منظور والقرآن كون مسطور، والقرآن يمثل كلام الحكيم الخبير، والكون يمثل فعل الخبير، ولا يخالف كلام الخبير فعله.[2]

لذا، ومن منظور هذا الترابط، كان العلم بالسنن الكونية طريقا إلى معرفة السنن الإنسانية[3] ، ومن ثم معرفة الذات الإلهية العليّة. ولذلك لا فلاح كامل ولا سعادة تامة ولا نجاة في الدنيا والآخرة إلا بالاستفادة من السنن الكونية والسير وفق الإنسانية[4]. إذ لا بد من اتباع السنن الإنسانية لتحقيق نتائج اتباع السنن الكونية في الحياة الطيبة.[5]

وحينها فقط يمكن أن يكون العلم بالسنن الإلهية أعظم الوسائل لكمال العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله[6].

وبذلك تنصبغ رؤيتنا للسنن الإلهية بصبغة حضارية شاملة، من منظور إلهي منتظم متكامل، وهذا ما يتوجب على الدراسات السننية تحليله وتعميقه معرفيا ومنهجيا لاكتشاف الصلات بين سنن الآفاق والأنفس والهداية[1] والتأييد.

1- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص86، 110.
2- نظم اللآلي من حكم الغزالي، جمع إعداد رمضان خميس الغريب، دار الحرم للتراث، ط1، د.ت.
3- سنن الله عرجون ص20-26 رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص110.
4- شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص75.
5- نفسه، ص7.
6- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص46.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعموما، فكلّ السنن الإلهية: الكونية والإنسانية تنبثق عن منهج إلهي واحد، فكأنها صور متعددة متساوية مترابطة إذا عرف مجموعها وأحكم ضبطها استطعنا أن نتعرّف إلى سنة الله التي هي الخطوة الأولى في طريق التغيير نحو الأمثل في تطبيق منهج الله وحكمه في هذه المعمورة.(2)

وسنن الله بصفة عامة، سواء أكانت كونية أم بشرية، مرتبطة أشدّ الارتباط في وحدة نظامية يأخذ بعضها بحجز بعض، في تكامل وانسجام وتناسق، لكن عقول البشر هي التي قد تنحرف عن هذا التناسق.(3)

الفرع الثالث: سنن الإنسان وسنن الإيمان

يقسّم البعض السنن البشرية إلى قسمين: قسم عام، أو سنن"متاحة للإنسان من حيث هو إنسان لا تتعلق بمعتقده آمن أم كفر، إلى جنة هو أم إلى نار"(4). وقسم خاص، هي سنن تقع للمؤمنين وحدهم أو الكافرين وحدهم، ورغم كون هذه السنن خاصة إلا أنها جارية تتكرر في كل المؤمنين ولا تقع للكافرين، أو تتكرر في كل الكافرين ولا تقع للمؤمنين، حسب ما يفصّله الأستاذ محمد قطب(5).

وهو ما يشير إليه الدكتور أحمد حسن فرحات لكنه يقتصر على سنن خاصة بالمؤمنين دون

1- عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية، ص20.

2- شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص27.

3- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص93.

4 - إبراهيم بن علي الوزير، دراسة للسنن الإلهية والمسلم المعاصر، ص9.

5 - محمد قطب، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص87/86 وانظر أحمد حسن فرحات، سنّة الله،ص42. ويفرّق محمد قطب بين السنن الإلهية والكونية، فالسنن الإلهية هي التي تحكم الحياة البشرية، والسنن الكونية هي القوانين الطبيعية التي تحكم عالم المادة، وأنا أرفض هذا التقسيم ذلك أنّ جميعها سنن إلهية المصدر، والأولى أن نقول أنّ السنن الإلهية نوعان: سنن كونية وسنن بشرية كما سبق بيانه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكافرين، ويرى ذلك ضروريا، لأن "الإيمان يجعل الإنسان خلقا آخر... ومن ثم فإن السنن التي تحكم الحياة الإنسانية التي لا تخضع لشريعة الإسلام، لا يمكن أن تبقى شاملة للإنسان المسلم بعد أن دخل الإسلام كعنصر معلل ومؤثر في تغيير الإنسان ليكون الإنسان المسلم"[1].

ويضرب مثالا باستثناء المسلم من فطرة "الهلع" في الإنسان. {إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . إِلَّا الْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ}[2].

ورغم أن هذا التقسيم مهم إلا أنني لا أراه ضروريا في سياق تقسيم السنن، لأنه من باب التفصيل، ولو نريد التفصيل فيجب أن نفصل سنن الكون المادي أيضا حسب مشمولاتها: الفضاء والأرض والكائنات الحية والإنسان المادي...

ثم إن الإيمان أو الكفر إنما هما أثر للتعامل مع السنن التشريعية أو سنن الهداية، فهذا التقسيم متعلق بالسنن البشرية والسنن التشريعية، فيصعب إدراجه في أحد القسمين دون الآخر.

لذا أفضّل عدم اعتماد هذا التقسيم، رغم عدم اعتراضي عليه في جوهره، لكنه يؤول في النهاية للسنن العامة في كل البشر، التي تجازي المؤمن بإيمانه، والكافر بكفرانه. ولا وجود لسنن خاصة بالمؤمنين، بل إن المؤمنين هم الذين اتصفوا بأوصاف حدّدت خريطتهم السننية بشكل مخالف لخريطة أولئك الكافرين، التي شكّلوها بكسب أيديهم، لما اختاروا الكفر على الإيمان.

---

1 - أحمد حسن فرحات، سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، ص138.

2 - المعارج: 19-23.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفرع الرابع: السنن الفردية والسنن الاجتماعية

كما تنقسم السنن الإنسانية إلى عامة وخاصة، وإلى سنن الإنسان المطلق و الإنسان المؤمن، وتنقسم أيضا إلى سنن فردية و اجتماعية أو: سنن نفسية – سنن اجتماعية – سنن تاريخية .[1]

ويجعلها الدكتور زيدان ثلاث أقسام: سنن الأفراد وسنن الأمم وسنن الجماعات[2]، لكنه لم يفصل ذلك، والتفريق بين الأمم والجماعات راجع لكون بعض السنن لا تتعلق بالأمة كأمة بل كطوائف وفرق، أي أن سنن الجماعات سنن وسيطة بين سنن الأفراد وسنن الأمم.

من ذلك مثلا: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}[3] .

ومنها: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[4] .

فالنفير والاقتتال واقعان في طوائف من المؤمنين لا في مجموعهم ولا في آحادهم.

وترد عدة اصطلاحات للتعبير عن السنن الإنسانية عند المصنفين، منها:

سنن الاجتماع البشري[5] ، سنن الواقع الإنساني[6]، سنن الحقل الإنساني والحضاري[1]،

1- باقر الصدر،المدرسة القرآنية. حسن سلمان، دراسات قرآنية حول الإنسان والمجتمع. عامر الكفيشي: حركة التاريخ في القرآن، ص226.

2 - عنوان كتابه يدل على ذلك، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد.

3 - التوبة:122.

4 - الحجرات:9.

5- محمود حمدي زقزوق، السنن الإلهية وأثرها في نهضة الأمم، ص13.

6- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية، ص88 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السنن الاجتماعية[2]، قوانين السلوك الإنساني[3]، سنن الله البشرية[4]،

سنن الله في المجال النفسي والاجتماعي والحضاري[5]، سنن الله في المجتمع الإنساني[6] والسنن الربانية[7].

وسنن الله الإنسانية عبارة عن أحكام علوية ماضية مستمرة اقتضتها مشيئة الله وحكمته البالغة في المجال النفسي والاجتماعي والحضاري وكل ما له صلة بالإنسان بوجه من الوجوه.[8]

والقرآن يتحدث عن سنن الله في المجتمع الإنساني كحلقة في سلسلة النظام الكوني القائم على التناسق بين عناصر الكائنات[9].

ولو عدنا إلى الواقع البشري لوجدنا مستويات اجتماعية عدة كالأسرة والعائلة والقرية والمدينة والقوم والملأ، وفي القرآن سنن حاكمة لتلك المستويات وغيرها.

وهذا التقسيم كالسابق، من قبيل التفصيل الفرعي، غير الضروري في معرض تبيان أقسام السنن، فهو متضمن في سنن الحياة البشرية، ولا يبرز خصوصيات أساسية تجعله يحتاج للذكر في هذا المقام.

وفي هذا السياق يرد اصطلاح "السنن التاريخية"[1] في مقابل السنن الاجتماعية.

1- عبد الكريم بكار، هي هكذا، ص11.
2- رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص33 يوسف كمال محمد، سنن الحضارات كما تبينها سورة الأنعام، 46.
3- الحجر 85، رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية، ص95.
4- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص93.
5- عبد الكريم بكار، هي هكذا، ص 10.
6- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص110.
7- نفسه، ص92.
8- عبد الكريم بكار، هي هكذا، ص 10.
9- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية، ص110.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد سبقت الإشارة[2] إلى أنهما شيء واحد من منظورين مختلفين؛ فالسنن الإنسانية في نقطة زمانية مكانية محددة تتشكل عبر سنن اجتماعية، فإذا نظرنا إليها من زاوية تاريخية مجرّدة كانت سننا تاريخية.

الفرع الخامس: أقسام السنن الغيبية

للغيب سننه الخاصة، والغيب لا يعني الآخرة فقط كما قد يفهم عند إطلاق هذا المصطلح، فالغيب حسب الإطلاق القرآني يشمل كل ما هو خارج عن عالم الشهادة[3]. فقد يطلق على الماضي: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ}[4].

وقد يطلق على الغائب عن ساحة المشاهدة، أي ما يحدث في غياب الإنسان فهو غيب بالنسبة له: { فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ}[5].

{قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ. ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ}[6].

وقد يطلق مصطلح الغيب على المستقبل في عالم الشهادة نفسه:{ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا

1- عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن، ص226.
2- ينظر ذلك في الصفحة 241 من هذا البحث.
3 - راجع مصطلح الغيب في المعجم المفهرس، ص507.
4 - آل عمران:44.
5 - النساء:34.
6 - يوسف: 51-52.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[1].

وقد يطلق على العالم الآخر أي ما بعد الموت وهذا أكثر معانيه ورودا في القرآن وهو المعنى الذي التصق بالأذهان وصار يستصحب عند سماع كلمة الغيب. كما يدخل في الغيب ما قبل الدنيا وعالم الشهادة، أي ما كان قبل استخلاف الإنسان في الأرض.

ومن الغيب كذلك ما لا يعلمه إلا الله مما يتعلق بحياة الإنسان من أجل الحياة والممات والرزق ومثل ذلك.

بعد تحديد مفهوم الغيب، يمكن تحديد المجالات المشمولة بسنن الغيب، وهي ثلاث:

سنن ما قبل الدنيا، وسنن المغيبات الدنيوية، وسنن الآخرة.

1- سنن ما قبل الدنيا:

وهي ما يسميه الإمام الدهلوي أحوال عالم المثال، فحين يعدد بعض أنواع السنن أو القوى –كما يسميها- يقول: "ومنها أحوال عالم المثال والوجود المقضي قبل الوجود الأرضي"[2].

ومن هذا القسم ما يتعلق بالملائكة والجن: خلقهم ووظائفهم وكيفية معاشهم وعلاقتهم بالإنسان، وخلق آدم وخلق الكون قبله، وحياة آدم بالجنة وما حدث له فيها.{ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[3]. {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي

---

1 - الأعراف: 188.
2 - ولي الله الدهلوي: حجة الله البالغة، 36/1.
3 - البقرة: 29.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}[1]. {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}[2]. {قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}[3]. {فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}[4].

{فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[5].

2- سنن المغيبات الدنيوية:

بعض الحوادث والظواهر الدنيوية لا يتحكم الإنسان في مقدماتها، فلا يمكنه كشفها أو تسخيرها لأنها محكومة بسنن أخرى غير سنن وجودنا الأرضي، من ذلك ما ذكرته الآيات التالية:

{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}[6].

{اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ}[7]. {وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ(4)مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ}[8]. {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ}[9].

---

1 - البقرة: 30.
2 - البقرة: 31.
3 - البقرة: 32.
4 - البقرة: 34.
5 - البقرة: 36.
6 - هود: 6.
7 - الرعد: 8.
8 - الحجر: 4-5.
9 - الحجر: 21.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد جمعت هذه المغيبات الآية الأخيرة من سورة لقمان:{ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }(1).

3- سنن الآخرة:

وهي السنن الحاكمة لما بعد الموت، وقد سبق الحديث عنها، ومنها:{ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ }(2). { يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }(3).

وحاصل ما يمكن قوله عن السنن الأخروية أن الحكمة والعدالة الإلهية تقضي بوجودها وسريانها في عالم ما بعد الدنيا، جزاء وفاقا لسلوك البشر في الدنيا.

أما التفصيل فيها فيتوقف عند حدود ما ذكره الوحي لا يتعداه بقياس أو اجتهاد، فسنن الآخرة وإن كانت سننا إلهية، إلا أنها خارج حدود حركة العقل البشري.

المطلب الثاني: أقسام السنن الإلهية باعتبار دور الإنسان

باعتبار دور الإنسان تجاه سنة الله، كشفا وتسخيرا وتحديا، تظهر تقسيمات أخرى للسنن الإلهية:

- فالإنسان قد يكون دوره كشف السنة وتسخيرها فحسب، وقد يتعدى ذلك إلى كونه مكلفا إزاء تلك السنة.

- ثم بالنظر لإمكان مخالفته السنة، نجد سننا تقبل التحدي والمخالفة، وأخرى صارمة لا

---

1 - لقمان: 34.
2 - غافر: 17.
3 - النور: 24.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يمكن تحدّيها.

- وهناك سنن لا يمكن أصلا كشفها وتسخيرها لكونها خارج حدود عالم الشهادة.

الفرع الأول: السنن التكوينية والسنن التكليفية

كل سنن عالم الشهادة قابلة للكشف والتسخير، لكن ما يتعلق منها بالكون المادي والبشري يتوقف دور الإنسان عند ذلك، أما السنن التي جاء بها الوحي، فدورنا بعد كشفها وتسخيرها هو موافقتها أو مخالفتها فنحن مكلّفون أمامها، ولذلك تسمى السنن التكليفية في مقابل سنن الكون المسماة السنن التكوينية.

يورد الدكتور جمال الدين عطية هذا التقسيم فيقول:

" أ- نوع يسمى السنن الإلهية أو السنن الكونية في الكون والإنسان والمجتمع، وهي قوانين قائمة على علاقة السببية والاطراد.

ب- والنوع الثاني من القوانين التي وضعها الله عز وجل هي القوانين التكليفية التي لا توضع موضع التنفيذ بصورة تلقائية بناء على علاقة السببية كالنوع الأول، وإنما لا بد من اتجاه إرادة الأفراد إلى تنفيذها.

وقد أراد الله أن يترك هذا المجال لإرادة الإنسان كأساس للابتلاء الذي خلق الإنسان لمواجهته، وهو التكليف بعبادة الله –بالمعنى الواسع- وخلافته في تعمير الأرض.

وعلى قدر اتباع الإنسان لهذه القوانين التكليفية تكون سعادته في الدنيا والآخرة، ويكون الانسجام بينها وبين القوانين الكونية التلقائية، إذ كلا النوعين من القوانين من وضع الله فلا تضارب ولا اضطراب في نظام الكون والنفس والمجتمع. كما شاءت إرادة الله أن تكون هذه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القوانين التكليفية ظاهرة عامة لأي مجتمع إنساني {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}[1]، فالإنسان في نظر الإسلام كائن منظم، وهذه بذاتها إحدى السنن الإلهية"[2].

ومن خلال كلام الدكتور يبدو أنه لا يسمي القوانين التكليفية سننا، فهو يحصر السنن الإلهية في السنن التكوينية، أي ما يتعلق بالكون والنفس والمجتمع كما وضحه. كما أنه يجعل النوع الأول فقط قائما على علاقة السببية والاطراد.

ولا أشارك الدكتور في رأيه هذا، بل إني أرى أن سننية القوانين التكليفية أظهر من القوانين التكوينية، ولا أرى أن خصيصة الاطراد والسببية متخلفة في السنن التكليفية، وكونها مرتبطة باختيار الإنسان وإرادته يزيد في سببيتها. {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}[3]. {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}[4].

فالإنسان مخير: بين أسباب الهداية وأسباب الشقاء، والسنن التشريعية بيّنت لنا كلا السبيلين ونتيجة كل منهما، وكيف أن كل طريق يقود إلى مسبباته: فاتباع الهدى عاصم من الضلال والشقاء، وبه تتحقق التقوى وزكاة النفس المؤدية إلى الفلاح. والإعراض عن ذكر الله سبب الحياة الضنكة في الدنيا والآخرة وهو طريق وسبيل تدسية النفس المؤدية إلى الخيبة. وكل ذلك مطّرد في كل من اتّبع الهدى أو أعرض عنه. فكيف تكون السنن التشريعية غير قائمة على علاقة السببية

1 - المائدة: 48.
2 - جمال الدين عطية، النظرية العامة للشريعة الإسلامية، ص16.
3 - طه: 123-124.
4 - الشمس: 7-10.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والاطراد؟

القوانين التكليفية إذن سنن، وقد صرّح بذلك بعض المتكلمين عنها، منهم الإمام الدهلوي من القدامى وإبراهيم بن علي الوزير من المحدثين.

فالإمام الدهلوي وهو يعدّد السنن التي يسميها "القوى المودعة في العالم" يذكر "ومنها الشرائع المكتوبة على بني آدم وتحقق الإيجاب والتحريم فإنها سبب ثواب المطيع وعقاب العاصي"[1].

ويتحدث الأستاذ إبراهيم الوزير عن السنن التكليفية فيقول: " أما من حيث سلوك الفرد والأمة والنظام الذي يجب أن يكون شريعة للفرد والأسرة والجماعة هي القواعد والضوابط التي تضمنتها السنن التشريعية التي جاء بها الرسل منسجمة مع سنن الفطرة وناموس الكون مكمّلة لها في الجانب الاختياري الحرّ، مضيئة للعقل سبل الحقائق.. عاصمة له من التيه والضلال تحقيقا لموعود الله يوم أمر الكائن الإنساني ممثلا في أبويه آدم وحواء عليهما السالم بالهبوط إلى هذا الكوكب بعضهم لبعض عدو.. وكمال الأمم في الذروة هو أن تجمع في فقهها وتطبيقاتها بين السنن الكونية الماضية في الكون وما فيه ومن فيه، والسنن التشريعية الهادية الموضوعة أمام الاختيار الحر للإنسان"[2].

وبالنظر لمصدريتها الإلهية، فالسنن الكونية فعل الله والسنن التشريعية قوله وأمره، ومحال أن يخالف قول الله فعله، بل هما متكاملان متلازمان. فلا يعلم أمر الله إلا من علم فعله. ولا نفع تام

---

1 - ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، 36/1.

2 - إبراهيم بن علي الوزير، دراسة للسنن الإلهية والمسلم المعاصر، ص10-11.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأحدهما إلا بالعلم بالآخر. ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.(1)

الفرع الثاني: السنن الإلهية وقابلية التحدي

السنن في القرآن على نحوين: سنن حتمية جزمية، وسنن اختيارية (2)

فالسنن الحتمية لا تقبل التحدّي، والسنن الاختيارية قابلة للتحدّي، مع تحمّل تبعات المخالفة –طبعا-.

من هذا المنطلق ينطلق الشيخ كاظم الحائري في تقسيمه للسنن باعتبار قابليتها للتحدي، فيخلص إلى قسمين: سنن صارمة لا تقبل التحدي وسنن قابلة للتحدي.

فالقسم "الأول: السنن الصارمة التي لا يمكن أن تتخلف من قبيل أن النار تحرق، وأن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأن البشرية لو التفت حول العدل لانتشرت النعم. فهذه وأشباهها سنن تاريخية تشبه السنن التكوينية في صرامتها كإحراق النار. والقسم الآخر هي السنن الإلهية المودعة في التركيبة البشرية والتاريخ والعالم، وهي ليست مما لا يمكن أن يتخلف، حيث يستطيع الإنسان –الفرد أو الأمة- أن يتحدى هذا النوع من السنن، غير أن نتيجته ستكون الاضمحلال والانتهاء والهلاك –عاجلا أم آجلا- وذلك بسبب تحديه لها"(3). ويذكر مثالين ينقلهما عن أستاذه باقر الصدر،هما سنة الزواج وسنة التدين، وكيف أنه يمكن تحديهما: فقوم لوط تحدوا سنة الزواج، "حيث أنهم انحرفوا عن هذه السنة واكتفوا بممارسة ذلك العمل القبيح، غير أن

---

1 - الأعراف 54.

2- محمد محفوظ، أوليات في فقه السنن، ص 19.

3 - كاظم الحائري، سنن التاريخ، ص53.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النتيجة كانت هي اضمحلال هذه الأمة وانتهاؤها"[1].

كما أن سنّة التديّن يتحداها الكافرون والمشركون المنحرفون عن الدين القويم، ويؤكد الحائري أن تحدي هذه السنن يؤدي بالمتحدي إلى الانتهاء.

وبتأمل هذا التقسيم نجد أن السنن القابلة للتحدي هي السنن التكليفية، فما دام الإنسان مخيّرا إزاءها فيمكنه تحدّيها لكنه سيلقى جزاء مخالفتها. أما السنن التكوينية فهي صارمة لا يمكن للإنسان تحدّيها.

الفرع الثالث: السنن الإلهية وقابلية الكشف والتسخير

"وهذه السّنن في خطّ من خطوطها العديدة السّارية في الكون والمبثوثة فيه:

- منها ما يجري على الإنسان رضي أم أبى، ولا يملك من أمرها نفعا ولا ضرّا كالموت والحياة وعلم الغيب وبلوغ السّنن إلى غاياتها المرسومة في طبائع الأشياء ذاتها.

- ومنها ما يستطيع الاستفادة منها بتسخيرها لما يريد فينتفع منها بقدر ما أتيح له من قدرة على التعلّم والتعرّف على السّنن والكشف عن قوانينها"[2].

ففي هذا التقسيم يشير الأستاذ إبراهيم الوزير إلى كون بعض السّنن قابلة للكشف والتسخير وعدم قابليّة البعض لذلك. وما دامت بعض السنن غير قابلة للكشف والتّسخير، فلا علاقة لها بالإنسان وإرادته واختياره واستخلافه في الأرض، ولذلك فهذه السنن هي سنن عالم الغيب، فهي التي لا نستطيع أن نكتشفها أو نسخرها لأنها لا تخضع لقوانين عالمنا المشهود، ولا يقوى عقلنا المحدود عل التعامل معها، اللهم إلا ما كشفه لنا القرآن منها سواء ما تعلق منها بما قبل الدنيا أو ما

---

1 - نفسه.

2 - ابراهيم بن علي الوزير، دراسة للسنن الإلهية والمسلم المعاصر، ص9.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعدها أو ما غيّب عنا خلال حياتنا الدنيا كما سبق التفصيل والتمثيل.

وتختص سنن الآخرة بنوع خاص من القابلية للتسخير، لأن الجزاء فيها مرتبط بعمل الإنسان في الدنيا، فالإنسان هو الذي يحدد مصيره الأخروي –بعد إذن الله ومشيئته- فمن عمل بعمل أهل الجنة ومات على ذلك كان من أهلها بمشيئة الله، ومن عمل بعمل أهل النار ومات على ذلك كان من أهلها والعياذ بالله.

المطلب الثالث: تقسيم الأستاذ الطيب برغوث

يمتاز الأستاذ الطيب برغوث بطرح عميق متفرّد لموضوع السنن الإلهية، والذي يقسّم فيه السنن إلى أربعة أنواع، يسميها كليات ومنظومات سنن التسخير، تتوزعها أربع قطاعات أو عوالم أو مستويات كونية كبرى، وهي سنن الآفاق والأنفس والهداية والتأييد(1).

يقول –مثلا- في كتابه الهام مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلافية: "ومن هذا كله نخلص إلى القول بأن نجاح عملية التجديد الحضاري للأمة والإنسانية، مرتبط بصفة جذرية بالتحول النوعي العميق في **المنظومة الثقافية** للإنسان المسلم خاصة، والإنسان المعاصر عامة، على طريق الوعي السنني المتكامل، الذي يمتد لاستيعاب **سنن الآفاق، وسنن الأنفس، وسنن الهداية، وسنن التأييد.. "**(2). والتي يعتبرها: "المكونات الكلية الأربعة التي تتكون منها الميزانية الكونية الكلية للاستخلاف البشري في الأرض".(3) وقد كان في كتاباته وخطابه السابق يقتصر على ثلاثية:

---

1 - يؤكد الأستاذ الطيب برغوث على هذه الرباعية بشدة ويكررها كثيرا في كتاباته الحديثة. ينظر مثلا: مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلافية، ص21، 27، 64، 94... ، الفعالية الحضارية والثقافة السننية، ص32، 155...

2 - الطيب برغوث، مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلافية، ص21.

3 - الطيب برغوث ، مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلافية، ص94.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآفاق والأنفس والهداية[1] دلالة على سنن الكون والإنسان والوحي على الترتيب، كما أنه كان يعبّر عنها أحيانا بسنن العناية (الآفاق) وسنن الدراية (الأنفس) وسنن الهداية.[2]

ثم جعلها رباعية في طروحاته الجديدة في سلسلته القيمة: آفاق في الوعي السنني. بإضافته لمنظومة وعالم سنن التأييد. ويبين الأستاذ الطيب تقسيمه الرباعي هذا؛ فيقول:

1- **منظومة سنن عالم الآفاق:** "الذي يشكل الكونَ المادي بكل مفرداته وعناصره الحيوية، التي تمنح الإنسان كل ما يحتاجه وجوده واستمراره الحيوي ككائن عضوي مادي. وهو المجال أو العالم الحيوي الأول الذي لا غنى للإنسان عنه، في أية لحظة من لحظات حياته، إذ فيه يوجد معاشه، وأدوات تحصيله لهذا المعاش وتكثيره وتنويعه... وقد نظم بدقة شديدة، عبر قوانين وسنن ثابتة، تسهل على الإنسان عملية تسخير مفرداته لتلبية ضروراته وحاجاته الحياتية الحيوية والتحسينية. وقد وضعت هذه السنن مباشرة تحت سلطة الفطرة والعقل والتجربة والخبرة، حيث يمكن للإنسان أن يكتشفها وأن يتحكم فيها، ويستثمرها لتلبية احتياجاته في معتركات الابتلاء والتدافع والتداول والتجديد، التي يجد نفسه في مواجهة مستمرة لتحدياتها المتلاحقة[3]".

2- **منظومة سنن عالم الأنفس:** "الذي يشكل الكونَ الاجتماعي الخاص بعالم الإنسان، أي الذي تتحقق فيه الوظيفة الرسالية أو الوجودية للإنسان، باعتباره خليفة في الأرض، مكلف بإعمارها والاستمتاع بنعمها. وقد نُظم هذا المجال الكوني كسابقه بدقة كبيرة كذلك، عبر قوانين

---

1 - أعني بذلك سلسلة مفاتيح الدعوة، ومن أهم ما نشر تحتها: القدوة الإسلامية، الواقعية، التغيير، المعادلة الاجتماعية... وكذا رسالته للماجستير: منهج النبي في حماية الدعوة، وغيرها... أما خطابه فأقصد به محاضراته ودروسه التي وفقني الله لحضور الكثير منها ...

2 - غالبا ما كان الأستاذ الطيب يستعمل هذه المصطلحات (عناية/دراية/هداية) في محاضراته، بينما يلتزم في كتاباته بالتعابير القرآنية سنن الآفاق والأنفس والهداية.

3 - الطيب برغوث ، مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلافية، ص64.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسنن نفسية واجتماعية.. مطردة، تيسِّر على الإنسان عملية تسخيرها في تلبية حاجاته الحيوية والفكرية والروحية.. التي تستدعيها طبيعته الجبلية؛ العضوية والنفسية.. وتتطلبها وظيفته الاجتماعية والحضارية المتجددة، ويحتمها مركزه المتميز في الكون.

وهذه المنظومة من السنن التسخيرية والاستخلافية، وضعت بدورها تحت سلطة الفطرة والعقل والتجربة والخبرة البشرية، في جزء كبير منها، حيث بإمكان الإنسان أن يكتشف الكثير من السنن المنظمة لحركة التدافع والتداول والتجديد الحضاري، وأن يتحكم في استثمارها، بما تمليه عليه قناعاته العقدية، ومستوى وعيه الفكري، وطبيعة وحجم التحديات التي تفرضها علية حركة التدافع والتداول الحضاري في آنه وعصره"[1] .

3- **منظومة سنن عالم الهداية**: "الذي يشكل الكونَ الروحاني المفتوح على المعنى، والقصد، وما وراء المادة والشكل.. في علاقات الإنسان بالله والكون والحياة. وقد نظم هذا العالم بدوره بسنن وقوانين عقدية وروحية واجتماعية مطردة، تمكن الإنسان من تحقيق تكامله الذاتي، وانسجامه الاجتماعي، وتوافقه الكوني. ولم توضع كسابقتيها تحت سلطة أي من مصادر المعرفة السابقة[2]، لأنها تشكل العقل الإضافي أو الثاني الضروري، الذي يتكفل بتلبية حاجات ما وراء أو ما بعد الفطرة والعقل العادي أو الطبيعي، والخبرة والتجربة، مما لابد منه لتوافق الإنسان وانسجامه

1 - الطيب برغوث ، مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلافية، ص64، 65.

2- أي أنها لا تحصل بأي منها مهما بلغ كماله ونضجه، بل هي وحي يأتـــي من الله تعالى للأنبياء والرسل، ويُبلّغ عبرهم للبشر، بخلاف سنن العالمين الآخرين، فإنها تدرك بإحدى المصادر المعرفية السابقة أو أكثر. وهو ما يجعل الدّين ضرورة كلية للحياة، بدونه يحدث فيها من الاختلال ما يحدث في مستواها الطبيعي أو العادي، في غياب مصادر المعرفة الطبيعية أو العادية السابقة، المرصودة لمعرفته وضبطه !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتكامله، كما نبه إلى ذلك ابن تيمية ، عندما لاحظ أن الوحي الذي جاءت به الأنبياء عليهم السلام تكفل: "بمحارات العقول لا بمحالات العقول"[1].

أي أن الأنبياء عليهم السلام جاءوا بما تحار فيه العقول، وتقصر طاقاتها واستعداداتها الجبلية عن فهمه وإدراك كنهه وحقيقته، وليس بما يمكن أن يدرك ويوعى عقلا، فيقبل أو يرد من غير حاجة إلى مؤيدات من خارج القدرات العقلية .

فسنن الهداية لا يحصل عليها الإنسان بالعقل والتجربة والخبرة، بل هي وحي من الله إلى أنبيائه ورسله المصطفين، وإن كان للعقل والتجربة والخبرة مزاياها في فهم سنن الهداية، وتعميق وعي الناس بها بعد ذلك؛ عبر عمليات التحليل والتفسير والتزيل والتقعيد.."[2]

4- منظومة سنن عالم التأييد: "الذي يشكل الكونَ الغيبي المفتوح على سنن المعجزات والكرامات وخزائن البركة والعون الإلهي اللامحدود.. الذي يجده الإنسان كاحتياط إضافي دائم الجاهزية، لتفعيل استثماره لسنن العوالم الثلاثة السابقة من جهة، ولمواجهة الطوارئ والتحديات التي يتجاوز تأثيرها طاقات المتاح من سنن المنظومات التسخيرية السابقة من جهة أخرى.

وهذه المنظومة التسخيرية غيب يستأثر الله سبحانه وتعالى به، وإن كان قد منح للإنسان إمكانية مشروطة للاستفادة من معطياته اللامحدودة، في أية لحظة يحتاج فيها إلى تأييد، بعد أن يكون قد استوفى الحد الأدنى من شروط ذلك التأييد. كما تدل على ذلك الدراسة المتكاملة

1- ابن تيمية، مجموع الفتاوى 313/2.

2 - الطيب برغوث، مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلافية، ص65.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكليات **الشكر والدعاء والتوكل**، التي تعدّ مداخل رئيسة لفقه استثمار منظومات سنن التأييد".[1]

وعلى هذا الأساس تتخرّج وتتوجّه الكثير من الآيات المؤسسة لفقه سنن التأييد –كما يقول الأستاذ-[2]. وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم **محسنون** ﴾[3].

وقوله سبحانه:﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾[4]

وقوله عز وجل: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾[5].

فالمعية الإلهية في الآية الأولى، والجعل الإلهي في الثانية، والإذن الإلهي في الثالثة، لا يدخل في منطوق السنن الإلهية المرتبطة بجهد الإنسان وكسبه بشكل مباشر، بل هي تدخلات للعناية الإلهية المؤيّدة للمؤمنين المستقيمين على خط الشرع والسنن.

وبعرض هذا التقسيم على ثنائية الغيب والشهادة، تكون سنن التأييد تابعة لسنن الغيب، بينما تمثل بقية السنن عالم الشهادة.

وسنن التأييد بهذا الطرح تمثل الجانب المطلوب منا التوافق معه من سنن الغيب، إضافة لسنن الآخرة التي نحن مطالبون بأداء واجباتنا السننية في الدنيا لنيل جزاءاتها الأخروية.

---

1 - نفسه، ص66.
2 - الطيب برغوث، مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلافية، ص71
3 - النحل: 128.
4 - الطلاق: 2.
5 - البقرة: 249.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الرابع: التقسيم المعتمد لأنواع السنن الإلهية

بعد تفصيل أنواع السنن الإلهية المندرجة تحت كل قسم باعتبار مجالها أو دور الإنسان تجاهها، أقوم الآن بتركيب التقسيمين لتشكيل تقسيم شامل للسنن الإلهية. مستفيدا –طبعا- من تقسيم الأستاذ الطيب برغوث.

- فالسنن بداية تتعلق بعالم الغيب أو عالم الشهادة، وسنن عالم الغيب لا تقبل الكشف والتسخير خلاف سنن الشهادة.
- وسنن عالم الغيب منها سنن ما قبل الدنيا وسنن المغيبات الدنيوية وسنن الآخرة.
- وتشمل سنن الغيب كذلك سنن التأييد
- أما سنن الشهادة فهي إما تكوينية صارمة أو تكليفية قابلة للتحدي، وهي سنن الهداية.
- والسنن التكوينية إما مادية كونية وإما بشرية إنسانية.
- فالمادية متعلقة بالكون، وهي سنن الآفاق أو العناية
- والبشرية متعلقة بالحياة الإنسانية، وهي سنن الأنفس أو الدراية.
- والسنن البشرية قد تكون سننا فردية أو اجتماعية.
- وتنقسم كذلك إلى سنن الإنسان المطلق وسنن الإنسان المؤمن.

هذه مجمل التقسيمات التي توصلت إليها. بقي الآن أن أضبط هذه الأقسام بمصطلحات قرآنية:

- أما مصطلحي الشهادة والغيب فهما مصطلحان قرآنيان؛ فعالم الشهادة هو ما بين عالمي الغيب: ما قبل الدنيا وما بعدها، أي ما بعد خلق الدنيا وما قبل النفخ في الصور:

{ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}[1]. فالله عز وعلا عالم الغيب بشقيه: ما قبل الدنيا: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ } وما بعد الدنيا: {وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ }، أما عالم الشهادة فهو غير ما سبق، أي ما بينهما، وهو الحياة الدنيا.

أما المصطلحات القرآنية المقابلة لسنن التكوين وسنن التكليف، وسنن الكون المادي والكون البشري فنستنتجها بتدبر الآيتين التاليتين: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[2]. {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[3]. فبتدبر الآية الأولى، نجد ما يقابل سنن التكوين وسنن التكليف؛ فسنن التكوين هي سنن الخلق، وسنن التكليف هي سنن الأمر. وآراء المفسرين في هذه الآية تؤيّد ذلك: فالخلق هو التقدير المستقيم وإبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، وإيجادها من العدم، فالخلق مقصور حقيقة على الكون في ملكه تعالى، وهو الكون المحسوس[4].

لذا يوضّح الإمام الرازي المعنى أكثر فيقول: "كلّ ما كان جسما أو جسمانيا كان مخصوصا

---

1 - الأنعام: 73.
2 - الأعراف: 54.
3 - فصلت: 53.
4 - الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، 566/1. وانظر: رشيد رضا، تفسير المنار، 454/8. ابن عاشور، التحرير والتنوير، 8/ 169-170.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بمقدار معيّن فكان من عالم الخلق"[1]. فلفظ الخلق لا يصدق إلا على المحسوسات، والاستعمال القرآني لفعل "خلق" يدل عليه: {خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[2]، {خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا}[3]، {وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ}[4]، {لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}[5]، {فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ}[6].

والآيتان الأخيرتان مثار اعتراض من بعض المفسرين فيقولون أن الخلق يعني الدين، ويستدلون بالآية: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[7]. فخلق الله هو فطرة الله وهو دين الله.

وحتى وإن كان الخلق هنا بمعنى الدّين فإن بقية المواضع القرآنية كلها مستعمل فيها بمعنى الخلق الحقيقي، فيكون استعماله هنا استثنائيا، وخروجا عن المعنى الحقيقي لقرينة هي تسويته بالدين والفطرة.

لكني أرى أنه حتى في هذا الموضع على حقيقة معناه، فهو متعلق بالكون المحسوس، فلو عدنا إلى أوائل سورة الروم، لوجدنا محاجّة مطولة لمنكري "الدّين" عبر "الخلق". فيسرد السياق آيات كونية عدّة، بدء بقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ

---

1 - الرازي، مفاتيح الغيب،97/14/7.
2 - تكررت في آيات كثيرة منها: البقرة: 164. راجع مادة خلق في المعجم المفهرس،ص241.
3 - الروم: 21.
4 - المائدة: 110.
5 - الروم: 30.
6 - النساء:119.
7 - الروم: 30.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ}[1].

وبعد الأمر بالسير في الأرض والاعتبار بالسابقين يؤكّد الحقّ عز وجل على كون الخلق دليلا على الإيمان، فالله هو الخالق، وهو المبدئ المعيد، وكما يفني المخلوقات في الدنيا ويحييها سيحييكم يوم القيامة: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ}[2]

وتتوالى آيات "الخلق" التي لا يملك أحد إنكارها: خلق الأزواج، خلق السماوات والأرض، النوم ليلا والسعي نهارا، البرق وإنزال الماء... حتى نصل إلى الآية محل الحديث:{لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[3].

فأنا حين أقرأ هذه الآية على ضوء ما سبقها من آيات الخلق والتدليل على دعوة الخلق للإيمان بالبعث، فكأن الآية الكريمة تخاطبنا فتقول: ما دام الكون كله يدل على خالقه، فاتجهوا بعبادتكم إلى الله وحده الذي فطر المخلوقات على هذه الكيفية التي لا يملك أحد تبديلها، ولو تأملتم الكون وما فيه من آيات الخلق، لأيقنتم أن هذا الدين هو الدين القيم، لكن أكثر الناس لا يعلمون، لا يدركون ما في الكون من آيات بيّنات تبين أنه كما لله الخلق، فله كذلك الأمر، فهو الخالق، ولذا لابد أن يكون وحده المعبود. فقوله تعالى: {لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} حسب تصوري ومن خلال تدبر الآية وسياقها، هي بمعناها الأصيل، فالخلق هنا خلق الله وكونه.

---

1 - الروم: 8.
2 - الروم: 11-12.
3 - الروم: 30.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما قوله تعالى: {فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ}[1] فلا تنافي في كون الخلق لا تبديل فيه، فالتغيير الذي يستطيعه إبليس وأعوانه من الإنس والجن المقصودون في الآية هو إفساد هذا الكون المخلوق للإعمار والتسخير بالحق، أو توظيفه في غير ما يرضي الله. وقد تعني: فليغيّرنّ ما خلق الله أي مخلوقاته؛ أي يبعدون الناس عن الحق بوسوستهم وتزيينهم الباطل في أعينهم.

ويؤيد إطلاق الخلق على الكون وما فيه ومن فيه، ما استخرجه الإمام سفيان بن عيينة من هذه الآية إذ يقول: "كلام الله شأنه ليس بمخلوق، وإن الله فرّق بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر"[2]، أي من جعل القرآن الذي هو كلام الله من خلقه فقد كفر، لأنه من أمره، ولذا فقد جعل هذه الآية ردا على من قال بأن القرآن مخلوق.

يروى عن سفيان بن عيينة أنه قال: ما يقول هذه الدوبية –يعني بشرا المريسي-؟ قالوا: يا أبا محمد! يزعم أن القرآن مخلوق، فقال: كذب، قال الله عز وجل: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} فالخلق خلق الله والأمر القرآن"[3]. وعلى هذا بعض المفسرين كالنقاش الذي يقول: "الآية رد على القائلين بخلق القرآن لأنه فرّق بين المخلوقات وبين الكلام، إذ الأمر كلامه"[4].

وسفيان بن عيينة نفسه في قول آخر يجعل الأمر كل ما يتعلق بعالم المجردات في مقابل الخلق الذي هو عالم المحسوسات، إذ يقول: "الخلق ما دون العرش، والأمر ما فوق ذلك"[5]. فما دون

---

1 - النساء: 119.
2 - الألوسي، روح المعاني، 138/8.
3 - برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1415هـ/1995م، 43/3.
4 - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1413هـ/1993م، 312/4.
5 - الألوسي، روح المعاني، 138/8.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العرش هو عالم المحسوسات أو عالم الشهادة، وما فوقه من عالم الغيب، والقرآن جزء من عالم الغيب لأنه كلام الله، والروح من الغيب كذلك {قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي}[1]، وقريب من هذا قول الشعبي: "الخلق عبارة عن الدنيا، والأمر عبارة عن الآخرة"[2] فلعله يقصد بالدنيا عالم الشهادة وبالآخرة عالم الغيب.

وعلى هذا يكون معنى الآية: "ألا إن لله الخلق فهو الخالق المالك لذوات المخلوقات، وله فيها الأمر وهو التشريع والتصرف والتدبير، فهو الخالق والملك لا شريك له في خلقه ولا ملكه"[3].

كما أن لفظ "الأمر" في الاستعمال القرآني يعني الوحي في آيات كثيرة، منها: {حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ}[4] أي وحيه ودينه، {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ}[5] أي يترل الوحي من السماء إلى الأرض. {يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ}[6] أي يتترل الوحي بين السماء والأرض[7].

فالخلق إذن هو الكون، والأمر هو كتاب الله، وكلاهما محكوم بسنن الله الثابتة. "ألا إن لله كتابان: كتاب مخلوق وهو الكون، وكتاب متزل وهو القرآن، وإنما يرشدنا هذا إلى طرق العلم بذلك، بما أوتينا من العقل، فمن أطاع فهو من الفائزين، ومن أعرض فأولئك هم الخاسرون"[8].

---

1 - الإسراء: 85.
2 - أبو حيان، البحر المحيط، 312/4.
3 - المنار، 454/8.
4 - التوبة: 48.
5 - السجدة: 5.
6 - الطلاق: 12.
7 - انظر مادة أمر في القرآن الكريم: مواضعها في المعجم المفهرس، ص76-79. ومعانيها في بصائر ذوي التمييز، 39/2-42.
8 - المنار، 64/2.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا عن آية الخلق والأمر، أما الآية الأخرى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[1]. فسياق الآية يدل على أن الآفاق المقصود بها السنن المادية. والأنفس تدل على السنن البشرية، فقد أرانا الله آياته في الكون المادي وفي الحياة الإنسانية حتى يتبين لنا أن القرآن هو الحق وأنه من عند الله، فقوله {وأنه الحق} في هذه الآية يعود على كتاب الله لا على الله تعالى لأن السياق القرآني في سورة فصلت يدل على ذلك، فهذه السورة من أولها إلى آخرها –وهذه الآية هي قبل الأخيرة منها- خطاب للمكذبين بالقرآن والمشككين في أحقيته وكونه من عند الله.

"في القضاء يطلبون البينة والأدلة والشهود، والله تعالى يقيم على دينه وكتابه شاهدي عدل، وهما الآفاق والأنفس، حين يقول: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} وهما شاهدان معتبران لهما حق الشهادة، وميزة هذين الشاهدين أنهما نزيهان عير متهمين بالتحيز والهوى، فلهذا من استطاع أن يشهد على قضيته آيات الآفاق والأنفس فقد استوفى نصاب الشهادة وأخرج الدليل من عالم الغيب إلى عالم الشهادة"[2].

1 - فصلت:53.
2 - جودت سعيد، اقرأ وربك الأكرم، ص222.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد كل هذا نخلص إلى ما يلي:

-السنن الإلهية قسمان: سنن الغيب وسنن الشهادة.

- سنن الغيب تشمل: سنن ما قبل الدنيا، سنن المغيبات الدنيوية، وسنن ما بعد الدنيا (سنن الآخرة). كما تشمل سنن التأييد.

- سنن الشهادة قسمان: سنن تكليفية تشريعية (سنن الأمر أو سنن الهداية) وسنن تكوينية (سنن الخلق).

- وسنن الخلق قسمان: سنن الكون المادي (سنن الآفاق) وسنن الكون البشري (سنن الأنفس).

- وسنن الأنفس تشمل: سنن النفس وسنن المجتمع، وسنن الإيمان وسنن الإنسان. كما تشمل السنن الاجتماعية والسنن التاريخية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وذلك ما يمثله هذا المخطط:

<table dir="rtl">
<tr><td colspan="6">الســـنن الإلـــــهـــــــيـــــــة</td></tr>
<tr><td colspan="3">سنن عـــــــــالم الغيب</td><td colspan="3">سنن عــــــــــــــــــــــــــــالم الشهــــــــــــادة</td></tr>
<tr><td rowspan="2">سنن ما قبل الدنيا</td><td rowspan="2">سنن المغيبات الدنيوية</td><td rowspan="2">سنن الآخرة
سنن التأييد</td><td rowspan="2">سنن الأمر
سنن الوحي
السنن التكليفية
سنن الهداية</td><td colspan="2">سنن الخلق / السنن التكوينية</td></tr>
<tr><td>سنن الأنفس
السنن الإنسانية الاجتماعية التاريخية
سنن الدراية</td><td>سنن الآفاق
السنن الكونية
سنن العناية</td></tr>
</table>

وتلخيصا لأقسام السنن بحسب مجالها ومستوى عملها وبحسب دور الإنسان تجاهها، شكّلت هذا الجدول:

<table dir="rtl">
<tr><td colspan="3">أقسام السنن بحسب دور الإنسان تجاهها ¬
أقسام السنن بحسب مجالها ومستوى عملها –</td><td>القابلية للكشف</td><td>القابلية للتسخير</td><td>القابلية للتحدي</td></tr>
<tr><td rowspan="3">سنن عالم الشهادة</td><td rowspan="2">سنن الخلق</td><td>سنن الآفاق</td><td>نعم</td><td>نعم</td><td>لا (1)</td></tr>
<tr><td>سنن الأنفس</td><td>نعم</td><td>نعم</td><td>لا (1)</td></tr>
<tr><td>سنن الأمر</td><td>سنن الهداية</td><td>نعم</td><td>نعم</td><td>نعم (2)</td></tr>
<tr><td rowspan="3">سنن عالم الغيب</td><td colspan="2">سنن ما قبل الدنيا</td><td>لا (3)</td><td>لا</td><td>لا</td></tr>
<tr><td colspan="2">سنن المغيبات الدنيوية</td><td>لا (3)</td><td>لا</td><td>لا</td></tr>
<tr><td colspan="2">سنن الآخرة</td><td>لا (3)</td><td>نعم (4)</td><td>لا</td></tr>
<tr><td></td><td colspan="2">سنن التأييد</td><td>لا(3)</td><td>نعم(4)</td><td>لا</td></tr>
</table>

(1) : هذه السنن قابلة للخرق بالمعجزات الإلهية.

(2) : هذا النوع لا يقبل الخرق وفي هذا نفي لفكرة النسخ.

(3) : هذه السنن أعطانا القرآن علما إجماليا بها.

(4) : هذه السنن جزاؤها مرتبط بعمل الإنسان في الدنيا.

جدول جامع لأقسام السنن باعتبار المجال والدور.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الثالث:

السنن الإلهية بين السياق القرآني والتناول التفسيري

المبحث الأول: السنن الإلهية في التناول التفسيري

المطلب الأول: مادة السنن في القرآن الكريم

المطلب الثاني: دلالات السنن الإلهية عند المفسرين

المطلب الثالث: ملاحظات حول التناول التفسيري للسنن الإلهية.

المبحث الثاني: الصياغة القرآنية للسنن الإلهية

المطلب الأول: أشكال التعبير القرآني عن السنن

المطلب الثاني: الصياغة الاصطلاحية للسنن الإلهية

المطلب الثالث: مجال السنن الإلهية في القرآن الكريم

المبحث الثالث: السياقات السننية في القرآن الكريم

المطلب الأول: السياق القرآني: المفهوم والأنواع

المطلب الثاني: السياق القصصي في القرآن الكريم

المطلب الثالث: قصة آدم عليه السلام من منظور سنني نموذج تطبيقي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تمهيـــد:

إن المتتـــبع لطـــرح المفسرين والمفكرين المعاصرين للسنن الإلهية من خلال السياق القرآني الذي وظفت فيه السنن، ثم من خلال التناول التفسيري لتلكم النصوص، يلحظ سعة الأفق القرآني الذي فتحه موضوع السنن الإلهية، في مقابل محدودية التناول التفسيري –خاصة القديم والتقليدي منه-.

كما يلحظ المنحى التطوري لتناول قضية السنن الإلهية؛

فقـــد طرحت بداية من باب فقه السنن؛ بمعنى أن التناول التفسيري للسنن كان ينطلق من الاستعمال القرآني للسنن عرضا وتعبيرا واصطلاحا وتكشيفا واهتماما.

ثم تطـــور الطرح مع مفسري العصر الحديث، بدءا بالإمام محمد عبده الذي كان أول من دعا إلى علم السنن الإلهية، كتطور تاريخي للاهتمام القرآني بالسنن وتوظيفها كأداة تغييرية.

هـــذا ما يقودنا اليوم إلى طرح التفسير السنني كأداة وكمنهج واتجاه تفسيري يفتح مغاليق التفسير التقليدي ويسهم في تجديد التفسير وتغيير واقع العقل المسلم والأمة المسلمة بالتبع.

علـــى ضوء هذا التتبع التطوري، يتشكل هيكل هذا الفصل الذي يبدأ بالتناول التفسيري للسنن الإلهية كمادة قرآنية في مبحث أول.

ليـــصل في المبحث الثاني إلى معالجة مسألة السننية كاتجاه تفسيري يفتح آفاقا جديدة لا في التفسير فحسب، بل في العلوم الإسلامية، لا بل في حياة المسلم والأمة الإسلامية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الأول: السنن الإلهية في التناول التفسيري

المطلب الأول: مادة السنن في القرآن الكريم

إن الحديث عن التناول التفسيري للسنن الإلهية يمرّ بداية بالتناول القرآني لها، ثم اجتهادات المفسرين قديما وحديثا في فهم وتفيهم ما تختزنه تلك المواضع من دلالات في ذاتها ومن خلال سياقاتها القرآنية المختلفة.

إن كتاب الله زاخر بذكر السنن الإلهية سواء ما تعلق منها بسنن الآفاق أو الأنفس أو الهداية أو التأييد، هذا فضلا عن كونه المصدر اليقيني الأوحد لسنن الغيب الدنيوي والأخروي. بل إنه أول كتاب سماوي يطرح علينا، ولأول مرة في حقل الفكر التاريخي عبر مسيرته الطويلة، مسألة السنن النواميس التي تسير حركة التاريخ، ومسألة الارتباط المحتوم بين المقدمات والنتائج في مجرى الوقائع التاريخية. [1]

وبحكم هذه الأولية، أسبغ القرآن المشروعية الكاملة على مفهوم السنن، وبلوره نظريا وتطبيقيا، وأعطاه مكانة محورية رئيسة في العقل والفكر الإسلامي. [2] كيف لا وقد احتلت السنن مساحة واسعة من القرآن حتى صارت السنن حقيقة قرآنية لا ينقصها سوى البرهان العلمي بالدراسة. [3]

1- عماد الدين خليل، المنظور التاريخي في فكر سيد قطب، دار القلم، ط1، 1994/1415ص33. صائب عبد الحميد، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص355 محمد دراجي، السنن الكونية في تفسير ابن باديس، ج 3، جريدة البصائر، ع 136.

2- حازم زكريا محي الدين ، مفهوم السنن الإلهية، ص32.

3- رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص34.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وما ورد هذا الكمّ الهائل من السنن في القرآن إلا للفت نظر الإنسان إلى سنن الله في الكون، عبر أمثلة ونماذج يسوقها الله تعالى للعظة والاعتبار والتفكير، أما الحصر أو الاستقصاء، فذلك متروك لتفكير الإنسان[1] في حدود العقل البشري.

فالعقل والسنن لا ينفكان في الطرح القرآني، وما عناية القرآن بتشغيل العقل إلا بهدف إدراك السنن والقوانين الفاعلة في صنع الأحداث والاعتبار بها.[2]

ومن هنا تلازم ذكر العقل والسنّة، واحتلا مكانا بارزا في القرآن الكريم، مقصودا لا عرضا، يظهـــر ذلك من خلال السياقات القرآنية التي تلامس مظاهر الطبيعة وتشكيلات الكون والوجود، أو مـــن خلال لفت النظر والاعتبار من تجارب الأمم الخالية.. ومن خلال معالجة القرآن لمشاكل الإنسان في موضوع الهداية والضلال وما يتعلق بهما من نتائج وأحداث[3]...

الفرع الأول: حصر النصوص

لم يكـــتف القـــرآن الكريم بالإشارة والتلميح للسنن وذكر أمثلة لها ونماذج منها، بل صرّح القرآن الكريم بلفظ سنّة وسنن في مواضع عدّة، وفي هذا دلالة امتنان وعناية ورحمة وهداية! فكم كانت البشرية في عناء لكشف السّنن؟ فكم يوفّر علينا القرآن بالتصريح؟.[4]

وقد تكرّر لفظ سنن وسنّة في القرآن ستة عشر مرة في إحدى عشر آية من عشر سور.

وقد تكرر ذكر السنة ثلاث مرات في آية واحدة من سورة فاطر، وثلاث مرات في آيتين من

1- زكـــي إسماعـــيل، نحو علم اجتماع إسلامي، دار المطبوعات الجديدة، الاسكندرية، ط2، 1989، ص55. حازم زكريا محي الدين، مفهوم السنن الإلهية، ص 38.
2- حسن سلمان، دراسات قرآنية حول الإنسان والمجتمع، ص125.
3- نفسه، ص 125.
4- محمد البشير مغلي، السنة الإلهية في تحليلية مالك بن نبي ومنهجية المفسرين،ص29 ،هـــ11ص32.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة الأحزاب.

كمـــا وردت بخمـــس صيغ: سنة الله ثماني مرات، سنتنا مرة، سنة من قد أرسلنا مرة، سنة الأولين أربع مرات، سنن مرتان.

ووصفت السنة ثلاث مرات بعدم التبديل، ومرتان بعدم التحويل، وقد وردت الصفتان معا في الآية 43 من سورة فاطر[1].

ومـــن الغـــريب أن يورد بعض الباحثين أرقاما إحصائية خاطئة! بخصوص لفظ في القرآن، خاصة مع التطور المذهل لوسائل الإحصاء عبر المعاجم القرآنية والبرامج الإلكترونية.

ويتعلق الأمر بما أورده الدكتور الفاوي الذي يقول أنّ كلمة سنة مفردة وردت في القرآن ثلاثا وستين مرة ؟!.[2] وبغض النظر عن كون الخطأ مطبعيا أو سهوا من المؤلف، فإنّ التنبيه عليه واجب هنا، خاصة وأن مصدر المعلومة مداخلة في مؤتمر علمي[3]

كما يذكر الدكتور رمضان خميس أن مادة سنّة وردت ثمانية عشر مرة في القرآن، لكن من الواضـــح أنه مجرد سهو، بدليل أنه يذكر ورود لفظ "سنة" مفردا أربعة عشر مرة، بينما ورد لفظ "سنن" مرتين.[4] فالمجموع ستة عشر لا ثمانية عشر.

1- محمـــد فـــؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، دار الفكر، -بيروت-لبنان، د.ط، 1407هـــ/1987م، مادة: س.ن.ن، ص367.

2- عبد الفتاح أحمد الفاوي، وقفة تأملية في رحاب السنن الإلهية، ص32.

3- عبد الفتاح أحمد الفاوي، وقفة تأملية في رحاب السنن الإلهية، ص32.

4- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص40.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وها هي موارد لفظة سنّة أو سنن، مرتبة حسب ترتيب سورها في المصحف:

{قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}(1)

{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}(2)

{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ}(3)

{لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ }(4)

{سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا }(5)

{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا}(6)

{مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا }(7)

{سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا }(8)

{اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا }(9)

{فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ }(10)

{سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا }(11)

وبتتبع تلك الآيات الكريمة لخصت –في جدول- مواضع ورود لفظي (سنة) و(سنن) حسب المعايير التالية:

1- آل عمران: 137.
2- النساء: 26.
3- الأنفال: 38.
4- الحجر: 13.
5- الإسراء: 77.
6- الكهف: 55
7- الأحزاب: 38
8- الأحزاب: 62.
9- فاطر: 43.
10- غافر: 85.
11- الفتح: 23.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1-كونها مفردة (سنة) أو جمعا (سنن).

2-كونها مسندة(لله أو البشر رسلا ومؤمنين وكافرين) أو غير مسندة أصلا.

3-كون لفظ سنّة بالتاء المربوطة أو بتاء مفتوحة (سنّت).

وكل هذه المعطيات والمعايير، وما سينتج عنها من أرقام له دلالاته التي سنعود إليها بعد استعراض هذا الجدول:

جدول يبين مواضع ورود لفظ سنة/سنن في القرآن الكريم رموز: م=مرة/ آ=آية / س=سورة (2)تكرر مرتين في الآية		سنة/سنن الموافقين			سنة/سنن المخالفين	المجموع
		الرسل	البشر			
	سنة / سنن	سنة الله / سنتنا	سنة من قد أرسلنا	سنن الذين من قبلكم	سنة الأولين	
	غير مسندة	مسندة لله	مسندة للرسل	مسندة للمؤمنين	مسندة للكافرين	
سُنّة سُنَّتَ	لم ترد	الفتح:23 (2) الأحزاب:62/38 (2) **غافر:**85 **فاطر:**43 (2) **الإسراء:**77 (سنّتنا)	الإسراء:77	لم ترد	الحجر:13 الكهف:55 **الأنفال:**38 **فاطر:**43	8م/6آ/ 5س 6م/5آ/ 4س
عدد	....	9م / 6آ/ 5س	1م / 1آ / 1س	....	4م / 4آ / 4س	14م/9آ/8س
سُنن	آل عمران: 137	لم ترد	لم ترد	النساء:26	لم ترد	2م/2آ/2س
عدد	1م / 1آ / 1س	....	....	1م / 1آ / 1س	....	2م/2آ/2س
مجموع	1م / 1آ / 1 س	9م / 6آ/ 5س	1م / 1آ / 1 س	1م / 1آ / 1س	4م / 4آ / 4س	16م/11آ/10 س

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفرع الثاني: تحليل إحصائي للجدول:

1- إن المتأمل في الجدول يلحظ أن تكرار اللفظ في القرآن قليل نسبيا مقارنة بغيره، لكن يبقـــى ذا دلالـــة. فكلّما تكرّر معنى في القرآن دلّ ذلك على أهميته وخطره، وضرورة العناية به، والتأمّل فيه، واستثماره في سلوك الإنسان، ما دام قد خلّد ذكرا في كتاب الله تعالى.

2- كمـــا نلحظ توزّع المواضع في المصحف تلاوة ونزولا. مما يشير ولو من طرف خفيّ إلى أن الـــسنن صاحبت النزول القرآني والتفاعل البشري معه منذ مبدئه لمنتهاه، مما يعني بالضرورة انسجام السلوك الإسلامي مع السنن الإلهية، مجسّدا تجسيدا أنموذجيا في **مثالية** النبي -صلّى الله عليه وسلّم- **وامتثالية** الصحابة -رضي الله عنهم-

3- تأكيد السياق القرآني على السنن الإلهية تجسّد في التكرار المغطّي للمصحف من جهة، وفي تكـــررا اللفظ داخل السورة نفسها، بل الآية، فقد تكرر اللفظ ثلاث مرات في آية واحدة[1] ومـــرتين في آيـــتي الأحزاب والفتح[2]. وهذا التكرار تنسحب عليه نفس المعاني السابقة، ويزيدها التكرار في الآية الواحدة تأكيدا ودلالة.

4- مـــن خلال الأرقام، تتجلى كثرة تعبير سنّة الله وسنّة الأولين في القرآن مقارنة بلفظ "ســـنن" الذي ورد مرتين فقط. وفي هذا ربط معنوي للسنن بالله تعالى، فالإفراد يحيل ذهنيا على التوحيد. وما دام الله واحدا فسنته واحدة من حيث خصائصها وتعلّقها بإرادته ومشيئته.

لكن ورود السنن بالجمع على قلته، يدلّ على تنوع وتعدد مجالات السنن واختلاف بعض أشكال سريانها وطرق تحقق آثارها، لكن في إطار وحدة النسق والمصدر دوما.

1- فاطر: 43.

2- الأحزاب: 62 و الفتح: 23.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أي أن تعبير السنة منظور إلهي مصدري، والسنن منظور بشري تفصيلي.

5- بناء على ذلك، يمكن تفسير سبب ورود لفظ "سنة" مسندا في كل المواضع لله والبشر، فيما ورد لفظ سنن مطلقا عن الإسناد في أحد الموضعين. والإسناد كظاهرة لغوية أداة تعريفية، خلاف النّكارة التي تقتضي ورود اللفظ خاليا من الإضافة والإسناد. فسنة الله جلية معلومة لمن نقّب عنها، لكن يبقى القصور البشري بعيدا عن استكشاف كثير من السنن المبثوثة بين طيّات الكون والتاريخ الإنساني.

6- أسندت السنن للرسل مرة واحدة، وأسندت لله بالضمير مرة واحدة أيضا. ثم جمع الاثنان في موضع واحد من كتاب الله.(1) وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ارتباط الإرادة الإلهية بالسلوك النبوي فعلا وقولا، مجسدا لدينا كمسلمين في سنة نبينا محمد -صلّى الله عليه وسلّم- . مع ملاحظة الحضور القوي لنون الجماعة المسندة للرسل والسنن لله سبحانه، مما يوحي بإحاطة الرحمة والعناية الإلهية بالبشر عبر إرسال الرسل وعبر سنّ السنن.

كما أشير هنا على أن سنن الرسل هنا لا يقصد بها المدلول الشرعي للسنة النبوية، بل يدل على ما يشمله ويتعداه من سنن الله في معاملة رسله، وسلوكهم السنني في التعامل مع الكون والوحي والناس. وهذا يبرز الترابط الوثيق بين السنن الإلهية كنسق والسنن النبوية كمنهج.

1- هو قوله تعالى: {سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا} الإسراء 77. والمتدبر لسياق الآية يجدها محاطة بحشد هائل من السنن الإلهية قبلها وبعدها، مما يدل على التأييد الرباني للرسل -عليهم السلام- عامة ولرسولنا محمد -صلّى الله عليه وسلّم- خاصة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

7- كمـــا نلحظ من خلال خانات الجدول، تغطية المواضع القرآنية لجميع الاحتمالات؛ فقـــد وردت الـــسنن مسندة وغير مسندة، كما جاءت مسندة لله وللخلق؛ أنبياء وبشرا، مؤمنين وكافرين. وفي هذا شهادة قرآنية "رقمية" على شمولية السنن وتغطيتها لكل المفردات الكونية.

لكنه ومن اللافت هنا عدم ورود حالتي الإفراد والجمع مجتمعتين في صيغة واحدة.

8-كمـــا أن إسناد السنن الإلهية ارتبط في القرآن الكريم بالكافرين تلميحا لا تصريحا. عبر ما يدل على العذاب والإهلاك القاضي بسلوك المخالفين للسنن الإلهية كونا ووحيا.

وهـــذا يدل –فيما يدل- على الآثار السلبية للتعامل البشري مع السنن الإلهية، خاصة مع ارتباط الأكثرية في القرآن بالذم: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.[1]

كما أن التركيز القرآني على سنن الله في الكافرين راجع لكون العقوبات السننية للمخالفين أدلّ وأظهر على حاكمية السنن الإلهية، وأدعى للاعتبار والالتزام بها.

9- فـــتح تاء سنّت لا أثر له معنويا في التفريق بين "سنة الله" و"سنت الله" ، إلا إذا أردنا التمادي في توظيف الرسم الصرفي دلاليا. فتنوع الرسم دال على تنوع السنن وكثرتها، واختلاف نهايـــات التعامل معها، تماما كما تختلف نهايتا "سنة" و"سنت" فتحا وإغلاقا. ناهيك عما في معنيي الفتح والإغلاق من دلالات وإيحاءات عميقة.

فالـــسنن الإلهـــية يتوقف فتح أو إغلاق جزاءاتها السننية على الإرادة الإلهية المهيمنة عليها.

1- يوســـف 103. وقـــد وردت مادّة "أكثر" في القرآن الكريم ثمانين مرّة: أكثر(33مرة) أكثركم(مرتين) أكثرهم(45مرة) فضلا عن بقية اشتقاقات "ك،ث،ر" مثل كثير(17مرة) وكثيرا(46مرة). وقد دلّت تلك المواضع في مجموعها على أن الأكثرية متصفة بعدم الإيمان(هود17،الرعد1،غافر59...) وعدم العلم(الاعراف187، يوسف21، النحل38...) وعدم الشكر(البقرة 243، يوسف38، غافر61...). وواصفة أكثر الناس بالكفر(الإسراء89، الفرقان50، النحل83...) والفسق(الأعراف102...) والجهـــل(الانعام111...) والكذب(الشعراء223...) وكره الحق(المؤمنون70...) واتباع الظن(يونس36...)... يراجع ذلك في المعاجم القرآنية. محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس، ص596-598.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما أن الفتح والإغلاق يشيران للتقابل المعنوي بين الموافقين والمخالفين، وما يحكم كلا منهما من سنن إلهية تتسم بالفتح للموافق والإغلاق دون المخالف[1].

10- وختاما ورغم اختلاف الإسناد والمواضع والرسم والعدد، إلا أن كل السنن في كل المواضع تؤول إليه سبحانه كما سبق الذكر، فسنة الرسل تقدّر بسنة الله في الرسل، وسنة الأولين هي في الحقيقة سنة الله في الأولين.

1- لفظا الفتح والإغلاق لهما دلالات روحية عميقة، فكما "فتح" الله سننه و"أغلقها"، كذلك يفتح ويغلق لعباده أبواب ومجاري رحمته وعدله وفضله، عبر مطارق سننه، فمن فتح الله له انفتحت له أبواب السماء والأرض، وتفتحت له الآثار الإيجابية للسنن الإلهية هداية ورعاية وعناية، والعكس بالعكس.. من أغلق الله عليه تغلّقت دونه أبواب السنن وأظلمت حياته دنيا وأخرى نتيجة لظلمة قلبه وانطماس عقله.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني: دلالات السنن الإلهية عند المفسرين

يكـــشف التناول القرآني والتفسيري عن معاني عدّة للسنن الإلهية، بعضها لا يتجاوز المعنى اللغـــوي، وبعـــضها يقتـــرب من التعريف الاصطلاحي بأبعاده الأربعة، وبعضها معاني استمدّها المفسرون من فهمهم لموارد السنن في السياق القرآني.

الفرع الأول: الدلالات اللغوية للسنن الإلهية عند المفسرين:

تعـــدّدت تعبيرات وتعريفات المفسرين للسنن الإلهية في سياقاتها القرآنية المختلفة، لكن التناول التفسيري للسنن لا يكاد يبتعد عن التحليل اللغوي.(1)

وهذا ليس بجديد، فهو أمر ملاحظ في عموم التناول التفسيري الذي يتحول غالبا، إلى قاموس لغوي لشرح المفردات والإعراب والنكت البلاغية.

ومن المعاني التي وقفت عليها: المثال والإمام والعادة والسّيرة والسير والطرائق والطريق والمنهاج والأمّة.

- فالـــسنة هي المثال المتبع والإمام المؤتم كما يقول الإمام الطبري(2)، ويوافقه الواحدي (3) والقمّي. (4)
- والسنة هي العادة المألوفة والسيرة التي يلتزمها صاحبها كما يذكر ابن عاشور.(5)
- وهي كذلك السير على طريق الاستواء لا على طريق الأهواء، وهو قول القرطبي.(1)

1- عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن، ص26

2- ابن جرير الطبري، جامع البيان، 444/3.

3- أبو الحسن الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1415هـ/1994م، 469/1.

4- نظام الدين القمي، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1416هـ/1996م، 263/2.

5- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 25/14، 179/15، 351/15.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- السنة هي أيضا الطريقة أو الطرائق من السير والشرائع والملك والفتن ونحو ذلك، وهو ما ينقله القمّي [2] وابن الجوزي [3] وابن عطية.[4]

- السنة عند الخازن[5] والسمرقندي[6] هي المنهاج، فلكل أمة سنة ومنهاج.

- السنّة كذلك الأمّةُ، كما ينقل القرطبيُّ[7] والألوسي [8] والماوردي[9] والخازن[10] في تفسير قوله تعالى﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[11] أي مضت قبلكم أمم.

1- أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 216/4.
2- القمي، تفسير غرائب القرآن، 263/2.
3- عبد الرحمن بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي-بيروت، ط3، 1404هـ/1984م، 465/1.
4- عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،مؤسسة دار العلوم-الدوحة-قطر،ط1، 1398 هـ/1977م،332/3.
5- علاء الدين الخازن، لباب التأويل في معاني التتريل، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1415هـ/1995م، 300/1.
6- أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، بحر العلوم، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1413هـ/1993م، 300/1.
7- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 216/4.
8- شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي-بيروت، د.ت، 4/ 65.
9- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون، مؤسسة الكتاب الثقافية-بيروت-لبنان، د.ت، 425/1.
10- الخازن، لباب التأويل، 300/1.
11- سورة آل عمران: 137.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفرع الثاني: الدلالات الاصطلاحية للسنن الإلهية عند المفسرين:

وإلى جـــنب تلك المعاني اللغوية، يضفي بعض المفسرين على المعاني التي يوردونها بعدا اصـــطلاحيا عندما يسندون السنن إلى الله سبحانه، مبرزين بذلك ربانية السنن أساسا، وبقية أبعاد السنن الإلهية بالتبع، حسب اللفظ الموظف للتعبير عن السنن:

أ- البعد الرباني للسنن الإلهية في التناول التفسيري:

يتـــناول كثير من المفسرين السنن الإلهية من منظور ربانيتها، فهي -وإن اختلفت دلالاتها- قدر من أقدار الله في خلقه:﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾(1)

ويركّز المفسرون في تناولهم لربانية السنن، على دلالتين:

1-كون السّنن الإلهية شريعة الله ودينه وما يتضمنه ذلك من أحكام وأوامر ونواهي؛

فالسنن شرائع الله وأديانه كما ينقل الألوسي والخازن عن عطاء -رضي الله عنه-.(2)

ويعتـــبر ابن حزم أن السنّة هي الشريعة ذاتها(3) والسنّة حسب الواحدي أمرُ الله ونهيه كما في الوسيط.(4)

فالسنن –بهذا المعنى- إذن أحكام الله وأوامره ونواهيه، والشرع والمنهاج الذي سنه الله لأنبيائه ليستن به أقوامهم.(5)

1- الأحزاب 38.
2- الألوسي، روح المعاني،65/4. الخازن:لباب التأويل،300/1.
3- ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت، 57/1
4 - الواحدي، الوسيط، 496/1.
5- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص69.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2-كما تشير أقوال أخرى إلى كون السنن الإلهية وقائع الله في الأمم الخالية، وأحداثه التي جرت على المخالفين لأمره والناكثين لعهده.(1)

وقد نُقل هذا المعنى عن قتادة، وهو ما اختاره الطبري والألوسي والزمخشري والشوكاني.(2)

وقد أدرجت هذا المعنى ضمن البعد الرباني للسنن من زاوية إسناد الوقائع والأحداث لله سبحانه، فهي من خلقه وفعله تعالى. وهو ما يدل عليه بجلاء تعبير الزمخشري: "السنن ما سنّه الله في الأمم المكذبين من وقائعه".(3) وقول الشوكاني: "ما سنّه الله من وقائع".(4)

إلا أنه –ومن زاوية نظر ثانية- يحتاج تقديرا يرفع اللبس الحاصل في وصف السنن بتجلياتها وآثارها الإنسانية زمانا ومكانا. فالسنن الإلهية ليست عين الوقائع والأحداث، بل هي تقدير الله لها وشأنه فيها. وعليه فالسنن –ومن باب التدقيق والضبط- ليست "ما سنّه الله من وقائع"، بل "ما سنّه في الوقائع" و"ما سنّه الله للوقائع" من أحكام وأقدار ومسارات ومآلات.

أما الوقائع ذاتها فهي تشكيل بشري لأحكام السنن الإلهية، عبر تعامل الناس معها موافقة أو مخالفة.

1- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية، ص69.

2 - الطبري،جامع البيان،7/3،495/444. الألوسي، روح المعاني،65/4. أبو القاسم جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر-بيروت، ط1، 1397هـ/1977م، 465/1. محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، دار المعرفة-بيروت-لبنان، ط3، 1417هـ/1997م، 487/1.

3- الزمخشري، الكشاف، 1/ 630.

4- الشوكاني، فتح القدير، 83/1.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقـــد كرّر السيد محمد رشيد رضا جملة ألفاظ ومعاني تدل على هذا البعد للسنن[1] بمعناها الرباني، ومنها:

- النظام الإلهي

– **الأقدار** التي يقوم عليها هذا النظام في الكون

– **أوامر** الله التكوينية الجارية في الكون

– **أحكام** الله **الفعلية** الجارية في الخلق، القسيم المقابل لأحكام الله التكليفية المودعة في الكتاب والسنة. [2]

ب- البعد القانوني للسنن الإلهية في التناول التفسيري:

خلافـــا للـــبعد الـــرباني الـــبارز في طرح القدامى، يغيب البعد القانوني للسنن في تناولهم التفسيري. إذ يندر أن يستعمل المفسرون القدامى لفظ القانون للدلالة على السنن الإلهية في الكون والإنسان.فهم يوظفونه للدلالة على القانون اللغوي[3] أو القوانين المنطقية الكلامية[4] (أي العقلية) أو حتى القوانين الموسيقية! [5]

وغالـــبا ما يرد في سياق التفسير بمعنى القانون الوضعي البشري[6]، وكل حكم غير شرعي في مقابلة أحكام الشرع[7]،

---

1 - حازم زكريا محي الدين، مفهوم السنن الإلهية، ص34.
2 - رشيد رضا، تفسير المنار 41/1 267/4 236/7 533/8 236/12
3- القرطبي، الجامع، 62/15. الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان، دار الفكر، بيروت، 1995/1415، 303/6.
4- الشنقيطي، نفسه، 19/2.
5- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 64/1.
6- البغوي، معالم التتريل، 61/3. الشنقيطي، أضواء البيان، 259/3، 51/7، 378/7.
7- السعدي، تيسير الكريم الرحمن، 572/1.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما يذكره ابن كثير –مرارا- عند حديثه عن قوانين الرومان في عهد قسطنطين[1] محرّف المسيحية. [2]

ويصادفنا القانون بمعنى السنّة عند القرطبي والشوكاني؛

فالقـــرطبي يعبّـــر عن القانون بالحكم النافذ على الناس[3] من ربهم ليضبط مختلف أبواب حياتهم ويحفظ قوانينها أي سننها[4].

أمـــا القوانين عند الشوكاني فترد بمعاني الأصول والثوابت، والأحكام، والعادات، وقوانين الله في أمر الدنيا والآخرة. [5]

أما لفظ النواميس فيرد في التفاسير ضمن قصة بدء الوحي[6] في قول ورقة بن نوفل للنبي -صلّى الله عليه وسلّم- : **"هَذا النَّامُوسُ الَّذِي أُنزِلَ عَلَى مُوسَى صَلى اللهُ عَليهِ وسلَّمَ"**[1].

1- جاء في تفسير ابن كثير: "فإن المسيح، عليه السلام، لما رفعه الله إلى السماء تَفَرَّقت أصحابه شيَعًا بعده؛ فمنهم من آمن بما بعـــثه الله به على أنه عبد الله ورسوله وابن أمته، ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله، وآخرون قالوا: هو الله. وآخرون قالوا: هو ثالـــث ثلاثة. وقد حكى الله مقالاتهم في القرآن، ورَد على كل فريق، فاستمروا كذلك قريبا من ثلاثمائة سنة، ثم نَبَع لهم ملك مـــن ملوك اليونان، يقال له: قسطنطين، فدخل في دين النصرانية، قيل: حيلة ليفسده، فإنه كان فيلسوفا، وقيل: جهلا منه، إلا أنه بَدّل لهم دين المسيح وحرّفه، وزاد فيه ونقص منه، ووضعت له القوانين والأمانة الكبيرة -التي هي الخيانة الحقيرة-وأحل في زمانـــه لحـــم الختزيـــر، وصَلّوا له إلى المشرق وصوروا له الكنائس، وزادوا في صيامهم عشرة أيام من أجل ذنب ارتكبه، فيما يـــزعمون. وصـــار دين المسيح دين قسطنطين إلا أنه بنى لهم من الكنائس والمعابد والصوامع والديارت ما يزيد على اثني عشر ألـــف معـــبد، وبنى المدينة المنسوبة إليه، واتبعه الطائفة المَلْكِيَّة منهم. وهم في هذا كله قاهرون لليهود، أيّدهم الله عليهم لأنهم أقرب إلى الحق منهم، وإن كان الجميع كفار، عليهم لعائن الله." ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 47/2 ، 48

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 48/2، 295/4، 231/5، 301/6.

3- القرطبي، الجامع، 204/15.

4- نفسه، 202/16.

5- الشوكاني، يوسف111، الإسراء19، الإسراء34، الشورى21.

6- حـــديث بدء الوحي حديث صحيح معروف،رواه الشيخان وغيرهما من حديث الزهري عن عروة عن عائشة –رضي الله عـــنها-.البخاري،كـــتاب بدء الوحي،1-باب:كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،ح3034. كتاب التفسير،444-باب تفسير سورة العلق،ح4670.كتاب التعبير،1- باب: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و لم أعثـــر –لدى القدامى- على توظيف للفظ النواميس بمعنى السنن الإلهية إلا مرة ضمن تعليق لمحقق تفسير البغوي، جاء فيه:

"... لأن هذه الظواهر الكونية وما بعدها مرتبطة بنواميس وسنن صار بعضها مفسّرا عند علماء هذا المجال." (2)

أما عند المحدثين، فالحال على العكس تماما، فقد برزت قانونية السنن بقوة في طرحهم، عبر ألفـــاظ القوانين والنواميس وما يدل دلالتها كالأصول والنظم والقواعد. هذان الأخيران عادة ما يأتيان مرتبطين بمعنى الطرق الراجع للبعد المنهجي.

يقـــول رشـــيد رضا "أي أن أمر البشر في اجتماعهم... قد جرى على **طرق** قويمة **وقواعد** ثابتة اقتضاها **النظام** العام". (3)

وبتعـــبير المراغي، السنن "**طرق** قويمة **وقواعد** ثابتة اقتضتها الحكمة والمصلحة"(4) والسنن في موضـــع آخر –عند رشيد رضا والمراغي-: **النظام** الذي جرى عليه أمر الأمم(5) فسنة الله **نظامه** يجري في خلقه كما يريد.(6) ويجمع الإمام محمد عبده عدة اصطلاحات لتعريف السنن في قوله

الوحـــي الـــرؤيا الـــصالحة.6581.مـــسلم،كتاب الإيمـــان،(73) بـــاب بـــدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم 252...

1- الطبري، 500/13. ابن كثير، 243/6، 303/7، 436/8. البغوي، 475/8، القرطبي، 116/1

2- أبـــو محمـــد الحـــسين بن مسعود البغوي، معالم التتريل، تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش. دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية، ط4، 1417 هـــ - 1997 م. تفسير آية البقرة 20 . 69/1.

3 - رشيد رضا، المنار، 140/4.

4 - أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، دار الفكر للطباعة، د.ت، 76/2.

5- المراغي، 1/ 479.المنار 4/ 141. د/ شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ص24.

6- مجمـــع اللغـــة العـــربية، معجم ألفاظ القرآن، القاهرة، ط2، د.ت، ص 601 مصطفى الشكعة، حجية السنن الإلهية في رحاب القرآن الكريم،815

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن السنن الإلهية هي "**الطرائق الثابتة** التي تجري عليها الشؤون، وعلى حسبها تكون الآثار، وهي التي تسمى **شرائع** أو **نواميس**، ويعبر عنها قوم **بالقوانين**".[1]

ويستنتج حازم زكريا محي الدين مفهوم السنن الإلهية عند رشيد رضا فيقول: السنن **قوانين** الله تعالى الجارية في الكون وفي البشر أفرادا وجماعات وأمما وفق **نظام** ثابت لا يتغير.[2]

ويوظّف الشيخ الشعراوي لفظ القانون في قوله: "السنن هي **القوانين** التي تحكم انتظام الحياة".[3] ولفظ الناموس في قوله: "السنن **الناموس** الحاكم لحركة الحياة".[4]

أما سيد قطب في الظلال فيعرّف السنن بأنها **النواميس** التي تحكم حياة البشر وفق مشيئة الله الطليقة.[5] وأنها **الأصول** التي تجري وفقها الأمور.[6]

وجليّ من خلال هذه التعريفات وعي المفسرين المعاصرين بقانونية السنن الإلهية مما يستحضر خصائصها القانونية من انضباط وإحكام ودقّة، تمكّن من التعامل معها وتسخيرها بإتقان وفاعلية.

ج- البعد المنهجي للسنن الإلهية في التناول التفسيري:

السنن من منظور منهجي طرق وطرائق ومناهج وأساليب منتهجة، وسير متبعة. فسنّة الله طريقته، وسنّة الأولين طريقهم وسيرتهم، وسنّة من قد أرسلنا: طريق الله فيمن أرسلهم[7] .

---

1 - حازم زكريا محي الدين ، مفهوم السنن الإلهية، ص83. وذكره أيضا: محمد عادل شريح، مفهوم السننية بين الدلالة القرآنية والتوظيفات الحداثية، مقال إلكتروني.

2 - حازم زكريا محي الدين ، مفهوم السنن الإلهية، ص115.

3- الشعراوي: 2139/4 النساء 25 .

4- نفسه : 2139/4 .

5- الظلال : 1/ 479.

6- سيد قطب، في ظلال القرآن، 478/1.

7- مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن، ص 601 مصطفى الشكعة، حجية السنن الإلهية في رحاب القرآن الكريم،815

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وغالبا ما يجمع المفسّرون بين معنيي الطريقة والعادة، فالسنن عندهم: طريقة الله وعادته السّالفة.[1] ويصرح بمعنى الطريقة أيضا ابن الجوزي[2] والرازي[3] من القدامى.

أما المحدثون، فيحضر عندهم كذلك معنى الطرق والطرائق؛ فالسنن عند عبده:"**الطرائق** الثابتة التي تجري عليها الشؤون، وعلى حسبها تكون الآثار"[4] والسنن عند المراغي:"**طرق** قويمة وقواعد ثابتة اقتضتها الحكمة والمصلحة".[5]

ويقول رشيد رضا "إن **أمر** البشر في اجتماعهم... قد جرى على **طرق** قويمة وقواعد ثابتة اقتضاها النظام العام".[6]

أما الشيخ الشعراوي فالسنن عنده **الطرق** التي يصرف الله بها كونه بما يحقق مصلحة ذلك الكون ليضمن للإنسان ما يحقق مصلحته.[7]

والطريقة في التناول التفسيري موصوفة بالاستقامة والثبات، وفي هذا تخصيص للسنن الإلهية بسنن الموافقين دون المخالفين، وهو ما يحيل على معنى السيرة السويّة، ومردّ ذلك إلى الخلفية الشرعيّة لطرح معنى السنن والطرائق، على أنها سنّة الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-.

د- البعد الثقافي للسنن الإلهية في التناول التفسيري:

1- ابن تيمية 69/13 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 610/7، 280/16. المنار 140/4 الظلال 479/1 ابن عاشور 182/ 12

2- ابن الجوزي: 1/ 465.

3- الرازي: 22/15.

4 - حازم زكريا محي الدين ، مفهوم السنن الإلهية، ص83. وذكره أيضا: محمد عادل شريح، مفهوم السننية بين الدلالة القرآنية والتوظيفات الحداثية. رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، 23.

5 - أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، 76/2.

6 - رشيد رضا، المنار، 140/4.

7 - تفسير الشعراوي:1373/3 قصة الاختلاف، رندا عوني: قصة الاختلاف دراسة سننية، ص25.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السنن من هذه الزاوية، عادات وطبائع ثقافية اعتبارية، تشكّل المثال والنموذج البشري عبر تفاعله الفردي والجماعي مع السنن الإلهية. وهذا البعد حاضر في الوعي التفسيري منذ القديم، بحكم توظيف المفسرين لمصطلحي العادة والمثال للتعبير عن السنن الإلهية.

ولعلّ من أقدم من عرّف السنة بالعادة شيخ الإسلام ابن تيمية، الذي يقول: "وسنته عادته التي يسوى فيها بين الشيء وبين نظيره الماضي"[1]

ويقول في عبارته الشهيرة المحكمة: "السنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثلما فعل لنظيره الأول". [2]

1- ابن تيمية، الفتاوى، 23/13.

2- ابن تيمية، مجموع الفتاوى 13/ 19-23. جامع الرسائل ص 55. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ت: عبد القادر الأرناؤوط، دار البيان، دمشق،1405هـ/1985، ص 14-15.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويحذو تلميذه ابن القيم حذوه فيقول: "فسنّته سبحانه عادته المعلومة في أوليائه وأعدائه".(1)

ويظهـــر لفـــظ العادة بجوار لفظ الطريقة كما سبقت الإشارة عند المفسرين قديما وحديثا، فالـــسنن الإلهـــية عـــند القـــرطبي وابن تيمية وسيد قطب ورشيد رضا وابن عاشور: طريقة الله وعادته(2) وهي عادة الله في خلقه، كما يذكر ابن عاشور.(3)

يقول الرازي: "سنّة الله هي العادة الجارية والمستمرة بحيث لا يقع لها تبديل ولا نسخ، لأنها تجري في الأفعال والأخبار وهي لا تنسخ". (4)

ونلحظ تركيز الرازي –وهو يعرّف السنن بالعادات- على خصائص السنن الإلهية من جريان واستمرار وعدم التبديل والنسخ.

والرازي يركّز -بذلك- على معاني إحسان الرعاية والمداومة، وفي هذا إشارة إلى خصائص الإتقان والإحسان والإجادة والرعاية المتجلية في الخلق الإلهية عبر السنن الكونية خاصة. (5)

وينفرد الإمام الطبري –كما يشير الأستاذ عبد العزيز برغوث- بتوظيف مصطلح قرآني لم ينتبه له غيره، وهو "الدأب"(6)، كما يوظّف مصطلحي الشأن والمثلات.

وهو يستخدم الدأب والشأن كمرادفات للعادة والسنة.

1- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـــ)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 199/1 . شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب: السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، ص29.

2- آل عمـــران: 137 الظلال 479/1 المنار 140/4 ابن تيمية 69/13 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 280/16. 7/ 610. ابن عاشور 12 /182.

3- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 97/4.

4- الرازي، مفاتيح الغيب، م12/ج24/ص623 طبعة دار الغد.

5- عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن، ص26.

6- نفسه، ص26.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالسنة هي الدأب الذي هو الشأن والعادة.[1]

وإضـــافة لمصطلح "العادة"ولواحقه عند الطبري، هناك لفظ "المثال" الزاخر بالمعاني والقيم والاعتبارات الثقافية، والحاوي لمعاني الاتباع والاقتداء بالسيرة والنموذج.

فالسنة المثال المتبع كما يقول الرازي.[2] والطبري يعرّف السنّة بالمثال المتّبع والإمام المؤتم به.[3]

وهـــي مـــثال فعل الله في السابقين[4]، وقريب منه مصطلح "الأمثال" الذي ينقله عن ابن زيد صـــاحبُ المحـــرر الوجيـــز.[5] ويصادفنا لفظ الأحوال عند ابن عاشور الذي يعرّف السنن بأنها الأحوال الجارية على طريق واحدة.[6]

أما رشيد رضا فيوظف مصطلح "الأمر" حين يقول أن السنن أمر البشر في اجتماعهم.[7]

وواضح تخصيص تعريفه للسنن بما يتعلق بأمر البشر، أي بالسنن الاجتماعية دون الكونية.

وعامّـــة، فـــإن هذا المعنى كسابقه، لا يخرج عن المدلول الشرعي للسنن والطرق الحميدة والعادات الرشيدة التي حقق بها الذين من قبلنا، أقوالَ وتوجيهات أنبيائهم.[8]

1- الطبري، 223/6-225، 19/13، 125/16.
2- الرازي، 22/15.
3- الطبري، 444/3.
4- الطبري، جامع البيان، 304/10.
5- ابن عطية، المحرر الوجيز، 333/3.
6- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 97/4.
7- المنار ،4/ 140
8- رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية ص69

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفرع الثالث: دلالات تفسيرية أخرى للسنن الإلهية:

إذا كان بعض المفسّرين يعتبر السنن الإلهية هي الوقائع والأفعال ذاتها، فإن هناك من يعتبرها مآل الفعل وعاقبته ونتيجته.

ويـــصرّح بهذا المعنى السهروردي إذ يقول أن سنّة الله في بعض الآيات تعني عواقب أفعال العــباد.[1] ويجعل بعض السنن عواقب الأفعال من ثواب وعذاب أو إهلاك وإكرام، وهذا المنقول عن ابن عباس في تنوير المقباس، ومختار الرازي في مفاتيح الغيب.[2]

ويخـــصّها الكـــثيرون بالعذاب دون الثواب: فيسميها الرازي سنن الهلاك والاستئصال أو عذاب الاستئصال، ويتابعه في ذلك القرطبي والقمّي، وهو المنقول عن مجاهد.[3]

أما الطبري، فالسنة عنده تعني العذاب الأليم وعقوبة الأولين والهزيمة والخذلان والقتل واللعن[4] وهو ما يلخصه المصطلح القرآني "المثلات" الذي يعرّف الطبري به سنة الله على أنها مَثُلات سير بها فيهم.[5]

1- ذكـــره ابن تيمية في معرض الرد على السهروردي. انظر: الرد على المنطقيين، دار المعرفة بيروت لبنان، د.ت، ص391. وانظر: د.أحمد حسن فرحات: سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، ص36.

2- أبو طاهر يعقوب الفيروز آبادي، تنوير المقباس في تفسير ابن عباس، مطبعة الأنوار المحمدية-القاهرة-مصر، د.م، ص65. فخـــر الـــدين الرازي، التفسير الكبير-مفاتيح الغيب، درا الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1411هـــ/1990م، ج26، 32/13.

3- الرازي، مفاتيح الغيب، ج9، 11/5، ج21، 120/11. القرطبي: الجامع، 216/4، 7/10، 6/11. القمي: غرائب القرآن، 263/2.

4- الطبري، جامع البيان، 495/7، 422/10، 355/11، 334/1.

5- نفسه، 99/4

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والسنن جريان العذاب كما يقول القرطبي، والتعذيب بعد التبليغ والتبيين كما في الظلال.

(1)

وهذا المنحى تعريف مآلي للسنن الإلهية، ينظر لعاقبة مخالفة السنن الإلهية ومصادمتها، وهو ما ينتهي غالبا بعقوبة دنيوية معجّلة.

وهـــو إلى جانـــب كـــونه نظرا مآليا، فهو تغليبي أيضا، لكونه يشير لسنن المخالفين دون الموافقين، باعتبار الأغلب والأكثر، تاريخا وواقعا.

---

1 - القرطبي، الجامع، 360/14. سيد قطب: الظلال، 1508/3.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثالث: ملاحظات حول التناول التفسيري للسنن الإلهية

وبعد إيراد كل هاته المعاني، يمكن رصد جملة ملاحظات:

- نلحظ بداية غلبة التناول اللغوي والشرعي لمفهوم السنن الإلهية عند المفسرين.

ففضلا عن الدلالات اللغوية الصريحة، يمكن عدّ المعاني التي اعتبرتها هنا اصطلاحية معاني لغوية أيضا، وواضح أنها مستمدة من المعاني اللغوية وراجعة إليها، ولا يميزها سوى إسنادها إلى الله تعالى.

- غياب تعريف علمي متكامل للسنن الإلهية عند القدامى خاصة، مما يدل على قلّة الاهتمام بمفهوم السنن في التراث القديم رغم عناية القرآن به.[1]

- تركيز المفسّرين على معنيي الطريقة والعادة، أي على البعدين المنهجي والثقافي. ولذا يمكن اعتبار خلاصة تعريفات المفسرين القدامى خاصّة، أنّ السنة هي الطريقة والعادة، وتمتاز بالثبات والديمومة والاستقامة.[2]

- تعامل المفسرين مع تجلّيات السنن وآثارها لا مع قانونيتها، مما يعني غياب البعد القانوني في طرح السّنن الإلهية لدى المفسّرين عموما والقدامى خاصة.

- تفرّد الطبري بطرح جملة اصطلاحات توبع في بعضها وبقي منفردا بالبعض، فمما عرّف به الطبري السنن ألفاظ: الطريقة، العادة، الدّأب، الشأن، المثال، الإمام، المثلات، الوقائع...[3].

1- حازم زكريا محي الدين ، مفهوم السنن الإلهية، ص27.

2- عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن، ص26.

3- الطبري334/1، 444/3، 99/4، 223/6، 495/7، 304/10، 422، 355/11، 125/16، 13/19...

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويمكن تفهّم كثرة اصطلاحات الطبري، بكونه المؤسس الفعلي لعملية التدوين التفسيري، وكون هدفه الأساسي تجميع المادة ورصدها لتدشين مرحلة التدوين، والتجميع يستدعي كثرة الأقوال وكثرة النقول وكثرة التعابير والاستطرادات والاصطلاحات بالتبع.

- وإلى جانب الطبري، نلحظ كذلك كثرة اصطلاحات السيد محمد رشيد رضا[1].

والسبب أوليته في الحديث عن السنن وتوظيفها والدعوة إليها عبر مشروع المنار.

فلا نتوقع منه إلا كثرة التأكيد على السنن الإلهية والتعبير عنها باصطلاحات شتى في سياق الاستطراد والتكرار.

- قصر السنن على بعض مشمولاتها عند البعض؛

فابن حزم –مثلا- يقصر السنن على السنن التشريعية،

بينما يقصرها صاحب المنار على السنن الإنسانية[2].

-إنّ المعاني اللغوية للسنن تستند إلى كونها متكررة مطردة، وهو ما يجعلها عادة وطريقة وسيرة ومنهاجا ومثالا.

ومن هنا كان المعنى التشريعي للسنة أي سنة النبي –صلى الله عليه وسلم.-

-أما تعريف السنة بالأمة فهو من باب تسمية الفعل بمفعوله والحدث بمتعلقه، فالسنن تقع في الأمم وتحدث لها، وليست هي نفسها الأمم.

ومعـــنى الأمة وإن ناسب لفظ السنة في آية آل عمران، فلا يتناسب مع بقية الآيات، كما يطرح إشكالا في وصف السنن بعدم التبديل وعدم التحويل، فهل الأمم لا تتبدل ولا تتحول؟

1- المنار ، 41/1، 140/4، 267، 236/7، 533/8، 236/12...
2- ابن حزم، الإحكام، 128/1. محمد رشيد رضا، المنار ، 140/4.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

-وتنحو بعض المعاني الاصطلاحية منحى المعاني اللغوية، فمستخدمو ألفاظ: عادة الله، طريقة الله، مثال فعل الله، أمثال الله، وقائع الله، كلهم يحيلون على اطراد السنن الإلهية وصفة التكرار فيها

أمـــا مـــن اســـتخدموا معنى الشريعة أو الأمر والنهي، فقد خصوا السنة بالسنن التشريعية، والأولى عمومها السنن التكوينية أيضا: المادية منها والبشرية.

-أمـــا بقية المعاني، فتتعلق بأثر السنة أو نتيجتها، وهذا يصدق على معاني: العواقب والثواب والعقاب وسنن الهلاك والاستئصال وأمثالها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثاني: الصياغة القرآنية للسنن الإلهية

المطلب الأول: أشكال التعبير عن السنن في القرآن الكريم

كيف يصوغ القرآن السنن؟

كيف يخبرنا عن السنن حتى نعرف أن ذلك القانون سنة من سنن الله في خلقه وأمره؟

يجيب الدكتور عبد الكريم زيدان، فيقول: "والسبيل لمعرفة سنة الله هو الرجوع إلى كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم –صلّى الله عليه وسلّم- فما فيهما هو القول الفصل.. وقد يخبرنا الله تعالى عن سنّته... بغير لفظ "السنة" كأن يعبر عن (سنته) بتقرير نتيجة معينة بناء على وصف معين أو حالة معينة، أو بناء على سبب أو شرط معينين، فيكون هذا الإخبار بهذه الصيغ إخبارا عن سنن ثابتة لله تعالى،كما في قوله تعالى:

(وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا) [1]

وقوله تعالى: (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) [2]."[3].

فأشكال التعبير عن السنن عنده هي: الإخبار بكون ذلك سنة. أو تقرير نتيجة بناء على وصف، حال، سبب، شرط. واكتفى الدكتور بمثالين للشكلين الأخيرين: فالأول فيه تقرير نتيجة (الهلاك) بناء على سبب (الظلم). والثاني فيه تقرير نتيجة (تغيير الله ما بالقوم) بناء على شرط

1 - الكهف: 59.
2 - الرعد: 11.
3 - د. عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية، ص16.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(تغيير القوم ما بأنفسهم).

أمـــا باقـــر الصدر، فيقتصر على ثلاثة أشكال للسنن في كتابه "المدرسة القرآنية[1]" ورغم حديثه عن السنن التاريخية، إلا أن الأشكال التي ذكرها تتسع لكل أنواع السنن. و هي:

1- **شـــكل القضية الشرطية:** أي الربط بين حادثتين أو مجموعتين من الحوادث، إحداهما شرط والأخرى جزاء[2]، ويورد ثلاثة أمثلة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[3].

﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾[4].

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾[5].

2- **شكل القضية الفعلية الناجزة والوجودية المحققة:** ويذكر أن له أمثلة كثيرة في القوانين الطبيعية، مثل الشمس سوف تنكسف والقمر سوف ينخسف.[6]

3- **شـــكل الـــسنن المصاغة على صورة اتجاه طبيعي في حركة التاريخ:** لا على صورة قانـــون صارم[7]، فهذا الشكل يمكن تحديه. وذكر مثالين: سنة التدين، وسنة الزواج، بين الأولى بقوله تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا

---

1 - باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص101-121.
2 نفسه، ص102.
3 - الرعد: 11.
4 - الجن: 16.
5 - الإسراء: 16.
6 باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص107.
7 نفسه، ص115.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [1].

وبتأمل هذا التقسيم الثلاثي وجدت أن السيد باقر الصدر خصص لكل نوع من السنن شـــكلا يرد به: فالشكل الشرطي ترد به السنن التاريخية غالبا. والشكل الفعلي الوجودي كثيرا ما تقرر به السنن الطبيعية. أما شكل الاتجاه التاريخي فيناسب السنن التشريعية.

ولا شـــك أن هذا التقسيم مفيد في تصنيف السنن، لكنه لا يحصر كل أشكال ورود السنن في القرآن، من ذلك بعض الأشكال التي ذكرها الدكتور زيدان، وأشكال غيرها لاحظت بعضها عند تأمل بعض السنن في القرآن.

بتأمل تلك الأشكال، وبتدبر آيات القرآن الكريم الحاوية لسنن، توصلت إلى الأشكال التالية :

الشكل التصريحي: أي أن يصرح القرآن بالسنة، عبر لفظ السنة نفسه أو لفظ قريب منه...

الشكل التقريري: أي أن يقرر نتيجة بناء على وصف أو حال أو سبب أو شرط...

الشكل الخبري: أي أن ترد السنة في شكل خبر مثبت أو منفي، مرسل أو مؤكد...

الشكل الإنشائي: فترد السنة على شكل إنشائي كأمر أو استفهام أو استثناء أو حصر...

الشكل التمثيلي: أي أن ترد السنة مضمنة في قصة أو مثل...

الشكل الترتبي: بأن ترتب السنة على صفة أو فعل من صفاته وأفعاله تعالى.

وتفصيل هاته الأشكال كالتالي:

1- **الشكل التصريحي:** وهو أيسر الطرق وأسرعها وأوثقها، فمتى أخبرنا الله عنها أنها سنة

---

1 - الشورى: 13.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعـــرّفنا عليها وبقي أمامنا فقط فهمها والتزامها. وقد يسميها الله سنة أو آية أو عبرة أو حكمة أو عاقبة أو سببا أو صبغة أو فطرة.

- **الــسنة بلفـــظ السنة:** فكل الآيات التي وردت فيها لفظة السنة تسبقها أو تلحقها أو تسبقها وتلحقها سنة أو سنن.

فآيـــة آل عمران مثلا الوارد فيها لفظ السنن سبقتها سنة إعداد الجنة للمتقين المتصفين بجملة صفات ذكرها الآيات الأربع السابقة لآية السنة، وتلتها سنة العلو في الأرض وشروطه وسنة الابتلاء ووظيفتها **(** وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ **)** (1).

(وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ **)** (2).

(إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ. وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ. أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ **)** (3).

ومثل ذلك في بقية موارد لفظ السنة، فأينما وجدنا لفظ السنة وجدنا سننا.

- **السنة بلفظ الآية:** سنن كثيرة –طبيعية خصوصا- وردت بلفظ الآية **(** وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ **)** (4).

---

1 - آل عمران: 133.
2 - آل عمران: 139.
3 - آل عمران: 140-142.
4 - الروم: 23.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- **الســـنة بلفـــظ العبرة:** يدعونا القرآن للاعتبار بكثير من السنن: **﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾** (1).

- **السنة بلفظ العاقبة:** كما في قوله تعالى: **﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾** (2).

- **الســـنة بلفـــظ السبب:** وذلك كما في قصة ذي القرنين الذي جاب الأرض فاكتشف الكثير من السنن وسخرها **﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا . فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾** (3).

- **السنة بلفظ الصبغة:** وردت مرة واحدة في القرآن الكريم مقرونة بسنة أن الإيمان سبيل تحصيل الهداية ورفع الشقاق: **﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾** (4).

- **السنة بلفظ الفطرة:** كقوله تعالى: **﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ . فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ**

---

1 - النحل: 66.
2 - الأعراف: 128.
3 - الكهف: 83-85.
4 - البقرة: 137-138.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [1].

2-**الشكل التقريري:** وهو أن يقرر القرآن الكريم نتيجة معينة بناء على صفة أو حال أو سبب أو شرط، فيكون التقرير وصفيا أو حاليا أو سببيا أو شرطيا:

- **التقريـــر الوصـــفي:** من أمثلته في القرآن الكريم كون الخيرية أو الفلاح أو الجنة نتيجة لــصفات معيـــنة ذكرها الآيات التالية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [2].

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [3].

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [4].

- **التقرير الحالي:** أي أن يرتب القرآن نتيجة معينة بناء على حالة معينة لأمة أو فرد إطلاقا مشخصا لا كما في النوع الأول الذي يطلق فيه الوصف مجردا.

ومن أمثلة هذا الشكل قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [5].

- **التقرير السببي:** فيذكر السبب والنتيجة المترتبة عنه؛

---

1 - الروم: 29-30.
2 - آل عمران: 110.
3 - المؤمنون: 1-5.
4 - القصص: 83.
5 - الأنبياء: 11.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فسبب وسطية الأمة الإسلامية هو تأهيلها للشهادة على الناس: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

وسبب الاستخلاف هو الابتلاء: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

وسبب خلق الأزواج هو السكن إليها: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

-**التقرير الشرطي**: بأن يذكر الشرط متعلقا بجزائه كما في آيات كثيرة:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾[4].

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[5].

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[6].

ومن أمثلة هذا النوع آيتي التدافع محور هذا البحث في البقرة والحج:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾[1].

---

1 - البقرة: 143.
2 - الأنعام: 165.
3 - الروم: 21.
4 - الرعد: 11.
5 - الطلاق: 2-3.
6 - آل عمران: 159.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2].

3- **الـــشكل الخبري:** قد يخبرنا الله عز وجل عن سنّته دون تصريح بكونها سنّة، لكنّ لغة الآية وسياقها يفيدان ذلك، وقد تجيء مثبتة أو منفية أو مؤكدة:

-**السنة خبرا مثبتا:** من ذلك:

﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[3]. ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[4]. ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[5].

- **الـــسنّة خبرا منفيا:** كقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[6]. ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾[7]. ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾[8]. ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[9].

4- **الشكل الإنشائي:** كأن تكون السنّة أمرا أو نهيا أو استفهاما أو استثناء أو حصرا...

- **السنة في شكل أمر:** ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[10].

---

1 - الحج: 40.
2 - البقرة: 251.
3 - النساء: 28.
4 - الإسراء: 20.
5 - آل عمران: 14.
6 - الأحزاب: 4.
7 - فصلت: 49.
8 - فصلت: 34.
9 -الأعراف: 16-17.
10 - آل عمران: 103.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[1].

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[2].

- **السنة في شكل نهي:** ﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾[3].

---

1 - القصص: 77.

2 - التوبة: 122.

3 - الأحزاب: 48.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1].

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[2].

- **السنة في شكل استفهام:** ﴿ الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[3].

أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[4].

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾[5].

- **السنّة في شكل استثناء:** ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾[6].

﴿وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[7].

السنة في شكل حصر:

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾[8].

﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[9].

5- الــــشكل التمثيلي: الأمثال والقصص القرآني منابع السنن؛ بالتصريح في ثنايا القصة أو

---

1 - لقمان: 18.
2 - الأنفال: 46.
3 - العنكبوت: 1-2.
4 - آل عمران: 162.
5 - القلم: 35.
6 - المعارج: 21-22.
7 - العصر: 1-3.
8 - التوبة: 51.
9 - العنكبوت: 64.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المثل أو بعدهما، أو بالتلميح من خلال سياق القصة أو المثل.

فسورة القصص مثلا "شرح مستفيض لعواقب الحكم الفردي والاستبداد السياسي، وشرح آخـــر لعواقب الطغيان الاقتصادي والاغترار بالمال العريض، من خلال نموذجي الفرعونية الحاكمة والقارونية الكانزة"[1].

والمـــتأمل في الـــسورة يجد حشدا من السنن المدللة بحوادث قصة سيدنا موسى مع فرعون وهامان وقارون:

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾[2].

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[3].

"وفي أطواء فصول مثيرة من الغربة والسجن والإغرار والظلم يبرز قانونان جليلان –في ثنايا قـــصة سيدنا يوسف –عليه السلام-: الأول: ﴿ قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[4].

والـــثاني: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ

1 - محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين، دار القلم، دمشق، 1421هـ/2000، ص30.
2 - القصص: 5-6.
3 - القصص: 83.
4 - يوسف: 90.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكَافِرُونَ﴾ [1]." [2].

والأمثال القرآنية كذلك منابع السنن، واستنباط هذه السنن هو مقصد ضرب هذه الأمثال:

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾[3].

6- **الشكل الترتيبي**: السنن من الله عز وجل، فلذلك نجده تعالى يرتبها في القرآن الكريم على وصف من أوصافه أو فعل من أفعاله جل وعلا .

فالسنة من إرادة الله: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [4].

والسنة من مشيئة الله: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[5] .

والسنة من قضاء الله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾[6]

---

1 - يوسف: 87.
2 - محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين، ص30.
3 - الرعد: 17.
4 - البقرة: 185.
5 - الحج: 5.
6 - فصلت: 12.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والسنة من قدر الله: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾[1].

والسنة من أمر الله: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[2].

والسنة من رحمة الله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[3].

والسنة من إذن الله: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾[4].

والسنة من كتابة الله: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[5].

والسنة من حكم الله: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[6].

والسنة من كلمة الله: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[7].

والسنة من قول الله: ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[8].

---

1 - يس: 39.
2 - التوبة: 48.
3 - هود: 118-119.
4 - الحج: 65.
5 - المجادلة: 21.
6 - يونس: 109.
7 - الشورى: 24.
8 - يس: 7.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والسنة من خلق الله: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ... هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1].

والسنة من جعل الله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

والسنة من إنشاء الله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[3].

خلاصة القول:

بعد عرض كل هذه الأشكال أقول: لقد تنوعت وتعددت تعبيرات القرآن الكريم عن سنّة الله، وقد حاولت أن أعرض نماذج لها، لأنّ معرفة هذه الأشكال تمكننا من اكتشاف أكبر قدر ممكن من السنن من خلال كتاب الله مباشرة دون واسطة من تجربة ومعايشة.

ولا حاجة للتذكير أنّ السنن التي نطق بها القرآن الكريم تصريحا أو تلميحا، آكد السنن وأثبتها وأسهلها استخراجا وأمتنها وأدلّها ورودا وأوثقها لفظا ومعنى، ذلك أنّ صحتها من صحّة كتاب الله، وصدقها راجع لصدقه، وثباتها نابع من عصمة القرآن الكريم، وخلودها كامن في خلود كلام الله عز وجل.

المطلب الثاني: الصياغة الاصطلاحية للسنن في الاستعمال القرآني

1 - لقمان: 10-11.
2 - البقرة: 30.
3 - الأنعام: 141.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مـــن المعلـــوم أن تعدد الألفاظ المعبرة عن معنى واحد في اللغة عامة، وفي لغة القرآن خاصة، يسهم بقوة في صياغة صورة اللفظ ومدلولاته المعبرة عن فحواه ومحتواه.

ولا شـــك أن أقرب المعاني وألصقها بمفهوم السنة هي: القانون، الضابط، الناموس، العادة، لكنها مصطلحات لم يستعملها القرآن الكريم فلا تعنينا هنا.

أما المصطلحات التي عبّر بها القرآن عما يدل على معنى السنة ويقترب منه، فهي:

- **إرادة الله، مشيئته، إذنه، أمره، قضاؤه، قدره، قوله، كلمته، كتابته.**
- **الطريقة، الشريعة، السبيل، المنهاج.**
- **الآية، الفطرة، الصبغة**
- **السبب، العاقبة، المثل، العبرة.**

وقـــد صـــنفت هـــذه المصطلحات إلى هذا التصنيف الرباعي نظرا لما يدل عليه سياق كل مجموعة من حيث التصور الوجودي للإنسان المسلم.

- فالمجموعة الأولى (**إرادة الله، مشيئته، إذنه، أمره، قضاؤه، قدره، قوله، كلمته، كتابته**) تعـــبر عـــن إلهـــية السنن وشكل تعبيرها عن تعلق الحياة الإنسانية وكل المفردات الكونية، بالعناية الإلهية.

- فحـــياة الـــناس محكومة بسنن تعبر عن قضاء الله وقدره، وهي تجلي إرادة الله ومشيئته. وتحقق متعلقات السنن لا يكون إلا بإذن الله وأمره، والسنن تعبير عن قول الله وكلمته وكتابته.

- أمـــا المجموعة الثانية (**الطريقة، الشريعة، السبيل، المنهاج**) فهي تعبير عن هداية الوحي وكيفـــية تجـــسيد السنن لها، فتناغم المؤمن مع سنن الوحي وهداية أحكامه اتباع للطريق المستقيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والشرع القويم وانتهاج لسبيل النجاح والنجاة في الدنيا والآخرة.

- وألفـــاظ من مثل **(الآية، الفطرة، الصبغة)** فتحيلنا بجلاء على الكون وما فيه من آيات باهرة وفطر أصيلة تضفي عليه صبغة إلهية خاصة.

- أمـــا الحـــياة وحركة التاريخ فيتلخص نصيبها السنني من مصطلحات القرآن في ألفاظ **(الـــسبب، العاقـــبة، المثل، العبرة)** فسنن التاريخ تتجلى في عواقب الأمم التي تذهب أمثالا وعبرا للاحقين، عبر تقصي أخبار من سبقوهم ومعرفة أسباب ما فعلوه ونتائجه.

- لـــذا، ومـــن خـــلال هذا التحليل يمكن تحديد أربع أشكال قرآنية لصياغة السنن عبر المصطلحات المقاربة لها في المعنى، وهي على الترتيب السابق:

1. الصياغة الإلهية للسنن
2. الصياغة الهدائية للسنن
3. الصياغة الكونية للسنن
4. الصياغة التاريخية للسنن

أولا: <u>الصياغة الإلهية للسنن</u>

ســبقت الإشـــارة إلى أن القرآن عبر عن الحضور الإلهي في حركة السنن عبر المصطلحات التالية: **إرادة الله، مشيئته، إذنه، أمره، قضاؤه، قدره، قوله، كلمته، كتابته.**

1. **إرادة الله:** الإرادة النزوع إلى الشيء أو عدمه (أي في المبتدأ)، أو الحكم فيه بالفعل أو عدمـــه (أي في المنتهى)، فالإرادة في المبتدأ هي إرادة الإنسان، والإرادة في المنتهى هي من إرادة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله.[1] فالإنسان يترع إلى الفعل أو لا يترع، لكن الذي يحكم في الفعل أو لا يحكم هو الله. والحكم في الأفعال هو جريان سنن الله فيها.

فقوله: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[2]. يعني حكم الله فيكم باليسر لا بالعسر، لأنه يعلم الأوفق لكم والأرفق بكم وما تترع إليه نفوسكم وتصلح به، فاليسر بالخلق من إرادته سبحانه، وهو سنة من سننه في خلقه، فالسنة من إرادة الله، وكل السنن المقرونة بإرادة الله تفهم بهذا المعنى:

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[3].

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[4].

2. **مشيئة الله:** ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [5].

فمشيئة الناس هي إصابة الفعل، أما مشيئة الله فهي إيجاده والحكم فيه[6]، فهي مثل إرادته، وكلتاهما حاكمة للسنن مسيرة لها: ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[7].

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[8].

---

1 - الفيروز أبادي، البصائر، 171/2.
2 - البقرة: 185.
3 - القصص: 5.
4 - النساء: 28.
5 - التكوير: 29.
6 - بصائر ذوي التمييز، 363/3.
7 - البقرة: 105.
8 - آل عمران: 6.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1].

3. **إذن الله:** إذن الله إنفـــاذه إرادته ومشيئته، وإجراؤه سنن الكون وفق ذلك:﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2]. ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾[3].

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[4]. فبإذن الله إذن تحقق سننه وجريانها وفق إرادته ومشيئته.

4. **أمر الله:** هو التجسد الواقعي الفعلي لإرادة الله ومشيئته وإذنه:

﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[5].

وقال: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[6]. ﴿ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[7].

---

1 - الأنعام: 39.
2 - البقرة:251.
3 - آل عمران: 145.
4 - التغابن: 11.
5 - التوبة: 48.
6 -هود: 44.
7 - الشورى: 53.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[1].

"فهو تقريب إلى الذهن في المجاز، والأمر أهون من ذلك جدا في إرادة الخلاق،وإنما يهال الذهن المغلق بهذا التقدير لأنه يظن أن مسألة الخلق مسألة حمل وانتقال وتحريك أثقال وحيرة بين الأرقام والمقادير الموزعة في آفاق الفضاء السحيق"[2]

فأمر الله يتحقق بالفعل من ثواب أو عقاب، وهو الجزاء السنني للبشر نتيجة موقفهم من سنن الله إيجابا أو سلبا.

5. **كلمة الله:** كلمة الله سننه المبثوثة في خلقه: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[3]. ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾[4].

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[5].

وكلمة الله معجزته: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾[6].

فولادة المسيح من غير أب معجزة إلهية وكلمة منه سبحانه.

---

1 - يس: 82.
2 - العقاد: الفلسفة القرآنية، ص26.
3 - الأنعام: 125.
4 - الزمر: 19.
5 - يونس: 64.
6 - النساء: 171.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

6. **قول الله:** يأتي بمعنى كلمته في عدة مواضع من القرآن الكريم منها: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]. ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[2].

7. **كـــتابة الله:** ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[3]. أي أجرى سننه الاجتماعية بذلك. ويقول تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[4]. أي كانت سنتنا التشريعية فيهم كذلك.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[5]. أي سنة تحكمه بداية ونهاية.

8. **قضاء الله:** قضاء الله فصله في الأمر وحكمه فيه [6]:

﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾[7].

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[8].

---

1 - يس: 7.
2 - مريم: 34.
3 - المجادلة: 21.
4 - المائدة: 45.
5 - الرعد: 38.
6 - الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز،276/4.
7 - فصلت: 12.
8 - الإسراء: 23.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[1].

﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾[2]. فقضاء الله سننه حسب ما يفهم من هذه الآيات ومثيلاتها.

9. **قدر الله:** ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[3].

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾[4].

﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾[5].

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾[6].

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾[7].

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾[8].

فقدر الله صنعه وجعله، وعلمه وحكمه، وقدرته وقوته[9]، وكلها تتجسد في سننه في كونه

---

1 - الأنعام: 2

2 - مريم: 21.

3 - يس: 39.

4 - فصلت: 10.

5 - المزمل: 20.

6 - الرعد: 26.

7 - المرسلات: 23.

8 - الأحزاب: 38.

9 - الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، 244/4.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ووحيه. يقول تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ [1]. ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [2] وبمقابلة النصين نفهم أن القدر هو إعطاء كل شيء خلقه [3]. أي بث السنن في كل خلق حسب ما قدره الله لذلك الخلق.

ثانيا: الصياغة الهدائية للسنن

إن سنن الهداية المختزنة في الوحي الإلهي هي خلاصة الطريقة والشريعة التي اختارها الله منهاجا وسبيلا للمؤمنين.

لذلك فقد عبر القرآن عن السنن بهذه المصطلحات: **الطريقة، الشريعة، السبيل، المنهاج.**

1. **الطريقة:** إن معنى الطريقة أحد المعاني اللغوية الأصلية للفظ السنة، والمعنى التشريعي للسنة مبني على معنى الطريقة، فسنة النبي -صلى الله عليه وسلم – طريقته في العمل.

والسنة كذلك طريقة الله تعالى في معاملته خلقه. وارتباط معنى الطريقة بالمعنى التشريعي يجعلني اعتبر استعمال القرآن للفظ الطريقة يدل على السنن التشريعية من أوامر ونواهي متضمنة في نصوص الوحي. يوظف السياق مصطلح الطريقة فيقول تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [4]، فالاستقامة على نهج التعامل مع سنن الله هو السبيل لكسفها وتسخيرها، وتحصيل نتائجها التي منها ﴿ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ وخص الماء بالذكر دون سائر آثار الالتزام بالسنن لأن الماء

---

1 - الأعلى: 3.
2 - طه: 50.
3 - الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، 244/4.
4 - الجن: 16.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أصل المعاش، وكما يقال: حيثما كان الماء كان المال، وحيثما كان المال كانت الفتنة.[1] ففي الآية الكـــريمة ثلاث سنن: سنة أولى هي أن "الاستقامة طريق الخير العميم" يشير إليها أول الآية ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ وسنة ثانية هي أن "الخير الذي هو نتاج الاستقامة فتنة من الله لـــنا" وإليها تشير الآية: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾، وسنة ثالثة هي أن "سوء استخدام الخير عاقبته العذاب الأليم في الدنيا والآخرة" وهو ما تشير إليه بقية الآية: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا.﴾[2]

وهـــذا الفهـــم يعطينا تصورا أوضح للتعامل مع اللفظ في مواضعه القرآنية، أشملَ من مجرد الطريق الواسع الذي درج المفسرون على الوقوف عنده، فطريق الاستقامة وطريق جهنم هما طريقا التعامل مع السنن المؤدية إلى إحدى الدارين؛ فمن التزم بالسنن التشريعية وأحسن العمل بها أدّى به ذلـــك إلى ســـنن دخـــول الجنة، ومن فرّط في السنن وخالفها فقد اختار طريق جهنم واتبع سنن دخولها.

2. **الـــشريعة:** ما يصدق على معنى الطريقة يصدق على معنى الشريعة، فطريقة الله هي شريعته، وهي سننه التشريعية.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[3].

- 1 تفسير المراغي، 101/10.
- 2الجن: 17.
3 - الشورى: 13.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [1].

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [2].

فالله سنّ لنا سننا تشريعية كما سنّها لكل أمة قبلنا، وتسمية السنن بالشرائع هو مختار الكثير من المفسرين، وهو المنقول عن عطاء -رضي الله عنه. [3].

3. **الـــسبيل:** وبنفس المعنى يستعمل السياق القرآني مصطلح السبيل الذي هو كذلك سنن الله التشريعية في مقابل "السبل" بالجمع التي هي القوانين الوضعية المنحرفة عن سبيل الحق.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [4]. ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [5].

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [6].

وقد جعل الإمام الطبري معنى السبيل أحد معاني لفظ السنة في القرآن [7].

4. **المنهاج** : من معاني السنة كذلك المنهاج كما يذكر الإمام الطبري وبعض المفسرين [8] ومصطلح المنهاج مذكور في آية واحدة من القرآن الكريم هي قوله تعالى:

---

1 - المائدة: 48.
2 - الجاثية: 18.
3 - انظر مثلا: الآلوسي،روح المعاني،65/4. الخازن، لباب التأويل،300/1. القمي، غرائب القرآن،263/2. ابن الجوزي، زاد المسير،465/1. ابن عطية، المحرر الوجيز،332/3.
4 - الأحزاب: 4.
5 - الإنسان: 3.
6 - الأنعام: 153.
7 - الطبري، جامع البيان، 29/4.
8 الطبري،جامع البيان، 29/4، السمرقندي، بحر العلوم، 300/1، الخازن، لباب التأويل، 300/1.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) .[1]

ثالثا: الصياغة الكونية للسنن

لا شـــك أن لفـــظ الآيـــات نال نصيبا وافرا في السياق القرآني، في مقام الحدث عن السنن الكونية، إلى جانب ألفاظ مثل الفطرة والصبغة المعبرة عن التعبد الفطري لكل المخلوقات لله.

لذلك تلخصت الصياغة الكونية للسنن في مصطلحات: **الآية، الفطرة، الصبغة.**

1. **الآيـــة:** إذا صـــنفنا المصطلحات المقاربة للسنة بحسب قرب معناها من معنى السنة ومرادفتها له، تكون لفظة "الآية" ألصق مصطلح قرآني بلفظ "السنة" وأكثرها مناسبة ليكون مرادفا للسنة في الاستعمال القرآني.

1 المائدة: 48.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالآية سنة الله في الطبيعة: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴾[1]. ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾[2].

والآيــة سنة الله الاجتماعية: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾[3].

والآية سنة الله التشريعية: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[4].

والآية أيضا سنة الله الخارقة أي معجزاته، ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾[5].

2. **الفطــرة:** الفطــرة هي الجبلة القابلة لدين الحق[6] التي خلق الله عليها خلقه، ومن ذلك قوله –صلى الله عليه وسلم-"كل مولود يولد على الفطرة"[7]؛

فهي بهذا المعنى موافقة للسنة، فالله خلق هذا الكون –بما فيه الإنسان- على سنن جبله عليها،وجعلها مؤدية به إلى دين الله إن هو اتبعها و لم يستجب لداعية هواه. فالدين من سنة الله في

---

1 - الروم: 22.
2 - يس: 33.
3 - آل عمران: 13.
4 - البقرة: 187.
5 - القصص: 36.
6 - الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، 200/4.
7 - رواه البخاري ومسلم وأحمد ومالك والترمذي وأبو داود من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-. انظر: محمد بن اسماعيل البخاري: الجامع الصحيح، مراجعة د.مصطفى ديب البغا، دار بن كثير، اليمامة- بيروت، ط1407هـ/1987م، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ح1319، 465/1. سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبو داود، مراجعة محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د.ت، باب في ذراري المشركين، ح4714، 229/4. وقد صححّه الألباني.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلقه وفطرته فيهم: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [1].

3. **الصبغة:** سنن الله في الإيمان والهداية واحدة، ومخالفتها مدعاة للشقاق والهلاك، وهذه سنة الله وصبغته (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) [2]

رابعا: الصياغة التاريخية للسنن

إذا كان التصور الوجودي يرتكز على ثلاثية (الله-الكون-الإنسان) فإن حركة الإنسان في الكون نحو الله تشكل في تراكمها التاريخ، المحكوم بسنن إلهية صارمة، سجل التاريخ أمثلة عديدة لها، خاصة في صورة المخالفين وعواقبهم السننية الوخيمة، بسبب كسب أيديهم، مما عله عبرا ومثلات للآخرين.

وهذا ما أكد عليه القرآن في سياقات كثيرة، معبرا بالمصطلحات التالية: **السبب، العاقبة، المثل، العبرة.**

---

1 - الروم:30.

2 - البقرة:137-138.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1. **الــسبب**: السبب ما يتوصل به إلى غيره، ولذلك يطلق لغة على الحبل، والمعرفة سبب لكونها يرتقى بها إلى تسخير الأشياء .[1]

وبهذا المعنى لا يختلف السبب عن السنة، فالسنة سبب يتوصل به إلى معرفة الكون وتسخيره وحـــسن التعامل معه. والعلم بالأسباب هو الذي مكّن ذا القرنين من تسخير الكون بتلك الصورة الراقية التي وصفتها الآيات الواردة فيها قصته في سورة الكهف:

(إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا . فَأَتْبَعَ سَبَبًا **)** [2] ؛ أي اتبع السنن وتعرّف عليها بما آتاه الله من قدرة العقل، وبما أتيح له من السير في الأرض والنظر فيها.

2. **العاقــبة**: العاقبة جزاء الأمر وآخر الشيء[3] فهو قريب من معنى السنة التي هي الجزاء الإلهـــي العادل لفعل الإنسان والنتيجة الأخيرة لكل سلوك، وقد رأينا أن بعض المفسرين يفسرون الـــسنة بالعقاب وعاقبة الفعل، والعقاب عاقبة سننية للفعل كما في قوله تعالى: **(** إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ **)** [4] فمكذبوا الرسل حقت فيهم سنة الله بالعذاب.

ومـــوارد لفظ العاقبة كلها تدل على سنة الله في المتقين أو المفسدين والظالمين والكافرين: **(** تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ **)** [5].

---

1 الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، 169/3.
- 2 الكهف:84-85.
- 3 الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، 81/4.
- 4 ص:14.
5 - هود:49.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [1]...

3. المــثل–الأمثال–المثلات: في القرآن أمثال عديدة، وهي ذاتها سنن، بعضها صريح وبعـــضها متضمن في معناها. وقد جعل الإمام الطبري المثل والمثلات من معاني السنة ناقلا ذلك عن ابن إسحاق وابن زيد [2].

وبـــتأمل موارد هذا المعنى في القرآن الكريم نجده دالا على معنى السنن: ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ [3] ففـــي هذه الآية إيحاء واضح للسنن معنى ومبنى. ومثله كثير من الآيات: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[4]. ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ [5]. أما المثلات فوردت مرة واحدة في القرآن: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ﴾ [6].

4. العـــبرة: العبرة تتضمن معنى التجاوز من حال إلى حال، فهي الحالة التي يتوصل بها من معرفة المُشَاهَدِ إلى ما ليس بمُشَاهَد[7]. أي بالنظر في المُشاهَد من ظواهر الكون وحقائقه يتوصل إلى معرفة السنن المختفية وراء تلك الظواهر والحقائق.

فالاعتبار ليس إلا اكتشاف السنن.فالعبرة سنة الله الطبيعية: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي

---

1 - النمل: 14.
2 - الطبري، جامع البيان، 3/443-444.
3 - الزخرف: 8.
4 - الزمر: 27.
5 - محمد: 10.
6 -الرعد : 6.
7 - الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز، 4/14-15.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الْأَبْصَارِ) [1]

والعـــبرة سنة الله الاجتماعية: (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ) . [2]

(فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى) . [3]

---

1 - النور:44.

2 - آل عمران:13.

3 - النازعات: 25-26.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثالث : مجال السنن الإلهية في القرآن الكريم

وردت سنة الله في القرآن الكريم في معرض الحديث عن وقائع بشرية كما يقول من لاحظوا ذلك:

فالدكتور أحمد حسن فرحات يقول: "أول ما يلاحظه الباحث في صيغة سنة الله القرآنية أنها تذكر وكأنها[1] خاصة بسنن التاريخ".[2] ويقول جودت سعيد:"السنن التي يعنيها القرآن الكريم هي سنن المجتمع والأنفس، وليست سنن الآفاق".[3]

ولقد تتبعت ذلك فوجدته كذلك، فسياق ورود كلمة "سنة الله" في المواضع الإحدى عشر من القرآن الكريم يحصرها في السنن البشرية، فقد جاءت السنة في معرض الحديث عن تكذيب الأمم السابقة لرسلها واستفزازها لهم.[4] كما جاءت لفظة السنة عند الحديث عن وقائع بشرية على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، بعضها ذات بعد اجتماعي، وبعضها ذات بعد عسكري؛ فالوقائع العسكرية كان موضوعها غزوتي بدر[5] وأحد[6]، وفتح خيبر وصلح الحديبية.[7]

أما الوقائع الاجتماعية فكان محورها موضوع الزواج عموما[8]، وزواج النبي –صلى الله عليه

1- قوله "وكأنها" كلام غير منضبط، فمن المفترض أن يقدم رأيا واضحا في المسألة لا قولا مترددا، فإما أن السنة في القرآن خاصة بسنن التاريخ، أو أنها تذكر معها وليست خاصة بها دون غيرها، وهذا ما يبين تردد رأيه وعدم متانته.

2 - د.أحمد حسن فرحات، سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، ص12.

3- جودت سعيد، اقرأ وربك الأكرم، ص87.

4- الحجر: 13، الإسراء: 77، الكهف: 55، غافر: 85، فاطر: 43.

5- الأنفال: 38.

6 - آل عمران: 137.

7 - الفتح: 23.

8- النساء: 26.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسلم- من زينب طليقة زيد ابنه بالتبني في الجاهلية[1]، وقصة المنافقين المرجفين في المدينة حول زوجات النبي وما تبعه من أمرهن بالحجاب.[2]

فالسنة الواردة في القرآن الكريم إذن، خاصة بسنن الأنفس والمجتمع، وهنا يطرح إشكال:

ماذا يعني تخصيص القرآن للسنة بالسنن الاجتماعية دون السنن الطبيعية؟

يرى الدكتور أحمد حسن فرحات أن "استقراء استعمال سنة الله في القرآن يرينا أنها واردة في سنن التاريخ والاجتماع، ومن ثم لا يجوز تعميمها على كل السنن بدلالة النص مراعاة لمورد الاستعمال، كما لا يمكن أن نجعل اللزوم لسنن الكون بطريق القياس على سنن التاريخ والاجتماع، لأنه قياس مع الفارق".[3]

ومؤدّى هذا الرأي أن تخصيص "سنة الله" بسنن الأنفس فقط يقتضي أن تكون هي وحدها المتصفة بعدم التبديل وعدم التحويل الموصوفة بهما السنة، أما سنن الكون المادي فلا تتصف بذلك لأنها ليست مشمولة بلفظ "سنة الله" الوارد في القرآن الكريم.

ولذلك –حسب الدكتور أحمد حسن فرحات دائما- فإن سنن الكون قابلة للخرق بالمعجزات، وسبب ذلك –كما يرى- أن سنن الكون من فعل الله المبني على المشيئة والحكمة الإلهية، ومشيئة الله وحكمته قد تقتضي جريان السنة، وقد تقتضي تغييرها وتبديلها، بخلاف سنن التاريخ والاجتماع، والتي رغم انبنائها على المشيئة –كما يؤكد الدكتور أحمد حسن فرحات- إلا أن فيها معنى ترتب الفعل على عمل الإنسان من خير أو شر، ويربط ذلك بالعدل الذي هو صفة

1- الأحزاب: 38.

2 - الأحزاب: 62.

3- أحمد حسن فرحات، سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، ص45..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثابـــتة دائمـــة لله، فما دامت سنن الاجتماع مبنية على عمل الإنسان، فمن العدل ثباتها ولزومها ليستوي الجزاء على العمل عند تماثل أعمال العاملين ويختلف عند اختلافها.

ثم يستطرد قائلا: "ولكننا مع ذلك نرى الاطراد فيها –أي في سنن الكون- غالبا، والثبات فيها عاما، لكن اللزوم لا دليل عليه".[1]

فالـــتجارب العلمية التي تترتب فيها الآثار على الأسباب بثبات واطراد في الماضي والحاضر، وســـتظل كذلك في المستقبل –بإذن الله-، هذه التجارب –على حد رأيه- تفيد العموم ولا تفيد اللزوم[2]، ومن ثم فإنه يرى أننا لا نستطيع أن نجزم بأن التجارب التي ستكون في المستقبل ستترتب عليها نفس النتائج التي تترتب على مثيلاتها من التجارب السابقة.

ويستـــشهد بـــرأي للعقاد في هذه المسألة، إذ يقول: "أن التلازم بين الأسباب والنتائج في الوقائـــع الطبيعـــية ليس تلازما عقليا كتلازم المقدمة والنتيجة في القضايا العقلية، وإنما هو تلازم المشاهدة والإحصاء، وغاية ما نملكه فيه أن نسجل هذه المشاهدة أو هذا الإحصاء".[3]

ويحـــيل العقاد نفسه على كلام للإمام الغزالي حين يرد على الفلاسفة: "إن الخصم يدعي أن فاعـــل الاحتـــراق هو النار فقط، وهو فاعل بالطبع لا بالاختيار، فلا يمكنه الكف عما هو طبعه، ولكـــن هذا غير صحيح، إذ أن فاعل الاحتراق هو الله تعالى بواسطة الملائكة أو بغير واسطة، وأما النار فهي جماد لا عقل لها، وليس للفلاسفة من دليل على قولهم إلا مشاهدة الاحتراق عند ملاقاة

1- أحمد حسن فرحات، سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، ص46..

2 - نفسه.

3 عباس محمود العقاد، الفلسفة القرآنية، المكتبة العصرية-بيروت-لبنان، د.م، ص23.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النار، والمشاهدة تدل على الحصول عنده ولا تدل على الحصول به".[1]

ثم يـــستأنف العقاد قائلا: "فالسبب لا يوجد المسبب، بل هو حادث سابق له أو مقترن به، يلازمـــه كلما حدث على نسق واحد.. فالأسباب مجرد مقارنات تصاحب المسببات ولا تغني عن تقدير المصدر الأول لجميع الأسباب وجميع الكائنات".[2]

وعلـــى هـــذا، يمكن تفسير المعجزات والخوارق، فهي "شيء لا يخالف العقل، لكنه يخالف المألـــوف والمتواتر في المحسوس... فكل عمل خلق مباشر في إرادة الله، فلا فرق عقلا بين وقوع المعجزة ووقوع المشاهدات المتكررة في كل لحظة" [3]

فالمعجـــزات حسب العقاد "لا يمتنع عقلا وقوعها، لكن يمتنع عقلا وقوعها عبثا لغير ضرورة [4]، فكل الحوادث بإذن الله وإرادته ومشيئته، سواء تكرر ما تعودنا على رؤيته بعد كل سبب، أو حدث ما يخرق هذه العادة مما يشاؤه الله، وتكون الحكمة في كونه كذلك لا كما تعودنا خلافه.

ويـــؤيد شـــيخ الإسلام هذا الرأي حين يرد على السهروردي المقتول وأتباعه القائلين بأن العادات الطبيعية من سنن الله الثابتة، فيقول:"العادات الطبيعية ليس للرب فيها سنة لازمة، فإنه قد عـــرف بالدلائل اليقينية أن الشمس والقمر والكواكب مخلوقة بعد أن لم تكن، فهذا تبديل وقع، وقد قال تعالى: { يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ }[5]

وأيـــضا فقد عرف انتقاض عامة العادات، فالعادة في بني آدم ألا يخلقوا إلا من أبوين، وقد

1- العقاد، الفلسفة القرآنية، ص23.
2- نفسه، ص24،22.
3- نفسه، ص27.
4- العقاد، الفلسفة القرآنية، ص27.
5- سورة إبراهيم: 48.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلق المسيح من أم، وحواء من أب، وآدم من غير أم ولا أب. وإحياء الموتى متواتر مرات متعددة، وكذلك تكثير الطعام والشراب لغير واحد من الأنبياء والصالحين عليهم السلام.

وأيضا فعندكم تغيرات وقعت في العالم كالطوفانات الكبار التي فيها تغيير العادة، وهذا خلاف عادته التي وعد بها وأخبر أنها لا تتغير كنصرة أوليائه وإهانة أعدائه، فإن هذا علم بخبره وحكمته، أما خبره فإنه أخبر بذلك ووعد به، وهو الصادق الذي لا يخلف الميعاد.

وأما حكمته: فهذا يوافق طرق جميع طوائف أهل الملل الذين يقولون: مقتضى حكمته أن تكون العاقبة والنصر لأوليائه –كما بسّط ذلك في مواضع...

وأما الأمور الطبيعية فإما أن تقع بمحض المشيئة على قول، وإما أن تقع بحسب الحكمة والمشيئة على قول، وعلى كلا التقديرين فتبديلها وتحويلها ليس ممتنعا كما في نسخ الشرائع وتبديل آية بآية، فإنه إذا علق الآية بمحض المشيئة فهو يفعل ما يشاء، وإن علقها بالحكمة مع المشيئة فالحكمة تقتضي تبديل بعض ما في العالم كما وقع مع كثير من ذلك في الماضي وسيقع في المستقبل، فعلم أن هذه السنن دينيات لا طبيعيات".[1]

1- ابن تيمية، جامع الرسائل، ص53-54. وينظر: فرحات:سنة الله، ص32-33.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالسنن حسب رأي الشيخ دينيات لا طبيعيات، ومعنى دينيات أن السنن ترد في القرآن بمعنى شرعي يقابله معنى كوني –كما فهم ذلك الدكتور أحمد حسن فرحات-[1] و لم يوضحه أكثر من ذلـــك، لكن لعله يقصد أن الدينيات هي السنن الاجتماعية المبنية على الجزاء، وهو مترتب شرعي على عمل الإنسان، وهذا مقتضى العدل الإلهي.

هـــذا مـــا فهمـــه هـــؤلاء العلماء من اقتصار "سنة الله" في الاستعمال القرآني على السنن الاجتماعـــية، وهذا ما جعل الدكتور أحمد حسن فرحات يتساءل: هل يمكن تعميم السنة لتشمل الطبيعيات؟

ولـــو عدنا للواقع، لوجدنا هذا التساؤل غريبا، فالواقع يطرح تساؤلا آخر: هل يمكن تعميم الـــسنن لتـــشمل الحياة الإنسانية؟ هذا ما يؤيده الواقع لا التساؤل الأول. والتطور المذهل للعلوم المادية في مقابل العلوم الإنسانية دليل على هذا.

ولعـــل الأقـــرب للصواب هو ما استنتجه الأستاذ جودت سعيد إذ يقول: "والله تعالى حين يذكـــر السنة في القرآن الكريم، يذكرها متصلة بالمجتمع وبالأنفس، لا بالطبيعة والآفاق، والناس لا يعرفون السنة إلا في الطبيعة، ولا يعترفون بها في الأنفس، ويعتبرون عالم الأنفس خارج الثبات أو خـــارج الـــسنن، وهذا مناقض لمنهج القرآن، بل لمناهج المسلمين السابقين، ولقد جاء إلى العالم الإسلامي قصر معنى العلم على الآفاق من المفهوم الغربي للعلم".[2]

ولا يبحث الأستاذ جودت عن شواهد لرأيه لأنه لا يحتاج إلى أدلة، فلزوم السنن كلها دون استثناء ضرورة لثبات العلم وتطوره، وبدون ذلك اللزوم يتوقف العلم وتتوقف الحياة.

1- د.أحمد حسن فرحات، سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، ص33.

2- جودت سعيد، اقرأ وربك الأكرم، ص89.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

"إن السنة ثابتة، وهذه حقيقة أولية، بل ويمكن أنه نقول إنها فطرية. إذ لا معنى للعلم إن لم يكـــن مـــستمرا وثابتا ودائما، والإنسان لا يتحرك، ولا يقضي من أمره شيئا، ولا يخطو خطوة واحدة إلا على أساس ثبات السنن".(1)

ثم لـــو عـــدنا لرأي الدكتور أحمد حسن فرحات، فهو لا ينفي كون سنن الطبيعة سننا فهو يقـــول: "أول مـــا يلاحظـــه الباحث في صيغة "سنة الله" القرآنية أنها تذكر وكأنها خاصة بسنن الـــتاريخ، والمقـــصود بذلك أنها لم تستعمل في القرآن إلا في هذا المجال، وهذا لا يعني عدم وجود ســـنن غيرهـــا.(2) فهو يعترف بكون سنن الطبيعة سننا، ولذلك يتساءل عن إمكان تعميم السنن لتشمل الطبيعيات، بل ويورد كلاما آخر لشيخ الإسلام ابن تيمية يصرح فيه بأن قوله تعالى:

{ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا }(3) يمكن أن تعم الطبيعيات والدينيات، لكن بشرط أن تعرف سنته.(4)

وحـــتى خـــرق السنن يعيد ابن تيمية تأويله قائلا:" وأنها – أي سنة الله - إذا نقضت فإنما تـــنقض لاختصاص تلك الحال بوصف امتازت به عن غيره،فلم تكن سنته مع ذلك الاختصاص، وإنما تكون مع عدمه"(5) وهو تفسير مقبول للمعجزات.

1- جودت سعيد، اقرأ وربك الأكرم ، ص89-90.
2- د.أحمد حسن فرحات، سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، ص12.
3- فاطر: 43.
4- ابن تيمية، جامع الرسائل،ص54. فرحات:سنة الله، ص34.
5- نفسه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحتى العقاد الذي يستند إلى رأيه الدكتور فرحات، لا يخص السنن بالحياة البشرية بل يعتبر سنن الطبيعة مشمولة بلفظ السنة في الاستعمال القرآني، إذ يقول[1]:

"فهناك سنه في الطبيعة: { سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ }[2] {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا }[3] { وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا }[4]

ولكن الخلق كله مرجعه إرادة الله أو كلمته، {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }[5]

فبعد كل هذا يتضح التردد في رأي الدكتور فرحات، فالسنن في القرآن لا تقتصر على السنن الاجتماعية رغم إيهام الاستقراء بذلك، بل هو اقتصار مقصود، حكمته كما وضح الأستاذ جودت هي التنبيه لسنن الأنفس وكونها أيضا لازمة مثل السنن الطبيعية.

والغريب أن الدكتور فرحات بقي مصرا على رأيه، واعتبر كلام ابن تيمية الأخير ترددا في الرأي وتأويلا لا ضرورة له، بل و"يلزم" ابن تيمية بكلامه الأول، ويرجح أن الأصح عند ابن تيمية كون السنن في القرآن قاصرة على السنن الاجتماعية. بل وأكثر من ذلك، يلزم ابن تيمية بحكمه في السهروردي وأتباعه، فلما اعتبر أنهم ملاحدة وآراؤهم إلحاد، فلا يعقل أن يخالفها ثم يعود لموافقتها، ليستنتج بعد ذلك أن تعميم السنة عنده غير وارد.[6]

وهذا الاستنتاج ليس بدليل، فسبب إلحاد السهروردي ليس كون السنة في القرآن عامة لكل

1- العقاد، الفلسفة القرآنية، ص24.
2- الأحزاب: 62.
3- الفتح: 23.
4- الإسراء: 77.
5- يس: 82.
6- د.أحمد حسن فرحات، سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، ص36-37.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السنن أو خاصة بسنن الاجتماع. ولا يعقل أن يكفّر شخص لهذا السبب. فثبات السنن الذي قال به السهروردي كان هدفه إثبات خلود العالم وهذا هو الذي جعل ابن تيمية يصفه بالملحد.

فالـــسنة إذن وردت في القرآن في سياق الحديث عن سنن بشرية، لكنها تبقى عامة تشمل ســـنن الطبيعة التي لم يسمها القرآن سنة، لكنه أشار إليها طويلا ودعا إلى الكشف عنها عبر السير في الأرض الذي عادة ما يرافق إيراد لفظ "السنة" في القرآن.

والسير في الأرض يجعلنا نكشف السنن الطبيعية قبل الاجتماعية، لأننا نصادفها أولا، والسير في الأرض وإن كان حسيا ومعنويا، إلا أن جانبه الحسي أظهر لأنه الأصل والحقيقة اللغوية لكلمة السير.

فـــسنن الكـــون الطبيعي والبشري كلها سنن في الاستعمال القرآني، وكلها لا تتبدل ولا تتحول.

أمـــا كـــون المعجزات خارقة لسنن الكون، فقد رد عنه ابن تيمية نفسه، فالسنن تصادف حالات خاصة تمتاز بوصف خاص مميز، يحتاج لسنن خاصة بها هي الخوارق والمعجزات.

فالسنن جارية، وللخوارق سنن خاصة إذا توافر مناخها الخاص تتدخل وتوقف عمل السنن الجارية ثم تعود لجريانها واطرادها كالسابق، وهذا الخرق نادر ومربوط بحكمة الله ومشيئته الحاكمة لكل السنن.

أمـــا مـــا قاله ابن تيمية من أن العادات الطبيعية مخلوقة لها بداية ولها نهاية فهذا لا ينفي ثباتها ولـــزومها، فالسنن كلها والكون كله مخلوق له بداية وله نهاية، ونهاية السنن هي نهاية الكون، فلن تبدل بغيرها لأن الدنيا كلها ستنتهي وتبدأ الحياة الآخرة بسننها الخاصة:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

{ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ}.[1]

وعـــن التغييرات الكبرى التي وقعت في العالم، فهي ذاتها آثار سنن تجري باطراد ولها آماد، لكـــن لطـــولها تبدو وكأنها خوارق، ولولا هذه التغييرات الكبرى لاختل توازن الكون وفسدت الأرض وانتهت منها الحياة.

وحاصل القول

أن الـــسنن كلـــها ثابـــتة مطردة، وكونها خاضعة للمشيئة الإلهية فلأن الله خالقها هو خارقهـــا، ومادام خرقها وتعطيل عملها بيد الله وحده، فلا منافاة بين ذلك وبين ثباتها واطرادها، ولو كان بمقدور البشر خرق السنن بإرادتهم الذاتية لكان ذلك طعنا حقيقيا في لزوم السنن.

1- إبراهيم: 48.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثالث: السياقات السننية في القرآن الكريم

إن الدلالة القرآنية لا تتوقف فقط عند اللفظ والمعنى، بل ترتبط أساسا بالسياق البنيوي الذي يطرح فيه القرآن اللفظ ويوظف عبره المعنى. وهذا ما يعطي للسياق القرآني خصوصيته النظمية التي ترتفع بلغة القرآن عن لغة اللسان.

ويجب الإقرار بداية أن السنن مبثوثة في القرآن الكريم بشكل لافت، بحيث يمكن القول أنه لا يكاد يخلو سياق قرآني من إشارة للسنن الإلهية تصريحا أو تلميحا، مجردة أو مجسدة، في شكل تمثيل إنشائي، أو توجيه خبري.

وهذا ما يجعلنا نقول إن السنن الإلهية هي روح القرآن الكريم وعصارته التنظيرية، هداية (الوحي) ورعاية (الأنفس) وعناية (الآفاق).

وقبل الغوص في تفاصيل السياقات القرآنية التي عرضت السنن الإلهية، جدير بنا أن نشير إلى حقيقة السياق القرآني.

المطلب الأول: السياق القرآني: المفهوم والأنواع

فقد تفاوت –بداية- ضبط الباحثين في موضوع السياق القرآني لمفهوم السياق نفسه؛

فالسياق عند البعض هو النسق النصي ذاته، بينما هو ما يحيط بالنص عند غيرهم.

فبالمعنى الأول، يعرّف الشيخ رفاعي سرور السياق القرآني قائلا:"هو مجموعة من الآيات التي تعالج موضوعا واحدا في إطار السورة، بحيث لا تخرج عن الموضوع العام للسورة"[1]

وبالمعنى الثاني نذكر تعريف الدكتور سعيد الشهراني، الذي يرى فيه أن السياق القرآني "هو ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية ، لها أثر في فهمه ، من سابق أو لاحق به ، أو حال من

1 - رفاعي سرور، المسيح عليه السلام دراسة سلفية، نقلا عن موقع الدعوة الإسلامية. www.eld3wah.net

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حال المخاطِب، والمخاطَب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه".[1]

وبتأمل المفهومين نجد أنهما على تناقضهما الظاهري، إلا أن مؤداهما العملي واحد، فالدراسة السياقية تستدعي المعنى الأول، بحكم أن السياق يصنعه النص نفسه، فلا يتحدد السابق واللاحق، والمقطع، إلا بضبط النص محل التفسير. لتتدخل بعدها العوامل المحيطة بالدراسة السياقية داخليا وخارجيا، وهو ما اهتم به النوع الثاني من التعاريف. وإن كان الضبط الاصطلاحي في التعريف الثاني أدق وأكثر جلاء، بل إن المعنى الأول متضمن في الثاني بالضرورة، باعتباره عاملا من العوامل الداخلية للنص القرآني.

وبتتبع السنن المبثوثة في كتاب الله، وتدبر سياقاتها، يمكن تحديد ثلاث سياقات قرآنية كمظان للسنن الإلهية:

1. **سياق هدائي** تشريعي يجمل سنن الوحي توجيها لأوصاف مطلوبة عقيدة وشريعة.
2. **سياق كوني** يرسم صورة قرآنية لآيات الكون وسنن الآفاق.
3. **سياق تاريخي** يجسد لنا سنن الأنفس والمجتمعات والأمم عبر تجاربها التاريخية.

وسأعرض في هذا المطلب للسياقات الثلاث إجمالا، ثم أخصص المطلبين التاليين لنموذج نظري ثم تطبيقي لسياق قرآني سنني تاريخي، وهو القصة القرآنية مجسدة في القصة البشرية الأولى: قصة آدم عليه السلام.

1 - سعيد الشهراني، السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ، عام 1427-2006م . ص22

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفرع الأول: السياق الهدائي في القرآن الكريم

أولا: مفهوم الهداية

الهداية لغة تدور حول جملة معاني ألصقها بها الدلالة ومنها البيان والإرشاد والتوفيق والإلهام.[1]

وأصل الهداية أنها من الله، فهو الهادي، وعلى ذلك درج اللسان العربي، قال الشاعر:

ولا تعجّلني هداك المليك فإنّ لكلّ مقام مقالا[2]

والهداية في الاصطلاح الدلالة بلطف على ما يوصل إلى المطلوب.[3]

وأصلها أن تكون دلالة على الخير في الدنيا والآخرة[4].

ولا يهم فيها حصول المطلوب بالفعل وقت الهداية أم لا.[5] بل يكفي فيها حصول نور الهداية في القلـــب لتحقق الهداية.[6] ويندر ورودها في غير سياق الخير، كما في قوله تعالى: [احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ(22) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ(23)] [7]

وإنما وصف سوق الكافرين إلى جهنم هداية من باب الاستهزاء والتهكم بهم.[8]

---

1 - ابـــن مـــنظور، لسان العرب، 176/3. ابن الأزهري، تهذيب اللغة، 220/11. العسكري، الفروق اللغوية، ت: محمد ابـــراهيم ســـليم،دار العلم والثقافة،القاهرة،د.ت، 36/1. الزبيدي، تاج العروس، 283/40. المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، 113/1.

2 - هـــذا البيت اشتهر عجزه لكونه مثلا سائرا، وقد نسبه المفضل بن سلمة في الفاخر ص253 وقال: أول من قاله طرفة بن العبد في شعر يعتذر فيه إلى عمرو بن هند وليس في ديوانه. ينظر الميداني، الأمثال، 125/2.

3 - الجـــرجاني، التعـــريفات،دار الكـــتب العلمـــية،بيروت،ط1، 1983/1403، 256/1. مجمـــع اللغة العربية، المعجم الوسيط،دار الدعوة،استانبول، 1989/1410، 978/2.

4 - محمد رواس قلعة جي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، دمشق، ط2 ، 1408هـــ/1988م، 493/1.

5 - الكفوي، الكليات، 952/1.

6 - الرازي، مفاتيح الغيب، 157/1

7 - الصافات: 23- 24

8 - الآلوسي، روح المعاني، 78/12.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وما دامت الهداية بيانا ودلالة فإن تفسير القرآن في حد ذاته عملية هداية، فإن الواقع الأصيل لتفسير القرآن هو بيان هداية الله تعالى في كل مجالات الحياة الإنسانية.[1]

ثانيا: الهداية في السياق القرآني

يستصحب السياق القرآني المعاني اللغوية والاصطلاحية السابقة للفظ الهداية، مع زيادة معنى تثري المفهوم وترفع دلالته.

وقد محور القرآن مقاصده كلها حول الهداية، فهي أم المقاصد والمعاني القرآنية، وأعظم مزايا القرآن –كما في المنار- هدايته المقصودة بالقصد الأول.[2]

قال تعالى: [الم(1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ(2)] [3]

فالقرآن في حدّ ذاته هدى، وفيه الهدى. فكلا القراءتين على الوقف على "ريب" أو "فيه" تحمل معنى مكمّلا للآخر. وإذا كان القرآن هدى، فإنّ الهداية خصوصية ومنة إلهية؛

فكونها خصوصية إلهية معناه ألاّ هادي إلا الله وأن من أضله الله فما له من هاد. وهذا مـــا نطقت به آيات كثيرة، منها قوله تعالى: [أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ(36) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ(37)] [4]

وبقدر ما هي خصوصية، فإن الهداية منّة ربانية: [يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ

---

1 -زياد خليل محمد الدغامين،البعد الواقعي في العمل التفسيري،مجلة التجديد،س2، ع4،أغسطس1998م،ماليزيا،ص49.

2 - محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1420هـــ/2000م، ص124.

3 - البقرة: 1-2،

4 - الزمـــر: 36-37 وفي هـــذا المعنى آيات كثر منها: البقرة 272، الأعراف186، النمل63، الفرقان31، الإسراء97، الكهف17، الرعد33، غافر33..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] [1]

وتقتـــضي الهداية الإلهية إعمال العقل والفكر وحسن توظيف الحواس والجوارح، قال تعالى: [الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ] [2]

في ظـــل كل هذه المعاني، عدّ السياق القرآني الهداية أعظم مطلوب إنساني، يدعو به كل مسلم يوميا سبعة عشر مرة على الأقل وهو يقرأ في صلاته: [اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ] [3]

لكـــن طلب الاهتداء لا يجب أن يبقى دعاء، بل يجب أن يتحول إلى سلوك وعمل، عبر الاهتداء بهدي السابقين على صراط الهداية من الذين أنعم الله عليهم. [أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ] [4]

وهكذا جمع مفهوم الهداية قرآنيا بين هدايتين: إلهية وبشرية؛ فالأولى هداية تأييد وتوفيق لا هادي إليها إلا الهادي سبحانه، والثانية هداية دلالة وتنبيه يقوم بها الرسل وأتباعهم، من باب لكل قوم هاد.[5]

وإذا أردنا أن نحوصل دلالة الهداية قرآنيا، فإن الهداية بيان الحق المنقذ من الضلال في الاعتقاد والعمل [6] ، المصحوب بمعرفة غيبية حافظة من الضلال والخطأ [7] ، موصلة للخير بالفعل [8] ، وهي سر الرسالة الإسلامية [9] ، والمقصد الأول من التشريع الذي لأجله أنزل القرآن.[10]

---

1 - الحجرات: 17
2 - الزمر: 18
3 - الفاتحة: 6
4 - الأنعام: 90
5 - القرطبي، الجامع، 160/1
6 - رشيد رضا، المنار، 341/11.
7 - نفسه، 58/1.
8 - نفسه، 209/14/2.
9 - نفسه، 370/5.
10 - نفسه، 137/10، 344/11، 138/4/7

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد ذكر صاحب المنار أن الهداية إما هداية توفيق أو دلالة، هذه الأخيرة تتضمن أربع هدايات إلهية، مبيّنا أن الإنسان أحوج ما يكون إلى الرابعة منها، وهي: هداية الوجدان الطبيعي والإلهام الفطري(كهداية الطفل لرضاع الثدي)، وهداية الحواس والمشاعر(وتشمل الإنسان والحيوان)، وهداية العقل(ليصحح العقل غلط الحواس والمشاعر)، وهداية الدين(الذي يوجه كل ما سبق).[1]

فإذا التزم الإنسان الهداية الإلهية فاضت عليه آثارها وتبدت علاماتها، وأهمها:

1. انشراح الصدر واطمئنان القلب، قال تعالى: [مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ]. [2]

2. الإحساس بالأمن الرافع لكل خوف وحزن، قال تعالى: [قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ]. [3]

3. اليسر والسهولة المذللة لكل مصاعب ومصائب الحياة الدنيا، قال تعالى: [فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(10) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى(11) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى(12)]. [4]

4. ومن أعظم علامات الهداية الوعي بسنن الله وحسن إدراكها والتعامل معها، قال تعالى: [

---

1 - نفسه، 1/56-57
2 - التغابن: 11
3 - البقرة: 38
4 - الليل: 5-12

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ]. (1)

ثالثا: سياقات الهداية القرآنية

1- الإسناد الإلهي:

إذا قرأنا في كتاب الله عما شرعه الله وفرضه وكتبه وأمر ووصى به وقضاه وأوحى به، فنحن أمام سياق هدائي تشريعي يبين أحكام الله في خلقه.(2)

وقد جمعت آية الشورى ثلاثا من تلك الألفاظ مقرونة بالهداية، ومحفوفة بجملة معاني:

[شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ] (3) فقد جمعت الآية التشريع والوصية والوحي مقرونة بالدين والنبوات، ومشروطة بإقامة الدين ووحدة الأمة وعدم التفرّق فيهما، مع دعوة المشركين، والإنابة إلى الله طلبا لهدايته واجتبائه المقرونين بمشيئته وتوفيقه.

2- الموقف الرباني من السلوك الإنساني:

لقد بيّن لنا السياق القرآني ما يرضاه ويقبله ويحبه الله وما لا يرضاه ولا يقبله ولا يحبه، مما يتعلق بإذنه ومشيئته: [يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا] (4)

---

1 - النساء: 26

2 - يمكن الرجوع لمواضع تفصيل هذه الألفاظ في المعاجم القرآنية. ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، شرع(ص378)، فرض(ص515)، وصى(ص752)، كتب(ص591)، أمر(ص67)، أوحى(ص746) قضى(ص546) ...

3 - الشورى: 13

4 - طه: 109

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى] [1]

أ- ما يرضاه وما لا يرضاه الله لعباده:

لن أتتبع جميع السياقات القرآنية في هذا المقام تجنبا للتطويل، لكن سأشير لأهمها.[2]

أ.أ- وعليه فإن مما يرضاه الله لعباده:

- الـــولاء لله والبراء من المشركين. قال تعالى: [لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ].[3]

- التعجيل بالإقبال على الله تعالى. قال تعالى: [وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى].[4]

- الإسلام لله تعالى. [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا] [5]

أ.ب- ومما لا يرضاه الله:

- الشرك والكفر وعدم الشكر. قال تعالى: [إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ] [6]

---

1 - النجم: 26
2 - محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس، ص321-322.
3 - المجادلة 22.
4 - طه: 84
5 - المائدة: 3
6 - الزمر : 7

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

• النفاق ومخالفة الظاهر للباطن. قال تعالى: [يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا] (1)

• الفسق ومداراة الناس والسعي لاستجلاب رضاهم. قال تعالى: [يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ] (2)

ب- ما يقبله وما لا يقبله الله من عباده:

بسطت آيات القرآن مظان القبول وعدمه في مواضع عديدة.(3) أهمها:

ب.أ- مما يقبله الله من عباده:

• التوبة.قال تعالى:[أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ] (4)

• التقوى. قال تعالى: [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ] (5)

• إحسان العمل. قال تعالى: [أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ] (6)

ب.ب- ومما لا يقبله الله:

---

1 - النساء: 108
2 - التوبة: 96
3 - محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس، ص 529.
4 - التوبة: 104
5 - المائدة: 27
6 - الأحقاف: 16

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- الإنفاق عن كراهة مع الفسق والكفر واستثقال العبادة. قال تعالى: [قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (53) وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (54)] [1]

- ابتغاء غير الإسلام نهجا في الحياة. قال تعالى: [وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ] [2]

- الارتداد عن دين الله: [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ] [3]

ج- ما يحبه وما لا يحبه الله في عباده:

بسطت آيات القرآن كذلك أسباب المحبة وعدمها في مواضع عدة. [4] أهمها:

ج.أ- مما يحبه الله:

- الطهارة والنقاء المعينة على التوبة. قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ] [5]

- الصبر. قال تعالى: [وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ] [1]

---

1 - التوبة: 53 - 54
2 - آل عمران: 85
3 - آل عمران: 90
4 - محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس، ص 191-192.
5 - البقرة: 222

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

● النظام والانضباط والتلاحم حال الجهاد. قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ] (2)

ج-ب-ومما لا يحبه الله:

● الاعتداء على الغير وتحريم الطيبات. قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ] (3)

● الاختيال والفخر. قال تعالى: [وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ] (4)

● الفساد والفرح بالدنيا المؤدي للركون إليها وابتغائها بدل الآخرة. قال تعالى: [إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77)] (5)

3. السياق التوجيهي:

يوجهنا القرآن الكريم للتخلق بجملة سلوكات وأخلاق عبر ربطها بأوصاف الإيمان والاهتداء

---

1 - آل عمران: 146
2 - الصف: 4
3 - المائدة: 87
4 - لقمان: 18
5 - القصص: 76 - 77

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والصدق والعبودية لله تعالى، وهذا نوع من الهداية الأخلاقية التي تأتي غالبا في سياق الوصية.

ومن أمثلة هذا اللون الهدائي:

أ- صفات عباد الرحمن آخر سورة الفرقان. قال تعالى: [وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) . . . أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (75) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (76)] [1]

---

1 - الفرقان: 63 - 77

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب- وصايا لقمان لابنه. قال تعالى: [وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13).. وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (19)] [1]

ج- وصايا سورة الأنعام

قال تعالى: [قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)] [2]

د- أوصاف المؤمنين أول سورة المؤمنين.

قال تعالى: [قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11)] [3]

---

1 - لقمان: 13-19
2 - الأنعام: 151-153
3 - المؤمنون: 1-11

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد لخصت سورة الفاتحة مفاتيح الهداية القرآنية، لذلك أعتبر الهداية الموضوع المحوري لفاتحـــة الكـــتاب، فما دامت الفاتحة أم الكتاب، فإن موضوعها بالضرورة يكون أم موضوعاته، وتكون الآية الكريمة [اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ] [1] أم الآيات ومحورها بما تحمله من دعاء طلب الهداية إلى صراط الله المستقيم.

وقد استدل صاحبا المنار الإمام محمد عبده والأستاذ محمد رشيد رضا على مكية الفاتحة بل وكونها أول ما نزل على الإطلاق بمنطق هدائي سنني.

جاء في المنار: إن السنة الإلهية في هذا الكون سواء أكان كون إيجاد أو كون تشريع، ان يظهر الـــشيء مجملا ثم يتبعه التفصيل بعد ذلك تدريجا... والفاتحة مشتملة على مجمل ما في القرآن وكل ما فيه... وعليه، فإن إنزال الفاتحة أولا موافق لسنة الله تعالى في الإبداع.[2]

وفي ســـياق الإبداع، فقد عرض تفسير المنار سورة القرآن عرضا هدائيا سننيا، يحول مـــضامين الآيات إلى قواعد وأصول شرعية تتفرع على فروع علمية وعملية. فقد عرض –مثلا- ســـورة البقرة على شكل 33 قاعدة تتضمن 121 فرعا عمليا، تحت مسمى: الأصول والقواعد الشرعية العامة في سورة البقرة.[3]

---

1 - الفاتحة: 6

2 - محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 1/35-38.

3 - نفسه، 1/109-122.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفرع الثاني: السياق الكوني في القرآن الكريم

رغم أن ألفاظا كالكون والطبيعة غير واردة في كتاب الله تعالى، إلا أن القرآن الكريم غني بالآيات الكونية والظواهر والمظاهر الطبيعية.

فالسياق الكوني هو كل موضع قرآني حوى أو أشار ووظف مفردة كونية أو ظاهرة طبيعية، مشيرا إلى خلقها وتطورها، أو أشكالها ومظاهرها، وحركتها وتقلباتها، وكيفية التعامل معها. ولمعرفة تلك السياقات، نتوسل بمفاتيح لفظية ومعنوية منها:

1- **لفظ الآية والآيات:** فكلما وجدنا في القرآن حديثا عن آيات –غير آيات الكتاب- فهي آيات كونية تعبر عن سنن كونية بثها الله في كتابه وأرانا إياها إن كنا مؤمنين مهتدين متقين متفكرين متذكرين شاكرين نسمع ونعقل لنعلم ونتيب إلى ربنا ونتجنب عذاب الآخرة، كما توجهنا الآيات.[1]

وقد ورد لفظ آية –بالمعنى الكوني- أربعة وعشرين مرّة في القرآن، بينما ورد لفظ آيات مائة وثمانية أربعين مرّة[2]، وذلك بعدّة صيغ أكثرها تكررا في كتاب الله:

[إنّ في ذلك لآية...][3] [وآية لهم...][4] [ومن آياته...][5]

2- **ورود ذكر إحدى المفردات الكونية**، كالسماء والأرض[1]، والشمس والقمر، والليل

---

1 - إلى هذه المعاني تشير جملة من الآيات: البقرة 73، 248، النحل 11، 13، 65، 67، 69، النمل 52، هود 103، لقمان 31، غافر 13، 81، المائدة 89، آل عمران 103...

2 - محمد فؤاد عبد الباقين المعجم المفهرس، ص103 ، 104

3 - تكررت هذه الصيغة في آيات كثيرة: البقرة 248، آل عمران 49، النمل 52، النحل11، 13، 65، 67، 69، الشعراء 8، 67، 103، 121، 139، 158، 174، 190، هود 103، الحجر77، العنكبوت44، سبأ9

4 - يس: 33، 37، 41

5 - الروم: 20-25، 46، فصلت: 37، 39، الشورى: 29، 32

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والنهار، والحيوان والنبات، والماء والنار، والشجر والحجر، والجبال وسائر أجزاء الكون[2]

[إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] [3] إن آية كهاته ضمت بين طياتها عشر مفردات كونية، وربطتها بمعاني جامعة لها، ومعاني مخصوصة ببعضها؛

فأما المعاني الجامعة لها فدل عليها أول الآية وآخرها، فأولها الخلق، وآخرها التسخير، وواجبنا نحوها العقل.

أما المعاني المخصوصة: الاختلاف، الجريان، النفع، الإنزال، الإحياء، البث، التصريف.

3- **العقوبات الإلهية للأمم الكافرة:** فإن مفردات الكون جند لله، يرسلها على من ظلم وكفر، لتعاقبه بأمر الله ومشيئته، فتكون عقوباتها ظواهر كونية كالفيضانات والزلازل والبراكين والطوفانات والأعاصير والرياح العاتية. فقد أهلك قوم نوح بالطوفان، وقوم هود بالصاعقة والزلزال، وقوم صالح بالريح الصرصر العاتية والبرَد، كما جاء في القرآن الكريم.

قال تعالى: [كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ(4) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ(5) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ(6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ(7) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ

---

1 - من عجائب التكرار القرآني أن كلا من السماء والأرض ذكرتا 115 مرة في القرآن، بينما ذكرتا مقترنتين 15 مرة، وذكرتا متتابعتين غير مقترنتين 15 مرة أيضا؟

2 - بالرجوع للمعاجم القرآنية نجد كثيرا من الموجودات الكونية أكثرها ورودا: الماء164، النار139، البحر36، الرياح32، الشمس30، القمر25، الفلك23، السحاب4، البرق3، الرعد1... وغيرها كثير

3 - البقرة: 164

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مِنْ بَاقِيَةٍ(8) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ(9) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً(10) إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ(11) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ(12)] [1]

4- كما أن **القرآن المكي** بعمومه مظنة ذكر الآيات الكونية، بحكم أن التركيز في مكة كان على بناء عقيدة التوحيد في النفوس، والكون أحسن معبر ليقنع العقل بعظم إبداع الله وعظمة خلقه، واتساقه وتوازنه وتناغمه.

والمتدبر في السياقات القرآنية الكونية يلحظ البعد العقدي حاضرا بين طيات المفردات الكونية، يأمر بين يديها بتوحيد وعبادة خالق هذا الكون المتقن. ويحذّر من الكفر به والشرك معه. قال تعالى: [أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(22)] [2]

وعامة، فإن السياقات الكونية أداة قرآنية عقدية فاعلة لمعرفة الله والقرب منه ومن دينه وشرعه، ومن سننه في الآفاق.وهي كذلك أداة دعوية جليلة، فإن السياق الكوني يتضمن لونا معاصرا مؤثرا من ألوان الإعجاز، وهو الإعجاز العلمي الذي يستفاد منه بقوة في مجال الدعوة والرقائق.[3]

آيتي الليل والنهار كنموذج تطبيقي لسياق كوني :

يقول تعالى: [وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا

---

1 - الحاقة: 4- 12 وانظر تفسيرها في كتب التفسير. الزحيلي، التفسير المنير، 81/29 ، الجلالين 762-761/1 ...

2 - البقرة: 21-22.

3 - صديق عبد العظيم أبو الحسن، مفهوم سنن الله الاجتماعية في القرآن الكريم، ص22.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا] .[1]

عـــرّج جلّ المفسرين على هذه الآيات ، لكن لن نجد تحليلا سننيا لها أفضل مما قدمه الإمام ابن باديس في تفسير المجالس.

1- المناسبة النظمية:

أول مظاهر السننية نظم الآيات نفسها، إذ أن آيات الله في الكون وفي القرآن سياقان متناغمان، فكلها سنن لله. لذا ربط النظم بينها فجاءت آية الأكوان بعد آية القرآن.

يقول الإمام: لله تعالى في سور القرآن، وعالم الأكوان، آيات بينات دالة على وجوده، وقدرته، وإرادته، وعلمه، وحكمته. ونعم سابغات موجبة لحمده وشكره وعبادته. ولما ذكر تعالى آيته ونعمته بالقرآن الذي يهدي للتي هي أقوم، ذكر آيته ونعمته بالليل والنهار المتعاقبين على هذا الكون الأعظم.[2]

2- ربط السياق بمطلع السورة:

الآية متعلقة بسياقها السابق واللاحق، كغيرها من آي القرآن. وما دامت الآية سياقا كونيا سننيا، فقد لفها السياق القرآني بحشد من السنن الهدائية والتاريخية.

فقد بدأت السورة بذكر حادثة الإسراء، ثم الإخبار بمرّتي صعود وهبوط اليهود بعد إفسادهم في الأرض وقتلهم الأنبياء ثم توبتهم وعودتهم لفعلتهم بعد ذلك. ليأتي بعد ذلك ذكر هداية القرآن، ويختم السياق السابق للآية بسنة من السنن الفطرية في الإنسان وهي الاستعجال.

---

1 - الإسراء: 12

2 - عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير. ص45.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال تعالى قبيل آية الليل والنهار: [إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ . . . وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا] (1)

وبعد الآية عرض السياق سنة الكسب الإنساني، فهو يحصد نتاج عمله الدنيوي يوم القيامة ويرى أثره في كتابه، هداية أو ضلالا.

قال تعالى بعد الآية: [وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14) مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (15)] (2)

وهكذا نرى أن السياق -السابق واللاحق- كله سنن، فنترك إيراده تجنبا للتطويل.

3- **إشراقة سننية:** يذكر النص الليل وآية الليل، والنهار وآية النهار. أي أن هناك الآية وآية الآية. هذا يحيلنا على تداخل السنن، فالسنة سنة في ذاتها، لكن سيرها قد يتجزأ إلى سنن، فإذا هناك سنة وسنن السنة، كما هناك آية وآية الآية. هذا ما نبه إليه ابن باديس في قوله: الليل في نفسه آية، وفيه آيات، وأظهر آياته هو القمر. فيقال في القمر: "آية الليل". والنهار في نفسه آية، وفيه آيات، وأظهر آياته هي الشمس، فيقال في الشمس: "آية النهار". (3)

4- **حقيقة علمية معجزة:** دلالة لغوية تفتح آفاق إعجاز لغوي /علمي، في قوله تعالى: محونا آية الليل. فالمحو –كما جاء في المجالس- هو الإزالة: إزالة الكتابة من اللوح، وإزالة الآثار من

---

1 - الإسراء: 9-11

2 - الإسراء: 13-15

3 - ابن باديس، مجالس التذكير، ص46.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الديار. فمحو "آيَةَ اللَّيْلِ" إزالة الضوء منها، وهذا يقتضي أنه كان فيها ضوء ثم أزيل؛ فتفيد الآية أن القمر كان مضيئاً، ثم أزيل ضوؤه فصار مظلماً. وقد تقرر في علم الهيئة أن القمر جرم مظلم يأتيه نوره من الشمس. واتفق علماء الفلك في العصر الحديث بعد الاكتشافات والبحوث العلمية أن جرم القمر - كالأرض- كان منذ أحقاب طويلة وملايين السنين شديد الحمو والحرارة ثم برد، فكانت إضاءته في أزمان حموه وزالت لما برد. (1)

5- الجانب العملي:

تدبر السنن يقودنا إلى العمل بمقتضاها، وهذا ما نبه عليه الشيخ ابن باديس: لنقف خاشعين متذكرين أمام معجزة القرآن العلمية: ذلك الكتاب الذي جعله الله حجة لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبرهاناً لدينه على البشر مهما ترقوا في العلم، وتقدموا في العرفان!! فإن ظلام جرم القمر لم يكن معروفاً أيام نزول الآية عند الأمم إلاّ أفراداً قليلين من علماء الفلك. وإن حمو جرمه أولاً، وزواله بالبرودة ثانياً، ما عرف إلاّ في هذا العهد الأخير. والذي تلا هذه الآية وأعلن هذه الحقائق العلمية منذ نحو أربعة عشر قرناً نبي أمي، من أمة أمية، كانت في ذلك العهد أبعد الأمم عن العلم؛ فلم يكن ليعلم هذا إلاّ بوحي من الله الذي خلق الخلائق وعلم حقائقها!! (2)

6- دعوة إلى علم الحساب:

مما يستفاد من الآية ضبط الوقت وعدّ السنين وتعلم الحساب.

جاء في المجالس: وليضبطوا أوقاتهم بعلم عدد السنين الشمسية والقمرية، وما اشتملت عليه السنون من الشهور والأيام والساعات. وليعلموا جنس الحساب الذي منه حساب الشمس وتنقلها في

---

1 - نفسه.

2 - ابن باديس، مجالس التذكير، ص47.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منازلها، وحساب القمر وتنقله في بروجه، وحساب أبعادهما، وسعتهما، ومسير نورهما. ثم حساب ما يرتبط بهما من أجرام سابحة في الفضاء. (1)

والاهتمام بالعلم يقود للعناية بالعمل بمقتضاه، والانضباط بالوقت والزمن.

يؤكد الإمام ذلك فيقول: ويذكر تعالى علم عدد السنين، المتضمن لعدد الشهور والأيام والساعات تنبيهاً لخلقه على ضبط الأعمال بالأوقات، فإن نظام الأعمال واطرادها وخفتها والنشاط فيها وقرب إنتاجها.... إنما هو بهذا الضبط لها على دقائق الزمان. (2)

والدعوة لعلم الحساب متعدية لكل العلوم الموصلة له. يقول ابن باديس: كما ذكر - تعالى - جنس الحساب تنبيهاً على لزومه لهذا الضبط، وجميع شؤون الحياة من علم وعمل؛ فكل العلوم الموصلة إلى هذا العد وهذا الحساب هي وسائل لها حكم مقصدها في الفضل والنفع والترغيب. (3)

الفرع الثالث: السياق التاريخي في القرآن الكريم

إن مـــن أكثر السياقات السننية جلاء في كتاب الله سياق التاريخ؛ عندما يقص علينا القرآن أخبار السابقين، متوجا إياها بقوانين كلية تبين العاقبة السننية للأمم والأفراد.

ورغـــم أن القرآن ليس كتاب تاريخ في الأساس بل هو كتاب هداية(4)، إلا أنه حوى حـــشدا مـــنوعا من قصص التاريخ؛ فقد حوى قصص الأنبياء من آدم إلى عيسى عليهم السلام، وقصص الصالحين أمثال لقمان والخضر وذي القرنين.. [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ

---

1 - ابن باديس، المجالس ، ص48.

2 - نفسه

3 - نفسه

4 - حازم زكريا، مفهوم السنن الإلهية، ص37

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ] (1)

وحوى قصص الأمم الغابرة كعاد وثمود، ليركز على بني إسرائيل أمة العالمية الإسلامية الأولى.

[إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] (2)

كما حوى قصصا قريبا من عهد التتريل كقصة أصحاب الفيل التي خصص لها القرآن سورة كاملة، على قصر ألفاظها، إلا أنها المصدر الأعظم والأوثق والأبلغ لمحاولة أبرهة الحبشي هدم الكعبة واستبدالها بقلّيسه الذهبية الفارغة روحيا.

[أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ(1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ(2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ(3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ(4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ(5)] (3)

وحـــوى أيضا قصص الأمة العربية المسلمة في عصر التتريل، عبر بعض أحداث السيرة وأخبار الأمم الأخرى المعاصرة للإسلام كالفرس والروم.

ومـــن مظاهـــر إعجازه استشرافه لقصص مستقبلي لم يقع بعد، كتبشيره بانتصار الروم على الفرس بعد بضع سنين: [الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5)] (4)

وفي هـــذا دلالات عـــدة، أهمهـــا الجانب المفاهيمي؛ فإن القرآن بطرحه هذا يعيد بناء مفهوم

---

1 - غافر: 78

2 - النمل: 76

3 - سورة الفيل.

4 - سورة الروم: 1-5

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التاريخ نفسه.

إن التاريخ في القرآن يتجاوز حدود الماضي، فهو نهاية الماضي وبداية الحاضر المعتبر به، وإطلالة على المستقبل المخطط له في الحاضر.

بهذا الوعي السنني يدعونا القرآن للاعتبار بالتاريخ: [قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ] [1] ولكن ما أكثر العبر وأقلّ الاعتبار! [2]

وبأمره بالسير في الأرض والنظر[3] بثّ القرآن الحركية والفاعلية والغائية في مفهوم التاريخ ليؤسس لعلميته وأهميته.

كما أن التاريخ ليس رصيدا ذاتيا محدودا، بل هو تراكم إنساني عالمي رسالي عبر سيل من الجهود النبوية التوحيدية البانية لأمة الإسلام. [يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (52)] [4]

إن حركة التاريخ بهذا المنظور القرآني السنني الرفيع صيرورة حية وتفاعل مستمر في إطار قانون السببية كنظام متكامل لا مجرد تتالي أحداث. [5]

وبالتالي، إذا تحدثنا عن التاريخ في القرآن، فنحن نتحدث عن السنن[6] كعنصر أساسي في

---

1 - آل عمران: 137

2 - ينسب هذا القول للإمام علي كرم الله وجهه. نهج البلاغة، شرح الإمام محمد عبده، طبعة دار الشعب، ص366.

3 - تكرر الأمر بالسير والنظر –مقترنين- في القرآن اثنا عشر مرة، كما جاء الأمر بالسير مرتين وبالنظر ثلاثا مستقلا.

4 - المومنون: 51- 52

5 - عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن، ص223

6 - حسن سلمان، دراسات قرآنية حول الإنسان والمجتمع، ص139

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حركة التاريخ إلى جانب الإنسان والزمن والمجتمع. [1]

لـــذا كانت السنن المفتاح القرآني الصحيح للتفسير الإسلامي للتاريخ. [2] فإذا أردنا أن نتحرر مـــن أســـر التصور الغربي المادي للتاريخ فعلينا أن نعود إلى التصور القرآني[3] الذي يمر حتما عبر مسألة السنن الإلهية عامة والتاريخية خاصة.

المطلب الثاني: السياق القصصي في القرآن الكريم

إذا كانـــت آيات الأحكام في القرآن لا تتعدى الستمائة آية، فإن النسبة الأكبر من الستة آلاف آية المتبقية تخبرنا عن أحداث وقعت قبلنا، في الدنيا، وحتى قبل الدنيا، كما تروي لنا أحداثا لم تقع بعد، بعضها في الدنيا، وبعضها في الآخرة. ذلكم هو القصص القرآني.

الفرع الأول: القصص القرآني

القـــصص في اللغـــة إيراد الأخبار والأنباء وتتبعها[4]، وفي الأدب حكاية عن خبر وقع في زمن مضى لا يخلو من عبرة، فيه شيء من التطويل في الأداء[5].

والقصص القرآني لا يكاد يخرج عن تلك المعاني، لكن مع شيء من الخصوصية، عبر جملة صفات وخصائص يذكرها الباحثون في الموضوع.

---

1 - عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن، ص224

2 - يوسف كمال، منهج المعرفة في القرآن، ص90،81. صائب عبد الحميد، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص554. حسن سلمان، دراسات قرآنية حول الإنسان والمجتمع، ص139.

3 - عامر الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن، ص224

4 - ينظر في ذلك مثلا: ابن منظور، لسان العرب، 7/73-74. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص671..

5 - عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في قصص القرآن،دار الكتاب اللبناني، بيروت، طبعة1972، ص41.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من خصوصيات القصة القرآنية:[1]

أ- أنهـــا واقعـــية من حيث المضمون التاريخي. فكل القصص الوارد في كتاب الله حقائق تاريخية ثابتة لا تخالف عقلا ولا نقلا، وهي بذلك جاهزة للاعتبار والاستثمار. بعيدا عن كل ما قد يعتري القصة من تحريف وتزييف، يجعلها أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقيقة والواقع.

---

1 - ينظـــر: عـــبد الرب نواب الدين، الدعوة إلى الله تعالى، دار القلم، دمشق، ط1990، ص146. عبد الحافظ عبد ربه، بحـــوث في قـــصص القـــرآن، ص41 وما بعدها. عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، السنة المحمدية، القاهـــرة، ط1964، ص4. وهبة الزحيلي، القصة القرآنية هداية وبيان، دار الخير، دمشق، ط2، 1998، ص5، 18. محمد الخضر حسين، بلاغة القرآن الكريم، الدار الحسينية، 1997، ص105.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب- أنها تمتاز بالجاذبية عرضا وبيانا. فهي بلسان عربي مبين، تكفيه عربيته ليكون جذابا، فكيف إذا كان بعربية القرآن؟

ج- أنهـــا تتـــسم بالوضوح وعلو الهدف ونبل المقصد، لتتحقق قابلية الاعتبار والاتعاظ بها. فالقصة في القـــرآن ليـــست لمجرد الإمتاع والمؤانسة، أو السرد التاريخي الجاف، بل هي مسوقة لتكون عبرة لأولي الألـــباب [لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] (1)

د- أن موضوعاتها تتسم بالشمولية من عدة أوجه؛

- فهي شاملة من حيث موضوعاتها، تمس كل جوانب الحياة عقيدة وعبادة.
- وهي شاملة من حيث تنوع أساليبها بحسب ما يلائم كل سياق مقام.
- كما أنها شاملة زمنيا، إذ أنه يلتقي فيها الماضي بالحاضر والمستقبل. فالحاضر فيها هو قارئ القـــرآن وقصصه مستحضرا معه واقعه، والماضي فيها هو القصة نفسها التي وقعت في زمن ماض، أمـــا المستقبل فيها فهو السنة الإلهية الكامنة فيها والتي من أجلها قام السياق كله، وستكون السنة المستخلصة من عاقبة الأمة المحكية في القصة هي مستقبل كل أمة تحذو حذوها وتخطو خطاها.
- ثم إن أهـــم خصيصة للقصة القرآنية قرآنيتها؛ أي كونها جزءا من القرآن الكريم، لذا فإن معانيها وأهدافها وقيمها تنبع أساسا من أهداف وخصائص القرآن نفسه.

كمـــا أن القصة القرآنية تعرف تميزا خاصا في أركانها، فالقاص في القرآن هو الله تعالى، والمقـــصوص عليه هو نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم-، والمقصوص هو أحسن القصص وأوثق

---

1 - يوسف: 111

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التفاصيل وأهمها بأبلغ الأساليب وأفصحها وأكثرها إعجازا. قال تعالى: [نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ](1)

ثم إن القصّ مهمة من مهام الرسل –عليهم السلام-، قال تعالى: [يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ](2)

كما أن حياة الأنبياء محور هام من محاور القصص القرآني، قال تعالى: [أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ](3)

وبالنظر لموقع القصة من القرآن الكريم، نجد أنها تمثل نصفه لغويا، وثلثه زمنيا ونظميا، وربعه مساحة، وخمسه مضامينيا،..

- **فمن منظور لغوي**؛ القرآن -كأي نص لغوي- متراوح بين الخبر والإنشاء، والقصة تثمل جانب الخبر، فهي نصف القرآن بذلك؛ مقابل النصف الإنشائي الذي يشمل الأوامر والنواهي والنداءات وسائر الأساليب الإنشائية.
- **ومن منظور زمني**؛ القرآن تستغرقه الأزمنة الثلاث: الماضي والحاضر والمستقبل، والقصة هي ماضي الزمن القرآني أي ثلثه؛ مقابل واقع قارئ النص وهو الحاضر، بينما يمثل الغيب مستقبل

1 - يوسف: 3
2 - الأنعام: 130
3 - الأنعام: 90

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النص القرآني.[1]

- **والقصة ثلث القرآن نظميا أيضا**؛ فالقرآن إما أن يصف الحقائق أو يوجّه التعاليم أو يحكي القصص، أي أنه يحوي في ثلث نظمه القصص.

- **ومن حيث الكثافة**؛ فقد شغل القصص أكبر مساحة قرآنية وهي ربعه[2].

- **أمـــا مـــضامينيا**، فالقصص أحد المحاور الخمسة للقرآن الكريم، حسب تحليل الشيخ محمد الغزالي، إضافة إلى: الله، الكون، البعث، التربية والتشريع[3].

الفرع الثاني: سننية القصة القرآنية:

إن أغزر الجوانب القرآنية مساحة هي القصة القرآنية[4]، ذلك الخزان السنني الزاخر[5]، الذي يعطينا دروسا عملية مكثفة في كيفية عمل السنن الإلهية[6] –التي يحملها في طياته[7]-

1. هذا الحضور السنني الواعي في القصة القرآنية هو الذي يعزّز ويؤسس **مفهومها**، على أنها ليست مجرد حكاية خبرية ورواية تاريخية، بل هي أسلوب سنني ومعبر عقلي يختزل الزمن ليشكل أداة دعوية ممتازة لنقل العظة والعبرة.عبر ترابط زمني معجز بين الأزمان الثلاث (ماضي-حاضر-مستقبل)؛ فالقصة القرآنية تنطلق من الماضي لتخبرنا عن نهايات السابقين، الناتجة عن مدى توافقهم مع سنن الله في الآفاق والأنفس والهداية، لتعود بنا إلى الحاضر، ليتحقق الاعتبار ويتجسد الاستثمار

---

1 - يوسف كمال، منهج المعرفة في القرآن، ص89.
2 - رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية، ص 72.
3 - محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار القلم، دمشق، سوريا، ط3، 1421هـ/2000م، ص16
4 - رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية، ص72
5 - محمد دراجي، السنن الكونية في تفسير ابن باديس.
6 - حازم زكريا، مفهوم السنن الإلهية، ص36
7 - عفت الشرقاوي، قضايا إنسانية في أعمال المفسرين، ص55

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للحكاية المقصوصة، ثم تقفز بنا إلى المستقبل لتجفف القصة من شخوصها وتعتصر خلاصتها التوجيهية عبر قانون سماوي صريح أو مضمر في السياق.

2. هذا مفهوميا، كما أن سننية القصة القرآنية تتجلى عبر **خصائصها**؛

فصدق القصة وواقعيتها وشموليتها وهدفيتها وإعجازها وجاذبيتها، كلها شواهد على سننيتها:

- فصدق(1) القصص القرآني ومصداقيته(2) من صدق ومصداقية السنن الصارمة التي لا تحابي أبدا، ولا تتخلف عن محالها لا لتدع سنة المجال لسنة أخرى. [فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا](3)

- وواقعية القصة تعبير عن مجال عمل السنة التي تختزنها أحداث الماضي ليتعظ بها الناس في الحاضر. فالقرآن عبر القصة يعالج بكل واقعية مشاكل اليوم بأخبار الأمس.(4)

- كما أن القصص القرآني شامل من عدة أوجه –كما مر بنا -(5)، والشمول خصيصة سننية أصيلة، فالسنن الإلهية شاملة لكل الأفراد والحالات والمجالات والموضوعات والأزمان... آفاقا وأنفسا وهداية وتأييدا.(6) ومن حيث الشمول الزمني، فإن القصص القرآني يعبّر عما حدث فعلا، بينما يمثل موقف الناس من السنن المختزنة في القصص ما سيحدث مستقبلا، فيما تعبر السنن عما

---

1 - محمود محمد غريب، تربية القرآن، مطبعة الشعب، بغداد، ط1، 1400هـ/1980م، ص118.
2 - حازم زكريا، مفهوم السنن الإلهية، ص 44.
3- فاطر: 43
4 - محمود محمد غريب، المال في القرآن، طبعة وزارة الإعلام العراقي، ط1، 1396 هـ - 1976 م، ص20.
5 - تراجع الصفحة 324 من هذا الفصل.
6 - ينظر في ذلك: سيد قطب: الظلال 4/ 2246. رشيد رضا: المنار 4/ 140-141. صائب عبد الحميد، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص547. رندا عوني، قصة الاختلاف دراسة سننية، ص38. عبد الكريم بكار: هي هكذا، 15. وانظر تفصيلا أكثر حول شمول السنن الإلهية في الفصل الثاني من هذه الرسالة، ص217.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ينبغي أن يكون[1].

- وكون الأحداث الكونية مربوطة بسنن، فإن ذلك مقرون –لا محالة- بحكمة إلهية ربطت السبب بمسببه، وهذا هو مقتضى هدفية السنن القرآنية المعروضة عبر قصص السابقين. ولقد كان لقصص القرآن قوة الأثر والأثر بفعل وضوح أهدافها وعلوها. [2]

- ولأن قصص القرآن جزء من النص فإنه معجز من عدة أوجه، فهو إخبار عن الماضي دون مصدرية سابقة، وهذا إعجاز تاريخي، وهو كذلك معجز أسلوبيا ونظميا.

وبلغة السنن، فإن الإعجاز تعبير عن ربانية القصة وقابليتها للكشف والتسخير، مع تمنّعها عن التحدي القالب للسنن عن مجراها، أما مخالفة مسار السنن –للتعرض لسنن غيرها فلا يعدّ تحدّيا، بقدر ما يعدّ فرارا من قدر الله إلى قدر الله –على حدّ تعبير سيدنا عمر-.[3]

- بقي لنا أن نشير إلى كون القصص القرآني **جذّابا** في شكله ومضمونه وسياقه. مفعما بالإثارة والتشويق[4]، ويكفي أن يستمع ويتدبر قارئ كتاب الله السور والمقاطع القصصية ويقارنها بغيرها ليحس كيف تشد القصة القرآنية القارئ وتجذب انتباهه[5]، بمضمونها ولغتها ووقعها على

---

1 - حسن سلمان، دراسات قرآنية، ص 125.

2 - محمود غريب، تربية القرآن، 101/1.

3 - ورد هذا الأثر في سياق قصة طاعون عمواس بالشام، حين استدعى الفاروق عمر قائد جنده أبا عبيدة فامتنع عملا بحديث الطاعون الذي شهد بسماعه عبد الرحمن بن عوف: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ». والحديث صحيح رواه الشيخان ومالك وأحمد وابن حبان والنسائي والبيهقي وغيرهم. أما أثر عمر المذكور في المتن فرواه السابقون إثر الحديث وغيرهم. ينظر: صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، ح5729، 130/7. صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب الطاعون والطيرة والكهانة، ح 2219، 1740/4. موطأ مالك، كتاب الجامع، باب ما جاء الطاعون، ح22، 2/894. صحيح ابن حبان، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ/1993م، كتاب الجنائز، باب الصبر، ح2953، 218/7. وانظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، ت: بكري حياتي،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1401هـ/1981م، حرف الجيم، كتاب الجهاد، باب فضل الشهادات، ح11754، 601/4.

4 - علي علي صبح، أدب الطفولة بين القرآن والسنة، د.م، ص20.

5 - عاطف السيد، التربية الإسلامية أصولها ومنهجها، د.م، ص63.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النفس البشرية، هذا الوقع يزداد جاذبية لما يقترن السرد القصصي بسنن وقوانين يوجه السياق لاستخلاصها من القصة كفحوى ومغزى لها.

ومن هنا يمكن القول أن السنن في حد ذاتها سرّ من أسرار الجذب في القصص القرآني.

3. وإذا كانت خصائص القصة مظهرا لسننيتها فإن أهدافها مظهر آخر، أكثر إجلاء لسننية القصص القرآني؛

فالقصة القرآنية بداية هادفة، خلافا للقصة الفنية، وأهدافها دينية بالأساس، بينما يأتي الجانب الفني بالتبع.

ولعل أعظم درس تعلمنا إياه القصة القرآنية أن نكون هادفين، وأن نتحرك نحو أهدافنا، مختزلين بذلك رصيدا تاريخيا ضخما من التجارب السابقة، ناقلين منها العبرة والعظة، مجسّدين لصورها الرمزية مشاهد حية في واقعنا.

ويجب أن نشير إلى أن أهداف القصة تتشعب وتتفرع عبر عدة مستويات؛ فأهدافها أساسا هي أهداف القرآن نفسه، ثم تتفرع عن ذلك أهداف خاصة بالقصة دون بقية السياقات القرآنية.

وإذا فصّلنا أكثر وجدنا أهدافا لكل قصة قرآنية، بل وأهدافا لكل مقطع ومشهد وسياق قصصي لنفس القصة بين سورة وسورة.

لكن أهداف القصص القرآني إجمالا لن تخرج عن ستة أغراض سننية:

- فمن منظور إلهي؛ تهدف القصة إلى إثبات وحدانية الله وقدرته[1]، عبر بيان سننه تعالى في نصر وتوفيق المؤمنين وتأييدهم.

---

1 - سيد قطب، الظلال، 144/1. عاطف السيد، التربية الإسلامية، ص64.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- ومن منظور نبوي، تهدف القصة إلى تثبيت قلب النبي –صلى الله عليه وسلم- وتسليته، وإثبات صدقه[1]، إبرازا لمدى سننية ومنهجية الجهد النبوي في بناء الدعوة والدولة والمجتمع الإسلامي، والمحافظة على منجزاته. [2]

- ومن منظور تاريخي، تهدف القصة القرآنية إلى تثمين التجربة التاريخية للبشرية واعتصارها لتخزينها والإفادة منها، عبر معرفة المسارات السننية ونتائجها تاريخيا. [3]

- أما من منظور سلوكي، فإن القصة هي المدرسة المثلى للفضيلة الخالدة[4]، بتقويمها للسلوك الفردي والجماعي، وتعليمها لنا آداب التحقق والتخلق بالعقيدة والشريعة. [5]

- ثم من منظور دعوي، تعلّمنا القصة فقه وأساليب الدعوة إلى الله تعالى، وآداب وفنون الحوار والجدل. [6]

- تبقى الأهداف العقلية –الأكثر سننية مما سبق-، فالقصة تدعو للاعتبار والعظة[7]، بالنظر في سنن السابقين، وتعمل على تصحيح التصورات الفاسدة والمعتقدات الباطلة والفهوم المغلوطة، عبر تشخيص أمراض الأمم الغابرة وعلاجها[8] بلغة سننية حكيمة حانية تربي العقل وتنميه وتوسع

---

1 - عبد الباسط شاكر، القصة في القرآن الكريم، مقال إلكتروني، نقلا عن موقع الدار الإسلامية للإعلام، http\www.iid-alraid.de

2 - تنظر في ذلك الدراسة القيمة التي كتبها د.الطيب برغوث، منهج النبي في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1416هـ/1996م.

3 - رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الإلهية، ص71. حسن سلمان، دراسات قرآنية، ص152،136. حازم زكريا، مفهوم السنن، ص44.

4 - محمود غريب، تربية القرآن، 140/1

5 - عبد الباسط شاكر، القصة في القرآن الكريم.

6 - نفسه. وانظر: محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن، دار الرشيد، دمشق، ط4، 1418هـ، 39/9.

7 - عبد الباسط شاكر، القصة في القرآن. محمود غريب، تربية القرآن، 118/1. رمضان خميس، مفهوم السنن،ص71.

8 - عمر أحمد عمر، السنن الإلهية في النفس البشرية، ص7.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آفاقه.

4. وإذا مضينا إلى **منهج القرآن في عرض القصة**، تجلت لنا سننيتها، عبر خصوصيات القصة القرآنية التي جعلتها قرآنيتها عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه، خلافا للقصة الفنية الحرّة. (1)

- فمن خصوصيات القصة القرآنية أنها تجمع بين الغرض الديني والغرض الفني. (2)

فهي نص قرآني من جهة، له أغراضه الدينية،

وهي عمل فني متقن، مهما كان مغايرا للقصة الأدبية، إلا أنه يبقى قطعة أدبية "خاصة".

- ومن خصوصياتها أيضا أنها ملخصة تلخيصا هادفا(3)، وهذا شاهد فصاحة مبناها وبلاغة معناها، وهي نفس خصائص السنن الإلهية الملخصة الهادفة البليغة الفصيحة.

[سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا] (4)

- ومن خصوصيات القصة القرآنية أنها عارية عن المثبتات الزمانية والمكانية والشخصية. فقد صاغ القرآن قصصه مجردة متعدية تمثيلية(5)، غير مربوطة بزمان معين ولا مكان محدد ولا شخص بعينه، لتكون جاهزة للاعتبار السنني.

- ولتكتمل دواعي السننية في القصة، فقد جاءت متزهة عن ترتيب المشاهد والأحداث،

---

1 - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، 143/1. محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن، 39/9.
2 - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، 143/1.
3 - رمضان خميس، مفهوم السنن،ص71. وهبة الزحيلي، القصة القرآنية هداية وبيان، ص5
4 - الأحزاب 38.
5 - رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الإلهية، ص72.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مترفعة عن سوق التفاصيل الشاغلة عن العظة والعبرة[1]، بل تتناول فقط المواطن الهامة وتهمل مادون ذلك[2]، وتورد الحدث والمشهد والشخصية في التوقيت النظمي المناسب سننيا، ولو خالف ذلك السياق التاريخي للأحداث والتوالي الفعلي للمشاهد. لأن القصة القرآنية لا تحب أن تعيش في الماضي، حتى لا نغرق فيه نحن، بل تنتقل إلى حاضرنا لتنقلنا إلى مستقبلها السنني.

- وحتى يعيش القارئ جو القصة القرآنية، فإنها تفضل أسلوب الحوار على لغة السرد، لتصنع فضاء تفاعليا متبادلا ينسينا تاريخية القصة، ولذلك نجد في القصة القرآنية حوارات متنوعة الأطراف والمجالات؛ فنجد فيها حوارات **"إلهية"** بين الله وملائكته، وبينه وبين رسله، بل حتى بينه وبين إبليس –عليه لعنة الله-. كما نجد حوارات **"بشرية"** بين الأنبياء والبشر، وبين البشر، مؤمنيهم وكافريهم،وهناك حوارات **"كونية"** أحد أطرافها الحيوانات والجمادات، كما نجد أيضا حوارات **"غيبية"** ستقع يوم القيامة في مواقف الحشر والحساب والشفاعة، وفي الجنة والنار. [3]

- كما أن القصة القرآنية في بعض نماذجها تمتاز بالتكرار الهادف الذي لا يكون إلا لفائدة وحكمة وهدف[4]، وإن كان البعض يفضّل تسميته تنويعا لا تكرارا، بحكم أنه لا تكرار في القرآن أصلا. [5] فالتكرار إعادة بلا إضافة، وهو شيء مستكره لغويا، بل وعيب من عيوب الكلام

---

1 - نفسه، ص48-50. محمود صافي، الجدول،39/9

2 - نفس المراجع السابقة.

3 - تـراجع في هـذا الموضوع الدراسة القيمة للأستاذ محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن قواعده أساليبه معطياته، دار المنصوري للنشر، قسنطينة، الجزائر، رجب 1396هـ.

4 - البرهان، الزركشي، 25/3-27. عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في قصص القرآن،ص180-181. عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص241. عبد الرب نواب الدين، الدعوة إلى الله، ص161.

5 - صـلاح عبد الفتاح الخالدي، القرآن ونقض مطاعن الرهبان، دار القلم، دمشق، ط1، 1428هـ/2001م، ص569. عـبد العظـيم المطعني، خصائص التعبير القرآني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1413هـ/1992، 333/1. عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في قصص القرآن،ص180.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتأليف. [1]

أما "التكرار" القرآني فليس إعادة فارغة ولا عيبا أو ضعفا، بل زيادة في المبنى تقتضي زيادة في المعنى[2]، ثم هو إعادة صياغة وترتيب للمشاهد والأحداث.

ثم إن التكرار وإن كان منقصة في الكلام، إلا أنه في القرآن عامة وقصصه خاصة، محمدة ودليل فصاحة وبلاغة ومظهر إعجاز. [3]

---

1 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 234/4. صالح بن حسين الجعفري، تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل، تحقيق: محمود عبد الرحمن الحدق، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1419هـ/1998م، 104/1.

2 - يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (35/16) أن زيادة اللفظ لزيادة المعنى وقوة اللفظ لقوة المعنى، وذلك في معرض التعليق على تكرار قوله تعالى: فبأي آلاء ربكما تكذبان في سورة الرحمن، وقد طرح تساؤلا يفيد أنه يفرق بين التكرار وزيادة المعنى: "هل ذكر قوله تعالى: [فبأي آلاء ربكما تكذبان] بعد كل آية يعد من باب التكرار أم زيادة معنى؟"

3 - الباقلاني أبو بكر، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد احمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، 1997، ص23-24. الزركشي، البرهان، 25/3-28. الخطيب، القصص القرآني، ص240. صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن، ص158.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولعل التكرار مدخل لسننية القصة، فتكرار القصص ومشاهدها دالّ فيما يدل على تكرار نتائج السنن الإلهية المختزنة في تلك القصص.[1]

وبلغة فنية، التكرار القرآني اقتراح لسيناريوهات جديدة لنفس الرواية، عبر إضاءة مشاهد وتفاصيل مضمرة سلفا، بلغة جديدة وعرض مختلف، يستبطن –بالضرورة- أهدافا ومقاصد جديدة، تجعلنا وكأننا نعيش قصة أخرى ليست نفس القصة المعروضة في بقية المواضع القرآنية.

هذا ويمكن الرجوع لموضوع التكرار في القرآن الكريم وتفاصيله في كتب علوم القرآن العامة كبرهان الزركشي وإتقان السيوطي ومناهل الزرقاني، وفي كتب خاصة بالتكرار، ككتاب أبي القاسم الكرماني: أسرار التكرار في القرآن الكريم. وتفسير فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لزكريا الأنصاري، والانتصار للقرآن للباقلاني، والفوز الكبير في أصول التفسير لولي الله الدهلوي وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي، وغيرها...

---

1 - رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الإلهية، ص67.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5.بقي أن نشير إلى أن من أبرز مظاهر سننية القصة القرآنية **وسائلها في التأثير** على القارئ والسامع لتستوعبه ذهنيا، وتمتعه أدبيا، وتدمجه في جو القصة، لتنقله للمقصود وهو الاعتبار بالقصة[1] واستخراج ثم استثمار ما تحويه من سنن إلهية هداية ورعاية وعناية.

من تلك الوسائل:

أ- **الحضور الإلهي في القصة**، عبر ذاته العلية، وأسمائه وصفاته القدسية، ربوبية وألوهية. فالله تعالى هو القاص على رسوله في كثير من المواضع: [نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ][2]

ب- يتجلى ذلكم الحضور الإلهي عبر **الأوامر والنواهي، ولغة المنح والمنع، والوعد والوعيد**[3]، التي تمتزج بالمادة الخبرية في القصص القرآني لتوجّه الفطرة وتربّي العقل، وتهذّب النفس، وخزا للضمير والوجدان، وشحذا للوعي واستنهاضا للهمة.

وإلى جنب ذلك، يركز القصص القرآني على منطق التعليل والتقصيد والإقناع العقلي[4]، ويكفي أن نشير إلى أن شاهد القياس الأصولي في القرآن جاء في سياق قصصي[5]. وأقصد قوله تعالى: [هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا

---

1 - رمضان خميس، مفهوم السنن الإلهية، ص70-72. محمد دراجي، السنن الكونية في تفسير ابن باديس.
2 - يوسف: 3
3 - سيد قطب، الظلال، 144/1. عاطف السيد، التربية الإسلامية أصولها ومنهجها، 64/1.
4 - رمضان خميس، مفهوم السنن،ص70. محمود غريب، تربية القرآن، ص118. صافي، الجدول، 39/9.
5 - رمضان خميس، مفهوم السنن،ص74.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يَا أُولِي الأَبْصَارِ][1] .

ج- وليكتمل المشهد السنني، تشير القصة إلى **الموقف الإنساني من التوجيه الإلهي**؛ موافقة ومخالفة، طاعة ومعصية، عبر التجربة والخطأ، ثم التوبة والإنابة.

وإن كان السياق القرآني يقرّ أن الموقف البشري الغالب سلبي [2]، فأكثر الناس عصاة مخالفون، سيئوا التعامل عقلا وقلبا مع المنعم سبحانه، ومع الحق والخلق، ذلك ما تبيّنه أمثال هذه الآيات الكريمات:

öqs9ur Ä¨$¨Y9$# çŽsYò2r& !$tBur]
[3][tûüÏYÏB÷sßJÎ/ |Môʹt•ym

tb%x. $tBur (ZptƒUy y7Ï9ºsŒ ’Îû ¨bÎ)]
[4][tûüÏZÏB÷s•BNèdçŽsYø.r&

tbqßJn=ôètƒ Ÿw óOèdçŽsYø.r& ö@t/]
[5][tbqàÊÌ•÷è•BNßgsù (¨,ptø:$#

br& HwÎ) (#þqãZÏB÷sã‹Ï9 (#qçR%x. $¨B]
öNèduŽsYò2r& £`Å3»s9ur ª!$# uä!$t±o„
[6][tbqè=ygøgs†

Ä¨$¨Z9$# ’n?tã @@ôÒsù rä%s! ©!$# cÎ)]
[1][šcrã•à6ô±o„ Ÿw Ä¨$¨Y9$# uŽsYò2r& £`Å3»s9ur

---

1 - الحشر: 2

2 - بالــرجوع للقرآن الكريم نجد أن لفظ أكثر يرد في سياقات سلبية، بنفي الإيمان والشكر والعلم، وإثبات صفات كالكفر والفــسق والجهل والإعراض، كما هو واضح في الآيات. ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس، ص596-598. وقد وردت مـــادة ك.ث.ر 167 مرة منها 8مرات بصيغ فعلية(كثر3، أكثر2، استكثر3)، 5 مرات بصيغ مصدرية(كثرة2، كوثر1، تكاثر2) و154 مرة بصيغ اسمية (كثير 74، أكثر 80).

3 - يوسف: 103

4 - الشعراء: 8

5 - الأنبياء: 24

6 - الأنعام: 111

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(7‰ôgtã ô`ÏiBNÏdÎŽsYò2L{ $tRô‰y`ur $tBur]
[2][tûüÉ)Å¡»xÿs9 óOèduŽsYò2r& ! $tRô‰y`ur bÎ)ur

4 $‡ZsßžwÎ) óOèdçŽsYø.r& ßìÎ7-Gtƒ $tBur]
Èd,ptø:$# z`ÏB ÓÍ_øóãƒ Ÿw £`©à9$# ¨bÎ)
$yJÎ/ 7LìÎ=tæ ©!$# ¨bÎ) 4 $º«ø‹x©
A,ym «!$# y‰ôãur ¨bÎ) Iwr&… tbqè=yèøÿtƒ

žcÎ)..tbqßJn=ôètƒ Ÿw öNèduŽsYø.r& £`Å3»s9ur

£`Å3»s9ur Ä¨$¨Y9$# ’n?tã @@ôÒsù rä%s! ©!$#
. [3][tbrã•ä3ô±o„ Ÿw öNèduŽsYø.r&

د-وهناك وسيلة قصصية فعالة في تأثيرها، وهي العبارات الختامية التعقيبية[4] التي عادة ما يحوصل بها القصص القرآني مضامينه، والتي هي مظنة الاعتبار، وخزان السنن الإلهية. وهي تبين غالبا مصارع الغابرين، وعاقبة الانحراف عن السنن.[5]

ولا أدل على ذلك من أمثال هذه النصوص القرآنية:

ÈûüÿtGt¤Ïù ’Îû ×ptƒ#uä öNä3s9 tb$Ÿ2 ô‰s%]
È@‹Î6y™ †Îû ã@ÏG»s)è? ×py¥Ïù ($tGs)tGø9$#
Nßgtr÷rt•tƒ ×ot•Ïù%Ÿ2 3“t•÷zé&ur «!$#
ª!$#ur 4 Èû÷üyèø9$# š”ù&u‘ óOÎgøŠn=÷WÏiB
’Îûžc Î) 3 âä!$t±o„ `tB ¾ÍnÎŽóÇuZÎ/ ß‰Îiƒxsãƒ
[6][Ì•»|Áö/F{$# _Í<'rT[{ ZouŽö9Ïès9 š•Ï9ºsŒ

×ouŽö9Ïã öNÎhÅÁ|Ás% ’Îû šc%x. ô‰s)s9]
$ZVƒÏ‰tn tb%x. $tB 3 É=»t6ø9F{$# ’Í<'rT[{
tû÷üt/ “Ï%©!$# t,ƒÏ‰óÁs? `Å6»s9ur 2”uŽtIøÿãƒ

---

1 - البقرة :243، وفي نفس السياق: يونس60، يوسف38، النمل73، غافر61.
2 -الأعراف: 102
3 - يونس: 36 - 60
4 - رمضان خميس، مفهوم السنن الربانية، ص48-50، 70-72
5 - نفسه، ص71. محمد سعيد مولاي، أضواء قرآنية على ظواهر كونية، ص29-33.
6 - آل عمران: 13

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

“Y‰èdur &äóÓx« Èe@à2 Ÿ@‹ÅÁøÿs?ur Ïm÷ƒy‰tƒ
[1][tbqãZÏB÷sãƒ 5Qöqs)Ïj9 ZpuH÷qu‘ur

tûïÏ%©!$# ylt•÷zr& ü“Ï%©!$# uqèd]
`ÏB É=»tGÅ3ø9$# È@÷dr& ô`ÏB (#rã•xÿx.
$tB 4 ÎŽô³ptø:$# ÉA¨rL{ öNÏdÌ•»tƒÏŠ
(#þq‘Zsßur ((#qã_ã•øƒs† br& óOçF^oYsß
z`ÏiB Nåk çXqÝÁãm óOßgçGyèÏR$¨B Oßg¯Rr&
óOs9 ß]ø‹ym ô`ÏB ª!$# ãNßg9s?r'sù «!$#
ãNÍk Í5qè=è% ’Îû t$x‹s%ur ((#qç7Å¡tGøts†
NåksEqã‹ç / tbqç/Ì•øƒäl 4 |=ôã”•9$#
tûüÏZÏB÷sßJø9$# “Ï‰÷ƒr&ur öNÍk‰Ï‰÷ƒr'Î /
Ì•»|Áö/F{$# ’Í<'ré'¯»tƒ (#rçŽÉ9tFôã$$sù
[2][

هـــ-كما تستخدم القصة القرآنية وسيلة مؤثرة، هي جمعها بين التجريد السنني والتجسيد التاريخي لتفاصيل القصة وأحداثها وشخصياتها، بما يناسب المقام والغرض.

وفي ذلك مزج قرآني رائع بين النظرية والتطبيق[3]؛ فنجد قصصا رمزيا لا تكاد تجد فيه علامة زمانية مكانية شخصية تدل على الجانب التاريخي للقصة، إلا بعد الرجوع لكتب التفسير والتاريخ.

1 - يوسف: 111
2 - الحشر: 2
3 - حسن سلمان، دراسات قرآنية، ص 136

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأحسن مثال على ذلك الأمثال القياسية[1] التي يضربها الله تعالى في القرآن للناس ولكن لا يعقلها إلا المؤمنون العالمون بالله وآياته، الراسخون المتفكرون المتدبرون في الأمور على ما ينبغي[2]. **[وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ، وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ]**[3] وكفى الأمثال شرفا أن سمى القرآن عاقلها عالما.[4] والأمثال كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول[5]، عبر إيراد أشباهه ونظائره[6]. وهو فن من الفنون الأدبية الماتعة التي من خلالها يتوصل الضارب إلى بغيته ويحقق أغراضه الراهنة، كما أنها علم من العلوم القرآنية المعبّرة عن الهداية القرآنية. [7]

والأمثال أحد الأوجه الخمسة للقرآن كما جاء في حديث أبي هريرة: **"أَعْرِبُوا الْقُرْآنَ، وَاتَّبِعُوا غَرَائِبَهُ، وَغَرَائِبُهُ فَرَائِضُهُ وَحُدُودُهُ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجُهٍ: حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَمُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ وَأَمْثَالٍ، فَاعْمَلُوا بِالْحَلَالِ وَاجْتَنِبُوا الْحَرَامَ وَاتَّبِعُوا الْمُحْكَمَ وَآمِنُوا بِالْمُتَشَابِهِ وَاعْتَبِرُوا بِالْأَمْثَالِ"**[8]

و قد عدّها الإمام الشافعي من العلوم التي يجب على المجتهد معرفتها، قال في الرسالة معددا ما

---

1 - المثل القياسي سرد وصفي قصصي أو صورة بيانية توضيحية عبر التشبيه والتمثيل المركب. د.الشريف منصور بن عون العبدلي، الأمثال في القرآن، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ص19-20. وانظر: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ/2003م، 87/1.

2 - الطـبري، جامع البيان، 40/20. البغوي، معالم التنزيل، 243/6. ابن عطية، المحرر الوجيز،319/4. الشوكاني، فتح القدير، 4/ 236. وينظـر أيـضا: الحكيم الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة، ت: السيد الجملي، دار ابن زيدون، بيروت، د.ت، ص1-2. الجرجاني، أسرار البلاغة، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت، ص84-88.

3 - العنكبوت: 43

4 - الحكيم الترمذي، نفسه ص1-2. الجرجاني نفسه، ص84-88.

5 - البغوي، معالم التنزيل، 243/6. ابن عطية، المحرر الوجيز،319/4.

6 - الطبري، جامع البيان، 40/20. الشوكاني، فتح القدير، 236/4.

7 - عبد القادر منصور، موسوعة علوم القرآن، دار القلم العربي، حلب، سورية، ط1، 2002/1422م، ص244.

8 - رواه البيهقي في شعب الإيمان، باب تعظيم القرآن، فصل في ترك التفسير بالظن، 548/3، ح2095. وضعفه الألباني وقال: حديث ضعيف جدا. أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 1412 هـ / 1992م، 523/3،ح 1346. ناصر الدين الألباني، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، طبعة مجددة ومزيدة ومنقحة، 133/1، ح935.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يلزم المجتهد معرفته: "...ثم معرفة ما ضرب فيه –أي في القرآن- من الأمثال الدوال على طاعته المبينة لاجتناب ناهيه".[1]

والمثل كالقصة لكن وقعه أسرع –كما يقول ابن القيم- ونمطه أمضى، وصياغته أسهل، وأداؤه أقوى، ومعناه أفصح وأبلغ [2] فإذا جاء المثل في أعقاب المعاني،كساها أُبَّهةً، وكَسَبها مَنْقَبَةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النُّفوس لها، ودعا القُلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلَفاً، وقَسَرَ الطِّباع على أن تُعطيها محبّة وشَغَفاً[3]

وأقول ختاما، أن القصة القرآنية قد توفر لها كل ما يمكن أن تحتاجه لتمضي في خط السنن[4]، مما جعل القصص القرآني خزانا زاخرا بفيض سنني إلهي متراكم، يدل في أفراده على عصارة كل قصة، وفي مجموعه على الناظم المحوري لالتحام عقد القصص.

ولو نظرنا إلى التاريخ في أحداثه وتفاصيله فهو قصص، أما إذا تمعنا في خلاصاته وعبره فإنه سنن؛ أي أن السنن هي عصارة الساحة التاريخية، أو لنقل هي الساحة التاريخية نفسها لكن مجففة من شخوصاتها الزمكانية الإنسانية، فهي بذلك صورة فوقية سكونية مطلقة للساحة المتحركة.

وبلغة الهندسة الرياضية، تمثل أحداث الساحة التاريخية نقاطا من منحنى دالة ما، بينما تمثل السنة تلك الصيغة الرياضية المجردة لمعادلة تلك الدالة، فينما يعبر عن الأحداث بإحداثيات رقمية مضبوطة، يعبر عن الدالة بمجاهيل تشمل تلك النقاط وغيرها، ولا تفرق بين نقطتين أي نقطتين، لأي سبب من الأسباب، إلا لسبب واحد: هل تحقق قانون المعادلة فيشملها مسار المنحنى، أم تخلّف القانون

---

1 - الشافعي، الرسالة، ت: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، القاهرة، ط1، 1940/1358، ص 34.
2 - ابن القيم، إعلام الموقعين، 239/1 وينظر: رمضان خميس، مفهوم السنن الربانية، ص74.
3 - الجرجاني، أسرار البلاغة، 115/1
4 - رمضان خميس، مفهوم السنن الربانية، ص 72.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فتشرد في المستوي الشاسع فضاؤه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثالث: نموذج تطبيقي – قصة آدم عليه السلام من منظور سني

إنّ القرآن الكريم زاخر بالقصص، لكن بعض القصص حظي بمساحة قرآنية خاصة، دلالة على عناية القرآن به، وضرورة استثماره والاعتبار منه.

ومن تلك القصص قصة آدم -عليه السلام-، وهي ثاني قصص القرآن مساحة بعد قصة موسى –عليه السلام-[1]. وقد اخترتها كأنموذج تطبيقي في هذا المقام نظرا لأهميتها وأوّليتها زمانا وتاريخا، بحكم أنها تلخّص لنا بداية الإنسانية، وتجربة الإنسان الأول، وتمتاز بتنوّع خاص لا نجده في غيرها، زمانا ومكانا، وشخصيات.

الفرع الأول: قصة آدم –عليه السلام- في القرآن الكريم

ورد ذكر أبينا آدم –عليه السلام- خمسا وعشرين مرة في تسع من سور القرآن الكريم، ستّ منها مكية[2]، خمس مرات في غير سياق قصته[3]، أما المرات المتبقية فقد توزعت على سبع مواضع بسطت فيها قصته مفصلة حينا وملخصة حينا، في حجم يتراوح بين خمس آيات كما في الإسراء، وسبعة عشر آية في سورة الحجر، فيما لخصتها آية واحدة في سورة الكهف[4] وهاهي الآيات:

جدول آيات قصة آدم

1 - آدم سادس الأنبياء ذكرا وقصته الثانية مساحة في القرآن. وقد ورد ذكر الأنبياء في القرآن على الترتيب التالي: موسى(131) إبراهيم(63) نوح(43) لوط(27) يوسف(26) آدم(25) عيسى(25) هارون(20) يعقوب(16) داوود(16) سليمان(16) إسحاق(16) إسماعيل(12) شعيب(10) صالح(09) يحيى(08) هود(07) زكريا(06) محمد(04) أيوب(04) إلياس(02) إدريس(02) يراجع في ذلك المعجم المفهرس. لكن ينبغي التنويه أن عدد مرات الذكر لا يدل على مدى تكرار قصة كل نبي في المصحف.

2 - محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس، ص24

3 - وذلك في سورة آل عمران 33، 59 المائدة 27، مريم 58 يس 60

4 - المواضع مفصلة في الجدول المرفق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفرع الثاني: أركان قصة آدم –عليه السلام-

1-الزمان: تدور أحداث القصة قبل الحياة الدنيا، وتمثل نهايتها بداية التكليف على الأرض.

2-المكان:بدأت أحداث القصة في السموات العلى، ثم انتقلت إلى الجنة، لتختم على الأرض.

3-الشخصيات: تبرز في هذه القصة شخصية آدم –البطل، محور الأحداث-، والله تعالى –موجه الأحداث_ وإبليس –منعطف الأحداث- والملائكة وحواء.

4-القاص في قصة آدم هو الله تعالى، يتجلى ذلك في ألفاظ الآيات: وإذ قلنا للملائكة، وقلنا يا آدم، قلنا اهبطوا... لكن يضمر القاص في بعض المواضع: وإذ قال ربك...

5-المشاهد[1]: يمكن تقسيم قصة آدم إلى سبعة مقاطع، ثلاث في السماء، وثلاث في الجنة، وواحد على الأرض:

المشهد الأول: مشهد الخلق والتصوير (الله والملائكة)

المشهد الثاني: مشهد تعليم الأسماء (يظهر في آدم)

المشهد الثالث: مشهد السجود (يظهر فيه إبليس)

المشهد الرابع: مشهد السكن في الجنة (تظهر فيه حواء)

المشهد الخامس: مشهد الإغواء والمعصية

المشهد السادس: مشهد التوبة

المشهد السابع: مشهد الهبوط إلى الأرض

---

1 - الجـــدول المرفق يمثل عرضا مقارنا لمواضع قصة آدم حسب المشاهد. ويلحظ من خلاله المشاهد المركز وغير المركز عليها في كل موضع. كما نسجل انفراد سورة البقرة بذكر مشهد تعليم الأسماء، وورود مشهد السجود في كل المواضع.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جدول مشاهد قصة آدم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفرع الثالث : خصائص قصة آدم –عليه السلام-

إن التدبر في قصة آدم يبرز ما فيها من خصائص القصة عموما والقصة القرآنية خصوصا؛

1- فرغم أن القصة تجري أحداثها في عالم الملكوت، إلا أن القارئ يحس وكأنه طرف فيها ممثلا في شخص آدم –عليه السلام-، مما يبرز واقعية القصة.

2- كما أن عبارات القصة وألفاظها تتسم بالوضوح المعين على الفهم الميسر لإدراك المقصد والغاية. ويكفي للتدليل على ذلك قراءة نصوص الآيات، فلا نجد فيها لفظا غامضا ولا غريبا.

3- ولا حاجة لإثبات أن قصة آدم هادفة؟ فهي نبراس لكل إنسان ليدرك قيمة ما وهبه الله وخصه به وكرمه لأجله، وليتعلم من الإنسان الأول أن المعصية طبيعة بشرية، وأن إبليس عدو الإنسان الأول، وان التوبة والتمسك بالوحي سبيل النجاح في الدنيا والنجاة في الآخرة.

4- وفوق كل ذلك، جاءت القصة في صيغة جذابة مبنى ومعنى؛ خاصة في المقاطع الحوارية التي تكاد تطغى على سرد القصة. ومن مواطن الجاذبية الأخاذة في القصة تساؤل الملائكة حول خلق آدم وجعله خليفة في الأرض، ثم موقف التحدي المثبت لكفاءة آدم، ثم تتويج ذلك بموقف السجود، ثم فترة الحضانة في الجنة، لتزداد الإثارة بظهور حواء ثم وسوسة إبليس ومعصية آدم، فالهبوط المعنوي الأول ثم الهبوط المادي الثاني إلى الأرض.

ومن مظاهر الجاذبية أن السياق ربط النهاية "المؤلمة" وهي الهبوط، ربطها بالاجتباء والتوبة والهداية: [ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى][1] مما يضفي أجواء النهاية السعيدة لبداية شاقة من الاستخلاف على الأرض. ولذلك يعقب السياق القرآني بعد قصة آدم بقوله تعالى:

---

1 - طه: 122

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

tPyŠ#uä ûÓÍ_t/ $oYøB§•x. ô‰s)s9ur]
ÎhŽy9ø9$# ’Îû öNßg»oYù=uHxqur
šÆÏiB Nßg»oYø%y—u‘ur Ì•óst7ø9$#ur
9Ž•ÏVŸ2 4’n?tã óOßg»uZù=žÒsùur ÏM»t7ÍhŠ©Ü9$#
[1] [WxŠÅÒøÿs? $oYø)n=yz ô`£JÏiB

5-أما مظاهر الإعجاز في قصة آدم، فنابعة أساسا من إعجاز القرآن ذاته، وإعجاز قصص القرآن عامة، ثم إعجاز ألفاظ الآيات لفظا ومعنى، كما أن في الآيات إعجازا غيبيا بحكم أنها المصدر الأوثق بل والأوحد لتفاصيل قصة وقعت قبل بدء الحياة الأرضية؟

كما أن تكرر القصة سبع مرات مختلفة اللفظ، وذلك مما يدل على إعجاز القرآن الكريم، فإن أكتب الكاتبين وأبلغ البلغاء إذا كتب قصة مرة يستحيل عليه أن يكتبها مرة أخرى بألفاظ غير الأولى مع المحافظة على المتانة في الأسلوب والبلاغة في التعبير كما في القرآن الكريم.[2]

6- بقي أن نشير إلى خصيصة الشمول في قصة آدم؛

أ.فهي شاملة من حيث الموضوع حينما لخصت لنا مقدمات ولواحق الحياة البشرية برمتها؛ من الخلق إلى التعليم إلى التكريم إلى العناية ثم التكليف والتسخير والاستخلاف والابتلاء والجزاء الدنيوي والأخروي.

ب. وهي شاملة من حيث الأشخاص، فقد ضمت الموجد وكل الموجودات والمفردات الكونية، ففيها الله سبحانه، والملائكة والجن ممثلة في إبليس، والإنس ذكورا وإناثا ممثلين في آدم وحواء، وفيها السماء والأرض، والدنيا والآخرة، وحتى الشجر الذي أكل منه آدم وحواء، بل حتى الحيوانات –على رواية الإنجيل- ممثلة في الحية[3] التي أغوت حواء لتغوي آدم.

---

1 - الإسراء: 70

2 - عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، دار البحار، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط2002م، ص19.

3 - جـــاء في أول الإصحاح الثالث من سفر التكوين: وكانت الحية أحيل حيوانات البرية التي عملها الرب فقالت للمرأة... الخ. ينظر: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص33.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ج. ثم إنها شاملة من حيث الزمان، فيها الماضي (قال ربك، عرضهم، أنبأهم، قلنا، سجدوا، أبى واستكبر...) والمضارع (أعلم، تبدون، تكتمون، أتجعل...) والأمر (أنبئهم، أنبئوني، اسجدوا...)

د. كما أنها شاملة أسلوبيا من حيث تضمنها الخبر والإنشاء، والحوار والسرد، ...

الفرع الرابع: منهج القرآن في عرض قصة آدم

تبدّت سننية قصة آدم –كذلك- من حيث منهج عرضها؛

1.فقد جمعت القصة بين الغرضين الديني والفني، فهي –دينيا- تؤسس للتصور الوجودي للإنسان، و-فنيا- تعرض نفس المشاهد سبع مرات بطرائق وأساليب مختلفة متنوعة، توحي بمشاهد جديدة لقصة أخرى.

ونلحظ ذلك بجلاء في لغة القصة، وخاصة في تنوع الفواصل وتعدد وقعها في كل مرة.

ولو ضربنا مثالا لموقف رفض إبليس السجود لآدم وكيف عبرت عنه الآيات:

[وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ](1)،

[ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ](2)،

[وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا](3)،

[وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ](1)،

---

1 - البقرة: 34
2 - الأعراف: 11
3 - الإسراء: 61

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى] (2)،

[فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ] (3)،

[فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ] (4).

2.تتميز قصة آدم بعد ذلك بأنها عرضت ملخصة تلخيصا مثيرا للتدبر؛ فلو تتبعنا الآيات موزعة على المشاهد السبعة للقصة، من خلال الجدول السابق، لوجدنا ما يلي:

أ.أبلغ تلخيص قدمه السياق القرآني هو الآية الخمسون في قلب سورة الكهف التي عرضت مشهد السجود كمشهد مركزي في قصة آدم، يبرز تكريم الإنسان، وعداوة الشيطان، وتحذير الرحمن.

ب.نلحظ أن كل موضع قرآني ركز على مشهد معين، فآيات البقرة ركزت على مشهد تعليم الأسماء التي لم يرد في غيرها. بينما ركزت آيات الأعراف والحجر وص على موقف السجود، وبالذات على حوار الله مع إبليس ومساءلته عن سبب امتناعه وإنظاره إلى يوم الدين، بينما موقف السجود في حد ذاته يعدّ القاسم المشترك بين المواضع القرآنية السبعة.

ج.لخصت آيات الأعراف مشهد الخلق في كلمتين: الخلق والتصوير، بينما أشارت آيات الحجر وص إلى مادة الخلق (الصلصال والطين)، فيما لخصت آيات البقرة المشهد في وظيفة هذا

---

1 - الكهف: 50

2 - طه: 116

3 - الحجر: 30، 31

4 - ص: 73 ، 74

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المخلوق وهي الخلاف في الأرض. كما لخصت آية طه مشهد السجود في كليمات: [وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى] [1] .

كما أن مشهد التوبة ملخص في نفس السياق تلخيصا معجزا: [ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى] [2]

3.من خصوصيات العرض القرآني كذلك أن قصة آدم فيها بعض التفاصيل الخالية من المثبتات؛ أ. فإن السياق لم يذكر مكان الأحداث في المشاهد الأولى.

ب. و لم يحدد موقع الجنة أهي سماوية أم أرضية؟

ج. بل لم يصرح حتى باسم المخلوق الجديد في أول القصة بل أشارت إليه: بشرا، خليفة.

د. و لم تصرح الآيات باسم زوجة آدم.

هـــ.ولا صرّحت بالكلمات التي تلقاها آدم.

و. ولا نعرف كيفية الهبوط إلى الأرض.

ز. كما أن نهاية القصة غير مذكورة، أقصد نهاية آدم وكيفية وفاته...

4.ثم إن الأحداث مرتبة زمنيا في كل المواضع عدا سورة البقرة؛ حيث قدم موقف تعليم الأسماء قبل موقف السجود، رغم أنه أسبق منه، وإلا فكيف يتعلم آدم الأسماء ويعرضها على الملائكة قبل أن يسوّى وتنفخ فيه الروح؟

5.أما عن تزاوج الحوار والسرد في قصة آدم، فقد شكّل نسقا أدبيا مبدعا، ففي سورة البقرة بدأ السياق بالحوار بين الله وملائكته حول الخليفة الجديد، ثم حوار ثلاثي بين الله وملائكته

---

1 - طه: 116

2 - طه: 122

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وآدم حول الأسماء، ويفصل بينهما نص خبري سردي سريع، لتأتي بقية المشاهد مزيجا بين لغة الحوار ولغة السرد.

بينما يبدأ سياق آيات الأعراف بالسرد ثم الحوار بين الله وإبليس، ثم حوار الله مع آدم وحواء تخلله لغة سردية سلسة لا تقطع تفاعلية الحوار. وهكذا بقية المقاطع.

الفرع الخامس: وسائل التأثير في قصة آدم

1.إن أعظم أدوات التأثير القصصي الحضور الإلهي في القصة، فكيف إذا كان الله هو القاص؛ ففي مثل قوله تعالى: وإذ قال ربك، وإذ قلنا.. دلالة على أن الله يقص علينا قصة خلقه لأبينا آدم.

والله عز وجل أحد أطراف الحوار القرآني القصصي في مختلف مشاهد القصة، مع الملائكة مرة ومع آدم أخرى ومع إبليس كذلك.

ثم إن الذات الإلهية متجلية في القصة عبر وصف الربوبية، الدال على العناية والتربية، المبرز لحضور ربنا لا في تلك المشاهد من قصة آدم فحسب بل في حياته كلها، بل وفي حياتنا نحن بني آدم.

2.من وسائل التأثير كذلك في القصة، الأمر والنهي، والمنح والمنع، والوعد والوعيد المتلازمان في مشاهد القصة، للملائكة والجن والإنس؛

فقد منح الملائكة قوة الطاعة، ومنعهم تعلم الأسماء والعقل.

ومنح إبليس الخلود "المؤقت" إلى يوم الدين، ومنعه الجنة والنعيم، ومنعه من عباد الله المخلصين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما آدم فقد منحه الله الخلق القويم، والعقل السديد، والتكريم بالسجود، وسكن الجنة والتمتع بطيباتها، ومنعه من الأكل من شجرة معينة.

أما الوعد والوعيد فقد أخرهما السياق إلى ختام القصة كحوصلة لخيارين وسبيلين؛ سبيل اتباع الهدى، وسبيل التكذيب والكفر.

3. وإلى جانب كل ذلك، فقد تخللت مشاهد القصة عبارات تعقيبية وفواصل قرآنية تبرز سننية القصة وجاهزيتها للاعتبار والعظة.

من تلكم العبارات: إني اعلم ما لا تعلمون، ولا تجد أكثرهم شاكرين، إن الشيطان لكم عدو مبين، بئس للظالمين بدلا، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين...

عن هذه التعقيبات وأمثالها لوسائل فعالة في استجلاب الأثر والوقع في النفوس الحية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الفرع السادس: السنن الإلهية في قصة آدم

لو حاولنا تخفيف السرد القصصي في قصة آدم في المواضع السبعة لاستخراج زبدة ما فيها من سنن إلهية، لما كان كثير فرق بين حجم النص وحجم ما يحويه من سنن، لأنه زاخر بالسنن، سنن الاستخلاف، وسنن تسخير الكون ومفرداته للإنسان، فإن قصة آدم مفتاح الرؤية الوجودية التصورية للعقل المسلم، هذا إجمالا، أما تفصيلا فلن تبخل علينا مشاهد القصة بكنوزها السننية؛

المشهد الأول: يلخص لنا مشهد الخلق سنن الخلق بشتى مستوياتها، خلق الكون وتسخيره للإنسان، وخلق الإنسان نفسه ومادة خلقه وتحولاتها من طين إلى صلصال وحمأ مسنون.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما يبرز المشهد الوظيفة الوجودية للإنسان : الخلافة في الأرض.

ويقارن المشهد بين سنن خلق الملائكة (التسبيح والتقديس) وسنن خلق البشر (الإفساد وسفك الدماء).

ويختم سياق المشهد بسنن العلم الإلهي.

المشهد الثاني: تبرز أحداث مشهد الأسماء سنن التعلم الإنساني، وقدرات التحكم التسخيري في الأشياء التي تبدأ من التسمية، التي هي نوع من الحكم الأولي عليه، والحكم على الشيء فرع عن تصوره كما يقال.

وإذا كانت المقارنة بين الملائكة والبشر في المشهد السابق أبرزت "تفوقا ملائكيا" فإنها هنا تفيد العكس، فإن عجز الملائكة عن تعقل الأشياء وتسميتها أبرز أفضلية آدم وتفوقه في هذا المجال.

ويكرّر السياق الختم بعلم الله كما في السابق.

المشهد الثالث: موقف السجود يختزن سنن التكريم والتأييد الرباني للإنسان، وسجود المخلوقات الأخرى له دالّ فيما يدلّ على خضوعها السنني له، وتحكّمه التسخيري فيها.

كما يبرز المشهد التمرّد الإبليس ليرسم خط المواجهة مع آدم. والحقيقة أن هذا نوع من التسخير، حتى يجتمع للإنسان دواعي الخير ودواعي الشر، وتتحرك سنن الابتلاء.

ومن نعم الله على آدم أن فضح له بعض الأساليب الإبليسية في هذا المقطع.

المشهد الرابع: بخلق حواء تجلّت سنة الزوجية التي التحق بها آدم بعد بقية الموجودات الكونية.

أما الأمر والنهي في الجنة فهما دلالة بدء سنن التكليف.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المشهد الخامس: يبين عظم وخطر الكيد الشيطاني الذي استطاع إغواء آدم مستغلا ضعف حواء، لتبدأ سنن الطاعة والمعصية، والموافقة والمخالفة، وتتجلى آدمية البشر أكثر عبر انكشاف العورات وتفتح الأعين على معطيات لم يكن يدركها آدم وحواء قبل الأكل من الشجرة.

المشهد السادس: سنن التوبة هي العنوان الأشمل لهذا المقام. ويرتبط ذلك بسنن الوحي والهداية الإلهية، مقترنا كل ذلك بالرحمة الإلهية والاعتراف البشري بالخطأ.

المشهد السابع: بالهبوط على الأرض بدأ الاستخلاف الأرضي المؤيد بالهدي الإلهي، والمرتب لمواقف البشر منه عبر اتباع الهدى أو الكفر به، مع بين سنني لمسار ومآل كل فريق.

هذا بالنظر لترتيب المشاهد، ولو أعدنا **تصنيف السنن** المستمدة من سياقات قصة آدم – عليه السلام- لتحصلنا على النتائج الموضحة في الجدول الموالي:

- فقد ركّزت الآيات على سنن الهداية والأنفس مقارنة بسنن الكون، ولذلك ما يبرّره، فالقصة تركز على استخلاف آدم وتكريمه، ثم تدريبه وتأهيله، ليبدأ استخلافه على الأرض. أما سنن الكون والعناية في القصة فتمثل مدخلا وبداية، بخلق الكون وتسخيره للإنسان، الذي خلق لاحقا وحضر جانب الجسدي المادي، قبل مشاهد التكريم: السجود والأسماء.
- لكن ذلك لا يعني عدم ورود سنن آفاقية في القصة، فقد أورد السياق مادة خلق الإنسان مجملة ومفصلة: طين، صلصال، حمأ مسنون، وهذه ليست مواد مختلفة بل هي مراحل تشكل المادة الخلقية للإنسان، في مقابل مادة خلق الجن : النار التي ذكرت في معرض احتجاج إبليس.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- أما السنن النفسية والاجتماعية والتاريخية في السياق القصصي، فقد حازت مساحة محورية، تلخص التجربة الإنسانية كلها في التجربة الأولى للإنسان الأول: سنن الاستخلاف.
- وقد تجلت في القصة سنن التعلم وإعمال العقل وتفاعل الروح مع المادة لإنتاج النفس البشرية بفطرها وغرائزها التي تخفضها، في مقابل العناية والتكريم الإلهي الذي يرفعها.
- ومن السنن التي أشار إليها السياق سنة الزوجية والحاجة للسكينة والاستقرار. كما بينت الآثار النفسية والاجتماعية للطاعة والمعصية في رفع وخفض الإنسان، وصعوده وهبوطه المادي والمعنوي. ويركز السياق على خطر العداوات وآثارها السيئة من إفساد وسفك للدماء، وإباء واستكبار وكفر وتكذيب.
- أما سنن الهداية فقد لفّت مشاهد القصة كلها، في ظل العلم الإلهي المحيط بالتجربة البشرية.
- لتتجلى بعد ذلك عبر سنن الخلق والتكريم والاجتباء، وسنن الابتلاء والتأييد والحفظ، وسنن الهداية والعصمة من الضلال والشقاء، وسنن المنح والمنع الإلهي، والأمر والنهي.
- كما كشفت القصة المخطط الإبليسي بكل مداخله وتلبيساته، وسجلت جذوره وبداياته، ومداه ومآله، وخطره وآثاره.
- كل هذا التفصيل السنني يجفّف القصة من شخوصاتها الزمانية المكانية الإنسانية، ليرسم لنا قصة الإنسان بين هداية الرحمن وغواية الشيطان، ويجد كل مشهد وتفصيل موقعه من هذا الرسم السنني: آدم الإنسان (الذكر) حواء الإنسان (الأنثى)

§ الملائكة دواعي الخير في مقابل الشيطان دواعي الشر

§ السجود التكريم/نعمة العقل/تشكل النفس(مادة +روح)/التسخير والتحكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

§ تعليم الأسماء وعي سنن المفردات الكونية

§ الجنة الحضانة / العناية / التأهيل والتدريب الإلهية (الفطرة)

§ الشجرة شهوات النفس / الممنوعات والمحرمات

§ معصية آدم وتوبته سنن الطاعة والمعصية، سنن التوبة والإنابة

§ الأمر والنهي /الكلمات الإلهية الوحي والشريعة

§ الهبوط الأول (معنوي) الضعف والقصور المعنوي للإنسان

§ الهبوط الثاني (مادي) النزول للأرض والاستقرار فيها، الأرض هي المجال السنني التسخيري الأوحد للإنسان.

وهكذا تبقى قصة آدم القصة القرآنية المتكررة كل يوم في كل تجربة سننية آدمية تتنازع فيها سنن الهداية وسنن الضلال، وتتدافع فيها دواعي الخير ودواعي الشر في حياة الإنسان، وتتقلب حاله بين سنن الطاعة وسنن المعصية، ويجاهد نفسه للتوبة والاعتراف والتصحيح، ليبقى إنسانا من نسل آدم عليه السلام.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جدول سنن قصة آدم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جدول يمثل تصنيفا مجاليا للسنن الإلهية في قصة آدم –عليه السلام-

السنن المشهد	سنن الآفاق سنن العناية السنن الكونية	سنن الأنفس سنن الرعاية السنن الاجتماعية	سنن الأمر سنن الهداية سنن الوحي
الأول مشهد الخلق	سنن خلق الإنسان التسخير السنني للكون للإنسان	الإفساد وسفك الدماء	التسبيح والتقديس العلم الإلهي
الثاني مشهد الأسماء	التحكم التسخيري للإنسان في المفردات الكونية	سنن التعلّم إعمال العقل	سنن التعليم الإلهي الابتلاء سبيل التفاضل
الثالث مشهد السجود	تسوية الجسد البشري	التكريم الإلهي للإنسان قيمة العقل والروح الإباء والكفر والاستكبار	التأييد الإلهي لآدم بالملائكة الاستجابة للأمر الإلهي مداخل إبليس عصمة المخلصين من الشيطان
الرابع سكن الجنة	الحاجات الفطرية للجسم	سنة الزوجية السكن الرغيد	المنح والمنع التحذير من الشيطان الحفظ الإلهي للإنسان
الخامس مشهد الإغواء	الآثار الكونية للمعصية	الاستقرار والمتاع الدنيوي مؤقت الآثار النفسية والاجتماعية للمعصية الرغبة الفطرية في الملك والخلود	الكيد الإبليسي لإغواء الإنسان تلازم المعصية والهبوط المعنوي والمادي
السادس مشهد التوبة	الآثار الكونية للتوبة	الاعتراف بالخطأ	الاجتباء الإلهي الرحمة الإلهية بفتح باب التوبة أثر هداية الوحي في التوبة
السابع مشهد الهبوط	التسخير السنني المؤقت للأرض	الاستخلاف الإلهي للإنسان الاتباع سبيل الأمن والسعادة الكفر والتكذيب سبيل الخوف والحزن العداوات البشرية	المواقف البشرية من الهدي الرباني عداوة الإنسان والشيطان سنن الضلال والشقاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نماذج لأطراف الحوار في القرآن (على سبيل المثال لا الحصر)

في عالم الغيب	
ما قبل الدنيا - الآخرة	
{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)} [البقرة:30-32] ، الحجر 28-31	{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ا
{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ(12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ(13) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ(15) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ(16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(17) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ(18)}[الأعراف:12-18]الحجر 32-40،النساء 16،الإسراء 64...	{إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (117) لَعَنَهُ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينً
{يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي... } [المائدة: 109، 110] {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) ... قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119)} [المائدة: 116 - 119]	{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَـ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: 260]
{أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (105) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (106) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (107) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (108) } [المؤمنون: 105 - 109] ، الأعراف 172	{وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ [الأنفال: 32، 33]
	{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69) } [النحل: 68 - 70]
{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت: 11]	{وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَ
	{فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا
{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 97] {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت: 30]	{وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْ {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ
{قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ (38) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (39) إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (40)} [الأعراف: 38 - 40]	{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِ
t {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } [الأنعام: 128]	{قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ
{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [إبراهيم: 22]	{وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّ الَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَ الْعِقَابِ} [الأنفال: 48] {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ
	ø {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ [يوسف: 100]
	{قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (115) قَالَ أَلْقُ 74، الكهف 110،41، الأعراف 188، هود27، 67، الحجر21،النحل5
{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (39) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (40) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (41) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (46) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (47) } [المدثر: 38 - 47] الأعراف37-39، سبأ31-33، الصافات27-34...	{لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (7) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُ لَنَاصِحُونَ (11) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (12) قَالَ إِذًا لَخَاسِرُونَ (14) } [يوسف: 7 - 14] يوسف، 19، 31-32، 50-
	{وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُ عَ يَقِينٍ} [النمل: 20-22] {قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27)
	{حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نماذج لأطراف الحوار في القرآن (على سبيل المثال لا الحصر)

أطراف	الحوار	في عالم الشهادة	
الأول	الثاني	الحياة الدنيا	
الله	الملائكة	{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال: 12]	{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِ 31
الله	الشيطان	{إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (117) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (118) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (119) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (120)} [النساء:117- 120]	{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَا يُبْعَثُونَ(14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ(15 17) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَ
الله	الأنبياء	{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: 260]	{يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَا {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ((119)} [المائدة: 116 - 119]
الله	البشر	{وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (32) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33) } [الأنفال: 32، 33]	{أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا (108) } [المؤمنون: 105 - 109]
الله	الحيوان	{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69) } [النحل: 68 - 70]	
الله	الجماد	{وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [هود: 44]	{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَا
الملائكة	الأنبياء	{فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ} [آل عمران: 39]	
الملائكة	البشر	{وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)} [آل عمران: 42، 43] {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) } [آل عمران: 45]	{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِ {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّ
الجن	الجن	{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2)} [الجن: 1، 2] {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (31)} [الأحقاف: 29 - 31]	{قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِ
الجن	البشر	{قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ} [النمل: 39]	**t** {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } [الأنعام: 128]
الشيطان	البشر	{وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال: 48] {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (16) } [الحشر: 16]	{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُو
الأنبياء	الأنبياء	**ø**{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ}[يوسف:4] **y** {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100)} [يوسف: 100]	
الأنبياء	البشر	{قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (115) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (116)} [الأعراف: 115، 116] آل عمران 74، الكهف 110،41، الأعراف 188، هود27، 67، الحجر21،النحل75، ص5، الزخرف102، الشعراء136...	
البشر	البشر	{لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (7) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (10) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (11) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (12) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (14) } [يوسف: 7 - 14] يوسف، 19، 31-32، 50-53، 70-77....	{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38) إِ الْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِ الأعراف37-39، سبأ31-33، الصا
الحيوان	الأنبياء	{وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ . فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ} [النمل: 20-22] {قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28)} [النمل: 27، 28]	
الحيوان	الحيوان	{حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) } [النمل: 18 - 20]	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البقرة 30-39	الأعراف 10-25	الإسراء 61-65	الكهف 50	طه 115-124	الحجر 26-52	ص 71-85
وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا	وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (10) وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (15) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (18) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (62) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (63) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (65)	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50)	وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (26) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (27) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (32) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (33) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (34) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (35) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (36) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (37) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (38) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (40) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (41) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (42) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (43) لَهَا سَبْعَةُ	إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (78) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (84) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (85)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

	أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (44)				سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25)	جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

	البقرة 30-39	الأعراف 10-25	الإسراء 61-65	الكهف 50	طه 115-124	الحجر 26-44	ص 71-85
مدخل تمهيدي	كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(29)	وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (10)	وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (60)	وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49)	وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115)	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (26) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (27)	قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (67) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (68) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (69) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (70)
المشهد 1 الخلق وموقف الملائكة	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30)	وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ				وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28)	إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71)
المشهد 2 تعليم الأسماء	وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33)						
المشهد 3 السجود	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)	ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (15) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (18)	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (62) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (63) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (65)	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50)	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116)	فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (32) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (33) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (34) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (35) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (36) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (37) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (38) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (40) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (41) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (42) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (43) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (44)	فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (78) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (84) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (85)
المشهد 4 السكن في الجنة والتكليف	وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35)	وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19)			فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119)		
المشهد 5 الإغواء والمعصية الهبوط الأول	فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36)	فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ			فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121)		
المشهد 6 التوبة	فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)	وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ			ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122)		

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

		الْخَاسِرِينَ (23)					
المشهد 7 الاستخلاف في الأرض الهبوط الثاني	قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39)	قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25)			قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)		
تعقيب ختامي	يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40)	يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (26) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (27)	... وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (70)	مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (51)	قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126)	إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (45) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (46)	قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ(86) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ(87) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ(88)

قصة آدم -عليه السلام- في القرآن الكريم – عرض سنني مقارن حسب المشاهد –

	البقرة 30-39	الأعراف 10-25	الإسراء 61-65	الكهف 50	طه 115-124	الحجر 26-44	ص 71-85
مدخل تمهيدي	الموت والحياة خلق السموات والأرض العلم الإلهي	التمكين الإلهية للإنسان قلة الشكر البشري للإنعام الإلهي	الإحاطة الربانية الفتنة والتخويف الطغيان البشري	وضع الكتاب يوم القيامة وحال المجرمين العدل الإلهي	العهد الإلهي النسيان الآدمي وعدم العزم	الخلق الصلصالي للإنسان الخلق الناري للجان	الإعراض عن النبأ العظيم قصور العلم البشري بالملأ الاعلى الرسالة النبوية: الإنذار بالوحي
المشهد 1 الخلق وموقف الملائكة	استخلاف الإنسان في الأرض (تسخير سنني) الإفساد وسفك الدماء / التسبيح والتقديس العلم الإلهي	الخلق والتصوير				الخلق الصلصالي للبشر	الخلق الطيني للبشر
المشهد 2 تعليم الأسماء	تعليم آدم الأسماء (سنن الوجود) القصور الملائكي والتحكم الآدمي العلم الإلهي الغيبي						
المشهد 3 السجود	السجود الملائكي لآدم (تأييد سنني) الإباء والاستكبار الكفري الإبليسي	موقف السجود وامتناع إبليس تبرير إبليس امتناعه بمادة خلقه الله يحدد مسار إبليس ومآله بعد إنظاره وإخراجه مسار إبليس: إغواء بني آدم عن الصراط المستقيم	السجود – امتناع إبليس – التبرير بمادة الخلق مداخل إبليس: الاستفزاز بالصوت -الجلب بالخيل والرجل-مشاركة الأموال والأولاد- الوعد الغرور عباد الله لا سلطان للشيطان عليهم الله وكيل عباده	السجود امتناع إبليس وفسقه عن أمر ربه التحذير من البدل السيء: ولاية الشيطان من دون الله	السجود الملائكي الإباء الإبليسي	توقيت السجود وسره: تسوية الجسد ونفخ الروح تبرير إبليس لامتناعه عن السجود (مادة خلق آدم) عقوبة إبليس:الإخراج – الرجم – اللعن – الإنظار رسالة إبليس: التحريف عن الصراط المستقيم عصمة عباد الله المخلصين من الشيطان قيادة الشيطان للغاوين إلى جهنم	توقيت السجود وسره: التسوية بيد الله ونفخ الروح تبرير إبليس لامتناعه (مادة خلق آدم) جرم إبليس: استكبار وكفر وغلو العقوبة الإخراج – الرجم – اللعن – الإنظار رسالة إبليس: إغواء البشر عصمة العباد المخلصين من الشيطان قيادة الشيطان لأتباعه إلى جهنم
المشهد 4 السكن في الجنة والتكليف	الزوجية وسكن الجنة بين المنح والمنع: المنح: الأكل الرغيد المباح المنع: عدم الأكل من الشجرة	الزوجية وسكن الجنة بين المنح والمنع المنح: الأكل الرغيد المباح المنع: عدم الأكل من الشجرة			نداء التحذير لآدم من عدوه إبليس سعي إبليس لإخراج آدم من الجنة حفظ آدم من الجوع والعطش والعري والحر		
المشهد 5	الكيد الشيطاني:	الوسوسة الشيطانية			وسوسة الشيطان		

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإغواء والمعصية الهبوط الأول	الإخراج من الطاعة والهبوط إلى المعصية بداية العداوة الأبدية بين آدم والشيطان تسخير الأرض كمستقر ومتاع مؤقت	والتدلية بالغرور الربط الشيطاني للمنهيات بالخلود اقتراف المعصية وانكشاف السوءات			ووعد آدم بالخلد والملك المعصية سبيل الفضيحة والغواية		
المشهد 6 التوبة	التلقي الآدمي للكلمات الربانية التوبة الآدمية والرحمة الإلهية	النداء الرباني لصد العداوة الشيطانية والخسران اعتراف الآدم بظلم النفس ورجاء المغفرة والرحمة			تلازم : الاجتباء – التوبة - الهداية		
المشهد 7 الاستخلاف في الأرض الهبوط الثاني	الهبوط الجماعي إلى الأرض الموقف من الهدى: اتباع الهدى سبيل عدم الخوف والحزن الكفر والتكذيب سبيل الخلود في النار	الهبوط العداوة المستقر والمتاع الأرضي المؤقت			الهبوط إلى دار العداوة اتباع الهدى سبيل عدم الضلال والشقاء الإعراض عن الهدى سبيل الضنك والعمى		
تعقيب ختامي	الأمر الإلهي لبني إسرائيل: ذكر النعم الإلهية الوفاء بالعهد الرهبة من الله	النداء الإلهي لبني آدم بالتزام لباس الستر ولباس التقوى ضرورة التذكر بآيات الله التحذير من فتنة الشيطان وكشفه للعورات الآدمية	التكريم الإلهي للإنسان وحمله برا وبحرا الرزق من الطيبات التفضيل على بقية الخلق	عدم شهود البش خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم عدم اتخذ الله المصلين عضدا	نسيان الآيات في الدنيا يؤدي إلى العمى والنسيان يوم الحشر	دخول المتقين الجنات بسلام آمنين	القرآن رسالة موعظة للعالمين الظهور المستقبلي للنبأ القرآني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهارس البحث:

أولا: فهرس الآيات القرآنية

مرتبة ألفبائيا على حروف طرف الآية

ثانيا: فهرس الأحاديث والآثار

مرتبة ألفبائيا على حروف طرف الحديث

ثالثا: فهرس الجداول والمخططات

مرتبة حسب ورودها في البحث

رابعا: فهرس المصادر والمراجع

مرتبة ألفبائيا على حروف أسماء مؤلفيها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خامسا: فهرس الموضوعات

مرتبة حسب ورودها في البحث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولا: فهرس الآيات القرآنية

مرتبة ألفبائيا على حروف طرف الآية

الصفحة	نص الآية	الرقم	السورة
36		3	الفرقان
	« سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا »	62	الأحزاب
	« سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا »	77	الإسراء
	« قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ »		
	« يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ »		
	«سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا »		
	« إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ »	54	الأعراف
	« وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ »	56	الذاريات
	« اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ »	8	الرعد
	«وهو القاهر فوق عباده »	18	الأنفال
	« أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »	165	آل عمران
	« أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ »	214	البقرة
	« تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا »	44	الإسراء
	« وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا »	36	الإسراء
	« وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ	78	النحل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

		السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »	
النحل	83	« يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ »	
الحج	46	« أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ »	
العنكبوت	20	« قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »	
يوسف	109	« أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ »	
غافر	82	« قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ »	
محمد	10	« أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ »	
الإنسان	30	« وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ »	
الملك	14	« أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ »	
النساء	26	« يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ	
فاطر	43	«فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا »	
النحل	101	« وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ »	
الأعراف	95	« ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ »	
غافر	85	« فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ « الْكَافِرُونَ »	
الأحزاب	62	« وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا »	
الفتح	23	« سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ »	
الأحزاب	62	« سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ »	
إبراهيم	48	« فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ. يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ »	
الأنعام **الأعراف** **الأعلى**	128 188 7	« إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ »	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فاط ر	43	« فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا »	
الروم	30	« لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ »	
النساء	119	« وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ »	
		« لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ »	
الإسراء	20	« كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا »	
القلم	35،36	« أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ. مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ »	
الإسراء	20	« كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا »	
النساء	104	« وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا »	
الحج	40	« وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا »	
الأنعام الإسراء فاطر الزمر النجم	164 15 18 7 38	« وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى »	
البقرة	286	« لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا »	
الحج	38	« إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا »	
آل عمران	140	« وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ »	
مريم	68	« فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا »	
غافر	17	« الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ »	
الزلزلة	6	« يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ »	
الانفطار	13، 19	« إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ. يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ. وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ. ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ. يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا »	
		« وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ »	
		« وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ »	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الزلزلة	7، 8	« فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ »	
		« الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ »	
		لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ »	
النبأ	26	« جَزَاءً وِفَاقًا »	
		« الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ	
الملك	4	ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير	
ص	27، 29	وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ(27) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ(28) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ(29)	
المعارج	19-23	إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا. إِلَّا الْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ	
التوبة	122	وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ	
الحجرات	9	وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ	
آل عمران	44	ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ	
النساء	34	فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ	
يوسف	51، 52	قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ. ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ	
الأعراف	188	قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ	
البقرة	29	هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ	
البقرة	30	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البقرة	31	وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا	
البقرة	32	قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ	
البقرة	34	فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ	
البقرة	36	فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ	
هود	6	وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ	
الرعد	8	اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ	
الحجر	4، 5	وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ(4)مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ	
الحجر	21	وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ	
لقمان	34	إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ	
غافر	17	الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ	
النور	24	يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ	
المائدة	48	لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا	
طه	123، 124	قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى. وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى	
الشمس	7، 10	وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا	
الأعراف	54	إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ	
النحل	128	إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون	
الطلاق	2	ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه	
البقرة	249	كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأنعام	73	وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ	
		وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ	
		وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ	
الأعراف	54	إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ	
فصلت	53	سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ	
البقرة	164	خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	
الروم	21	خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا	
المائدة	110	وَإِذْ تَخْلُقُ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ	
الروم	30	لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ	
النساء	119	فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ	
الروم	30	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	
الروم	8	أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ	
الروم	11-12	اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ	
الروم	30	لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	
		لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ	
النساء	119	فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ	
الإسراء	85	أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي	
التوبة	48	حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ	
السجدة	5	يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ	
الطلاق	12	يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ	
فصلت	53	سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

		سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ	
آل عمران	137	قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ..........	
النساء	26	يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ......	
الأنفال	38	قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ......	
الحجر	13	لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ..	
الإسراء	77	سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا..............................	
الكهف	55	وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا	
الأحزاب	38	مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا	
الأحزاب	62	سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا	
فاطر	43	اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا	
غافر	85	فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ	
الفتح	23	سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا	
يوسف	103	وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ	
آل عمران	137	قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ	
الأحزاب	38	سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا	
الكهف	59	وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا	
الرعد	11	لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرعد	11	إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ	
الجن	16	وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا	
الإسراء	16	وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا	
الشورى	13	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ	
آل عمران	133	وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ	
آل عمران	139	وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	
آل عمران	140، 142	إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ. وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ. أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ	
الروم	23	وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ	
النحل	66	وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ	
الأعراف	128	قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ	
الكهف	83، 85	وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا. إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا. فَأَتْبَعَ سَبَبًا	
البقرة	137، 138	فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ	
الروم	29، 30	بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ. فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	
آل عمران	110	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

		وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ	
المؤمنون	1-5	قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ	
القصص	83	تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ	
الأنبياء	11	وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ	
البقرة	143	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا	
الأنعام	165	وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ	
الروم	21	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ	
الرعد	11	إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ	
الطلاق	2-3	وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ	
آل عمران	159	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ	
الحج	40	وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا	
البقرة	251	وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ	
النساء	28	وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا	
الإسراء	20	كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا	
آل عمران	14	زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ	
الأحزاب	4	مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فصلت	49	لا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ	
فصلت	34	وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ	
الأعراف	16، 17	وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ	
آل عمران	103	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا	
القصص	77	وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ	
التوبة	122	وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ	
الأحزاب	48	وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا	
لقمان	18	وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ	
الأنفال	46	وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ	
العنكبوت	1-2	الم. أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ	
آل عمران	162	أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ	
القلم	35	أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ	
المعارج	21-22	وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا. إِلاَّ الْمُصَلِّينَ	
العصر	1-3	وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ	
التوبة	51	قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا	
العنكبوت	64	وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ	
القصص	5، 6	وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ	
القصص	83	تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ	
يوسف	90	قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ	
يوسف	87	يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ	
الرعد	87	أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ	
البقرة	185	يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ	
الحج	5	وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا	
فصلت	12	فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا	
يس	39	وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ	
التوبة	48	لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ	
هود	118-	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

	119	خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ	
الحج	65	وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ	
المجادلة	21	كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ	
يونس	109	وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ	
الشورى	24	وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ	
يس	7	لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	
لقمان	10، 11	خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ...هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ	
البقرة	30	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ	
الأنعام	141	وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ	
البقرة	185	يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ	
القصص	5	وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ	
النساء	28	يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا	
التكوير	29	وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ	
البقرة	105	وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ	
آل عمران	6	هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ	
الأنعام	39	وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	
البقرة	251	فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ	
آل عمران	145	وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ	
التغابن	11	مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ	
التوبة	48	لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ	
هود	44	وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ	
الشورى	53	صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ	
يس	82	إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.	
الأنعام	125	وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ	
الزمر	19	أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ	
يزنس	64	لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ	
النساء	171	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ	
يس	7	لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	
مريم	34	ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ	
المجادلة	21	كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ	
المائدة	45	وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

		بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ	
الرعد	38	وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ	
فصلت	12	فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا	
الإسراء	23	وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا	
الأنعام	2	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ	
مريم	21	قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا	
يس	39	وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ	
فصلت	10	وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ	
المزمل	20	وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ	
الرعد	26	اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ	
المرسلات	23	فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ	
الأحزاب	38	مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا	
الأعلى	3	وَالَّذِي قَدَّرَ فَــــهَدَى	
طه	50	قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى	
الجن	16	وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا	
الجن	17	وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا.	
الشورى	13	شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ	
المائدة	48	لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا	
الجاثية	18	ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنْ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ.	
الأحزاب	4	وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ	
الإنسان	3	إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا	
الأنعام	153	وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ	
المائدة	48	لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا	
الروم	22	وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ	
يس	33	وَآيَةٌ لَهُمْ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ	
آل عمران	13	قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُوْلِي الْأَبْصَارِ	
البقرة	187	تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ	
القصص	36	فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ	
الروم	30	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البقرة	137-138	فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ	
الكهف	84-85	إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا. فَأَتْبَعَ سَبَبًا	
ص	14	إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ	
هود	49	تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ	
النمل	14	وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ	
الزخرف	8	فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ	
الزمر	27	وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ	
محمد	10	أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا	
الرعد	6	وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ الْمَثُلَاتُ	
النور	44	يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُوْلِي الْأَبْصَارِ	
آل عمران	13	قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُوْلِي الْأَبْصَارِ	
النازعات	25-26	فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى	
إبراهيم	48	يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ	
الأحزاب	62	سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ	
الفتح	23	وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا	
الإسراء	77	ولاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا	
يس	82	إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون	
إبراهيم	48	يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ	
الصافات	23-24	احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ(22) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ(23)	
البقرة	1-2	[الم(1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ(2)]	
الزمر	36-37	[أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ(36) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ(37)]	
الحجرات	17	[يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ]	
الزمر	18	[الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ]	
الفاتحة	6	[اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ]	
		[أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ]	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التغابن	11	[مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ]	
البقرة	38	[قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ]	
الليل	12-5	[فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(10) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى(11) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى(12)]	
النساء	26	[يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ]	
الشورى	13	[شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ]	
طه	109	[يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا]	
النجم	26	[وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى]	
المجادلة	22	[لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]	
طه	84	[وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى]	
المائدة	3	[الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا	
الزمر	7	[إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ]	
النساء	108	[يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا	
التوبة	96	[يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

		الْقَوْمِ الْفَاسِقِين	
التوبة	104	[أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ]	
المائدة	27	[وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ]	
الأحقاف	16	[أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ]	
التوبة	53-54	[قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (53) وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (54)]	
آل عمران	85	[وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ]	
آل عمران	90	[إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ	
البقرة	222	[إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ	
آل عمران	146	[وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ	
الصف	4	[إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ	
المائدة	87	[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ	
لقمان	18	[وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ	
القصص	76-77	[إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77)	
الفرقان	63، 77	[وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) ... أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (75) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

		(76)	
لقمان	13، 19	[وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ(13)..وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ(19)	
الأنعام	151-153	قال تعالى: [قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)	
المؤمنون	1-11	[قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11)]	
الفاتحة	6	[اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ	
البقرة	248	[إنّ في ذلك لآية..	
يس	33،37 41،	وآية لهم...	
الروم فصلت الشورى	20، 25، 46 37، 39 29، 32	ومن آياته...	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البقرة	164	[إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ	
الحاقة	4، 12	[كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ(4) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ(5) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ(6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ(7) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ(8) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ(9) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً(10) إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ(11) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ(12)	
البقرة	21، 22	[يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(22)	
الإسراء	12	[وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا	
الإسراء	9، 11	[إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ... وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا	
الإسراء	13، 15	[وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا(13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا(14) مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا(15)	
غافر	78	[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ	
النمل	76	[إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ	
سورة الفيل	1، 5	[أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ(1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ(2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ(3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

		سِجِّيلٍ(4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ(5)	
الروم	5-1	[الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5)	
آل عمران	137	[قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ	
المؤمنون	51، 52	يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (52)	
ج- يوسف	111	لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ	
يوسف	3	[نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ	
الأنعام	130	يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ	
الأنعام	90	أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ	
فاطر	43	فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا	
الأحزاب	38	سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا	
يوسف	3	نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ	
الحشر	2	هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ	
يوسف	103	Ä¨ $ ¨Y 9 $ # ç ŽsYò2 r & ! $ tBu r | Mô¹ t • y m öqs9 u r tûü Ï Y Ï B÷sß J Î /	
الشعراء	8	Zp t ƒUy y 7 Ï 9 ºsŒ ’ Îû ¨ b Î Nè d ç ŽsYø . r & t b%x . $ tBu r tûü Ï Z Ï B÷s• B	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

	Ÿw ó O è d ç ŽsYø . r & ö@t /] Nß g sù ¨ , p t ø : $ # t b q ß J n = ô è t ƒ t b q à Ê Ì • ÷ è • B	24	الأنبياء
	# q ç R% x . $ ¨ B] b r & Hw Î # þ q ã Z Ï B ÷sã ‹ Ï 9 £ ` Å3 »s 9 u r ª ! $ # u ä ! $ t ± o „ t b q è = y g ø g s† öN è d u ŽsYò2 r &	111	الأنعام
	’ n ? t ã @@ô Òsù r ä%s ! © ! $ # c Î] £ ` Å3 »s 9 u r Ä ¨ $ ¨ Z 9 $ # Ÿw Ä ¨ $ ¨ Y 9 $ # u ŽsYò2 r & š c r ã • à6ô ± o „	243 60 38 73 61	البقرة يونس يوسف النمل غافر
	N Ï d Î ŽsYò2L $ t Rô‰ y ` u r $ t B u r ] b Î u r 7 ‰ô g t ã ô ` Ï i B ó O è d u ŽsYò2 r & ! $ t Rô‰ y ` u r tûüÉ Å ¡ » x ÿ s 9	102	الأعراف
	ß ì Î 7 - Gt ƒ $ t B u r] 4 $ ‡ Zsß žw Î ó O è d ç ŽsYø . r & Ó Í _ ø ó ã ƒ Ÿw £ ` © à 9 $ # ¨ b Î 4 $ º « ø ‹ x © È d , p t ø : $ # z ` Ï B $ y J Î / 7 L ì Î = tæ © ! $ # ¨ b Î ¨ b Î I w r & … t b q è = y è ø ÿ t ƒ £ ` Å3 »s 9 u r A , ym « ! $ # y ‰ô ã u r .. t b q ß J n = ô è t ƒ Ÿw öN è d u ŽsYø . r & ’ n ? t ã @@ô Òsù r ä%s ! © ! $ # žc Î £ ` Å3 »s 9 u r Ä ¨ $ ¨ Y 9 $ # t b r ã • ä3ô ± o „ Ÿw öN è d u ŽsYø . r &	،36 60	يونس
	’ Î û ×p t ƒ # u ä öNä3s9 t b $ Ÿ2 ô‰s%] ×p y ¥ Ï ù $ tGs tGø 9 $ # Èû÷ü tGt ¤ Ï ù « ! $ # È@‹ Î 6y ™ † Î û ã@ Ï G»s è ? ×o t • Ï ù%Ÿ2 3“ t • ÷ z é & u r ó O Î g øŠn = ÷W Ï i B NßgtR÷ r t • t ƒ 4 Èû÷ü y è ø 9 $ # š ” ù & u ‘ ß‰ Î i ƒ x sã ƒ ª ! $ # u r 3 â ä ! $ t ± o „ ` tB ¾ Í n Î Ž ó Ç u Z Î / Z o u Ž ö 9 Ï è s 9 š • Ï 9 º sŒ ’ Î û žc Î Ì • » | Á ö / F $ # _ Í < ' r T [	13	آل عمران
	öN Î h ÅÁ | Ás% ’ Î û š c%x . ô‰s s9] É = » t6ø 9 F ’ Í < ' r T [×o u Ž ö 9 Ï ã $ ZV ƒ Ï ‰t n t b%x . $ tB 3 $ # ` Å6 »s 9 u r 2 ” u Ž t I ø ÿ ã ƒ tû÷üt / “ Ï %© ! $ # t , ƒ Ï ‰ ó Ás? È e@à2 Ÿ@‹ ÅÁø ÿ s? u r Ï m÷ ƒ y ‰t ƒ Z p u H÷ q u ‘ u r “ Y‰ è d u r & ä ó Ó x « t b q ã Z Ï B÷sã ƒ 5Qö q s Ï j 9	111	يوسف
	y I t • ÷ z r & ü“ Ï %© ! $ # u q è d] ô ` Ï B # r ã • x ÿ x . tûï Ï %© ! $ # ` Ï B É = » tGÅ3ø 9 $ # È@÷ d r & ÉA ¨ r L öN Ï d Ì • » t ƒ Ï Š ó O ç F ^ o Ys ß $ tB 4 Î Žô ³ p t ø : $ #	2	الحشر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

	# þq ‘ Zsßur # qã_ã•øƒst br & óOßgçGyèÏR$¨B Oßg¯Rr & «!$# z`ÏiB Nåk çXqÝÁãm ß]ø‹ym ô`ÏB ª!$# ãNßg9s?r'sù t$x‹s%ur #qç7Å¡tGøtst óOs9 4 |=ôã”•9$# ãNÍk Í5qè=è% ’Îû NåksEqã‹ç / tbqç / Ì•øƒät “ Ï‰÷ƒr&ur öNÍk‰Ï‰÷ƒr'Î / tûüÏZÏB÷sßJø9$# ’Í<'ré'¯»tƒ #rçŽÉ9tFôã$$sù Ì•»|Áö/F$#		
	وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ، وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ]	43	العنكبوت
	ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى]	122	طه
	ûÓÍ_t/ $oYøB§•x . ô‰s s9ur] ’Îû öNßg»oYù=uHxqur tPyŠ#uä Ì•óst7ø9$# ur Îh Žy9ø9$# šÆÏiB Nßg»oYø%y—u‘ur ÏM»t7ÍhŠ©Ü9$# 4’n?tã óOßg»uZù=žÒsùur $oYø n=yz ô`£JÏiB 9Ž•ÏVŸ2 WxŠÅÒøÿs?	70	الإسراء
	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ]	34	البقرة
	ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ]	11	الأعراف
	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا]	61	الإسراء
	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ]	50	الكهف
	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى]	116	طه
	فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ]	30-31	الحجر
	فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ]	73-74	ص
	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى]	116	طه
	ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى]	122	طه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانيا: فهرس الأحاديث والآثار

مرتبة ألفبائيا على حروف طرف الحديث

متن الحديث	الراوي	المخرج	الصفحة
" إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ"	عبد الرحمن بن عوف	البخاري، مسلم، مالك، أحمد، ابن حبان، النسائي، البيهقي	
" أَعْرِبُوا الْقُرْآنَ، وَاتَّبِعُوا غَرَائِبَهُ، وَغَرَائِبُهُ فَرَائِضُهُ وَحُدُودُهُ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجُهٍ: حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَمُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ وَأَمْثَالٍ، فَاعْمَلُوا بِالْحَلَالِ وَاجْتَنِبُوا الْحَرَامَ وَاتَّبِعُوا الْمُحْكَمَ وَآمِنُوا بِالْمُتَشَابِهِ وَاعْتَبِرُوا بِالْأَمْثَالِ "	أبو هريرة	البيهقي، الألباني	
" أعطوا السنّ-أي ذوات السنّ - حظها من السنّ "		الخطابي، الزمخشري، الجزري	142
" اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"	ابن عباس	البخاري، أحمد، ابن حبان، ابن أبي شيبة،	62
" أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله برأيي"	ابن عباس عن الصديق	أبو داود النسائي الترمذي	46
" ذاكم فتى الكهول، إن له لسانا سؤولا وقلبا عقولا"	عمر بن الخطاب	الحاكم، ابن حجر، عبد الرزاق	62
" سألت ربي ثلاثا. فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة. سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسّنة فأعطانيها. وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها. وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها"	أنس، أبو هريرة	مسلم، أحمد، الحاكم، ابن خزيمة، ابن أبي شيبة، أبو يعلى	228
" سنّوا بهم سنّة أهل الكتاب"	عمر ابن الخطاب	مالك، البيهقي	41
" قيل يا رسول الله، إن أمتك ستفتن من بعدك، فسأل رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم- أو سئل ما المخرج منها؟ قال: الكتاب العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه... وآخره لا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عبره، ولا تفنى عجائبه..."	علي بن أبي طالب	الدارمي	47
" كل مولود يولد على الفطرة "	أبو هريرة	البخاري، مسلم، أحمد، مالك، الترمذي، أبو داود	341
" لعن الله الواشمة والمستوشمة المغيرات خلق الله"	أبو هريرة، عائشة، ابن عمر، ابن مسعود أسماء بنت أبي بكر... وغيرهم	التسعة إلا مالك	222
" من تكلّم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ "	ابن عباس	أبو داود، النسائي، الترمذي	46
" من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا"	جرير ابن عبد الله	مسلم، النسائي	141
" نفرّ من قدر الله إلى قدر الله –على حدّ تعبير سيدنا عمر "	عمر ابن الخطاب	البخاري، مسلم، مالك، ابن حبان، المتقي الهندي	384
" هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنزلَ عَلَى مُوسَى صَلى اللهُ عَليهِ وسلَّمَ"	عائشة	متفق عليه	304

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثالثا: فهرس الجداول والمخططات

مرتبة حسب ورودها في البحث

عنوان الجدول / المخطط	الصفحة
مخطط مناهج المفسرين القدامى	92
مخطط اتجاهات التفاسير الحديثة	137
مخطط أنواع السنن الإلهية	286
جدول جامع لأقسام السنن باعتبار المجال والدور	286
جدول مواضع ورود لفظ سنة في القرآن	293
جدول الحوار في القرآن	391
جدول أمثال القرآن	397
جدول آيات قصة آدم	402
جدول مشاهد قصة آدم	404
جدول سنن قصة آدم	417
جدول التصنيف المجالي للسنن الإلهية في قصة آدم	418

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رابعا: فهرس المصادر والمراجع

مرتبة ألفبائيا على حروف أسماء مؤلفيها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خامسا: فهرس الموضوعات

1 الفصل الأول: تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث
مفهومه - مناهجه - اتجاهاته
2 توطئـــــــة
5 المبحث الأول: التفسير مفهومه وأدواته
تمهيـــــــد
5 المطلب الأول: مفهوم التفسير
5 الفرع الأول: التحليل اللغوي
6 أولا - الدلالة الصوتية
8 ثانيا - الدلالة المعجمية
12 الفرع الثاني: التفسير اصطلاحا
16 أولا - قراءة تطورية
28 التعريف المختار
31 ثانيا - التفسير في الاستعمال القرآني
31 1- التناول التفسيري لآية الفرقان
32 2- مفاتيح الفهم القرآني للتفسير
3- سياق آية التفسير
37 4- استخلاص
38 المطلب الثاني: أدوات التفسير
38 لماذا الحديث عن الأدوات
39 الفرع الأول: المصطلحات الدالة
الفرع الثاني: أهمية الأدوات التفسيرية
40 أولا - الأهمية
42 ثانيا -الغاية والوسيلة
42 الفرع الثالث: مشكلات وحلول
48 الفرع الرابع: استعراض ونظر
57 الفرع الخامس: التصنيف المعتمد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولا - من جانب الوجود 60
1- القبليات المعرفية(الأدوات المعرفية) 60
2- الوسائط المنهجية (الأدوات المنهجية) 61
3- القابليات الذاتية (الأدوات الذاتية). 62
ثانيا - أدوات التفسير من جانب العدم 64

المبحث الثاني: مناهج التفسير قبل العصر الحديث 66
تمهيـــــد 66
المطلب الأول: ضبط المفاهيم 67
المطلب الثاني: استعراض وتصنيف 72
الفرع الأول: من منظور تاريخي 72
الفرع الثاني: من منظور مضاميني 75
الفرع الثالث: من منظور مذهبي تصوري 76
الفرع الرابع: من منظور منهجي 79
المطلب الثالث: التقسيم المختار 89

المبحث الثالث: اتجاهات التفسير في العصر الحديث 93
تمهيـــــد
المطلب الأول: التفسير والعصر الحديث 93
الفرع الأول: المعاصرة والتفسير العصري
أولا - ماهية المعاصرة 94
ثانيا - التفسير العصري 95
الفرع الثاني: العصر التفسيري الحديث
أولا - العصر الحديث من منظور تفسيري 96
ثانيا - الآثار الإيجابية والسلبية 97
الفرع الثالث: التفسير بين السلفية والمعاصرة
أولا - تفسير السلف 99
ثانيا - التفسير وضرورات المعاصرة 101
المطلب الثاني: الاتجاه والمنهج التفسيري
الفرع الأول: مفهوم الاتجاه 105

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفرع الثاني: الاتجاه والمنهج 106
الفرع الثالث: من المناهج إلى الاتجاهات 107
المطلب الثالث: عرض وتصنيف لاتجاهات التفسير الحديث 112
الفرع الأول: مصادر العرض 112
الفرع الثاني: وقفة إجمالية 115
الفرع الثالث: وقفة تفصيلية 117
الفرع الرابع: التقسيم المعتمد 134
الفصل الثاني: السنن الإلهية مفهومها خصائصها أنواعها 138

المبحث الأول: مفهوم السنن الإلهية 139
تمهيـــــد
المطلب الأول: مفهوم السنن الإلهية في الاستعمال اللغوي 139
المطلب الثاني: مفهوم السنن الإلهية في الاصطلاح 149
الفرع الأول: السنن بوصفها إرادة الله وحكمته ومشيئته. ¬ البعد الرباني للسنن 151
أولا - السنن فعل الله 152
ثانيا - السنن حكم الله ومشيئته وشريعته 153
ثالثا - السنن قدر الله وكلمته وأمره وإرادته 155
الفرع الثاني: السنن بوصفها القانون والنظام الإلهي ¬ البعد القانوني للسنن الإلهية 155
أولا - السنن بمعنى القوانين 155
ثانيا - السنن بلفظ النواميس 161
ثالثا - السنن بمعنى النظام 162
رابعا - السنن ضوابط 162
خامسا - السنن قواعد 163
سادسا - مصطلحات أخرى 163
الفرع الثالث: السنن بوصفها الطريقة والمنهج والسيرة ¬ البعد المنهجي للسنن 165
أولا - السنن طرائق وطرق إلهية 165
ثانيا - السنن نهج ومنهج 167
الفرع الرابع : السنن بوصفها المثال والعادة ¬ البعد الثقافي الاعتباري للسنن الإلهية 169

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولا - السنن بمعنى المثال 170
ثانيا - السنن بمعنى العادات 170
ثالثا - السنن بمعنى الطبائع 171
الفرع الخامس: البعد الحضاري في تعريف السنن الإلهية 176
أولا - مفهوم السنن الإلهية عند الطيب برغوث 177
ثانيا - التعريف المختار 179

المبحث الثاني: خصائص السنن الإلهية 181
تمهيـــــد: حصر وتصنيف 181
المطلب الأول: الخصائص الربانية للسنن الإلهية 186
الفرع الأول: دلالة ربانية السنن الإلهية 186
الفرع الثاني: مقتضيات ربانية السنن الإلهية 189
الفرع الثالث: ربانية السنن والمشيئة الإلهية 192
الفرع الرابع: ربانية السنن ودور الإنسان 195
المطلب الثاني: الخصائص القانونية للسنن الإلهية 196
الفرع الأول: دلالة قانونية السنن الإلهية 196
الفرع الثاني: مقتضيات قانونية السنن الإلهية 198
الفرع الثالث: قانونية السنن الإلهية وعلاقة السببية 202
المطلب الثالث: الخصائص المنهجية للسنن الإلهية (التسخيرية) 204
الفرع الأول: دلالة تسخيرية السنن الإلهية 204
الفرع الثاني: مقتضيات تسخيرية السنن الإلهية 206
الفرع الثالث: تسخيرية السنن الإلهية ودور الإنسان 211
المطلب الرابع: الخصائص الاعتبارية الثقافية للسنن الإلهية 213
الفرع الأول: دلالة الخصائص الاعتبارية الثقافية للسنن الإلهية 214
أولا - دلالة ثبات السنن الإلهية 214
ثانيا - دلالة عموم السنن الإلهية 217
الفرع الثاني: مقتضيات الخصائص الاعتبارية الثقافية للسنن الإلهية 219
أولا - ضرورة ثبات السنن الإلهية 220
ثانيا - ثبات السنن وعمومها بين المشيئة والأجل 221
ثالثا - ثبات السنن لا يعني خلود العالم 222

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رابعا - عمومُ السنن الوجودَ الطبيعي والوجودَ البشري 225

خامسا - ثبات وعموم السنن الإلهية وخصوصية الأمة المسلمة 229

سادسا - ثبات وعموم السنن الإلهية يقتضيان "العِلْميّة" 233

الفرع الثالث: ثبات وعموم السنن الإلهية ودور الإنسان 234

المبحث الثالث: أنواع السنن الإلهية 239

تمهيـــــد: ضبط مدخلي 239

المطلب الأول: أنواع السنن الإلهية باعتبار مجالها 245

الفرع الأول: سنن عالم الشهادة وسنن الغيب 245

الفرع الثاني: السنن الكونية والسنن الإنسانية 249

أولا - السنن الكونية 249

ثانيا - السنن الإنسانية 250

ثالثا - العلاقة بين السنن الكونية والإنسانية 251

الفرع الثالث: سنن الإنسان وسنن الإيمان 259

الفرع الرابع: السنن الفردية والسنن الاجتماعية 261

الفرع الخامس: أقسام السنن الغيبية 263

المطلب الثاني: أقسام السنن الإلهية باعتبار دور الإنسان 267

الفرع الأول: السنن التكوينية والسنن التكليفية 267

الفرع الثاني: السنن الإلهية وقابلية التحدي 270

الفرع الثالث: السنن الإلهية وقابلية الكشف والتسخير 272

المطلب الثالث: تقسيم الأستاذ الطيب برغوث 273

1- منظومة سنن عالم الآفاق 274

2- منظومة سنن عالم الأنفس 274

3- منظومة سنن عالم الهداية 275

4- منظومة سنن عالم التأييد 276

المطلب الرابع: التقسيم المعتمد لأنواع السنن الإلهية 278

الفصل الثالث: السنن الإلهية بين السياق القرآني والتناول التفسيري 287

تمهيـــد 288

المبحث الأول: السنن الإلهية في التناول التفسيري 289

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تمهيـــــد

المطلب الأول: مادة السنن في القرآن الكريم 289

الفرع الأول: حصر النصوص 290

الفرع الثاني: تحليل إحصائي للجدول 294

المطلب الثاني: دلالات السنن الإلهية عند المفسرين 298

الفرع الأول: الدلالات اللغوية للسنن الإلهية عند المفسرين 298

الفرع الثاني: الدلالات الاصطلاحية للسنن الإلهية عند المفسرين 300

أولا - البعد الرباني للسنن الإلهية في التناول التفسيري 300

ثانيا - البعد القانوني للسنن الإلهية في التناول التفسيري 302

ثالثا - البعد المنهجي للسنن الإلهية في التناول التفسيري 306

رابعا - البعد الثقافي للسنن الإلهية في التناول التفسيري 307

الفرع الثالث: دلالات تفسيرية أخرى للسنن الإلهية 310

المطلب الثالث: ملاحظات حول التناول التفسيري للسنن الإلهية 312

المبحث الثاني: الصياغة القرآنية للسنن الإلهية 315

تمهيـــــد

المطلب الأول: أشكال التعبير عن السنن في القرآن الكريم 315

الفرع الأول: الشكل التصريحي 317

الفرع الثاني: الشكل التقريري 320

الفرع الثالث: الشكل الخبري 320

الفرع الرابع: الشكل الإنشائي 323

الفرع الخامس: الشكل التمثيلي 325

الفرع السادس: الشكل الترتيبي 326

المطلب الثاني: الصياغة الاصطلاحية للسنن في الاستعمال القرآني 329

الفرع الأول: الصياغة الإلهية للسنن 330

الفرع الثاني: الصياغة الهدائية للسنن 336

الفرع الثالث: الصياغة الكونية للسنن 339

الفرع الرابع: الصياغة التاريخية للسنن 341

المطلب الثالث: مجال السنن الإلهية في القرآن الكريم 345

المبحث الثالث: السياقات السننية في القرآن الكريم 355

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول: السياق القرآني المفهوم والأنواع 355
الفرع الأول: السياق الهدائي في القرآن الكريم 357
أولا - مفهوم الهداية 357
ثانيا - الهداية في السياق القرآني 358
ثالثا - سياقات الهداية القرآنية 361
الفرع الثاني: السياق الكوني في القرآن الكريم 369
أولا - مفاتيح السياق الكوني
ثانيا - آيتي الليل والنهار كنموذج تطبيقي لسياق كوني 372
الفرع الثالث: السياق التاريخي في القرآن الكريم 376
المطلب الثاني: السياق القصصي في القرآن الكريم 379
الفرع الأول: القصص القرآني 379
الفرع الثاني: سننية القصة القرآنية 382
المطلب الثالث: نموذج تطبيقي – قصة آدم عليه السلام من منظور سنني 400
الفرع الأول: قصة آدم –عليه السلام- في القرآن الكريم 400
الفرع الثاني: أركان قصة آدم –عليه السلام- 402
الفرع الثالث: خصائص قصة آدم –عليه السلام- 404
الفرع الرابع: منهج القرآن في عرض قصة آدم –عليه السلام- 406
الفرع الخامس: وسائل التأثير في قصة آدم –عليه السلام- 409
الفرع السادس: السنن الإلهية في قصة آدم–عليه السلام- 411
خاتمـــــــــة
فهارس الرسالة
فهرس الآيات القرآنية
فهرس الأحاديث والآثار
فهرس الجداول والمخططات
فهرس المصادر والمراجع
فهرس الموضوعات
ملخص البحث
ترجمة الملخص

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Abstract

This study tried to present and discuss the aspects of the trilogy (the text, the mind, the reality) presented respectively in the other trilogy (interpretation of Quran: tafsir, divine law:Sunan, modern era) embodied in the title of this research:

The Divine Laws and the Interpretation of Quran in the Modern Era.

This subject is treated through three chapters:

The first chapter examined the concept and tools of interpretation, and its methods and trends.

The second chapter treated the concept of Divine laws, and its properties and types.

Than came *the third chapter* mating between interpretation and divine laws, through interpretive approach, and the Quranic drafting of Divine laws and its three contexts.

First: the study proved that the review of the concept of "interpretation: tafsir" and its evolutionary reading stated that it is broader than just a linguistic or jurisprudential treatment of Quran. It is in fact, a discretionary scientific process, interactive with the Quranic texts to understand and apply them, for downloading that on the human reality, by invoking some self capacities and abilities, and overcome the existing knowledge, employing media-methodologies, to perform

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

our duties and realize the supervision of Quran over the real world, in order to please God and preserve his mercy and paradise.

When tracing the historical approaches of Quran' interpretations methodology we found that tafsir in the modern era -since Imam Mohammed Abdou- moved from the 'language' of methods into the 'language' of directions, with the continuation of the two traditional tafsir' winds and minds: creative and narrative, or using mind and transferring mind. With the trend of innovative contemporary doctrines: social, scientific and literary tafsir' methods.

Secondly: the conceptual analysis concluded that the divine laws are those patterns that had been set by God in every universal subject to submit to Allah in a steadily and regularly.

Based on this concept, the divine laws' notions and characteristics had been distributed through four dimensions:

1- The divine dimension, which reflects the fact that Allah's 'Sunan' are based on the wills and wishes of Allah.

2- The legal side of 'Sunan' presents the strict and legal face of divine laws and its reasoning.

3- The methodological dimension looks at divine laws as conducts and methods and ways of acting.

4- The cultural side sees the divine laws as traditions and examples of fixed and general habits.

Basing on these characteristics, the divine laws 'Sunan' are distributed on the seen and unseen words. The lived world's Sunan include the laws of the physical universe and the human existence, both individual and collective.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

While the unseen worlds' Sunan contain the laws of before life, and the absented laws, and the after life laws.

Thirdly: the limited explanations of linguistic and jurisprudential interpretations of Quran, prospects never the divine laws in the Quranic contexts. Quran is full of divine laws, formulated in the conditional or active or directional forms, presented as statement or report or processing or presentation. Although the divine laws in Quran are often in social and historical contexts, however Quran includes all the divine laws either legislative and guidance, or universal or historical.

This latter which devoted in this research –as in Quran- a private huge and important space, through a theoretical model of the Quranic stories, and a practical applied model of the Quranic story of our father Adam –peace be up on him-, as a story of the first paternal men and the start of life. This story summarized the divine laws of succession and the existential function of human being.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com